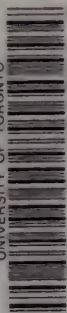


UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 01478734 5























(२०००/१९१२/२०८१/२०२)



آبن يحيى ، لقد أحيا هذا العزّ الدارس ، وأنجحت عن هذا العلم غيابه حتى لم يبق  
عمه لعامه ولا عمّة على ممارس :

وقد وجدت مكان القول ذا سعة \* فإن وجدت لساناً قائلاً قُفِّل

وسوف أورد هذه الرسالة في موضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ،  
وكذلك يجرى القول فيما يكتب به من إجازات أهل العلوم ونحوها في كل علم ، وقد  
تقدم ذكر شيء مما يجرى هذا المجرى في الكلام على النحو ونحوه .

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى  
أوله ( النوع الثامن عشر )  
المعرفة بالأحكام السلطانية

البغدادىّ بذكره على المنابر، وقال ابن الصلاح لمثل هذه الفوائد نتعين الرحلة،  
وفي تحصيلها تنفد الأخبار، أو أبدى في أصول الدين نظرا تعلق منه أبو الحسن  
الأشعريّ بأوفى زمام، وسد باب الكلام على المعتزلة حتى يقول عمرو بن عبيد  
وواصل بن عطاء ليتنا لم نفتح بابا في الكلام، أو دقق النظر في المنطق بهر الأبهريّ  
في مناظرته، وكتب الكاشي وثيقة على نفسه بالعجز عن مقاومته، أو ألم بالحدل  
رمى الأرموى نفسه بين يديه، وجعل العميدى عمدته في آداب البحث عليه،  
أو بسط في اللغة لسانه أعترف له ابن سيده بالسيادة، وأقر بالعجز لديه الجوهري  
وجلس ابن فارس بين يديه مجالس الاستفاده، أو نحا إلى النحو والتصريف أربى  
فيه على سيبويه، وصرف الكسائيّ له عزمه فسار من البعد إليه، أو وضع أنوذجا  
في علوم البلاغة، وقف عنده الجرجاني، ولم يتعدّ حدّه ابن أبي الأصبع ولم يحاوز  
وضعه الرّماني، أو روى أشعار العرب، أزرى بالأصمعيّ في حفظه، وفاق أبا عبيدة  
في كثرة روايته وغزير لفظه، أو تعرض للعروض والقوافي استحقهما على الخليل،  
وقال الأخفش عنه أخذت المتدارك وأعترف الجوهريّ بأنه ليس له في هذا الفن  
مثيل، أو أصل في الطب أصلا، قال ابن سينا هذا هو القانون المعتبر في الأصول،  
وأقسم الرازيّ بحجي الموتى إن بقراط لو سمعه لما صنف الفصول، أو جنح إلى  
غيره من العلوم الطبيعية فكأما طبع عليه، أو جذبه بزمام فائق ذلك العلم إليه،  
أو سلك في علوم الهندسة طريقا لقال اقليدس هذا هو الخط المستقيم، وأعرض  
ابن الهيثم عن حل الشكوك ووثن وهو كظيم، وحمد المؤمن بن هود عدم إكمال  
كتابه الاستكمال، وقال عرفت بذلك نفسى وفوق كل ذى علم عليم، أو عرج على  
علوم الهيئة لأعترف أبو الريحان البيروني أنه الأنجوبة النادرة، وقال ابن أفلاح  
هذا العالم قطب هذه الدائرة، أو صرف إلى علم الحساب نظره لقال السموءل



الذى ألفه للاسكندر، وكتاب المدينة الفاضلة لأبى نصر الفارابى، وللشيخ تقي الدين ابن تيمية كتاب حسن فى السياسة الشرعية .

الثانى علم الأخلاق - ومن الكتب المختصرة فيه ، كتاب للشيخ أبى على بن سينا . ومن المتوسطة كتاب الفوز لأبى على بن مسكويه . ومن المبسطة كتاب للإمام نحر الدين الرازى .

الثالث علم تدبير المنزل - ويحصل الانتفاع فيها بالاطلاع على السير الفاضلة المحمودة للملوك وغيرهم ، ولا أنفع من السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . فإذا عرف الكاتب هذه العلوم والفنون وما صنف فيها من الكتب ، أمكنه التصرف فيها فى كتابه بذكر علم نبيل لمساواته أو التفضيل عليه ، وذكر كتاب مصنف فى ذلك حيث تدعو الحاجة إلى ذكره .: كما وقع لى فى تقرير مولانا قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ، أبى سيدنا شيخ الإسلام أبى حفص عمر البلقينى الكنائى الشافعى ” إن تكلم فى الفقه فكأنما بلسان الشافعى ” تكلم ، والربيع عنه يروى ، والمزنى منه يتعلم ؛ أو خاض فى أصول الفقه قال الغزالى هذا هو الإمام باتفاق ، وقطع السيف الآمدى بأنه المقدم فى هذا الفن على الإطلاق ؛ أو جرى فى التفسير قال الواحدى هذا هو العالم الأوحى ، وأعطاه أبى عطية صفقة يده بأن مثله فى التفسير لا يوجد ؛ وأعترف له صاحب الكشاف بالكشف عن الغوامض ، وقال الإمام نحر الدين هذه مفاتيح الغيب وأسرار التنزيل فارتفع الخلاف واندفع المعارض ، وأخذ فى القراءات والرسم أزرى بأبى عمرو الدانى ، وعدا شأؤ الشاطبى فى الرائية وتقدمه فى حرز الأمانى ؛ أو تحدّث فى الحديث شهد له السفينان بعلو الرتبة فى الرواية ، وأعترف له أبى معين فى التبريز والتقدم فى الدراية ؛ وهتف الخطيب

الخامس علم الآلات الظلمية - فيه عدة مصنفات ، ولا إبراهيم بن سنان الخزاني  
فيه كتاب مبرهن .

### الأصل السادس

(علم العدد المعروف بالارتماطيق ، وفيه خمسة علوم)

الأول علم الحساب المفتوح - من الكتب المختصرة فيه مختصر ابن مجلي الموصلي  
ومختصر ابن فلوس المارديني ، ومختصر السموعل بن يحيى المغربي . ومن المتوسطة  
الكافي للكرخي . ومن المبسطة الكامل لأبي القاسم بن السمع .  
الثاني علم حساب التخت والميل - من الكتب المصنفة فيه علي طريق الهندي  
كتب معدة ، ومن الكتب المصنفة فيه علي طريق الغبار كتاب الحصار ، وكتاب  
المدخل وغيرهما .

الثالث علم الجبر والمقابلة - من الكتب المختصرة فيه نصاب الجبر لابن فلوس  
المارديني ، والمفيد لابن مجلي الموصلي . ومن المتوسطة فيه كتاب المظفر الطوسي .  
ومن المبسطة جامع الأصول لابن المجلي ، والكامل لأبي شجاع بن أسلم .  
الرابع علم حساب الخطأين - وفيه من الكتب الجامعة كتاب لزين الدين المعري  
الخامس علم حساب الدور والوضايا - ومن الكتب المصنفة فيه كتاب  
لأفضل الدين الحويجي .

### الأصل السابع

(العلوم العملية ، وفيه ثلاثة علوم)

الأول علم السياسة - ومن الكتب المصنفة فيه كتاب السياسة لأرسطاطليس



- السادس علم إنباط المياه - للكنخى فيه مختصر جليل ، وفي خلال الفلاحة  
النبطية لأبن وحشية مهمات هذا العلم .
- السابع علم جرّ الأتقال - فيه كتاب لفيلن .
- الثامن علم البنكومات - فيه كتاب لارشميدس عمدة في بابه .
- التاسع علم الآلات الحربية - فيه كتاب لبنى موسى بن شاكر .
- العاشر علم الآلات الروحانية - أشهر كتبه الكتاب المعروف بجيل بنى موسى ،  
وفيه كتاب مختصر لفيلن ، وكتاب مبسوط للبديع الجزرى .

## الأصل الخامس

(علم الهيئة ، وفيه خمسة علوم)

- الأول علم الزيجات - قال فى إرشاد القاصد : أقرب الزيجات عهدا بالرصد  
الزيج العلائى . قال وأهل مصر فى زماننا إنما يقيمون دفتر السنة من زيج لفقوه  
من عدة أزياج ولقبوه بالمصطلح ؛ وأتم الزيجات فى زماننا الذى نحن فيه زيج الشيخ  
علاء الدين بن الشاطر الدمشقى ، وهو عزيز الوجود لم ينتشر ولم تكثر نسخه بمد .
- الثانى علم المواقيت - من الكتب المختصرة فيه نفائس اليواقيت فى علم  
المواقيت . ومن المبسوطه جامع المبادئ والغايات لأبى على المرأكشى .
- الثالث علم كيفية الأرصاد - من الكتب المعتبرة فيه كتاب الأرصاد لأبن  
الهيتم ، وكتاب الآلات العجيبة للحارثى يشتمل عليه .
- الرابع علم تسطيح الكرة - من الكتب القديمة فيه كتاب تسطيح الكرة  
لبطليموس . ومن الكتب المحدثه فيه الكامل للفراغى ، والاستيعاب للبىرونى ،  
وآلات التقويم للمرأكشى .

الحادى عشر علم الفلاحة - من الكتب المختصرة فيه الفلاحة المصرية . ومن المبسوطه فيه الفلاحة النبطية ، ترجمة أبى بكر بن وحشية .

الثانى عشر علم ضرب الرمل - من الكتب المصنفة فيه تجارب العرب ، وفى مثلثات ابن محقق<sup>(١)</sup> حصر صورته .

تنبیه - لارسطاطا ليس ثمانية كتب فى الطبيعى يختص كل كتاب منها بجزء جردها ابن سينا فى مختصر ترجمه بالمقتضبات ، ولخصها أبو الوليد بن رشد تلخيصا مفيدا ، والمتأخرون جمعوا فى غالب كتبهم بينه وبين الالهى فى التصنيف كما فى الطوالع والمصباح للبيضاوى .

### الأصل الرابع

( علم الهندسة ، وفيه عشرة علوم )

الأول علم عقود الأبنية - من الكتب المصنفة فيه مصنف لأبن الهيثم ، ومصنف للكرخى .

الثانى علم المناظر - من الكتب المختصرة فيه كتاب أقليدس . ومن المتوسطة كتاب على بن عيسى الوزير . ومن المبسوطه كتاب ابن الهيثم .

الثالث علم المَرَايا المُحَرِّقة - من الكتب المصنفة فيه كتاب لأبن الهيثم .

الرابع علم مراكز الأتقال - من الكتب المعتبرة فيه كتاب أبن الهيثم ، وفيه كتاب لأبن سهل الكوهى .

الخامس علم المساحة - من الكتب المختصرة فيه كتاب أبن مجلى الموصلى . ومن المتوسطة كتاب أبن المختار . ومن المبسوطه ، كتاب ارشميدس .

(١) فى كشف الظنون محقق .



السادس علم أحكام النجوم - من الكتب المختصرة فيه مجمل الأصول لكوشيار، والجامع الصغير لمحي الدين المغربي . ومن المتوسطة كتاب التاريخ والمغنى لأبن هنبتا . ومن المبسطة مجموع آبن سريخ . ومن الكتب المنفردة ببعض أجزائه الأدوار لأبن معشر، والإرشاد لأبن الريحان البيروني، والموايد للتصبي، والتحاويل للسحرتي، والمسائل للقيصراني، ودرج الفلك لسكلوشا . ومن المدخل إليه مدخل القبيصى، والتفهيم للبيروني مدخل إلى هذا الفن، وفيه ما يحتاج إليه من الرياض أيضا .

السابع علم السحر، وعلم الحرف والأوقاف - ومن كتب السحر المعتمدة في بعض طرائقه السر المكتوم المنسوب للإمام نجر الدين، وكتاب الجهرة للخوارزمي، وكتاب طيارس لارسطاطا ليس، وفي غاية الحكم للجريطي فصول كافية في بعض طرقه أيضا .

ومن كتب علم الحرف كتاب لطائف الإشارات للبوني، وشمس المعارف له، وهو عزيز الوجود، وفي النسخ المعتمدة من اللعة النورانية للبوني قطعة كافية منه .

الثامن علم الطلسمات - في كتاب طبنا الذي نقله آبن وحشية عن النبط أُمُودج لعمل الطلسمات ومدخل إلى علمها، وفي غاية الحكم للجريطي قواعد هذا العلم . قال في إرشاد القاصد إلا أنه ضن بالتعليم كل الضن، ولأبن يعقوب السكاسكى فيه كتاب جليل القدر .

التاسع علم السيميا - رأيت فيه كتباً مجهولة المصنفين .

العاشر علم الكيمياء - من الكتب المطولة فيه كتب جابر بن حيان . قال في إرشاد القاصد : وأمثلة كتب الإسلاميين في ذلك التذكرة لأبن كونه، ورُتبة الحكيم للجريطي، وشرح الفصول لعون بن المنذر . ومن النظم الرائق فيه نظم الشذوري .

ومن كتب الحنابلة المختصرة مختصر الحَدَقِ، والنهاية الصغرى لأبن رَزِين . ومن المتوسطة المُقْنِع، والكافي . ومن المبسطة المغنى لأبن قُدَّامة .  
ومن كتب الخلاف في المذاهب الأربعة الاختلافُ والجمع لأبن هبيرة الحنبلي .  
ومن المشتمل على مذاهب السلف الإشراف لأبن المنذر .

### الأصل الثالث

( العلم الطبيعي ، وفيه اثنا عشر علما )

الأول علم الطب - من الكتب المختصرة فيه الموجز لأبن النفيس ، والفصول لأبقراط . ومن المتوسطة المختار لأبن هُبَل ، والمائة للمسيحي ، والشافى لأبن القف .  
ومن المبسطة كامل الصناعة المعروف بالملكي ، والقانون للرئيس أبي عليّ بن سينا وهو الذى أخرج الطب من التلقيق إلى التهذيب والترتيب ، وهو أجمع الكتب وأبلغها لفظاً وأحسنها تصنيفاً .

الثانى علم البيطرة - من الكتب المصنفة فيه كتاب خنين بن اسحاق .

الثالث علم البزرة - من الكتب المصنفة فيه كتاب القانون الواضح وفى كتاب العلاجين لأبن العوام جملة كافية من البيطرة والبزرة .

الرابع علم الفِرَاسَة - من الكتب المصنفة فيه كتاب ارسطاطاليس وكتاب الفِرَاسَة للإمام نحر الدين الرازى ، ولقيلان فيه كتاب مختص بالتفرس فى النساء .

الخامس علم تعبیر الرؤيا - من الكتب المختصرة فيه فوائد الفرائد لأبن الدَقَّاق ، وتعبير الحنبلى المرتب على حروف المعجم . ومن المتوسطة فيه شرح البدر المنير للحنبل . ومن المبسطة فيه تأليف أبى سهيل المسيحي ، والبشرى فى شرح كتاب الكرماني .

التاسع علم الفقه - من كتب الشافعية المختصرة مختصر المُرَنيّ، ومختصر البُويّطيّ -  
والوجيز للغزالي، والتنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، والمحرّر للرافعي، والمنهاج للنوويّ -  
والحاوي الصغير لعبد الغفار القزويني، والعَجَبُ العُجَاب، وجامع المختصرات،  
ومختصر الجوامع للشيخ كمال الدين الشيبانيّ . ومن المتوسطة المذهب لأبي إسحاق  
الشيرازيّ، والوسيط للغزالي، والشرح الصغير للرافعي، والروضة للنووي، والجواهر  
للَقْمُولي، وأجمعها على اختصار المتقي للشيخ كمال الدين الشيبانيّ . ومن المبسطة  
الأمّ للامام الشافعيّ، والحاوي للوردي، والبحر للرؤيانيّ، والنهاية لإمام الحرمين،  
والبسيط للغزالي، والشامل لأبْن الصَّبَّاح، والتممة للتلوي، والعُدّة لأبي المكارم  
الرؤيانيّ، والشرح الكبير على الوجيز للرافعي، وشرح المذهب للنوويّ آتته فيهِ إلى  
أثناء الربا، ولو كل لأغنى عن جُلّ كتب المذهب، والكفاية في شرح التنبيه لأبْن  
الرّفعة، والمطلب في شرح الوسيط له، والبحر المحيط في شرح الوسيط للَقْمُولي .  
ومن محاسنها المُهمّات على الرافعي، والروضة للشيخ جمال الدين الأسنوي .

ومن كتب الحنفية المختصرة البداية، والنافع، والكنز، ومجمع البحرين، ومختار  
الفتوى . ومن المتوسطة الهداية . ومن المبسطة المحيط، والمبسوط، والتحرير  
والجامع الكبير وغير ذلك .

ومن كتب المالكية المختصرة التلقين للقاضي عبد الوهاب، ومختصر ابن الجلاب،  
ومختصر ابن الحاجب . ومن نفيس المختصرات فيها مختصر الشيخ خليل المالكي،  
هذا فيه قريبا من حذو جامع المختصرات . ومن المتوسطة التهذيب للبرادعي،  
والجواهر لأبْن شاس، ونظم الدرّ للشارمِساخيّ . ومن المبسطة النوادر لأبْن أبي زيد،  
والبيان والتحصيل، وكتاب أبْن يونس، وشرح التلقين للآزري، وليس بكامل،  
والذخيرة للقرافي .



في معاني الحديث شرح البخاري لأبن بطلال ، وشرحه لأبن التين المغربي ، وشرحه لمغلطاي ، وشرحه للكرماني ، وشرحه لشيخنا سراج الدين بن الملحق ، وشرح مسلم للقاضي عياض ، وشرحه للشيخ محي الدين النووي ، وشرح سنن أبي داود للخطابي ، وشرح العمدة للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وشرحها للشيخ تاج الدين الفاكهاني . ومن الكتب في غريب الحديث كتاب الغريبين للهروي ، والنهاية لأبي السَّعَادَاتِ أبْنِ الأَثِيرِ ، وغير ذلك من سائر الأنواع .

السادس علم أصول الدين - من الكتب المختصرة فيه الطَّوَالع للقاضي ناصر الدين البيضاوي ، والمصباح له ، وقواعد العقائد للخواجه نصير الدين الطُّوسِي ، وكتاب الأربعين للقاضي جمال الدين بن واصل . ومن المتوسطة المحصل للإمام فخر الدين ، والصحائف للسمرقندي ، وشرح الطوالع للسيد العَبْرِي ، وشرحها للشيخ عز الدين الأَصْفَهَانِي .

السابع علم أصول الفقه - من الكتب المختصرة فيه مختصر أبْنِ الحَاجِب ، ومنهاج البيضاوي ، والتنقيح للقرافي ، والقواعد لأبن الساعاتي . ومن المتوسطة فيه التحصيل للأرموي . ومن المبسطة فيه الأحكام للآمدي ، والمحصول للإمام فخر الدين ، وشروح مختصر ابن الحَاجِب : كشرح القطب الشيرازي ، وشرح المسيل ، وشرح الشيخ شمس الدين الأَصْفَهَانِي ، وأتقن شرح عليه للعضد ، وكشرح منهاج البيضاوي لأبن المطهر ، وشرحه للشيخ جمال الدين الأسنوي ، وغير ذلك ، وكشرح التنقيح لمصنفه .

الثامن علم الجدل - من الكتب المختصرة فيه الْمُغْنِي للآبْهَرِي ، والفُصُول للنسفي ، والخلاصة للراغي ، والمَعُونَةُ لأبْنِ إِسْحَاقِ الشيرازي . ومن المتوسطة فيه النفاة للعميدي ، والوسائل للآرموي . ومن المبسطة تهذيب النكت للآبْهَرِي .

واعلم أن كل واحد من المفسرين قد غلب عليه فن من الفنون يميل إليه في تفسيره، فالتيفاشي تغلب عليه القصص، وابن عطية تغلب عليه العربية، وابن عطية تغلب عليه أحكام الفقه، والزجاج تغلب عليه المعاني وغير ذلك .<sup>(١)</sup>

الرابع علم رواية الحديث - أضبط الكتب المصنفة فيه وأصحها رواية صحيح البخاري، وصحيح مسلم رضى الله عنهما، وبعدهما بقية كتب السنن المشهورة : كسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارقطني . والمسندات المشهورة كسنن أحمد، وابن أبي شيبة، والبخاري ونحوها .

ومن كتب السير السيرة لابن هشام، وزهر الخمائل لابن سيد الناس . ومن الكتب المبسوطة المشتملة على متون الأحاديث دون الرواة جامع الأصول لابن الأثير . ومن المتوسطة الجمع في ذلك الجمع بين الصحيحين للحميدي، ومختصر جامع الأصول لمصنفه .<sup>(٢)</sup> ومن المختصرة فيما يتعلق بالأحكام، الإمام بأحاديث الأحكام، للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وعمدة الأحكام للحافظ عبد الغنى المقدسي .

ومما يتعلق بالترغيب والترهيب رياض الصالحين للنووي . ومما يتعلق بالأدعية كتاب الأذكار له، وسلاح المؤمن لابن الامام . إلى غير ذلك من أنواع المصنفات المختلفة المقاصد مما لا يحصى كثرة .

الخامس علم دراية الحديث - من الكتب الموصلة للدخول في ذلك علوم الحديث لابن الصلاح، وتقريب التيسير للنووي، وعلوم الحديث للحاكم، والكفاية للخطيب أبي بكر، وفي أول جامع الأصول المقدم ذكره في كتب رواية الحديث قطعة من ذلك . ومن الكتب المبسوطة في أسماء الرجال الكمال . ومن الكتب المبسوطة

(١) هما مفسران أحدهما متقدم على الآخر وكلاهما مسمى بأبي محمد عبد الله إلا أن المتقدم دمشق والمتأخر غرناطة كذا يؤخذ من كشف الظنون : (٢) أي ابن الأثير الجزري .

التاسع علم قوانين الخط - في أصول الخط ألفية لشعبان الآثاري ، ولأبن الحسين كتاب في قلم الثلث ، ولأبن الشيخ عز الدين بن عبد السلام مصنف في قلم النسخ ، وفي صناعة الهجاء المختصة بالقرءان الرائية للشاطبي ، وفي خلال كتب النحو الجامعة كالتسهيل وغيره جملة من الهجاء ، وقد أودعت في هذا الكتاب ما فيه كفاية من ذلك .

العاشر قوانين القراءة - فيه كتاب التنبيه لأبي عمرو الداني .

## الاصل الثاني

( العلوم الشرعية ، وفيه تسعة علوم )

الأول علم النواميس المتعلق بالنبوات - وفيه كتاب لأرسطاطاليس ، وكتاب لافلاطن ، وأكثر مسائله في كتاب "المدينة الفاضلة" لأبي نصر الفارابي ، وفي آخر الطوالع والمصباح للبيضاوي مسائل من ذلك .

الثاني علم القراءات - من الكتب المختصرة فيه التيسير لأبي عمرو الداني ، ونظمه الشاطبي في قصيدته التي وسمها بحرز الأمانى ، فأغنت عما سواها من كتب القراءات وأعنتى الناس بشرحها ، ولأبن مالك دالية بدیعة في علم القراءات لكنها لم تشتهر . ومن الكتب المبسطة فيه كتاب الروضة في القراءات ، وشروح الشاطبية كالفاسي وغيره .

الثالث علم التفسير - من الكتب المختصرة فيه زاد المسير لأبن الجوزي ، والوجيز للواحدى ، والنهر لأبن حيان . ومن المتوسطة فيه الوسيط للواحدى والكشاف للزحمرى ، ومعالم التنزيل للبغوى . ومن المبسطة البسيط للواحدى ، وتفسير القرطبي ، وتفسير الامام نجر الدين ، والبحر المحيط لأبن حيان .

(١) هو كتاب البيضاوي في علم الكلام .



الخامس علم البيان - من الكتب المنفردة به كتاب نهاية الإعجاز للإمام فخر الدين الرازي، والجامع الكبير لأبن الأثير الجزري .

السادس علم البديع - من الكتب المنفردة به المختصرة فيه زهر الربيع للطبرزي . ومن المتوسطة فيه البديع للتيقاشي ، وشرح البديعية للصفى الحلي . ومن المبسطة كتاب التحرير لأبن أبي الأصبع .

(تنبيه) ومن الكتب المشتملة على علوم المعاني والبيان والبديع روض الأزهار لأبن مالك ، والإيضاح لأبن مالك ، وأعظمها شهرة بالديار المصرية تلخيص المفتاح لقاضي القضاة جلال الدين القزويني وعليه عدة شروح . منها شرح الخلخالي ، وشرح الشيخ أكل الدين ، وشرح الشيخ بهاء الدين السبكي ، وهو من أجل شروحه ، والمعول عليه منها شرح الشيخ سعد الدين التفتازاني .

السابع علم العروض - من الكتب المختصرة فيه عروض آبن مالك ، ولأبن الحاجب فيه لامية كافية ، اعتنى الناس بشرحها ، ومن شرحها الشيخ جمال الدين آبن واصل ، والشيخ جمال الدين الأسنوي . وللساوي لامية ضاهي فيها لامية آبن الحاجب ، ولالإمام القزويني عليها شرح حسن ، ولأبيكي فيه مختصر بديع ، وللبوهري فيه مختصر . ومن المتوسطة فيه عروض آبن القطّاع ، وعروض آبن الخطيب التبريزي . ومن المبسطة كتاب الأمين المحلي ، وعروض الأستاذ أبي الحسن العروضي المعروف بأستاذ المقتدر . وقد نظم فيه صاحبنا شعبان الآثاري محتسب مصر ألفية فائقة سماها "هداية الضليل إلى علم الخليل" جمع فيها فأوعى .

الثامن علم القوافي - من الكتب المختصرة فيها قوافي الأبيكي . ومن المتوسطة قوافي آبن القطّاع ، ومن المبسطة قوافي آبن سيده .

## الأصل الأول

(علم الأدب، وفيه عشرة علوم)

الأول علم اللغة - من الكتب المختصرة فيه المتخَب، والمجرد لُكْرَاع، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وفقه اللغة للثعالبي، والفصيح للعلب، وكفاية المتحفظ لابن الأجدابي، والألفية لابن أصبغ. ومن المتوسطة فيه المُجَمَّل لابن فارس، وديوان الأدب للفارابي، وإصلاح المنطق لابن السكيت. ومن المبسطة الجامع للأزهري والعباب الزاهر للصاغاني، والصحاح للجوهري. قال في إرشاد القاصد: ولا أنفع ولا أجمع من المحكم لابن سيده.

الثاني علم التصريف - من الكتب المختصرة فيه التصريف الملوكي لابن جنى والتعريف لابن مالك. ومن المتوسطة تصريف ابن الحاجب، وهو من أحسن الكتب الموضوعية فيه وأجمعها. ومن المبسطة فيه المتع لابن عصفور، وشروح تصريف ابن الحاجب وغيره.

الثالث علم النحو - من الكتب المختصرة فيه الكافية لابن الحاجب، والدرّة الألفية لابن معطى، والخلاصة لابن مالك. ومن المتوسطة المفصل للزنجشري والمقرب لابن عصفور، والكافية الشافية لابن مالك، وتسهيل الفوائد له وهو الجامع على شدة اختصاره. ومن المبسطة كتاب سيبويه وشروحه، وشرح ابن قاسم على الألفية، وشروحه على التسهيل، وشرح شهاب الدين السمين عليه؛ وأوسع الكل شرح الشيخ أثير الدين أبي حيان على التسهيل.

(١)  
الرابع علم المعاني - من الكتب المنفردة فيه مصنّف تيمّم الحرّبي، وهو عزيز الوجود.

(١) هكذا بهذا الرسم في الأصل ولم نعرّضه بعد البحث.

الثانية - خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر، وكانت من أعظم الخزائن، وأكثرها جمعا للكتب النفيسة من جميع العلوم على ما سياتى ذكره فى الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية فى المقالة الثانية. ولم تزل على ذلك إلى أن انقرضت دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم، وأستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم، فاشترى القاضى الفاضل أكثر كتب هذه الخزانة، ووقفها بمدرسته الفاضلية بدرب ملوخيا بالقاهرة، فبقيت فيها إلى أن آستولت عليها الأيدى فلم يبق منها إلا القليل.

الثالثة - خزانة خلفاء بنى أمية بالأندلس؛ وكانت من أجلّ خزائن الكتب أيضا. ولم تزل إلى أنقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس، فذهبت كتبها كلّ مذهب.

أما الآن فقد قلت عناية الملوك بخزائن الكتب، آكتفاء بخزائن كتب المدارس التى آبتنوها من حيث إنها بذلك أمس.

واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تُحصى، وأجل من أن تُحصَر؛ لاسيما الكتب المصنفة فى الملة الإسلامية فإنها لم يصنّف مثلها فى ملة من الملل، ولا قام بنظيرها أمة من الأمم؛ إلا أن منها كتب مشهورة قد توفرت الدواعى على نقلها، والإكثار من نسخها، وطارت سُمعتها فى الآفاق ورُغب فى آقتنائها.

### المقصد الثانى

(فى ذكر العلوم المتداولة بين العلماء، والمشهور من الكتب المصنفة فيها ومؤلفيهم ويرجع المقصد فيها إلى سبعة أصول، يتفرع عنها أربعة وخمسون علما)



لَا يُؤْتِسِّنَكَ مِنْ مُحَدَّرَةٍ \* قَوْلٌ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا

فَعُدَّتْ لِمَا نَهَيْتُ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتَ مَا أَسْتَعْفَيْتُ مِنْهُ ، بَعَثْتَ مِنْ يُزْجِجُكَ إِلَى  
الْخَضْرَاءِ دَفْعًا ، وَيَسْتَحِثُّكَ نَحْوَهَا وَكُرًا وَصَفْعًا ، فَإِذَا صَرْتَ إِلَيْهَا عَثَبَتْ أَكْأَرْوَهَا بِكَ ،  
وَتَسْلُطُ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ : فَمَنْ قَرَعَهُ مُعْوجَّةٌ تَقُومُ فِي قَفَاكَ ، وَمَنْ فُجِّلَتْ مِنْتَنُهُ تُرْمَى بِهَا  
تَحْتَ خِصَاكَ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ، لَكِنَّ تَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ :  
فَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ \* رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

فلولا المعرفة بالتاريخ، والإحاطة بالوقائع والسير، والأقاصيص، والأمثال السائرة  
في معنى ذلك، لما تأتى للنثر الأقدار على سبك هذه الوقائع، والتلويح بمقتضياتها.

### النوع السابع عشر

(المعرفة بخزائن الكتب، وأنواع العلوم، والكتب المصنفة فيها  
وأسماء الرجال المبرزين في فنونها، وفيه مقصدان)

### المقصد الأول

(في ذكر خزائن الكتب المشهورة)

قد كان للُخَفَاءِ والملوك في القديم بها مزيد اهتمام، وكمال اعتناء، حتى حصلوا منها  
على العدد الجَمِّ، وحصلوا على الخزائن الجليلة . ويقال إن أعظم خزائن الكتب  
في الإسلام ثلاثُ خزائن .

إحداها - خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد ، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى  
كثرةً ، ولا يقوم عليه نفاسة ، ولم تزل على ذلك إلى أن دَهَمَت التتر ببغداد ، وقتل  
ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب،  
وذهبت معالمها، وأغفيت آثارها .

فَنَ قَدْحٍ لَيْسَ مِنْهَا، مَا أَنْتَ وَهْمٌ؟ وَأَيْنَ تَقَعُ مِنْهُمْ؟ وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا وَأَوْ عَمَرُو فِيهِمْ؟  
وَكَا لَوْ شَيْطَلَةٌ فِي الدِّعْمِ يَنْهَمُ؛ وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا بَلَّغْتَ قَعْرَ تَابُوتِكَ، وَتَجَافَيْتَ لَقَمِيصِكَ  
عَنْ بَعْضِ قُوَّتِكَ؛ وَعَطَّرْتَ أُرْدَانَكَ، وَجَرَرْتَ هِمْيَانَكَ؛ وَأَخْتَلَّتْ فِي مِشْيَتِكَ،  
وَحَذَفَتْ فُضُولَ لِحْيَتِكَ؛ وَأَصَاحَتْ شَارِبَكَ، وَمَطَّطَتْ حَاجِبَكَ؛ وَرَقَّقَتْ خَطَّ  
عِذَارِكَ، وَأَسْتَأْنَفَتْ عَقْدَ إِزَارِكَ، رَجَاءَ الْاِكْتِنَانِ فِيهِمْ، وَطَمَعًا فِي الْاِعْتِدَادِ مِنْهُمْ  
فَظَنَنْتِ عَجْزًا، وَأَخْطَأْتَ أَسْنُكَ الْخُفْرَةَ. وَاللَّهِ لَوْ كَسَاكَ مَحْرَقُ الْبُرْدَيْنِ، وَحَلَّتْكَ  
مَارِيَةُ الْقُرْطَيْنِ، وَقَلَّدَكَ عَمْرُو الصَّمْصَمَةَ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النِّعَامَةِ، مَا شَكَّكَتُ  
فِيكَ، وَلَا تَكَلَّمْتَ بِمَلَأَ فِيكَ، وَلَا سَتَرْتُ إِيَّاكَ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا ذَاكَ. وَهَبَكَ سَامِيَتِهِمْ  
فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ، وَجَارَيْتِهِمْ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ؛ أَلَسْتُ تَأْوِي إِلَى  
بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَكَاعٍ، إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبَ خَالِي الذَّرَاعِ، وَأَيْنَ مِنْ أَنْفَرْدَ بِهِ مَنْ لَا غَلَبَ  
إِلَّا عَلَى الْأَقْلِّ الْأَخْسَّ مِنْهُ؛ وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يِعْتَمِدُنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ،  
وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَى، وَاللَّذَةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَى، وَبَيْنَ آخِرِ قَدْ تَرَحَّتْ يَدُهُ، وَنَضَبَ  
غَدِيرُهُ، وَذَهَبَ تَنَاطُلُهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضُرَاطُهُ. وَهَلْ كَانَ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشْفُ  
وَسُوءُ الرِّكِيْلَةِ، وَيَقْتَرِنُ عَلَى بَكَ إِلَّا الْغَدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوكِهِ :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو \* أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تُقَدِّرَ بِذَرْعِكَ، وَتَرْبَعَ بِذَلِكَ عَلَى ظَلْعِكَ، وَلَا تَكُونَ بِرَاقِشَ  
الدَّالَّةِ عَلَى أَهْلِهَا، وَعِزَّ السُّوءِ الْمُسْتَثِيرَةِ لِحَفْهَافِهَا؛ فَمَا أُرَاكَ إِلَّا قَدْ سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى  
سِرْحَانٍ، وَبَكَ لَا بَطْطِي أَغْفَرُ؛ قَدْ أَعْذَرْتُ إِنْ أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَأَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا،  
وَقَرَعْتُ عَصَا الْعِتَابِ، وَحَدَّرْتُ سُوءَ الْعِقَابِ .

إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ \* وَالشَّيْءُ تَحْقَرَهُ وَقَدْ يَنْمِي

فَإِنْ بَادَرْتُ بِالنَّدَامَةِ، وَرَجَعْتُ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلَامَةِ؛ كُنْتَ قَدْ أَشْتَرَيْتَ الْعَافِيَةَ  
لَكَ بِالْعَافِيَةِ مِنْكَ؛ وَإِنْ قُلْتَ جَعَجَعَةً وَلَا طِطْحَنَ، فَرُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ، وَأَنْشَدْتَ :

وذكرت أنى علق لأبياع من زاد، وطائر لا يصيده من أراد، وغرض لا يصيبه  
إلا من أجاد، فما أحسبك إلا قد كنت تهبأت للتهنيسه، وترشحت للترفيه،  
لولا أن جرح العجاء جبار، للقيت مآلقي من الكواعب يسار؛ فما هم إلا بدون  
ماهممت به، ولا تعترض إلا لأيسر مما تعترضت له؛ أين آدعائك رواية الأشعار،  
وتعاطيك حفظ السير والأخبار؛ أما ثاب لك قول الشاعر :

بَنُودِارِمْ أَكْفَاؤُهُمْ أَلْ مِسْمَعِ \* وَتَشْجَحِ فِي أَكْفَائِهَا الْحَبَّطَاتِ

وهلاً عَشَّيت ولم تَغْتَرَّ، وما أَمْنُكَ أَنْ تكون وافد البراجيم، أو ترجع بصحيفة  
المتلمس، أو أفعل بك مافعله عَقِيل بن عُلْفَة<sup>(١)</sup> بالجهني الذي جاء خاطباً، فذهن  
آسته زيت وأدناه من قرية النمل؛ ومتى كثر تلاقينا، وأتصل ترائينا؟ فيدعوني  
إليك مادداً ابنة الخس إلى عبدها من طول السواد، وقرب الوساد؛ وهل فُقدت  
الأراقيم فأنكح في جنب، أو عضلني همام بن مرة، فأقول زوج من عود، خير من  
قُعود، ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لأرتفعت عن هذه الحطة، وما رضيت بهذه  
الحطة، فالنار ولا العار، والمنية ولا الدنية، والحرة تجوع ولا تأكل بشديها :

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنْكَحِ \* وَفَتَيَانِ هِرَّانَ الطَّوَالِ الْغَرَاتِقِ

ما كنت لا تخطي المسك إلى الرماد، ولا أمتطي الثور دون الجواد؛ وإنما يتيم من  
لا يجد ماء، ويرعى الهشيم، من عديم الجيم؛ ويركب الصعب من لا ذلول له؛ ولعلك  
إنما غررك من علمت صبوتى إليه، وشهرت مساعفتي له من أقمار العصر، ورياحين  
المصر، الذين هم الكواكب علوهم، والرياض طيب شيم .

\* مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ ثَقُلَ لَاقِيَتُ سَيِّدِهِ \*

(١) في الأصل علقمة وهو تصحيف انظر مادة ع ل ف في القاموس .



وَهَمَّمتْ ولم أفعل ، وَكِدْتُ وليتني ، ولولا أن للجوارِ ذِمَّةً ، وللضيافة حُرمةً ، لكان  
الجواب في قَدَالِ الدُّمُسْتُقْ ؛ والنعل حاضرة إن عادت العَقْرَبُ ، والعُقوبة ممكنة  
إن أصرَّ المَذْنِبُ ؛ وهَبْها لم تَلَحِظْكَ بعينٍ كَلِيلَةٍ عن عيوبك مِلْؤُها حَبِيبُها وَحَسَنٌ فيها  
من تودُّ ؛ وكانت إنما حَلَّتْكَ بِحِلَاكٍ ، وَوَسَمَّتْكَ ، بِسِيَاكٍ ، ولم تُعْرِكَ شهادته ، ولا  
تَكَلَّفْتُ لك زياده ؛ بل صَدَقَتْ سِنَّ بكَرْها فيما ذَكَرْتَهُ عَنْكَ ، وَوَضَعْتَ الهِنَاءَ مواضع  
النَّقَبِ فيما نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ ؛ ولم تكن كاذبة فيما أَثْنْتَ به عَلَيْكَ ، فَاَلْمُعِيدِي تَسْمَعُ به خير  
من أن تراه ، هَجِينُ القَدَالِ ، أَرَعَنَ السَّبَالِ ، طَوِيلُ العُنُقِ والعِلَاوهِ ، مُفْرِطُ الحُمُقِ  
والغَبَاوهِ ؛ جافى الطبع ، سَيِّئُ الإِجَابَةِ والسمع ، بَغِيضُ الهَيْئَةِ ، سَخِيفُ الذَّهَابِ  
والجَنِيَّةِ ، ظَاهِرُ الوَسْوَاسِ ، مُنْتَنِ الأَنْفَاسِ ؛ كَثِيرُ المَعَايِبِ ، مشهور المَثَالِبِ ؛ كَلَامُكَ  
تَمْتَمُهُ ، وَحَدِيثُكَ غَمْغَمُهُ ؛ وَبَيَانُكَ فَهْفَهُهُ ، وَضَحْكَكَ قَهْقَهَهُهُ ، وَمَشْيُكَ هَرْوَلَةٌ ،  
وِغْنَاكَ مَسْأَلَةٌ ، وَدِينُكَ زَنْدَقُهُ ، وَعِلْمُكَ مَخْرَقُهُ :

مَسَاوٍ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَايِ \* لَمَّا أُمِهرَتْ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

حَتَّى إِنْ بَاقِلًا مَوْصُوفٌ بِالْبَلَاغَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ ، وَهَبْنَقَةٌ مَسْتَحِقَّةٌ لِأَسْمِ الْعَقْلِ إِذَا  
أُضِيفَ إِلَيْكَ ؛ وَأَبَا غَبْشَانَ مَحْمُودٍ مِنْهُ سَدَادُ الْفِعْلِ إِذَا نَسَبَ إِلَيْكَ ، وَطُوسًا مَأْثُورًا  
عَنْهُ مِنْ الطَّائِرِ إِذَا قِيسَ عَلَيْكَ ، فُوجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْإِعْتِنَاءُ بِكَ نَدَمٌ ؛ وَالْحَبِيبَةُ مِنْكَ  
ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَعَكَ سَقَرٌ ؛ كَيْفَ رَأَيْتَ لُؤْمَكَ لِكُرْمِي كِفَاءً ! وَضَعْتَكَ لَشَرَفِي وَفَاءً ؛  
وَأَتَى جَهْلَتُ أَنْ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَتَجَذَّبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ، وَالطَّيْرُ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى آلَافِهَا ،  
وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ ، وَشَعَرْتَ أَنَّ نَارِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ  
لَا تَتَرَايَانِ ، وَقُلْتَ الْحَبِيبُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ ، وَتَمَثَّلْتَ :

\* عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ \*

أقام البراهين ، ووضع القوانين ، وحد الماهية ، وبين الكيفية والكمية ، وناظر  
 في الجوهر والعرض ، وميز الصحة من المرض ، وحل المعنى ، وفصل بين الأسم  
 والمسمى ، وضرب وقسم ، وعدل وقوم ، وصنف الأسماء والأفعال ، وبوب الظرف  
 والحال ، وبني وأعرب ، ونفى وتعيب ، ووصل وقطع ، وثنى وجمع ، وأظهر  
 وأضمر ، وأبدأ وأخبر ، وأستفهم وأهمل ، وقيد وأرسل ، وأسند وبحت ونظر  
 وتصفح الأديان ، ورجح بين مذهبي مانى وغيلان ، وأشار بذبح الجعد ، وقتل بشار  
 ابن برد ، وأنك لو شئت خرفت العادات ، وخالفت المعهودات ، فأحلت البحار  
 عذبه ، وأعدت السلام رطبه ، ونقلت غداً فصار أمسا ، وزدت فى العناصر فكانت  
 خمسا ، وأنك المقول فيك "كل الصيد فى جوف الفرا" ، والمقول فيك :

ليس على الله بمستنكر \* أن يجمع العالم فى واحد

والمعنى بقول أبى تمام :

قلو صوّرت نفسك لم تردّها \* على ما فيك من كرم الطّباع

والمراد بقول أبى الطيّب :

ذكر الأناّم لنا فكان قصيدة \* كنت البديع الفرد من أبياتها

فكدمت فى غير مكدم ، وأستسمنت ذا ورم ، ونفعخت فى غير ضرّم ، ولم تجد لرح  
 مهزّا ، ولا لشفرة محزّا ، بل رضىت من الغنيمة بالإياب ، وتمنت الرجوع بخفى  
 حين ، لأنى قلت لها :

\* لقد ذلّ من باتّ عليه الثّعالب \*

وأنشدت :

على أنّها الأيام قد صرن كلّها \* عجائب حتى ليس فيها عجائب

ونخرت وكفرت ، وعيسّت وبسرت ، وأبدأت وأعدت ، وأبرقت وأرعدت ،

قد نافست بُورانَ فيك ، وبلقيسَ غايرتَ الزَّباءَ عليك ؛ وأن مالك بن نُويرَةَ إنما أَرَدَفَ لك ، وعُروَةَ بن جعفرٍ إنما رَحَلَ إليك ؛ وكُليبُ بن ربيعةٍ إنما حَمَى المَرعىَ بعزَّتكَ ، وجَسَّاسا إنما قتله بأنفَتكَ ، ومُهَلِّلاَ إنما طلب نأره بهمتكَ ؛ والسَّموئلُ إنما وفى عن عهدك ، والأحنفُ إنما آحتبى في بُردك ؛ وحاتمُ إنما جاد بوفرك ، ولقيَ الأضيافَ بِبُشرِكَ ؛ وزيدُ بن مُهلِهلٍ إنما ركب بفخِذِكَ ، والسَّليكَ بن السُّلَكةِ إنما عدا على رجليك ؛ وعامرُ بن مالكٍ إنما لاعب الأسنَّةَ بيدِكَ ؛ وقيسُ بن زهيرٍ إنما أَسْتعانَ بدهائك ، وإياسُ بن معاويةٍ إنما أَسْتضاء بمصباح ذكائك ؛ وسُحبانُ وائلٍ إنما تكلم بلسانك ، وعمروُ بن الأَهممِ إنما سَحَّرَ ببيانك . وأن الصلحَ بين بكرٍ وتغلبَ تمَّ برسالتك ، والَحالاتُ في دِماء عَيسٍ وذُبيانٍ أَسْنَدَتْ إلى كَفالتك ؛ وأن أحتيالَ هَرِمٍ لعامرٍ وعلقمةَ حتَّى رضياً كان عن إشارتك ، وجوابه لُعمراً ، وقد سألَه عن أيهما كان ينفَرُ وقع بعد مشورتك ؛ وأن الجحاجَ تقلد ولايةَ العراقِ بِجِدِّكَ ، وقُتَيْبَةَ فتَح ماوراء النهرِ بِسَعْدِكَ ؛ والمهلبُ أوهن شوكَةَ الأزارقةِ بِأيدِكَ ، وأفسد ذاتَ بينهم بِكيدِكَ ؛ وأن هَرَمسَ أعطى بيلينوسَ مأخذَ منك ، وأفلاطونُ أورد على أرسطا طاليسَ ما حُدثَ عنكَ ؛ وبطليموسُ سَوَى الإصطرلابَ بِتدبيرِكَ ، وصُور الكُرَّةَ على تقديرك ؛ وأبقراطُ علم العلل والأَمرَاضَ بِلُطفِ حَسِّكَ ، وجالينوسُ عرف طبائعَ الحشائشِ بِدِقَّةِ حَدْسِكَ ؛ وكلاهما قَلَّدَكَ في العِلاجِ ، وسألكَ عن المِزاجِ ؛ وأستوصفَكَ تركيبَ الأَعضاءِ ، وأستشاركَ في الدِّاءِ والدِّواءِ ؛ وأنتَ نَهَجْتَ لأبى معشرَ طريقَ القِضاءِ ، وأظهرتَ جابرَ بن حَيَّانَ على سرِّ الكِيمياءِ ؛ وأعطيتَ النِّظامَ أصلاً أدركَ به الحقائقُ ، وجعلتَ لِلِكِنْدِي رسماً أَسْتَخرجُ به الدقائقَ ؛ وأن صناعةَ الألحانِ آخِترُاعُكَ ، وتأليفُ الأَنَوارِ توليدُكَ وأَبْتَداعُكَ ؛ وأن عبد الحميدَ بنَ يَحْيَى بَارِى أَقلامِكَ ، وسهلُ بنُ هارونَ مدوِّنُ كلامِكَ ؛ وعمروُ بن بحرٍ مُستَمليكَ ، ومالكُ بن أنسٍ مُسْتَفْتِيكَ ؛ وأنتَ الَّذي



يفسُد الشيء إلا عن صلاح، ويمسى المرء إلا عن صَبَاح، ولعمري ! لئن كان كَرَمَ  
العهد كتاباً يَرِدُ وجواباً يصُدِّرُ إنه لقريب المنال، وإني على توبيخه لى لفقير إلى  
لقائه، شفيق على بقاءه، منتسب إلى ولائه، شاكر لآلائه .

والغاية القصوى في ذلك ما كتب به ذو الوزارتين " أبو الوليد بن زيدون "،  
رحمه الله على لسان محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصر إلى إنسان  
استألفها عنه إلى نفسه وهي :

أما بعد أيها المصائب بعقله، المورطُ بجَهْلِهِ، البين سَقَطُهُ، الفاحش غَلَطُهُ، العاثر  
في ذيل آغتراره، الأعمى عن شمس نهاره، الساقطُ سُقُوطَ الدُّبابِ، على الشراب،  
المتهاف تهافتَ القَرَّاشِ في الشَّهابِ، فإن العُجْبُ أ كَذْبُ، ومعرفة المرء نفسه  
أ صوب، وإنك راسلتني مستهدياً من صِلَتي ما صَفِرت منه أيدي أمثالك، متصدّياً  
من خُلَتي لما قُدِعت فيه أنوفُ أشكالك، مر سلا خليلتك مر تاده، مستعملاً  
عشيقتك قَوَّاده، كاذبا نفسك في أنك ستنزل عنها إلى، وتخلف بعدها على :

وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ \* دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ !

ولا شك أنها قَتَلَتْكَ إذ لم تَضِنَّ بك، ومَلَكَتْكَ إذ لم تَغِرَّ عليك، فإنها أعذرت  
في السَّفارة لك، وما قَصَّرت في النيابة عنك، زاعمة أن المُرُوءة لفظٌ أنت معناه،  
والإنسانية اسم أنت جسمه وهَيُولاه، باطعة أنك آنفردت بالجمال، وأستأثرت  
بالكمال وأستعليت في مراتب الخلال، حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك  
ففضضت منه، وأنت امرأة العزيز رأيتك فسَلَّت عنه، وإن قارون أصاب بعض  
ما كثررت، والنطف عثر على فضل ما ركزت، وكسرى حمل غاشيتك، وقيصَر رعى  
ماشيتك، والإسكندر قتل داراً في طاعتك، وأردشير جاهد ملوك الطوائف بجر وجههم  
عن جماعتك، والضحاك آستدعى مُسالمتك، وجذيمة الأبرش تمني منادمتك، وشيرين

الأمر أو حالة من الحالات : كما كتب به البديع الهمداني إلى أبي الحسين بن فارس وقد بلغه أنه ذكر في مجلسه فقال : إن البديع قد نسي حق تعليمنا إياه ، وعقنا ، وشمخ بأنفه عنا ، والحمد لله على فساد الزمان ، وتغير نوع الإنسان . فكتب إليه :

” نعم أطل الله بقاء الشيخ الإمام ، إنه الحمأ المسنون ، وإن طنت الظنون ؛ والناس لآدم ، وإن كان العهد قد تقادم ؛ وأرتكبت الأضداد ، وأختلط المياد . والشيخ يقول فسد الزمان ، أفلا يقول متى كان صالحا ؟ أفي الدولة العباسية ، وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها ؟ أم المدة المروانية ، وفي أخبارها ” لا تكسح الشول بأغبارها ؟ “ أم السنين الحربية ، والسيف يغمد في الطلاء ، والرُّح يُركز في الكلا ، وميت حجر في الفلا ، والحرتان وكر بلا ، أم البيعة الهاشمية ، وعلى يقول : ليت العشرة منكم براس ، من بني فراس ؟ أم الايام الأموية ، والنفير إلى الحجاز ، والعيون إلى الأعجاز ؟ أم الإمارة العدوية ، وصاحبها يقول : وهل بعد البرؤل إلا النزول ؟ أم الخلافة التيمية ، وصاحبها يقول : طوبى لمن مات في نأنة الإسلام ؟ أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل آسكتي يافلانه ، فقد ذهبت الأمانه ؟ أم في الجاهلية وليد يقول :

ذَهَبَ الَّذِينَ يَعْاشُ فِي أَكْثَانِهِمْ \* وَبَقِيَ فِي خَلْفٍ كَلْدُ الْأَجْرِبِ .

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول :

بِلَادُهَا كُنَّا وَكُنَّا نُحِبُّهَا \* إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانُ .

أم قبل ذلك ، ويروي لآدم عليه السلام :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا \* فَوَجَّهُ الْأَرْضَ مُسَوِّدٌ قَبِيحُ !

أم قبل ذلك والملائكة تقول : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ؟

ومافسد الناس ، ولكن آطرد القياس ؛ ولا ظالمت الأيام ، إنما امتد الإظلام ؛ وهل

(١) أي في أول الاسلام قبل أن يقوى انظر اللسان .

حتى صار أهل البلد يسمّون القطران ليغطّي راحته ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ .  
 أخرى - في سنة اثنتين وسبعين وسبعائة رأى أهل الشام في السماء بعد مغيب  
 الشفق حمرة عظيمة من جهة الشمال ، ثم اشتدت الحمرة حتى صارت كالنار الموقدة  
 وانتشرت في السماء حتى كاد يغطي ثلثها ، وعم بلاد الشام حتى كان بدمشق ،  
 وبعبلك وحلب ، وقاقون ، والرملة ، والقدس ، وطرابلس ، حتى خاف جميع أهل  
 هذه البلاد على أنفسهم الهلاك ، وصرّعوا إلى الله تعالى ، وابتهلوا إليه ، فكشف الله  
 عنهم بعد نصف الليل .

قلت - : وقد رأيت مثل هذه الآية العظيمة بمصر في سنة اثنتي عشرة  
 وثمانمائة : وهو أنه ظهرت حمرة عظيمة من جهة الغرب فوق حمرة النار ، وجاء من  
 وراء تلك الحمرة برق ساطع ، فصار كلما لمع البرق داخل تلك الحمرة يخال الناظر أنها  
 نار لا محالة حتى داخلني منه أنه عذاب قد صُبَّ على الناس ، ثم آنقش بعد العشاء  
 بقليل فذلك لم ينتبه له أهل مصر . وبالجملة فوقائع الدهر وعجائبه أكثر من أن  
 تحصر ، ولا يحتمل هذا الموضع أكثر من هذا القدر .

وَاللَّيَالِي كَمَا عَلِمْتَ حَبَالِي \* مُقَرَّبَاتٌ يَأْتِي كُلَّ عَجِيبٍ

### المقصد الثاني

( في وجه بيان استعمال الكاتب ذلك في خلال كلامه )

لا يخفى أن الكاتب إذا عرف أحوال المتقدمين وسيرهم ، وأخبارهم ، ومن برع  
 منهم ، صار عنده علم بما لعله يُسأل عنه ، واعتداده لما يرد عليه من ذكر واقعة  
 بعينها أو يحتج عليه به من صورة قديمة : ليكون على يقين منها ، مع ما يحتاج إلى  
 إيراده في خلال مكاتباته ورسائله : من ذكر من حسن الاحتجاج بذكره في أمر من



سُجَّار من بلاد الجزيرة، وهدم المنازل، وأغرق خلقا كثيرا . ومن غريب ما حكي أن السيل حمل مَهْدًا فيه صبي صغير فتعلق المهد بشجرة زيتون، وغاض الماء، وبقي المهد معلقًا بالشجرة فسلم الصغير .

أعجوبة - في سنة ستين وأربعمائة كان بمصر وفلسطين زلزلة عظيمة، طلع فيها الماء من رءوس الآبار، وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرض البحر يلتقطون ما آنكشف البحر عنه مما في أرضه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا .

ثم في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وقع ببلاد الشام زلزلة عظيمة خربت شيزر، وحماه، وحمص، وحِصْن الأكراد، وطرابلس وأنطاكية، وغيرها من البلاد التي حولها؛ ووقعت الأسواق والقلاع حتى تداركها نور الدين الشهيد رحمه الله بالعمارة .

فائدة - في سنة اثنتين وخمسمائة قلع المقتفى الخليفةُ باب الكعبة، وعمل عوضه بابا مصفحا بالفضة المذهبة، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتا يُدفن فيه .

نادرة - في سنة خمس وستين وسبعائة وقع ثلج عظيم بالشام فكسر الأشجار وقطع الطرق لا سيما بعبكراء وما حولها .

أخرى - في سنة سبعين وسبعائة ظهر بالشام جراد عظيم لم يُسمع بمثله، وأمتد من مكة إلى الشام؛ وعظم بحوران حتى أكل الأشجار، والأخشاب، وأبواب الدور، وما وصل إليه من الأصبغة والقماش، وسدّت أعين الماء خوفا من أن يُفسدها، وكان من شأنه بعجلون أنه امتلأت منه المدينة وغُلقت الأسواق، وطُبقت أبواب الدكاكين والطاقات، وسدّت الأبواب وحضروا لصلاة الجمعة فملا عليهم الجامع، وترامى على الخطيب على المنبر حتى شغله عن الخطبة، وكذلك حير الناس حتى خرجوا من الجامع يُحبّون فيه خبا إلى الركب؛ وأنتنت لكثرة ما قتل منه

ولا أثر به ؛ ثم لم تكمل السنة حتى استُخِلِفَ المعتمد فأُخْرِجَ المهتدي ميتا وقال :  
اشهدوا أنه قد مات حتف أنفه من جراحته ، فتعجب الناس من تلاخُطهم  
في مدة يسيرة .

غبرة - مات المكتفى بالله عن مائة ألف ألف دينار ؛ ولما غُسل لم توجد  
بجُرة يبخر فيها إلا بجرة من خَرَفِ أحمَرٍ ، وكان فيما خلف ألوف من مجامر الذهب  
والفضة . قال أحمد بن أبي دواد : لقد شددت لحيي المأمون ، والمعتصم ، والواثق ،  
بعد موتهم فلم أجد خرقة أشد بها لحيي واحد منهم إلا ما أحرقه من الدرايع التي  
تكون على .

لطيفة - في سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر المعتضد بردَ فاضل سِهامِ المواريث  
على دوى الأرحام ، وأبطل ديوانَ المواريث ، وكتب بذلك إلى الآفاق .

لطيفة - في سنة أربع وثمانين ومائتين أخبر المنجمون بغرق أكثر الأقاليم  
بسبب كثرة الأمطار وزيادة الأنهار فتحفظ الناس من ذلك فقَلَّتْ الأمطار حتى  
استسَقَوْا ببغداد مرَّات .

غريبة - ذكر ابن سينا في المقالة الأولى من كتابه الشفاء أنه نزل بجرَّان  
صاعقةً من الهواء فنشبت في الأرض ، ثم نَبَتْ نَبْوةُ الكُرَّةِ وسمع الناس لذلك صوتا  
عظيما هائلا فحَفَرُوا عليها فإذا هي قطعة من حديد تقدير مائة وخمسين مَنَّا ، وهي أجزاء  
جاورِشِيَّةٍ صغائرٍ مستديرة ؛ التصق بعضها ببعض ، فكتب محمود بن سبكتكين ،  
صاحب خراسان بانفاذه إليه أو قطعة منه فتعذر نقله لثقله فحاولوا كسر قطعة منه  
فلم تعمل فيه الآلات ، ففُوج كسره فقطع منه قطعة لطيفة ، وحملت إليه فرام أن  
يطبَّع منها سيفا فتعذر عليه .

لطيفة أخرى - في سنة إحدى عشرة وخمسمائة جاء سيلٌ عظيم ففترق مدينة

وَحُسْنُ التَّقَاضِي ؛ وَأَبْنُ الْمُعْتَرِ ، فِي التَّشْبِيهِ ، وَأَبْنُ الرَّوْحِيِّ ، فِي التَّطْيِيرِ ، وَالصَّوْلِيُّ  
فِي الشَّطْرَنْجِ ، وَالْغَزَالِيِّ ، فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْمُعْقُولِ وَالْمُنْقُولِ ، وَأَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ ، فِي تَلْخِيصِ  
كُتُبِ الْأَقْدَمِينَ فِي الْفَلَسْفِيَّةِ وَالطَّبِيَّةِ ، وَمُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ ، فِي عُلُومِ التَّصَوُّفِ ، وَجَابِرُ  
أَبْنِ حَيَّانٍ فِي عِلْمِ الْكِيمِيَاءِ .

### غرائب اتفاق

اتفاقية جليلة - وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْاِثْنِينَ ، وَبُعِثَ يَوْمَ الْاِثْنِينَ ،  
وَهَاجَرَ يَوْمَ الْاِثْنِينَ ، وَتَوُفِّيَ يَوْمَ الْاِثْنِينَ .

اتفاقية اخرى - قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَوْمَ  
عَاشُورَاءَ ، وَقَتَلَهُ اللَّهُ عَلَى يَدِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ .

أخرى - قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرِو اللَّيْثِيِّ : رَأَيْتُ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ بِالْكُوفَةِ رَأْسَ  
الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى تَرْسٍ ؛ ثُمَّ رَأَيْتُ فِيهِ رَأْسَ عَبْدِ اللَّهِ  
ابْنِ زِيَادٍ بَيْنَ يَدَيْ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ ؛ ثُمَّ رَأَيْتُ فِيهِ رَأْسَ الْمُخْتَارِ بَيْنَ يَدَيْ مُضْعَبٍ  
أَبْنِ الزَّيْبَرِ ؛ ثُمَّ رَأَيْتُ فِيهِ رَأْسَ مُضْعَبٍ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . قَالَ :  
خَفَدْتُ بِهَذَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَتَطْيِيرَ مِنْهُ فَفَارَقَ مَكَانَهُ .

أخرى - قَالَ الصَّوْلِيُّ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْمُعْتَرُ لَمْ  
تَمْضِ مَدَّةٌ لَطِيفَةٌ حَتَّى أَحْضَرَ النَّاسَ وَأَخْرَجَ الْمُؤَيَّدَ وَقِيلَ أَشْهَدُوا أَنَّهُ دُعِيَ فَأَجَابَ ،  
وَلَيْسَ بِهِ أَثَرٌ ؛ ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ شَهْرٌ فَأَحْضَرَ النَّاسَ وَأَخْرَجَ الْمُسْتَعِينَ وَقَالَ : إِنْ مَنَيْتُهُ  
أَتَيْتُ عَلَيْهِ ، وَهَـوَ لَا أَثَرَهُ فَأَشْهَدُوا ؛ ثُمَّ خَلَعَ الْمُعْتَرُ ، وَاسْتَخْلَفَ الْمُهْتَدِي ؛ وَلَمْ  
يَمْضِ إِلَّا مُدَّةٌ حَتَّى أُخْرِجَ الْمُعْتَرُ مَيِّتًا وَقَالَ : أَشْهَدُوا ، أَنَّهُ قَدْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ



في الاختلاف، وأبو عليّ الجبائي، في الاعتزال، وأبو الحسن الأشعري، في علم الكلام، وأبو القاسم الطبراني، في عوالم الحديث، وعبدُ الرزاق، في آرتحال الناس إليه، وآبن منده، في سعة الرحلة، وأبو بكر الخطيب، في سُرعة القراءة، وآبن حزم، في مذهب الظاهر، وسيبويه، في النحو، وأبو الحسن البكري السيري، في الكذب، وإيأس بن معاوية، في الذكاء والتفريس، وعبد الحميد، في الكتابة والوفاء، وأبو مسلم الخراساني، في علو الهمة والحزم، وإسحاق الموصليّ النديم، في الغناء، وأبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني، في المحاضرة، وأبو معشر، في النجوم، والرازي، في الطب، وعَمَّار بن حمزة، في التيه، والفضل بن يحيى، في الجود، وجعفر بن يحيى، في التوقيع، وآبن زيدون، في سعة العبارة، وآبن القرية، في البلاغة، والجاحظ، في الأدب والبيان، والحريري، في المقامات، والبديع الهمداني، في الحفظ، وأبو نؤاس، في المجون والخلاعة، وآبن حجاج الشاعر، في سُخف الألفاظ، والمتنبي، في الحِكم والأمثال شعرا، والزخشي، في تعاطي العربية، والنسفي، في الجدَل، وجرير الشاعر، في الهجاء الخبيث، وحمّاد الراوية، في شعر العرب، والاحنف بن قيس، في الحِلْم، والمأمون، في حُبّ العفو، والوليد، في شُرْب الخمر، وعطاء السلمي، في الخوف من الله تعالى، وآبن البواب، في الكتابة، والقاضي الفاضل، في الترسل، والعِباد الكاتب، في الجناس، وأشعب، في الطمع، وأبو نصر الفارابي، في معرفة كلام القدماء ونقله وتفسيره، وحُزَيْن بن إسحاق، في ترجمة اليوناني إلى العربي، وآبن سينا، في الفلسفة وعلوم الأوائل، والإمام نخر الدين الرازي، في الأَطْلاع على العلوم، والجاحظ في سعة العبارة، والسيف الآمدي، في التحقيق، والنصير الطوسي، في معرفة المجسطي، وآبن الهيثم، في الرياض ونجم الدين الكاتبي، في المنطق، وآبن الأعرابي، في الأَطْلاع على اللغة، وأبو العيناء، في الأجوبة المسكتة، ومزِيد، في البخل، والقاضي أحمد بن أبي دواد، في المروءة

في الحسن والشرف . بنات الحارث ، هنّ بنات الحارث بن هشام ؛ يُضرب بهنّ  
المثل في الحُسْن وغلوّ المهر .

من كان فردا في زمانه بحيث يضرب به المثل في أمثاله

كان الإسكندر، في طوفان الأرض، وكسرى أنوشروان، في العدل، وزرقاء  
النيامة، في حِدّة النظر، وحاتم الطائي، في الكرم، وكعب بن مامة، في الإيثار،  
وارسطاطاليس، في الحكمة، وبقرط، في الطب، وقُتّ بن ساعدة، في الفصاحة،  
وسُحّبان وائل، في البلاغة، وعمر بن الأهتم، في البيان، وياقل، في العي، وأبو بكر  
الصدّيق رضي الله عنه، في معرفة الأنساب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، في قوّة  
الهيبة، وعثمان بن عفان رضي الله عنه، في التّلاوة، وعليّ بن أبي طالب رضي الله  
عنه، في القضاء، ومعاوية، في كثرة الاحتمال، وأبو عبيدة بن الجراح، في الأمانة،  
وأبو ذر، في صدق اللّهجة، وأبيّ بن كعب، في القراءة، وزيد بن ثابت، في الفرائض،  
وآبْنُ عباس، في تفسير القرآن، وعمر بن العاص، في الدّهاء، وأبو موسى الأشعريّ،  
في سَلَامَة الباطن، والحسن البصريّ، في الوعظ والتذكير، ووهب بن منبه،  
في القصص، وآبْن سِيرين، في تعبير الرؤيا، ونافع، في القراءة، وأبو حنيفة، في القياس  
في الفقه، وآبْن إسحاق، في المغازي، ومقاتل، في التأويل، والكلبي، في قصص القرآن،  
وآبْن الكلبيّ الصغير، في النسب، وأبو الحسن المدائني، في الأخبار، ومحمد بن جرير  
الطبري، في علوم الأثر، والخليل بن أحمد، في العروض، وفُضَيْل بن عياض، في العبادة،  
ومالك بن أنس، في العلم، والشافعيّ، في فقه الحديث، وأبو عبيدة، في الغريب، وعليّ  
آبْن المديني، في علل الحديث، ويحيى بن معين، في رجال الحديث، وأحمد بن حنبل،  
في السنة، والبخاري، في نقد الصحيح، والحنيد، في التصوّف، ومحمد بن نصر المروزيّ،

وسلم، فجعل صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين . ذو العَيْن، هو قتادة بن النعمان، أصيبت عينه يوم أحفردها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذو اليدَيْن هو عُبَيْد بن عُبَيْد عمرو الخزاعي كان يعمل بيديه معا . ذو العِمَامَة ، هو أبو أُحِيحَة سعيد بن العاص بن أمية، كان إذا لبس عمامته لم يلبس قرشي عمامته حتى ينزعها . ذو الثَّدْيَة ، كانت إحدى يديه مُحَدَّجَة كالشدى، كان رأس الخَوَارِج . ذو الثَّنِفَات، كان يقال ذلك لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولعلي بن عبد الله بن عباس لما على أعضاء السَّجَدَات منهما من شبه ثَنِفَات البعير . ذو السِّيفَيْن، هو أبو الهيثم ابن التَّيْهَان، سمي بذلك لتقلده في الحرب بسيفين . سَيْف الله، هو خالد بن الوليد . أسد الله، هو حمزة بن عبد المطلب . ذات النِّطَاقَيْن، هي أسماء بنت أبي بكر، سميت بذلك لأنها شَقَّت نِطَاقَهَا للسُّفْرَة في الليلة التي هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبوه إلى المدينة . عُرْوَة الصَّعَالِيك، هو عُرْوَة بن الوَرْد، كان إذا شَكَا إليه أحد أعطاه فرسا ورُحْمًا وقال له : إِنْ لم تستغنِ بذلك فلا أغناك الله . <sup>(١)</sup> سُلَيْك المَقَانِب، هو سُلَيْك بن سُلَكَة ، كان أعدى الناس حتى إن الفرس لا يُدْرِكُه . طَفِيل الأعراس، رجل من غَطَفَان، وقيل هو من مَوَالِي عُثْمَان بن عُثْمَان رضى الله عنه، كان يتبع الأعراس فيأتيها من غير دَعْوَة وإليه تنسب الطُّفَيْلِيَّة . أشج بن أمية هو عمر بن عبد العزيز . جبار بن العباس هو هارون الرشيد : لأنه أغزى أبَنَه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفا، وأخذ منهم خمسة آلاف دابة بالسُّروج والجُحُم الفِصَّة، وأغزى على بن عيسى بن ماهان بلاد التُّرك فقتل منهم أربعين ألفا، وغزا هو بنفسه بلاد الروم ففتح هِرَاقَة، وأخذ الجزية من ملك الروم . بنَات طارق، هن بنات العلاء بن طارق بن أمية بن عبد شمس، سُمِّيَن بِجَدَّهِنَّ، يضرب بهنّ المثل

(١) في الاصل سليل باللام وهو تصحيف انظر اللسان في مادة س ل ك



أَبْنُ خَالِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ الْعَاصِ ، قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبَّادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَتَّابُ بْنُ أَبِي وَرَقَةَ الْخَنْظَلِيِّ ، أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ بَدْرِ الْقَزَارِيِّ ، عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

### الطَّلَحَاتُ الْمَعْرُوفُونَ بِالْجُودِ

طَلْحَةُ الْفَيَّاضُ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدُ الْعَشْرَةِ ؛ وَطَالِحَةُ الْجُودِ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ ؛ وَطَلْحَةُ الدَّرَاهِمِ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ ؛ وَطَلْحَةُ الْخَيْرِ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَبْنُ أَبِي طَالِبٍ ؛ وَطَلْحَةُ النَّدِيِّ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفِ الزُّهْرِيِّ ؛ وَطَلْحَةُ الطَّلَحَاتُ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَاعِيِّ .

أَزْوَادُ الرِّكْبِ ثَلَاثَةٌ مِنْ قَرِيْشٍ وَهُمْ مَسَافِرُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ ، وَزَمْعَةُ ابْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَخْزُومٍ : سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَرَقَّدْ مَعَهُمْ أَحَدٌ فِي سَفَرٍ قَطُّ بِجُودِهِمْ .

### مَنْ أَشْتَهَرَ عِنْدَ أَهْلِ الْأَثَرِ بِلِقَبِهِ

غَسِيلُ الْمَلَائِكَةِ ، وَهُوَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرِ الْأَنْصَارِيِّ أَصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ غَسَلَتْهُ . قَتِيلُ الْجَنِّ ، هُوَ سَعْدُ بْنُ عَبَّادَةَ ، أَلِ فِي جُحْرِ فَقَتَلَهُ الْجَنُّ . مُصَاغُ الْمَلَائِكَةِ ، هُوَ عُمَرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ . حِمَى الدَّبَرِ ، هُوَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ ، حَمَتُهُ النَّحْلُ إِلَى أَنْ كَانَ اللَّيْلُ . ذُو الشَّهَادَتَيْنِ هُوَ خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ ، شَهِدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَضَاءِ دِينِ الْيَهُودِيِّ حِينَ أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ وَقَّاهُ ، اعْتَمَادًا عَلَى خَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) فِي الْأَصْلِ مَسْلُةٌ ... .. وَرَبِيعَةٌ وَهُوَ سَبَقَ قَلَمُ مِنَ النَّاسِخِ وَالتَّصْحِيحِ مِنَ الْقَامُوسِ وَشَرَحَهُ .

## أصحاب العاهات من الملوك

من ملوك اليونان الإسكندر، كان أحنف . ومن ملوك الفُرس أنوشروان كان أعور، يزدجركان أعرج . ومن ملوك العرب جَذِيمة الوَضَّاح، كان أبرص، النُّعْمان ابن المنذر، كان أحمر العينين والشَّعر. ومن الخلفاء عبدُ الملك بن مروان أُنْجَر، يزيد ابن عبد الملك أقمم، هشام بن عبد الملك أحول، مروان الحمار أشقر أزرق، موسى الهادي شفته العليا متقلصة، حتى كان أبوه المهدي قد ربَّ له خادما يلازمه متى غفل وفتح فاه قال: موسى أطبق، إبراهيم بن المهدي كان أسود سمينا يلقَّب بالتَّنين. ومن أشراف قريش وغيرهم أبو طالب أعمرج، وأبو جهل أحول، أبو لهب كذلك، وكذلك زياد، وعدى بن زيد. الأحنف بن قيس، أحنف متراكب الأسنان، صعل الرأس، مائل الدَّقْن. والرَّبيع بن زياد أبرص، وكذلك الحارث بن حِلْزة، وأيمن بن حُرَيم، والحسن بن حُطَّبة، وكان عبيدة السَّلمانيَّ أصم، وكذلك ابن سيرين والكميث الشاعر، والمرقس الأكبر الشاعر أجدع.

## أصحاب النوادر

ابن أبي عتيق، أشعب الطَّمع، أبو الغُصن جُحَّا، أبو العبر، أبو العنَّس، ابن الجصاص مزيّد المدني.

## أجواد الإسلام

عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام، عُمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، خالد بن عبد الله

(١) في العقد الفريد اسم الجَوَاد عبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي.

الأشتر النخعي، جرير بن عبد الله البجلي، عدى بن حاتم، حُتْبَة بن أبي سفيان، المختار  
ابن أبي عبيد، الأحنف بن قيس، المهلب بن أبي صفرة، طاهر بن الحسين، عمرو  
ابن الليث الصفّار .

”من سُمِلَتْ عيناه من الخلفاء والملوك“ أما من الخلفاء فالقاهر، والمتقى،  
والمكتفي، وأما من الملوك فهُرْمُز بن أنوشروان أحد الملوك الأكاسرة، صمصام  
الدولة بن بويه، منصور بن نوح بن منصور الساماني .

”من كان مكفوف البصر من أشرف الناس“ زُهْرَة بن كلاب بن كعب،  
عبد المطلب بن هاشم، العباس بن عبيد المطلب، الحَكَم بن العاص، أبو سفيان بن  
حرب، الحارث بن العباس بن عبد المطلب، مُطْعِم بن عدى بن نَوْفَل بن  
عبد مناف، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة، عُتْبَة بن  
مسعود الهذلي، عبد الله بن عبيد الله بن عُتْبَة، أبو أحمد بن جَحْش بن مسعود  
الأسدي، جابر بن عبد الله الأنصاري، عبد الله بن أرقم، البراء بن عازب، حَسَّان  
ابن ثابت، أبو أسيد الساعدي، قتادة بن دِعَامَة، دُرَيْد بن الصَّحْمَة الجُشَمي، عزيمة  
ابن نَوْفَل الزُهري، الفاكه بن المغيرة المخزومي، جَذِيمَة بن حازم النهشلي، أبو العباس  
الشاعر، علي بن زيد بن جدعان، المغيرة بن مِقْسَم الضبي، الترمذی الكبير الحافظ  
الفقيه، منصور الشاعر المصري، ابن سيده الأُغوي، أبو العلاء المعري، بَشَّار بن  
بُرْد، أبو البقاء العُكْبَری، أبو العیناء هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي،  
أبو القاسم السَّهيلي صاحب الروض الأنف، أبو القاسم الشاطبي، الصرصري  
الشاعر، أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري، أبو عبد الله بن خَلْصَة المغربي  
النحوي، أبو عبد الله بن الحَيَّاط .



العباس أطول من أبيه ؛ ويقال إن جَبَلَةَ بن الأيهم النَّسَّابِيَّ كان طوله اثني عشر شبرا .

”من كان في غاية القصر“ قال الثعالبي : كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه شديد القصر يكاد الجُلُوس يوازونه من قصره ؛ وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قصيرا دَحْدَاحا ، وكان الحُطَيْيئة الشاعر مُفْرَط القصر ، ولذلك لُقِّبَ بالحُطَيْيئة ، وكان ذو الرِّمَّة الشاعر قصيرا جدًّا ؛ ورأيت في بعض التواريخ أن كثير عزة كان طوله ثلاثة أشبار ؛ وكان العباس بن الحسن في غاية من القصر وفيه قيل :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ مِنْ قِصَرٍ \* وَأَنْظُرْ إِلَى الْفَضْلِ وَالْمُجْدِ الَّذِي شَادَا  
إِنَّ النُّجُومَ بِمُجُومِ الْجَوِّ أَصْغَرُهَا \* فِي الْعَيْنِ أَبْعَدُهَا فِي الْجَوِّ إِضْعَادَا

”من عُرف بالدهاء من العرب“ معاوية بن أبي سفيان ، زياد بن أبيه ، عمرو بن العاص ، المغيرة بن شُعْبَةَ ، قَيْسُ بن سَعْدِ بن عُبَادَةَ ، عبد الله بن بُدَيْل الخُزَاعِي .

”من نُسِبَ منهم إلى الحُجِّق“ عامر بن كُرَيْز ، معاوية بن مروان بن الحكم ، بَكَّارُ ابن عبد الملك بن مروان ، العاص بن هشام ، عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان ، سهيل بن عمرو وأخوه سُهَيْل ، العاص بن سعيد بن العاص .

”المؤلفة قلوبهم في أول الإسلام“ قال الثعالبي : هم من قریش أبو سفيان ابن حرب ، وسُهَيْل بن عمرو ، وَحْوَيْطِب بن عبد العزى ، وَهَبَّار بن الأسود ، والحارث بن هشام ، وَحَكِيم بن حِزَام ، وَصَفْوَان بن أُمَيَّة ، وَأَنَس بن عدى . ومن فَرَازَةَ عُمَيَّة بن حِصْن . ومن تميم الأفرع بن حابس . ومن بنى سُلايْم العباس بن مُرْدَاس . ومن ثَقِيف العلاء بن الحارث .

”من أصيبت عينه“ أبو سفيان بن حرب ، ذهبت عينه يوم الطائف ثم عمي بعد ذلك . الأشعث بن قَيْس ، ذهبت عينه يوم اليرموك ، المغيرة بن شُعْبَةَ كذلك

رجل مكث عشر سنين لا يولد له إلا رجل ولا يموت له إلا أنثى ، وهو المهلب  
 ابن أبي صفرة في غير أولاده الثلاثة المذكورين .

أربعة رجال في الإسلام لم يمت كل منهم حتى رأى من ولده وولد ولده أكثر  
 من مائة فيما قاله الثعالبي وغيره ، وهم أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ، وخليفة بن براء السعدي ، وعبد الرحمن بن عمر الليثي ، وجعفر بن سليمان  
 الهاشمي ، ومنهم من يذكر بدله أبا بكره مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

خمسة إخوة تباعدت قبورهم أشد تباعد ، وهم بنو العباس بن عبد المطلب قبر  
 عبد الله بالطائف ، وقبر عبيد الله بالمدينة ، وقبر معد بآفريقية ، وقبر الفضل بالشام ،  
 وقبر قثم بسمرقند .

قاض قضى في الإسلام خمسا وسبعين سنة وهو شريح بن الحارث الكندي  
 استقضاه عمر على الكوفة فبقى بها خلافة عمر وما بعدها إلى تمام المدة المذكورة لم  
 يتعطل منها سوى ثلاث سنين أمتنع فيها من القضاء في فتنه ابن الزبير .

### أوصاف جماعة من المشاهير

”من كان من الخلفاء أصلع“ قال الثعالبي : كان الصلغ في عمر ، وعثمان ، وعلى ،  
 ومروان بن الحكم ، وعمر بن عبد العزيز ، قال ثم أنقطع الصلغ من الخلفاء .

”من كان في غاية الطول“ ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كأنه راكب  
 والناس يمشون لطوله ، وكان عدي بن حاتم إذا ركب تكاد رجلاه تخط في الأرض ؛  
 وكذلك جرير بن عبد الله البجلي ، وكان قس بن ساعدة في نهاية الطول والجسام ،  
 وكان عبد الله بن زياد إذا رآه الرائي وهو ماش ، ظن أنه راكب لطوله ؛ وكان  
 علي بن عبد الله بن عباس في غاية من الطول ، وكان أبوه عبد الله أطول منه ، وجدّه

قلت : وقد وقع لتيemor كور كان المعروف بتمرنك صاحب ما وراء النهر على رأس الثمانمائة من الهجرة ما هو أكثر من ذلك ، فإنه قد فتح من الهند إلى الخليج القسطنطيني ، وقتل من كل إقليم من الخلق ما لا يحصى حتى كان يبنى بالرؤوس في كل مدينة يفتحها منارا

### غرائب تتعلق بسراة الناس

ثلاثة بنو أعمام في زمن واحد ، كل منهم سيد جليل ، لم يصلح للإمامة أو الرياسة ثم كان لكل منهم ابن اسمه محمد كذلك ، وهم علي بن عبد الله بن عباس وأبنة محمد وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأبنة محمد ، وعلي بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب وأبنة محمد . قال الجاحظ وهذا من غرائب ما يتفق في العالم ، فإن هذا أمر لم يشاركهم فيه أحد .

أب وأبن تقارب ما بينهما من العمر تقاربا شديدا وهما عمرو بن العاص وأبنة عبد الله كان بينهما في السن ثلاث عشرة سنة . قال الثعالبي ولا يعهد مثل ذلك . أخوان تباعد ما بينهما في السن تباعدا شديدا وهما موسى بن عبيدة الرُبْدِي المحدث<sup>(١)</sup> وأخوه عبد الله كان بينهما في السن مائة سنة ولم يعرف مثل ذلك في غيرهما .

أربعة إخوة كل واحد منهم أسن من الآخر بعشر سنين ، وهم أولاد أبي طالب كان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أسن من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعشر سنين .

ثلاثة إخوة ولدوا في سنة واحدة وقتلوا في يوم واحد وسن كل واحد منهم اثنان وأربعون سنة ، وهم مزيد ، وزيد ، ومدرِك أولاد المهَّاب بن أبي صُفْرة . وهذه من غرائب النوادر .

(١) في الأصل الزبيرى وهو تصحيف عن الرُبْدِي كما يعلم من الخلاصة للخرجى .



الكامل شعبان بن الناصر محمد، ثم المظفر حاجي بن الناصر محمد نخلع، ثم الناصر حسن  
 ابن الناصر محمد، ثم الصالح صالح بن الناصر محمد، ثم المنصور محمد بن المظفر حاجي،  
 ثم الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد، ثم آبنه المنصور على، ثم الصالح حاجي  
 ابن الأشرف شعبان نخلع، ثم الظاهر برقوق، ثم الناصر فرج سلطان العصر وهو الثاني  
 والله أعلم بمن يكون السادس :

### غرائب تتعلق بالملوك

ملك مُلْك وهو في بطن أمه، وهو سابور ذو الأكتاف أحد ملوك الفرس، مات  
 أبوه وهو حمل ولم يكن له ولد سواه، فعقدوا التاج على رأس أمه على أن يكون من  
 في بطنها هو الملك كائناً من كان، فلما وضعته ملَّكوه .

ثلاثة من ملوك فارس آبن وأب وجدّ أسمهم واحد، وهم بهرام بن بهرام بن  
 بهرام، ومثلهم من ملوك غسان من العرب الحارث بن الحارث بن الحارث . قال  
 الثعالبي : وهذا التناسق لا يقع إلا في الأكابر والرؤساء وقد جاء من هذا النمط في سادات  
 الإسلام الحسن بن الحسن بن الحسن السبط .

ملكان إسلاميان أول أسم كل واحد منهما عين قتل كل واحد منهما ثلاثة ملوك  
 أول أسم كل واحد منهم عين، أحدهما عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد  
 وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . والثاني أبو جعفر المنصور  
 أسمه عبد الله قتل أبا مسلم الخراساني وأسمه عبد الرحمن وعمه عبد الرحمن بن علي  
 وعبد الجبار بن عبد الرحمن والي خراسان .

قال الثعالبي : أربعة في الإسلام قتل كل واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل،  
 وهم الحجاج بن يوسف، وأبو مسلم الخراساني، وبابك، والبرقي .

وقد ذكر الشيخ شمس الدين آبن نباتة في تاريخ الخلفاء أنهم لما بايعوا المستنصر المذكور خلعه ثم أعاده فرارا من التطير بخلع السادس، وحينئذ فيكون من بعد المستنصر المستعصم المذكور ثم المستنصر أحمد، الذي أتى به الظاهر ببيرس وتوجه إلى الديار المصرية، ثم الحاكم أحمد، ثم آبنه المستكنى سليمان، ثم آبنه المستعصم أحمد، ثم الواثق إبراهيم نخلع، ثم المعتضد أبو بكر بن المستكنى، ثم آبنه المتوكل، ثم المستعصم زكريا، ثم الواثق عمر، ثم المستعين أبو الفضل العباس خليفة العصر أدام الله أيامه وهو الخامس والله تعالى أعلم بمن يكون السادس وما يكون من أمره.

قال الصلاح الصفدى: وكذلك العبيدئون المعروفون بالفاطميين كان منهم بالمغرب عبيد الله المهدي، والظاهر بالله، والمنصور، والمعز بنى القاهرة بالمغرب ثم بمصر والعزیز، والحاكم فقتلته أخته. ثم الظاهر، والمستنصر، والمستعلی، والآمر، والحافظ، والظاهر نخلع وقتل؛ ثم الفائز، والعاقد وهو آخرهم. قال وكذلك بنو أيوب في ملك مصر أولهم صلاح الدين، ثم ولده العزيز، وأخوه الأفضل بن صلاح الدين، والعاقل الكبير أخو صلاح الدين، والكاظم ولده، والعاقل الصغير نخلع. ثم كان منهم الصالح نجم الدين أيوب، ثم المعظم توران شاه، ثم أم خليل شجرة الدر، ثم الأشرف موسى وهو الرابع ولم يكن منهم من يكمل الستة. قال: وكذلك دولة الأتراك ملوك مصر أولهم المعز أيبك، وابنه المنصور، والمظفر قطن، والظاهر ببيرس، وابنه السعيد بركة، وأخوه العادل سلامش نخلع؛ وملك السلطان الملك المنصور قلاوون.

قلت: ثم آبنه الأشرف خليل، ثم المعظم بيدرا ولم يعتدبه خلعه من يومه كالم يعتد بآبن المعتز في الخلفاء، ثم الناصر محمد بن قلاوون، ثم العادل كتبغا، ثم المنصور لاچين، ثم المظفر ببيرس الجاشنكير نخلع؛ ثم المنصور أبو بكر بن الناصر محمد، ثم الأشرف طحك ابن الناصر محمد، ثم الناصر أحمد بن الناصر محمد، ثم الصالح إسماعيل بن الناصر محمد، ثم

المشار إليه أن تسميته العباس كانت برؤيا رآها الشيخ بدر الدين البهنسى بمكة المشرفة ، رأى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه في النوم ، وهو يقول له قل لولدى محمد ، (يعنى المتوكل على الله) إذا ولد له ولد يسميه العباس .  
وسياقى ذكر ذلك في الكلام على العهد الذى أنشأته قبل ولايته الخلافة بنحو ثمان سنين امتحانا للخاطر في جملة العهود في المقالة الخامسة .

(أعجوبة) قال الصولى : الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لا بد أن يخلع ، النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والحسن نخلع . ثم معاوية ، ويزيد ، ومعاوية ، ومروان ، وعبد الملك ، وعبد الله ابن الزبير نخلع . ثم الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد ، وهشام ، والوليد بن يزيد نخلع . ثم كان منهم يزيد بن الوليد ، وإبراهيم بن الوليد ، ومروان بن محمد وهو آخرهم ولم يكن بعده من بنى أمية من يتم العدد بهم ستة فألغى .  
ثم كانت الدولة العباسية فكان السفّاح ، والمنصور ، والمهدى ، والهادى ، والرشد ، والأمين نخلع . ثم المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمتنصر ، والمستعين نخلع .  
ثم المعتز ، والمهتدى ، والمعتد ، والمعتز ، والمقتدر نخلع في فتنة المعتز . ثم ردّ إلى الخلافة ثم قتل ، ولم يعتد بخلافة ابن المعتز لخلعه في يومه . قال صاحب "رأس مال النديم" والثعالبي في "لطائف المعارف" : ثم القاهر ، ثم الراضى ، ثم المتقى ، ثم المستكفى ، ثم المطيع ، ثم الطائع نخلع . قال الصلاح الصفدى : ثم القادر ، والقائم ، والمقتدى ، والمستظهر ، والمسترشد ، والراشد نخلع . ثم المقتنى ، والمستنجد ، والمستضى ، والناصر ، والظاهر ، والمستعصم نخلع وقتل أيام هولاء عند أستيلائه على بغداد .  
قلت : هذا غلط فاحش من الصلاح الصفدى لا يليق بمثله فإنه أسقط قبل المستعصم المستنصر وهو السادس .



خليفة ركب البريد، وهو موسى الهادي، مات أبوه المهدي وهو نائبه على جرجان، فكتب إليه الرشيد بالخبر والبيعة ووجه إليه الخاتم والبُرْدَة والقضيب فركب البريد وأتى إلى بغداد بعد ثلاثة عشر يوماً من موت المهدي، ولا يعرف خليفة ركب البريد غيره .

خليفتان اسم كل منهما جعفر قتل كل منهما في يوم الأربعاء وهما المتوكل والمقتدر .

خليفة ولي الخلافة ستين سنة متوالية، وهو المستنصر بالله الفاطمي خليفة مصر على أن الثعالبي في "لطائف المعارف" قال استقرت ولاية معاوية بن أبي سفيان أربعين سنة عشرون منها إمارة وعشرون منها خلافة .

خليفة كانت خلافته يوماً أو بعض يوم، هو عبد الله بن المعتز، بويح بعد خلع المقتدر، فلما كان من الغد حاربه غلمان المقتدر وعاونهم العامة فهرب وأختفى ثم ظفربه .

أربعة إخوة ولي كل منهم الخلافة، وهم الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام أولاد عبد الملك بن مروان .

لم يل الخلافة من أبوه حتى سوى أبي بكر الصديق والطائع لله وكلاهما اسمه أبو بكر .

لم يل الخلافة من أبواه هاشميان سوى الحسن بن علي من فاطمة ومحمد الأمين ابن الرشيد من زبيدة .

لم يل الخلافة من اسمه العباس سوى أمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس بن المتوكل على الله محمد خليفة العصر، على كثرة هذا الاسم في أولاد الخلفاء العباسيين وكونه اسم جدّهم الأكبر . قلت : وقد أخبرني أمير المؤمنين المستعين

أَسْتُخْلِفَ الْمُعْتَصِمَ وَقَفَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ثُمَّ تَرَجَّلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعَ بَعَيْنَهُ وَقَبَّلَ يَدَهُ وَأَدْنَى مِنْهُ أَبْنَاهُ هَبَةَ اللَّهِ فَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُكَ هَبَةُ اللَّهِ ابْنِي فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . قَالَ الصَّوْلِيُّ وَلَا يَعْرِفُ مِثْلَ ذَلِكَ خَلِيفَتَيْنِ وَابْنَيْهِمَا .

خَلِيفَةُ جَرَتْ أُمُورُهُ كُلُّهَا عَلَى ثَمَانِيَةِ ، وَهُوَ الْمُعْتَصِمُ ، فَهُوَ الثَّامِنُ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَمَوْلَدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً ، وَعَمْرُهُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَكَانَ ثَامِنَ أَوْلَادِ الرَّشِيدِ ، وَمَلِكَ ثَمَانِ سَنِينَ وَثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، وَخَلَفَ ثَمَانِيَةَ بَنِينَ ، وَثَمَانِ بَنَاتٍ ، وَثَمَانِيَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ دَابَّةٍ ، وَلَهُ ثَمَانُ فُتُوحَاتٍ ، وَتَوَفَّى ثَمَانِ بَقِيَّينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَمِنْ ثُمَّ سَمِيَ الْمُثْمَنَ .

خَلِيفَةُ لَهُ عَشْرَةُ أَوْلَادٍ وَعَشْرَةُ إِخْوَةٍ ، وَعَشْرَةُ أَوْلَادٍ إِخْوَةٍ ، وَهُوَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَأَوْلَادُهُ الْعَشْرَةُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَمَعَاوِيَةُ ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَقُتَيْبٌ ، وَعَمْرٌ ، وَمُحَمَّدٌ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَأَيُّوبٌ ، وَدَاوُدُ . وَإِخْوَتُهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَسَعِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ ، وَحَرْبٌ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الْحَكَمِ ، وَيُوسُفٌ ، وَسُلَيْمَانٌ ، وَيُحْيَى بْنُ يَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ .

لَيْلَةٌ وَلَدَ فِيهَا خَلِيفَةٌ ، وَمَاتَ فِيهَا خَلِيفَةٌ ، وَوُلِيَ فِيهَا خَلِيفَةٌ ، وَهِيَ لَيْلَةُ السَّبْتِ لِأَرْبَعِ بَقِيَّتِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةً ، وَلَدَ فِيهَا الْمَأْمُونُ ، وَمَاتَ فِيهَا الْهَادِي ، وَاسْتُخْلِفَ فِيهَا الرَّشِيدُ ، وَلَا يَعْهَدُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ .

خَلِيفَتَانِ أَحَدُهُمَا ابْنُ الْآخَرِ بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا بَعْدَ كَبِيرٍ ، وَهُمَا الرَّشِيدُ وَالْمَأْمُونُ ، قَبْرُ الرَّشِيدِ بِطُوسَ وَقَبْرُ الْمَأْمُونِ بِطَرَسُوسَ .

خليفة٢ان ، وساهر بنت فيروز بن يزيد جرد زوجة الوليد بن عبد الملك ولدت له يزيد  
وابراهيم فوليا الخلافة، والخيزران ولدت للمهدي موسى الهادي وهارون الرشيد .

أمرأة لها اثنا عشر محرما كل منهم خليفة ، وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية ،  
يزيد أبوها ، ومعاوية بن أبي سفيان جدّها ، ومعاوية بن يزيد أخوها ، وعبد الملك  
أبن مروان زوجها ، ومروان بن الحكم حموها ، ويزيد بن عبد الملك ابنها ، والوليد<sup>(١)</sup>  
وسليمان وهشام أبناء عبد الملك أولاد زوجها .

ومثلها من بنى العباس زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، جدّها المنصور ، وأخو  
جدّها السفّاح ، وزوجها الرشيد ، وعمّها المهدي ، وابنها الأمين ، وأبناء زوجها المأمون  
والمعتصم والوائق والمتوكل .

خليفة سلم عليه بالخلافة عمّه وعم أبيه وعم جدّه ، وهو هارون الرشيد سلم عليه  
سليمان بن المنصور ، والعباس بن محمد عم أبيه المهدي ، وعبد الصمد بن علي عم  
جدّه أبي جعفر المنصور .

خليفة سلم عليه من أهل بيته سبعة كل منهم ابن خليفة ، وهو المتوكل ، سلم عليه  
أحمد بن الواثق ، وأحمد بن المعتصم ، وسليمان بن المأمون ، وعبد الله بن الأمين ،  
وأبو محمد بن الرشيد ، والعباس بن الهادي ، ومنصور بن المهدي .

خليفة قبل هو وأبنه يد خليفة فأجاز أبنه بجائزة ثم قبل المقبلة يدّه هو وأبنه يد  
المقبل أولا وهو خليفة فأجاز أبنه بمثل تلك الجائزة ، وهو المعتصم ، وقف لإبراهيم  
أبن المهدي أيام خلافته ثم نزل المعتصم فقبل يده ثم أدنى منه أبنه هارون فقبل  
يده ، وقال يا أمير المؤمنين عبدك هارون أبنى فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما

(١) المددود تسعة فقط وكذا في المثل بها فتنه .

(٢) كذا في الأصل .

طالب أبوهما ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهما ، وخديجة بنت خويلد جدتها .

أشرف النساء في النسب والصهر فاطمة ؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوها ، وخديجة أمها ، وعلى بن أبي طالب زوجها ، والحسن والحسين سيّدَا شباب أهل الجنة ولداها .

أشرف الناس في المصاهرة عبد الله بن عمرو بن عثمان ، تزوج إليه أربعة من الخلفاء ؛ تزوج الوليد بن عبد الملك بنته عبدة ، وسليمان بن عبد الملك بنته عائشة ، ويزيد بن عبد الملك بنته أم سعيد ، وهشام بن عبد الملك بنته رقية : قال الثعالبي ولا يعرف رجل له أربعة أختان خلفاء إلا هو :

### غرائب أمور تتعلق بالخلفاء

امرأة ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة والزبير ؛ وهي حفصة ابنة محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ أبوها محمد المديح ؛ وأمها خديجة بنت عثمان بن عمرو بن الزبير ، وأم عمرو أسماء بنت أبي بكر ، وأم المديح فاطمة بنت الحسين بن علي ؛ وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأم فاطمة بنت الحسين أم اسحاق بنت عبيد الله ؛ وأم عبد الله بن عمرو زينب بنت عبد الله بن عمرو بن الخطاب ، فهي من ولد كل من المذكورين .

أربع نسوة في الإسلام ولدت كل واحدة منهن خليفين ؛ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدت الحسن والحسين ، وقد بُويعَ لهما بالخلافة ؛ وولادة بنت العباس العبّسية زوجة عبد الملك بن مروان ولدت له الوليد وسليمان ؛ وهما



وقتل العَوَام في حرب الفَجَّار، وقُتِل خُوَيْلِد في حرب نُزَاعَة . قال الثعالبي ولا يعرف في العرب والعجم سِتَّة مغبونون في نَسَق واحد إلا آل الزبير .

أعرق الناس في الفقه إسماعيل بن حمَّاد بن أبي حنيفة ، كان كل من إسماعيل وحماد فقيها وأبو حنيفة الإمام الأعظم .

أعرق الناس في القضاء بلال بن أبي بُرْدَة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، كان بلال قاضيا على البصرة ، وأبو بُرْدَة قاضيا على الكوفة ، وأبو موسى قاضيا لأُمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

أعرق الناس في حِجَابَة الخلفاء العَبَّاسُ بن الفضل بن الرَّبيع ، فإن العباس حجب الأمين ، والفضل حجب الرشيد قبل أن يتقلد عنه الوزارة ، والرَّبيع حجب المنصور والمهدي ، وفي ذلك يقول أبو نُوَّاس من أبيات :

سَادَ الرَّبِيعُ وَسَادَ فَضْلٌ بَعْدَهُ \* وَنَمَتَ بَعَّاسُ الْكَرِيمُ فُرُوعُ  
عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا أَحْتَمَمَ الْوَعْيُ \* وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعُ

أعرق الناس في الشعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ، ستة كلُّهم شعراء على نَسَق ، ثم كانت العرَاقَة في الشعر بعده مع زيادة آباء لمتوج ، بن محمود ، بن مروان ، بن يحيى ، بن مروان ، بن الحبوب ، بن مروان ، ابن سليمان ، بن يحيى ، بن أبي حفصة : مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، عشرة على نَسَق :

### الغايات من طبقات الناس

أشرف الناس في الأُمَّة نسبا الحسن والحسين عليهما السلام ، رسول الله صلى الله عليه وسلم جدُّهما ، والقاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم خالهما ، وعلي بن أبي

أعرق الناس في حُجَّة النبي صلى الله عليه وسلم ، محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي خُفَّاة رضى الله عنهم ، أربعتهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وصَحَّبه .

أعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر ، بن المتوكل ، بن المعتصم ، بن الرشيد ، بن المهدي ، بن المنصور في آباءه خمسة آباء خلفاء وهو سادسهم فيها . وفي معناه أخواه المعتمد والمعتز ، أما عبد الله بن المعتز وإن زاد أبا في الخلافة فإنه لم تمض عليه مدة تعتبر ، ولذلك لا يعدّه أكثر المؤرّخين في جملة الخلفاء .

أعرق الناس في المُلْك والخلافة جميعا باعتبار الأصول والخواشي من الذكور والإناث يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . أما من جهة الخلافة فهو خليفة ، وأبوه خليفة ، وجدّه خليفة ، وجدّ أبيه خليفة ، وعمومته خلفاء . وأما من جهة المُلْك فأمه شاهر بنت فيروز ، بن يزدجرد ، بن شهريار ، وأمها من بنات شيرويه ابن أبرويز ، وأمّ شيرويه مريم بنت قيصر ، وأمّ فيروز بنت خاقان ملك الترك .

أعرق الوزراء في الوزارة أبو عليّ الحسين ، بن القاسم ، بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وأخوه أبو جعفر محمد بن القاسم ، فإن القاسم وُزِّرَ للقتدر ومحمد وُزِّرَ للقائم وأباهما القاسم وُزِّرَ للعتضد ثم للمكتفى بعده ، وعبيد الله وُزِّرَ للعتضد ، وسليمان وُزِّرَ للمهتدي وبعده للمعتمد فكل من الحسين ومحمد وزير ابن وزير ابن وزير يعني في آباءه ثلاثة وزراء ، وهو الرابع فيها .

أعرق الناس في القتل عمارة بن حمزة بن مُصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد ، قتل عمارة ، وأبوه حمزة جميعا يوم قُديد في حرب الإباضية ، وقتل مُصعب بدير الجاثليق في الحرب بينه وبين عبد الملك ، وقتل الزبير بوادي السباع في نوبة الجمل ،

فخرجت القرعة عليه، ثم زاد عشرة بعد عشرة وهي تقع عليه حتى بلغ مائة من الإبل فوقع القرعة عليها فنجرها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم، يقول "أنا ابن الدَّبَّاحِينَ" يعني إسماعيلَ وعبدَ الله، ثم جاء الإسلام بتقريدها .  
أول من أوقد النار بالمزدلفة حتى يراها من بالموقف قصيُّ بن كلاب ،  
فهى تُوقَد إلى الآن .

أول من أهدى البدن إلى البيت اليباس بن مُضَر .  
أول من أظهر التوحيد بمكة قبل البعثة قُص بن ساعدة .  
أول من خَضَب بالوشمة من قريش عبدُ المطلب .  
أول من نَسَأَ النسَاء ، وسيب السوائب ، وجعل الوصيلة والحاميَ عُمرو بن لُحَيٍّ وهو أبو خزاعة .

### الضرب الثاني

( من النبذ التاريخية التي لا يسع الكاتب جهلها نوادر الأمور ولطائف  
الوقائع والمباحريات )

### العراقة وشرف الآباء

قال الثعالبي : <sup>(١)</sup> أشرف الأنبياء في النبوة يعني تواصل الآباء فيها يوسفُ بنُ يعقوب  
ابنُ إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ؛ وشاهد ما قاله أن النبي صلى الله عليه وسلم ،  
يقول " الكَرِيمُ ابنُ الكَرِيمِ ابنُ الكَرِيمِ يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاق بنِ  
إبراهيم " ولا يخفى أن إخوته عليهم السلام في هذه الرتبة في العراقة .  
أعرق الأكَسرة في المُلْك شيرويه بن أبرويز بن أردشير بن بابك ملكُ ابن ملك  
أَبْنِ مَلِكِ ابنِ ملك .

(١) مراده أعرق الأنبياء كما تقتضيه العناية بهد .

أول امرأة لبست المصبغات في الإسلام شيملة زوج عباس ، وهى أول من  
عبأت الطيب<sup>(١)</sup> .

### الموت والدفن

أول امرأة حُملت في نعش زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم .  
أول من دفن بالبيق عثمان بن مظعون ، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة .  
أول من دفن بقرافة مصر رجل اسمه عامر فقال عمرو بن العاص : عمّرت والله .

### أمر تنسب للجاهلية

أول من حرّم النحر في الجاهلية الوليد بن المغيرة ، وقيل قيس بن عاصم ، ثم جاء  
الإسلام بتقريره .

أول من حرّم القمار في الجاهلية الأقرب بن حابس التميمي ، ثم جاء الإسلام بتقريره .  
أول من رجم في الزنا في الجاهلية ربيع بن حذان ، ثم جاء الإسلام بتقريره في المحصن .  
أول من حكم أن الولد للفراش في الجاهلية أكم بن صيفي حكيم العرب ، ثم جاء  
الإسلام بتقريره .

أول من قطع في السرقة في الجاهلية الوليد بن المغيرة ، ثم جاء الإسلام بتقريره .  
أول من سنّ الدية مائة من الإبل عبد المطلب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم ،  
وذلك أنه نذر إن ولد له عشرة ذكور ليذبحن العاشر فولد له عشرة ، وكان عاشرهم  
عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم ، فرام ذبحه ، فعارضه قريش في أمره ، وأشير عليه  
بأن يقرع بينه وبين الإبل حتى تخرج القرعة على الإبل ، فأقرع بينه وبين عشرة

(١) في اللسان يقال عبأ الطيب ... يعثوه عبأ صنعه وخلطه .



أول من أطال الرِّجَّ العَجَّاجُ . قيل إن الرجز كان في الجاهلية إنما يقول منه الرجل البيتين أو الثلاثة في الحرب ونحوه حتى جاء العجاج ففتح أبوابه وشبهه بالشعر، ووصف فيه الديار وأهلها، والرسوم والفلوات ، ونعت الإبل والطُّلُوب ، وكان في أول الإسلام يشبه بامرئ القيس .

أول من أستخرج اللطيف من المعاني في الشعر وجرى على طريقه البديع مسلم ابن الوليد .

أول من أخرج الغناء العربي جرادة جارية ابن جُدعان فيما قاله العسكري . وفيه نظر فإن الغناء معهود من عهد عاد حتى كان من جملة مغنياتهم الجرادتان اللتان يضرب بهما المثل فيقال " غَنَّتْهُ الْجَرَادَتَان " .

أول من علم الجوارى المُنَمَّات الغناء إبراهيم الموصلي ، وكان الناس بمكة لا يعلمون الجارية الحسنة الغناء .

### النسب

أول امرأة خُفِضَتْ هاجراًم إسماعيل ؛ وذلك أنها حين تغيرت عليها بسارة<sup>(١)</sup> لتسرى إبراهيم عليه السلام بها حلفت لتقطع شئنا من جسدها فأشار عليها إبراهيم أن تخفضها ، وثقب أذنها ، وتجعل فيهما قرطين ففعلت فزادت حسنا .

أول امرأة أكتحلت بالإمد زرقاء اليمامة ، وكانت تنظر مسيرة ثلاثة أيام .

أول امرأة تنبأت سجاج التيمية التي تزوجها مسلمة الكذاب .

(١) في نسخة الخط لبشرى وهو تصحيف ظاهر .

## الأقوال

أول من قال أما بعد داود عليه السلام ، ويقال إنها فصل الخطاب المشار إليه بقوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾ . وقيل أول من قالها قُتُس بن ساعدة .  
أول من قال مَرَحَبًا سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ ، قال ذلك لعبد المطلب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم ، حين وفّد عليه ليهنّته برجوع الملك إليه ، فقال له ”مَرَحَبًا وأهلاً ، وناقاةً ورحلاً ، ومناخاً سهلاً ؛ ومليكاً رجلاً“<sup>(١)</sup> ، يُعطى عطاءً جزلاً“ .

أول من قال جعلت فداك عبدُ الله بن عمر رضى الله عنهما قالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة ، فقال ”جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا أَصْنَعُ؟“ . وقيل أول من قالها له عليّ بن أبي طالب حين دعا عمرو بن ودّ العامريّ إلى المبارزة ، فقال عليّ ”جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي؟“ ثمّ استعملها الكتابُ بعد ذلك في مكاتباتهم .

أول من قال أطال الله بقاءك عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تكلم عليّ رضى الله عنه بحضرته في العدل بكلام أعجبه ، فقال له : صدقت أطال الله بقاءك ؛ ثمّ نقلها الكتابُ إلى استعمالها في مكاتباتهم .

أول من قال أيّدك الله عمر بن الخطاب قاله لعليّ عليه السلام أيضاً .

## الشعر والغناء

أول من قصّد القصائد مهلهل خال امرئ القيس ؛ والقصيد ما زاد على سبعة أبيات .

(١) في نسخة الخط والمطبوع السابق ونحلا وهو تصحيف وقد ذكرت الكلمة في اللسان في مادة رب ح ل

أول من اتخذ البيارستان بمصر أحمد بن طولون بناء بالفسطاط ، وهو موجود إلى الآن .

أول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم بأنفسهم عثمان بن عفان رضى الله عنه .

### الأعياد والمواسم

أول من اتخذ النيروز من الفرس جما الملك ، وهو الذى بنى مدينة طوس ، يقال إنه كان فى زمن هود عليه السلام ، كان الدين قبله قد تغير وظهر الجور ، فلما ملك جدد الدين وأظهر العدل فسمى اليوم الذى ملك فيه نوروز أى يوم جديد عربته العرب فقبلوا الواو ياء فقالوا نيروز .

أول هدية كانت فى النيروز لجما الملك المتقدم ذكره ، وذلك أنه لم يظهر القصب إلا فى أيامه فذاقه بعض الناس فاستحلاه فصنع منه السكر فوافق فراغه فى أول يوم ملك فيه جما وهو يوم النيروز فأهدى إليه منه فى ذلك اليوم ، فصار سنة عندهم ، فهم يتهادون فيه بالسكر ، ثم توسعوا فيه فتهادوا بغير السكر .

أول مظهر المهرجان فى زمن افريدون القائم بعد الضحاك من ملوك الفرس ، وذلك أنه لما ظفر بالضحاك فقيده وانقطع ما كان فى زمنه من الظلم والفساد سُمي اليوم الذى ظفر به فيه المهرجان . قال العسكى : والمهر الوفاء كأن معناه سلطان الوفاء ، وكان سبيل الملوك فيه سبيل النيروز .

أول من افتتح المكتبة بتهنئة النيروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سَفَط ذهب فيه قطعة عُودٍ هنديّ فى طوله وعرضه ، وكتب معه "هذا يومٌ جرت فيه العادة ، بإلطاف العبيد السادة" .

أول ما سميت العَطِيَّات جوائز في زمن عثمان رضى الله عنه ، وذلك أن ابن عامر كان على العراق من قبل عثمان فبعث جيشا مع قَطَن بن عبد عوف الهلالي إلى كَرْمَان ، بغرى الوادى بسيل خَيْف منه الغرق ، فقال قَطَن من عبّره فله ألف درهم ، فعبّره رجلٌ ثم آخر ثم آخر حتى جاز جميعهم فأعطاهم قَطَن ألفا ألفا فكان جملة ذلك أربعة آلاف ألف ، فاستكثرها ابن عامر فكتب بها إلى عثمان فأجازها ، وقال : كلُّ ما كان في سبيل الله فهو جائز .

أول ما لُقّب بفلان الدولة في أيام المكتفى بالله .

أول ما لُقّب بفلان الدين في أيام القادر بالله ؛ وسيأتى ذكره في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة .

### الضّيفان

أول من قرى الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام حتى كُنّي أبا الضّيفان لكثرة قرّاه لهم .

أول من سنّ للضيف صدر المجلس بهرام جور : أحد ملوك الفُرس .

أول من هشم الثريد للقرى في زمن المحل هاشم بن عبد منّاف ، وبذلك سمي هاشما وكان اسمه قبل عمرا .

أول من فطر جيرانه في شهر رمضان عبّيد الله بن العباس بن عبد المطلب . وهو أول من حمل الطعام على رءوس الناس لكثيرته وأول من أنهبه .

### وجوه البر

أول من آتخذ البيارستان بالشام للرضى الوليد بن عبد الملك .



أول ما عُدَّت الرايات في الإسلام يوم حُنين، عقد صلى الله عليه وسلم، راية سوداء من بُرد عائشة، وكانوا قبل ذلك لا يعرفون إلا الألوية قاله العسكري .

أول من قتله النبي صلى الله عليه وسلم، بيده أبي بن خلف لعنه الله، طعنه صلى الله عليه وسلم طعنة خفيفة فوجد لها ألماً شديداً فقليل له أن تبالى فقال : لو أن ما بي بأهل الأرض لقتلهم، ومات منها .

أول حرب كان بين أهل القبلة يوم صفين، بين عائشة وعلي رضي الله عنهما .

### الأسماء والألقاب

أول من سُمي المصحف مُصحفاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين جمع القرآن .

أول من سُمي باسم النبي صلى الله عليه وسلم، محمد بن حاطب حين وُلِدَ بأرض الحبشة في الهجرة الأولى .

أول من سُمي بالحسن والحسين السَّبطان ولداً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو أحمد العسكري في كتابه "التصنيف والتحريف" قال المفضل حجب الله هذين الأسمين عن أن يسمى بهما حتى سُمي بهما النبي صلى الله عليه وسلم، ابنه عليهما السلام أما حسن وحسين الموجودان في أنساب طيئ فالأول بسكون السين والثاني بفتح الحاء وكسر السين .

أول من سُمي عبد الملك في الإسلام عبد الملك بن مروان .

أول من سُمي بعد النبي صلى الله عليه وسلم أحمد أبو الخليل واضع العروض ولذلك يقال فيه الخليل بن أحمد .

أول من سُمي الغالية غالية معاوية بن أبي سفيان ثمَّها من عبد الله بن جعفر فوصفها له فقال إنها غالية .

رُكِبَ الخشب ونحو ذلك فيمتازوا عن المسلمين؛ وسيأتى ذكره في عقد صلح أهل  
الذمة في المقالة السابعة .

### الحرب وآلاته

أول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام، وكانت قبله وُحوشاً لا تُركب فراضها  
وركبها، وتعلّم بنوه رياضتها منه، فصارت فيهم إلى الآن . ولذلك العرب أعرفُ  
الناس بالخيول . وهو أول من ميز بين العتاق منها والهجن في سهام أصحابها، فسبقت  
العتاق الهجن .

أول من اتخذ الدروع وليسها داود عليه السلام إذ يقول تعالى ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ  
أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ (١) وكانوا قبل ذلك يلبسون تنانير من حديد .

أول من اتخذ السلاح وجاهد سليمان عليه السلام فيما قاله العسكرى وفيه نظر .

أول من اتخذ الحديد من العرب ذويزن الحميري، وكانت أسنتهم قبل ذلك  
صياصي البقر .

أول من اتخذ الحصن من الجبل للكائن الإسكندر .

أول من اتخذ المتجنق الضحاك حين أراد إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار،  
وضعه فيه ورمى به في النار فكانت عليه برداً وسلاماً . وأول من اتخذ من العرب  
جذيمة الأبرش .

أول من اتخذ الجوايسس والعيون على العدو الإسكندر .

أول لواء عقده النبي صلى الله عليه وسلم، لواء أبيص لعمه حمزة وقال "خُذْهُ  
يَا أَسَدَ اللَّهِ" وذلك في رمضان من السنة التي هاجر فيها، وحمله له يزيد بن أبي يزيد .

(١) لعل مراده صفائح من حديد كما هو نص الأوائل والتفاسير واللفظة في نسخة الخط غير مجودة .

أول من اتخذ المحامل له المجاج بن يوسف .

أول من اتخذ السياط الأصبح بن مالك ، أحد ملوك اليمن ف قيل السياط الأصبحية .

### اللباس

أول من لبس الثياب الخمرقارون ، ويقال إنه المراد بقوله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ . وهو أول من أطال ثيابه وسحبها على الأرض تحبباً وتيهاً .

أول من قور طيلسانا من العرب في الإسلام عبد الله بن عامر أمير المدينة من قبل عثمان . والطيلسان المقور على نحو الطرحة التي يلبسها الوزراء وقضاة القضاة الآن ، وكانت وزراء الفاطميين يلبسونها . وهو أول من لبس الخنز ، فقال أهل المدينة لبس الأمير جلد دب .

أول ما لبس بنو العباس السواد حين قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إبراهيم بن محمد الإمام أول قائم منهم بطلب الخلافة حزناً عليه ، فاستمر فيهم ، وفيه كلام يأتي في المقالة الثانية عند الكلام على لبس الخلفاء .

أول من لبس الحفاف الساذجة بالبصرة زياد بن أبيه .

أول من آحتذى النعال من العرب جذيمة الأبرش .

أول من خلع نعليه عند دخول الكعبة في الجاهلية الوليد بن المغيرة .

أول من لبس النعال الصرارة المرواني كان قصيرا فاتخذ النعال الغلاظ الصرارة لترديد في طوله وليسمعه جواريه وحرمه عند دخول بيته فتصلح شأنها من كانت على غير هيئة صالحة . قال العسكري : من تم اتخذ الناس نعال الخشب يعنى القباقيب . أول من أمر بتغيير زي أهل الذمة المتوكل ، أمرهم أن يلبسوا العسلي ، ويتخذوا

أول من آتخذ الأجرَّ هَامَانُ لفرعون حيث قال له ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا ﴾ .

أول من بنى بِالْحِصِّ وَالْأَجْرِ في الإسلام زياد ابن أبيه بالبصرة .

### الزراع

أول من غرس النخلة أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام

### الصناعات

أول من خاط الثياب إدريس عليه السلام . وكان الناس قبل ذلك يلبسون الجلود .

أول من عمل القراطيس يوسف عليه السلام . وقيل غيره ؛ وسيأتي ذكره في الكلام على ما يكتب فيه في المقالة الثالثة .

أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام ؛ قاله الثعالبي .

أول من عمل الكيمياء قارون ، ويقال إنه المراد بقوله تعالى حكاية عنه ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ .

أول من عمل الزجاج ملكي أحد ملوك مصر بعد الطوفان ، وسيأتي ذكره في الكلام على ملوكها في المقالة الثانية .

أول من آتخذ الرِّحَالِ عِلَافُ بْنُ زَبَّانَ الْحَمِيرِيِّ<sup>(١)</sup> ، وكانت العرب قبل ذلك يركبون المَخَاصِرَ .

أول من كسا الكعبة في الجاهلية تبع<sup>رضي</sup> : أسعدُ أبو كَرَب .

(١) وقع في المخصص ربان باهمال الزاى وفي القاموس والصاحح باعجمها وهو الاقرب .



أول من آتخذ الذراع التي يُذَرَع بها الأرضون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين مسح السّواد . وقيل أول من آتخذها زياد ، نظر إلى ثلاثة نفر من أطولهم ذراعا وأوسطه وأقصيه بجمعها وأخذ ثلثها فجعلها ذراعا .

### العمارة

أول بيت وضع في الأرض الكعبة ، بتها الملائكة ؛ قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ .

أول من جعل للكعبة بابا أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام .  
أول من سقف بمكة سقفا قُصِيَ بن كلاب ، وكان الناس قبل ذلك إنما ينزلون في العريش .

أول من بَوَّب بمكة بابا حاطب بن أبي بلتعة .

أول من آتخذ بمكة رَوْشَنَا بُذَيْل بن ورقاء الخزاعي . وهو أول من بنى بها بيتا مربعا ، وكانوا قبل ذلك يتحامون التبريع في البناء كيلا يُشَبِّه ببناء الكعبة .

أول قرية بُنِيَتْ بعد الطوفان قرية ثمانين ، من الجزيرة الفُراتية ؛ بناها نوح عليه السلام ، وأُنزل بها من كان معه في السفينة وهم ثمانون رجلا .

أول مدينة بُنِيَتْ بمصر بعد الطوفان مدينة منَف وأصلها بالسريانية مافه ومعناها ثلاثون ؛ سميت باسم جماعة مَصْر بن بَيْصَر الذين كانوا معه ، وسيأتي ذكرها في جملة قواعد مصر القديمة في المقالة الثانية .

أول من عمل الحَمَّام سليمان عليه السلام ، صنعها له الحق وعملوا له النُورة لإزالة شر كان على بلقيس حين تَرَوَّجها فيما يقال .

فاقتسمه هو وأهل مجلسه ، وعوضه من كل درهم أضعافه ، فحصل لوالد ذلك الرئيس هذا الدرهم فوصل إليه بعده .

أول من شدد في العيار في الدراهم يوسف بن عمر ، أمر أن لا يضرب درهم بنقص حبة فما فوقها ، ثم استخفّ درهما فوجده ينقص حبة ، فأمر أن يضرب كل رجل من الضرائين ألف سوط ، وكانوا مائة ضراب ، فضرب في نقص حبة واحدة مائة ألف سوط .

أول من شدد في خلوص الذهب أحمد بن طولون صاحب مصر والشام ، وذلك أنه حين وجد الكثر المشورعين شمس ، وأتى له منه بميت وعلى صدره لوح ذهب مكتوب بالقبطية فعرّب فإذا فيه : أنا أكبر الملوك وذهبي أخاص الذهب ، فقال : قاتل الله من يكون هذا اللعين أكبر منه أو ذهبه أخاص من ذهبه ، ثم شدد في التعليق حتى كان قاضي القضاة يحضره بنفسه ، وسيأتي الكلام على ذلك في معاملة الديار المصرية في المقالة الثانية .

أول من ضرب الدراهم الزئوف في الإسلام عبيد الله بن زياد .

أول من اتخذ السنة الموازين من الحديد عبد الله بن عامر أمير المدينة من قبل عثمان .

أول من عمل الأوزان الحجاج بن يوسف ، عملها له سمير اليهودي ، وذلك أن الحجاج حين ضرب الدراهم الأحديّة على ما تقدّم ضربها سمير اليهودي من فضة خالصة أيضا وجعل فيها ذهبا فأراد الحجاج قتله ، فقال : ألا أدلك على ما هو خير للمسلمين من قتلي ، قال : هاته ، فوضع الأوزان ، وزن ألف ، ووزن خمسمائة ، ووزن ثلثمائة إلى وزن ربع قيراط فجعلها حديدا ونقشها وأتى بها إلى الحجاج فعفا عنه ، وكان الناس قبل ذلك إنما يأخذون الدرهم الوزن فيزنون به غيره .

## الخَرَاجُ وَالْخَزِيَّةُ

أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْخَرَاجَ وَأَزَالَ الْمَقَاسِمَةَ كَسَرَى أَنْوَشِرَوَانُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى زَرْعٍ وَامْرَأَةٍ تَمْنَعُ وَلَدَهَا مِنْهُ ؛ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : إِنْ لِلْمَلِكِ فِيهِ حَقٌّ ، وَلَا نَسْتَحِلُّهُ حَتَّى يَأْخُذَ الْمَلِكُ حَقَّهُ ، فَمَتَّعَ عَلَى الزَّرْعِ قَدْرًا مَعْلُومًا وَخَلَّى بَيْنَ الْغَلَّةِ وَأَصْحَابِهَا .

أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْخَرَاجَ عَلَى الْأَرْضَيْنِ وَالْخَزِيَّةَ عَلَى الْجَمَاعِمِ فِي الْإِسْلَامِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حِينَ مَسَحَ السَّوَادَ ؛ ثُمَّ رَسَمَ بِالْمَقَاسِمَةِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ حِينَ خَرِبَ السَّوَادَ .

أَوَّلُ مَنْ أَلْزَمَ الْخَرَاجَ كَلْفَةَ الْحِمْلِ وَمُؤْنَتَهُ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ فَبَقِيَ حَتَّى أَسْقَطَهُ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ <sup>(١)</sup> .

أَوَّلُ مَنْ عَرَّفَ الْعُرَفَاءَ عَلَى النَّاسِ بِلِجَايَةِ الْمَالِ وَغَيْرِهِ زِيَادٌ ، وَكَانَ يَقُولُ : الْعُرَفَاءُ كَالْأَيْدِي وَالْمَنَاكِبُ فَوْقَهَا .

## المعاملات

أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّنَانِيرَ وَالدِّرَاهِمَ فِي الْإِسْلَامِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، ضَرَبَهَا بِالشَّامِ مِنْ فِضَّةٍ خَالِصَةٍ ، وَكَانَ النَّاسُ قَبْلَ ذَلِكَ يَتَعَامَلُونَ بِدِرَاهِمِ الْقُرْسِ وَالرُّومِ ؛ وَلَمَّا ضَرَبَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى الْجُمُوحِ بِالْعِرَاقِ بِإِقَامَةِ رَسْمِ ذَلِكَ ، فَضَرَبَ الدِّرَاهِمَ وَنَقَشَ عَلَيْهَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، فَسَمِّيَتِ الدِّرَاهِمُ الْأَحَدِيَّةُ ، وَكَرِهَهَا النَّاسُ لِنَقْشِ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَجْلُهَا الْمَحْدَثُ ، فَسَمِيَتِ الْمَكْرُوهَةُ .

قُلْتُ : وَقَدْ رَأَيْتُ دِرْهَمًا مِنْ هَذِهِ الدِّرَاهِمِ الْأَحَدِيَّةِ ، أَرَانِيهِ بَعْضُ أَعْيَانِ حَلَبَ ، وَذَكَرَ لِي أَنَّ فَلَاحًا أَصَابَ رِكَازًا لَطِيفًا بِهَا فَأَحْضَرَهُ إِلَى نَائِبِ حَلَبَ خَوْفَ عَهْدَتِهِ ،

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

أول من اتخذ الطين لحتم الكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قاله الثعالبي في "لطائف المعارف" .

أول من اتخذ ديوان الخاتم معاوية بن أبي سفيان ، حين كتب لرجل بمائة ألف درهم ففك الكتاب فأصلحها مائتين ، قاله الثعالبي في "لطائف المعارف" .

### كتابة الأموال وما في معناها

أول من اتخذ الديوان في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وضع ديوان الجيوش . وسيأتى ذكره في الكلام على الإقطاعات في المقالة السادسة .

أول من جعل الحساب في دفتار خالد بن برمك فيما قاله الثعالبي ، وكان قبل ذلك في أدراج من كاغذ ورق .

أول من نقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية الجحاج بن يوسف في خلافة عبد الملك بن مروان ، نقله له صالح بن عبد الرحمن ، كاتب كاتبه زاذان فروخ فكان كتاب العراقيين علماء وتلاميذ<sup>(١)</sup> .

أول من نقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية عبد الملك بن مروان ، نقله له سليمان بن سعيد مولى الحسين كاتب رسائل عبد الملك ، فولاه عبد الملك جميع دواوين الشام .

أول من نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية عبد العزيز بن مروان في إمارته على مصر ، ذكره صاحب "المنهاج في صناعة الخراج" .

أول من وسع في أرزاق الكتاب الفضل بن سهل وزير المأمون .

(١) في الاصل فروخ بالمهملة فكان كبار العراقيين وهو تصحيف فاحذره .



## كتابة الإنشاء

أول من كتب في أول الكتب بسم الله الرحمن الرحيم سليمان عليه السلام ، حين كتب لِبَلْقَيْسَ كما أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ثم كتبها النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت .

أول من كتب في أول الكتب باسمك اللهم أُمِيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ ، فكتبها قُرَيْشٌ في كتبهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يكتبها في آبداء الأمر ، وسيأتي ذكر جميع ذلك في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة .

أول من كتب من فلان إلى فلان قُسُّ بن ساعدة فيما قاله العسكرى وأقره النبي صلى الله عليه وسلم ، في مكاتباته ، وسيأتي ذكره في الكلام على الفواتح في المقالة الثالثة .

أول من زاد في أوائل الكتب بعد التحميد ”وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله“ هارون الرشيد ، وسيأتي ذكره في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة .  
أول من أزعج بالهجرة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وسيأتي ذكره في الكلام على الخواتم في المقالة الثالثة .

أول من كتب في آخر كتابه وكتب فلان بن فلان أبي بن كعب قاله العسكرى .  
أول من ختم الكتب سليمان عليه السلام فقد قيل في قوله تعالى حكاية عن بَلْقَيْسَ ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ إن المراد به المحتوم . وأول من ختمها في الإسلام النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قيل له : إن ملوك الأعاجم لا يقرءون كتابا غير محتوم فاتخذ خاتما نقش فسه محمد رسول الله فكان يختم به الكتب ، وسيأتي ذكر ذلك في الكلام على الخواتم .

### الخطبة

أول من جمَعَ قُرَيْشًا وخطبهم ونبه على أن النبي "صلى الله عليه وسلم" منهم قُصَى  
 ابن كلاب ، وسيأتى ذكره في الكلام على مكة في المسالك والممالك في المقالة الثانية .  
 أول من خطب على العصا وعلى الراحلة قُش بن ساعدة الإيادي ، وقد تقدّم  
 ذكر خطبته التي خطبها على الراحلة في الكلام على الخطب .

أول من عمِل المنبر تميم الداري عمله للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قد رأى منابر  
 الكائنات بالشام .

أول من أُرْتِج عليه في الخطبة عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال : أيها الناس إن  
 اللذين كانا من قبل كانا يُعدّان لهذا المقام مقالاً ، وأتم إلى إمام عادل أحوج منكم  
 إلى إمام قائل ، وستأتيكم الخطبة على وجهها في الجمعة الأخرى ثم نزل .

أول من خطب جالساً معاوية حين كثُر شحمه .

أول من أقام الجمعة بالمدينة قبل مقدّم النبي صلى الله عليه وسلم ، أسعد بن زُرارة  
 الأنصاري بنى بيّاضة .

أول من رفع يده في الخطبة يوم الجمعة عُبيد الله بن عبد الله بن عمر .

أول من أخرج المنبر في العيد مروان بن الحكم ولم يكن قبل ذلك يُخرج .

### الخط

أول من خط بالقلم في الجملة قيل آدم عليه السلام وقيل إدريس .

أول من كتب بالعربية قيل هود عليه السلام أنزل عليه ، وقيل إسماعيل ،

وقيل ثلاث نفر من بولان من طي أصطلحوا على ذلك ، وسيأتى ذكره في الكلام  
 على الخط في الباب الثاني من هذه المقالة .

- أول من نطق بالحكمة أنوش بن شِيث بن آدم عليه السلام .
- أول من دلَّ على تركيب الأفلاك، وقدر مسير الكواكب، وكشف عن أحوال تأثيراتها، ونبه على عجائب الصنع فيها إدريس عليه السلام .
- أول من نظر في الطب أفريدون ملك الفرس بعد الضحَّاك، وفي أيامه ظهرت الفلاسفة وتكلموا في علومهم .
- أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي بأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو أول من نقط المصاحف النقط الأول على الإعراب .
- أول من صنَّف في علم الكلام واصل بن عطاء المعتزلي .
- أول من تُرجم له كتب الطب والنجوم وغيرها من كتب العلوم الفلسفية خالد بن يزيد، ثم تلاه المأمون فأكثر من ذلك .
- أول من صنَّف في غريب القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى .
- أول من صنَّف في أصول الفقه الإمام الشافعي رضي الله عنه، صنَّف فيه كتابه الرسالة .
- أول من صنَّف في الفقه مالك بن أنس صنَّف كتابه الموطأ .
- أول من عمل العروض الخليل بن أحمد، وهو أول من صنَّف اللغة مرتبة على حروف المعجم صنَّف كتابه " العين " .
- أول من صنَّف في علم البديع عبد الله بن المعتز .
- أول من سنَّ الإساءة والأجتراء في البحث فرعون؛ بينا هو وموسى عليه السلام في مقام المناظرة حيث قال ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فأجابه موسى بقوله ﴿رَبُّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ إلى آخر المناظرة بينهما إذ قال ﴿لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْإِنَّا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ :

أَبْنُ مَسْرُوقَ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ لَهَا مِنْ قَبْلِ الرَّشِيدِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَهُوَ  
أَوَّلُ مَنْ آخَذَ لِمَجْلِسِهِ الشُّهُودَ مِنْ قُضَاةِ مِصْرَ .

أَوَّلُ قَاضٍ وَلِيَ مِصْرَ مَنْ يَقُولُ بِقَوْلِ مَالِكٍ أَبُو نَعِيمٍ إِسْحَاقُ بْنُ الْفَرَاتِ مَوْلَى  
مَعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ ؛ وَلِلشَّافِعِيِّ عَلَيْهِ ثَنَاءٌ جَمِيلٌ فِي مَعْرِفَةِ الْخِلَافِ ، وَهُوَ أَوَّلُ قَاضٍ آخَذَ  
لِلشُّهُودِ دِيْوَانًا وَكَتَبَ أَسْمَاءَهُمْ فِيهِ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ مِنْ قَبْلِ الرَّشِيدِ فِي سَنَةِ بَضْعَ  
وِثْمَانِينَ وَمِائَةٍ .

أَوَّلُ قَاضٍ وَلَّى عَلَى الْمَصَاحِفِ أَمِينًا بِجَمَاعِ الْفُسْطَاطِ الْحَارِثُ بْنُ مِسْكِينَ ، وَكَانَتْ  
وَلَايَتُهُ فِي خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ .

أَوَّلُ مَا اسْتَقَرَّتْ قِضَاةُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَرْبَعَةٌ ، مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ قَاضٍ فِي سُلْطَنَةِ  
الظَّاهِرِ بَيْرَسِ الْبَنْدَقْدَارِي . وَذَلِكَ أَنَّ الْقِضَاةَ بِهَا كَانَ بِيدَ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ أَبْنِ  
بَنْتِ الْأَعَزِّ وَكَانَ شَافِعِيًّا ، فَكَانَتْ تَأْتِيهِ الْمَكَاتِبُ الْخَالِفَةُ لِمَذْهَبِهِ فَيَتَوَقَّفُ فِيهَا فَشَقَّ  
ذَلِكَ عَلَى السُّلْطَانِ وَالْأَمْرَاءِ فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ قَاضِيًا لِيَقْضِيَ  
كُلُّ مَنْهُمْ بِمَذْهَبِهِ .

أَوَّلُ مَا خُصَّ قَاضِيُ الْقِضَاةِ الشَّافِعِيُّ بِالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِالتَّوْلِيَةِ فِي أَعْمَالِهَا دُونَ رُقَّتِهِ  
الثَّلَاثَةِ فِي سُلْطَنَةِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسَمِائَةٍ ، ذَكَرَهُ أَبْنُ  
الْمَكْرَمِ فِي تَذَكُّرَتِهِ :

### الأمور العلمية

أَوَّلُ مَنْ أَخْطَأَ فِي الْقِيَاسِ إِبْلِيسُ ، حَيْثُ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ  
مِنْ طِينٍ ؛ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ مَا أَلْقَى إِلَى جَوْهَرِ الطِّينِ زَادَ وَنَمًا ، وَمَا أَلْقَى إِلَى جَوْهَرِ النَّارِ  
أَضْمَحَلَّ وَتَلَاشَى .



أول قاض بالمدينة النبوية عبد الله بن نوفل ، استقضاه عليها أمير المؤمنين عمر  
ابن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته .

أول قاض بالكوفة جُبَيْر بن القَشْعَم .

أول قاض بالبصرة أَبُو مَرْيَمَ الحَنْفَى ، أحمد بنى حنيفة ، استقضاه أميرها عُروَة  
ابن عَزْرَوَان فى سنة أربع عشرة من الهجرة .

أول قاض بمصر قَيْسُ بنُ أَبِي العاصِ السَّهْمَى ، استقضاه عليها عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه ، فى خلافته فى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة .

أول قاض جمع له القضاء والشرطة بمصر عائش بن سعيد وليهما من قَبْلِ أميرها  
مَسْلَمَة بن مُخَلَّد .

أول قاض بمصر نظرى الأقباس يعنى الأوقاف بمصر أَبُو مُحَمَّدٍ تَوْبَةُ فى خلافة  
هشام بن عبد الملك ، وكانت الأوقاف قبل ذلك بيد أربابها أو أوصيائهم - فقال :  
هذه مآلها إلى الفقراء والمساكين فأنا أضع يدي عليها ، فما مضت له سنة حتى صار  
لها ديوان عظيم .

أول قاض بمصر نخرج لرؤية الهلال عبدُ الله بنُ إِيهَيْعَة . قالَ أَبُو عمر الكندى ،  
وهو أول قاض وَلِيَ مصر عن خليفة ، وليها عن أَبِي جعفر المنصور فى أول سنة  
خمس وخمسين ومائة .

أول قاض ولى مصر ممن يقول بقول أبى حنيفة أبو الفضل إسماعيل بنُ اليَسَّع  
الكندى ، وكان أهل مصر قبله لم يعرفوا مذهب أبى حنيفة ولم يألّفوه ، وكان يرى  
بطلان الأوقاف ، فكتب الليث فيه إلى أبى جعفر المنصور فكتب إليه بعزله .

أول قاض بمصر أدخل النصارى فى خصوماتهم إلى المسجد أبو عبد الرحمن محمد

وزير الحافظ : لقب بالملك الأفضل ، وكان من قبله من الوزراء لا ينعت بالملك .  
 أول من لف العمامة على الكلوة من ملوك الديار المصرية الأشرف خليل بن  
 قلاوون ، وكانت ملوك بني أيوب يلبسون كلوة صفراء بغير عمامة ولذلك تراهم  
 يطلقون على أرباب الأقاليم المتعممين في مقابلة أن الجند كانوا بغير عمام .  
 أول من اعتاد حلق رأسه من ملوك الديار المصرية الملك الناصر محمد بن قلاوون  
 حين حج ، وتبعه الأمراء والجند على ذلك واستمر الأمر على ذلك إلى الآن ، وكان  
 لهم قبل ذلك غدائر شعر مرسلة كعرب الحجاز ونحوهم .

### الوزراء

أول من سمي وزيرا في الإسلام أحمد بن سليمان الخلال ، وزير السفاح أول خلفاء  
 بني العباس ، ثم تبعه وزراء الخلفاء والملوك على ذلك ، وكانوا قبل ذلك يقولون كاتباً .  
 أول من لُقّب بالصاحب من الوزراء ، كُفّي الكُفّة إسماعيل بن عبّاد ، وكان السبب  
 في ذلك أنه كان يصحب الأستاذ ابن العميد فكانوا يقولون صاحب ابن العميد ،  
 ثم غلب عليه اللقب حتى قيل له الصاحب مجزّداً وتبعه الخلفاء على ذلك ، وسيأتي  
 ذكره في الكلام على هذا اللقب في المقالة الثالثة .

أول من لقب بالملك الفلاني من وزراء الفاطميين بالديار المصرية رضوان بن  
 ونحشى وزير الحافظ ، لُقّب الملك الأفضل ، ثم صار رسماً لوزرائهم بعد ذلك ، وتبعهم  
 ملوك الديار المصرية على ذلك إلى الآن .

### القضاة

أول قاض كان في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، استقضاء أبو بكر  
 الصديق رضي الله عنه ، في خلافته فمكث سنة لا يأتيه أحد في قضية .

أول من جلس على السرير من ملوك العرب جَذِيمة الأبرش ، وهو أول من وقعت له السُّمعة من ملوك العرب ، وأول من لبس الطَّوقَ منهم .

أول من مَشَتْ الرجال معه وهو راكب الأشعثُ بن قيس ، كانت بنو عمرو بن معاوية ملكوه عليهم وتوجُّوه .

أول من مَشَى بين يديه بالأعمدة الحديد زيادُ ابن أبيه ، وهو أول من جلس الناس بين يديه على الكراسي ، وهو أول من آتخذ العَسَسَ والحَرَسَ .

أول من سَلَّمَ عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة فقبل السلام عليك أيها الأمير ، وكانوا قبل ذلك يقولون السلام عليكم ، ثم تبعه الأمراء على ذلك .

أول من حُمِلَ إليه التَّلَجُ الحجاج بن يوسف ، وسيأتى ذكره في الكلام على حَمَلِ التَّلَجِ لصاحب الديار المصرية في خاتمة الكتاب .

أول من نَقَشَ اسمه من الملوك على الدنانير والدراهم مع الخلفاء عَنِ الدَّوْلَةِ بن بويه وإخوته ملوك الديلم القائمين على الخلفاء العبَّاسيين ببغداد ، في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، ثم تبعهم الملوك على ذلك .

أول من حُمِلَ السَّنَجَقُ على رأسه من الملوك غازي بن زنكي صاحب الموصل ، وهو أول من آخَر الأجناد أن يركبوا بالسيوف في أوساطهم والدَّبَّائِس تحت ركبهم .

أول من حُمِلَ الشمع معه على البغال في الليل من ملوك الديار المصرية محمد بن طُغْج الإخشيد ، وكانت الشمعة تجعل على مؤخر البغل وفراش راكب أمامها ، وهو يلتفت في كل قليل يصلحها ، فأبدلها الملوك بعده بهذه الفوانيس التي تحمل على البغال مع القانونِسيَّة أمام ملوك الديار المصرية في الليل .

أول من لَقَّب من وزراء الفاطميين بالديار المصرية بالملك فلان رضوان بن ولحشى

الخلفاء قبله الوليد بن عبد الملك فانفق أن خالف رجل خطابه باسمه فأمر به فوطئ .  
أول من رتب مراتب الخلافة وأقام حاجبا للاستئذان عليه أبو جعفر المنصور ،  
وأتخذ في قصره بيتا يجلس فيه الناس حتى يؤذن لهم ؛ وهو أول من اتخذ الأتراك  
اتخذ حمادا التركي ، ثم اتخذ المهدي بعده مباركا التركي ، ثم أكثر الخلفاء من الأتراك  
بعد ذلك .

أول من جلس للصائب من الخلفاء على البساط دون الأتباط هارون الرشيد  
حين نعى إليه قريبه : إبراهيم بن علي ؛ فاتخذ الخلفاء ذلك دأبا في المآتم .  
أول من نعت على المنبر بنعت الخلافة الأمين بن الرشيد فقيل : اللهم وأصلح  
عبدك وخليفتك عبد الله محمدا الأمين .

أول من أضيف لقبه من الخلفاء إلى اسم الله المعتمد فقيل المعتمد بالله ، ثم تبعه  
الخلفاء على ذلك ؛ وسيأتى ذكره في الكلام على الخلفاء في المقالة الثانية .  
أول من حوّل السنة الشمسية إلى السنة القمرية وأقرّ النيروز المتوكل ؛ وسيأتى  
ذكره في تحويل السنين في المقالة السابعة ، وهو أول من أمر بتغيير زى أهل الذمة ؛  
وسيأتى ذكره في الكلام على عقد الصلح لأهل الذمة في المقالة السابعة .

### أُمُورٌ تُتَعَلَّقُ بِالْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ

أول من لبس التاج الضحّاك أحد ملوك الفرس وهو النمرود فيما يقال ؛ وفي زمنه  
كان إبراهيم الخليل عليه السلام .  
أول من مسح الأرضين ، ووضع الدواوين ، ووضع الخراج على الأرضين ،  
ووظّف الموظفين على البلاد قيذار أحد ملوك الفرس ، وأتخذ لذلك ديوانا وسماه  
ديوان العدل .



الرمادة<sup>(١)</sup> عند غلو السعر بالحجاز . وسيأتى ذكره فى الكلام على خليج القادسة فى أوائل المسالك والممالك .

أول من أقطع القطائع من الخلفاء أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ وسيأتى ذكره فى الكلام على الإقطاعات فى المقالة السادسة ، وهو أول من حمى الحمى لنعم الصدقة من الخلفاء ، وهو أول من اتخذ صاحب شرطة من الخلفاء .

أول من اتخذ بيتاً ترمى فيه قصص أهل الظلامات أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وبقي حتى كتبت له شتمه فى رُقعة ، وطُرحت فى البيت فتركه ؛ ثم اتخذه المهدي بعده ، ثم ترك بعد ذلك .

أول من سُلّم عليه بالخلافة فقبل السلام عليك يا أمير المؤمنين معاوية ؛ وكانوا قبل ذلك يقولون السلام عليكم ؛ وهو أول من عهد إلى ابنه بالخلافة ، عهد بها إلى ابنه يزيد ، ثم تبعه الكثير من الخلفاء على ذلك ؛ وهو أول من استخلف فى حال صحته وإلا فأبو بكر لم يستخلف عمر إلا فى مرض موته ، وعمر لم يجعل الأمر شورى إلا وهو مطعون ؛ وسيأتى ذكر ذلك جميعه فى الكلام على ولاية الخلفاء فى المقالة الخامسة ، وهو أول من اتخذ المقصورة فى المسجد لصلاة الجمعة ؛ وقيل اتخذها مروان قبله ،<sup>(٢)</sup> وقيل عثمان ؛ وهو أول من نهى عن الكلام بحضورته من الخلفاء ، وكان الناس قبل ذلك يردون على الخليفة ويعترضونه فيما يقول ؛ وهو أول من اتخذ ديوان الخاتم لختم الكتب ؛ وسيأتى ذكره فى الكلام على اللواحق من المقالة الثالثة ، وهو أول من اتخذ البريد فى الإسلام ؛ وسيأتى ذكره فى الكلام على البريد فى خاتمة الكتاب .

أول من سار فى الناس بالجبرية من الخلفاء وأمر أن لا يُخاطب باسمه كما يُخاطب

(١) فى الأصل الزيادة وهو تصحيف .

(٢) يظهر أن قبله سقطا وما بعده يدل على أن المتكلم فيه الآن عبد الملك بن مروان فإنه أول من نهى عن الكلام بحضوره الخلفاء فليحذر .

## أمور تتعلق بالأنبياء عليهم السلام (سوى ما يأتى ذكره مما شاكل غيره)

أول من استرقَّ الرقيقَ إدريس عليه السلام . أول من شاب إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ وهو أول من قصَّ شاربته ، وأول من فرق شعره ، وأول من تمضمض ، وأول من آستاك ، وأول من قلَّم الأظفار ، وأول من آستجى ، وأول من آختن ، وأول من رمى الحمار .

## الخلافة وما يتعلق بها

أول من سُمى خليفةً أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين ولى الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يخاطب بخليفة رسول الله ؛ وسيأتى ذكره فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة إن شاء الله تعالى ؛ وهو أول من آستخلف من الخلفاء : آستخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مرض موته ؛ وسيأتى ذكره فى الكلام على ولاية الخلفاء فى المقالة الخامسة ؛ وهو أول خليفة فُرض له العطاء فى بيت المال عن الخلافة ، ولما أدركته الوفاة أوصى 'بإعادة جميع ما حُمِل إليه من ذلك إلى بيت المال من ماله .

أول من سُمى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ وسيأتى ذكره فى الكلام على هذا اللقب فى جملة الألقاب فى المقالة الثالثة ؛ وهو أول من رتب بيت المال فيما ذكره العسكرى ، لكنه قد ذكر فى موضع آخر أن عمر كان على بيت المال من قبل أبى بكر رضى الله عنه ، فيكون أبو بكر قد سبقه إلى ذلك ؛ وسيأتى ذكره فى الكلام على وكالة بيت المال فى المقالة الخامسة ؛ وهو أول من كور الكور ومسح أرض السواد ، ورتب الخراج على الأرضين ، والحزبة على الجماعم ؛ وهو أول من حمل الطعام من مصر إلى الحجاز ؛ وذلك فى عام

أحتج بالقصة في غير موضعها ، أو نسبها إلى غير من هي له ، أو لبس عليه خصمه بالاستشهاد بواقعة لا حقيقة لها ، أو نسبها إلى غير من هي له ليظهر تحجته عليه ، وما يجري مجرى ذلك ؛ وفيه مقصدان .

### المقصد الأول .

( في ذكر نبذة تاريخية لايسع الكاتب جهاتها مما يحتج به الكاتب تارة  
ويذاكر به ملكه أو رئيسه أخرى )

اعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له ، وقد أكثر الناس فيه من التصنيف على اختلاف فنونه : ما بين مختصر ، وبسوط : من مقتصر على فن ، ومستوعب لفنون ، وفي خلال تلك المصنّفات نوادير غريبة ، ولطائف عجيبة ؛ لا يحصل الوقوف عليها إلا بعد استيعابها بالمطالعة ، كما لا يقع الظفر بالجوهر في المعدن إلا بعد عمل كثير يحصل في خلالها بغتة ؛ فإذا التقطت الجواهر من المعدن ، سهل تناولها لمريدها ؛ وهي على ضريين .

### الضرب الأول ( الأوائل )

وهي معرفة مبادئ الأمور المهمة ، وقد أفردها أبو هلال العسكري بالتصنيف ، وأورد الثعالب منها في كتابه "لطائف المعارف" نبذة صالحة ، وتضمنت كتب التاريخ منها جملة مما لم يتعرضوا إليه ؛ وقد اقتصرنا منها على ما تشوف نفوس أكثر الناس إلى معرفته والاطّلاع عليه : مما توفرت الدواعي عليه ، فاستمر وجوده ، وأنسحب عليه حكم الاستعمال إلى الآن ، أو أشتهر في مبدئ أمره ، ثم زال بعد ذلك ؛ جاريا في ترتيبه على وجه يقرب تناوله ، مقدما الأهم فالأهم بالنسبة إلى حال الكاتب :

أول يوم من ربيع الأول، فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء، والأخذ والعطاء؛ وكان يعيشون فيها أكيدر دومة - وهو ملكها - وربما غلب على السوق كلب، فيعشونهم بعض رؤساء كلب فيقوم سوقهم هناك إلى آخر الشهر. ثم ينتقلون إلى سوق حجر من البحرين في شهر ربيع الآخر، فتكون أسواقهم بها، وكان يعيشون في هذا السوق المنذر بن ساوى أحد بني عبدالله بن دارم - وهو ملك البحرين. ثم يرتحلون نحو عمان من البحرين أيضا فتقوم سوقهم بها. ثم يرتحلون فينزلون إرم وقرى الشحر من اليمن فتقوم أسواقهم بها أياما. ثم يرتحلون فينزلون عدن من اليمن أيضا فيشترون منه اللطائم وأنواع الطيب. ثم يرتحلون فينزلون حضر موت من بلاد اليمن، ومنهم من يجوزها فيرد صنعاء فتقوم أسواقهم بها ويحبون منها الخرز والأدم والبُرود، وكانت تجلب إليها من معافر. ثم يرتحلون إلى عكاظ في الأشهر الحرم، فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار، ويتحاجون؛ ومن له أسير سعى في فدائه، ومن له حكومة أرتفع إلى من له الحكومة؛ وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بني تميم؛ وكان آخر من قام بها منهم الأقرع بن حابس التميمي. ثم يقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج. ثم يرجعون إلى أوطانهم قد حصلوا على الغنيمة، وآبوا بالسلامة.

### النوع السادس عشر

(النظر في كتب التاريخ والمعرفة بالأحوال)

اعلم أن الكاتب يحتاج إلى معرفة وقائع التاريخ، وتفصيلها؛ ولا يكاد يستغنى عن العلم بشئ منها لأمر. منها العلم بأزمنة الوقائع والمجريات؛ وأحوال الملوك والأعيان والحوادث، والمجريات الحاصلة بينهم؛ فيحتاج بكل واقعة منها في موضعها، ويستشهد بها فيما يلائمها، ويحتاج لمثل ذلك؛ فإنه متى أخل بمعرفة ذلك



وفي النهار دخان مرتفع ، وربما بدر منها عُتُق فأحرق من مرّ بها ، فخر خالد بن  
سنان النبي ، فدفنها ، فكانت معجزة له .

السابعة نار السَّعَالِي - تُرْفَعُ للتَّقَرُّ فيتبعها فتَهْوِي به الغولُ على زعمهم كما تقدم  
في الكلام على أوابد العرب .

الثامنة نار الصيد - وهي نار تُوقَد للظباء تغشاها إذا نظرت إليها .

التاسعة نار الأسد - وهي نار توقد إذا خافوا الأسد لينفِر عنهم فإن من شأنه النَّقَار  
عن النار ، يقال إنه إذا رأى النار حدث له فكر يصده عن قصده .

العاشرة نار القرى - وهي نار تُوقَد ليلا ليراها الأضياف فيهتدوا إليها .

الحادية عشرة نار السليم (وهو الملسوع) : كانوا يُوقدون النار للملسوع إذا لدغ .  
يُساهرونه بها ، وكذلك المجرّوح إذا نَزَف دمه ، والمضروب بالسيّاط ومن عضّه الكلب  
كي لا يناموا فيشتد الأمر بهم فيؤدّتهم إلى الهلكة .

الثانية عشرة نار الفداء - كان الملوك منهم إذا أسروا نساء قبيلة خرجت إليهم  
السادة منهم للفداء أو الاستيهاب فيكرهون أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن  
أوفي الظلمة فيخفى قدر ما يحبسونه لأنفسهم من الصّفيّ ، فيوقدون النار لعرضهن .

الثالثة عشرة نار الوسم - وهي النار يسم بها الرجل منهم إبله فيقال له ماسمة  
إبلك ؟ فيقول كذا :

### الصنف الثاني

( أسواق العرب المعروفة فيما قبل الإسلام )

قد كان للعرب أسواق يُقيمونها في شهور السنة ، وينتقلون من بعضها إلى بعض  
ويحضرها سائر قبائل العرب : ممن قرّب منهم وبعُد . فكانوا ينزلون دومة الجندل

## النوع الخامس عشر

(في معرفة عادات العرب؛ وهي صنفان)

## الصنف الأول

(نيران العرب)

قد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" للعرب ثلاث عشرة نارا .  
الأولى نار المزدلفة - وهي نار تُوقَد بالمزدلفة من مشاعر الحج ليراها مَنْ دفع من  
عرفة . وأول مَنْ أوقدها قُصَيّ بن كلاب، فهي تُوقَد إلى الآن .

الثانية نار الاستمطار - كانوا في الجاهلية الأولى إذا احتبس المطرُ جمعوا البقر  
وعَقَدُوا في أذنابها وعراقيبها السَّاعَ والعُشَرَ، ويَصْعَدُونَ بها في الجبل الوعر، ويُسْعِلُونَ  
فيها النار، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر، قال الشاعر :

أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيَقُورًا مُسَلَّعَةً \* وَسَيْلَةً مِنْكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ

الثالثة نار الحلف - كانوا إذا أرادوا عَقْدَ حلف أوقدوا النار وعقدوا الحلف  
عندها، ويذكرون خيرها، ويدعون بالحُرمان من خيرها على من نقض العهد، وحلّ  
العقد . قال العسكري "وإنما كانوا يُحْصُونَ النار بذلك لأن منفعتها تختص  
بالإنسان، لا يشاركه فيها شيء من الحيوان غيره" .

الرابعة نار الطرد - وهي نار كانوا يُوقِدُونَهَا خَلْفَ مَنْ يَمْضِي ولا يحبون رجوعه .

الخامسة نار الحرب - كانوا إذا أرادوا حربا أو توقعوا جيشا، أوقدوا نارا على  
جبلهم ليبلغ الخبرُ أصحابهم .

السادسة نار الحريتين : كانت في بلاد عبس فإذا كان الليل تضيء نار تسطع

بابها قبل أن يدخلها فَعَشَّرَ كما ينهق الحمار ثم دخلها، لم يصبه وبأوها، قال عروة  
ابن الورد :

لَعَمْرِي لَيْنٌ عَشْرْتُ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى \* نُهَاقَ حَمِيرٍ إِنِّي لَجَزُوعٌ  
ومنها عَقْدُ الرَّثَمِ - وهو نَبْتُ معروف - كان الرجل إذا أراد سَفَرًا عَمَدَ إِلَى رَثَمٍ  
فَعَقَدَهُ فَإِنْ رَجَعَ وَرَءَاهُ مَعْقُودًا، اعتقد أن أمرأته لم تَحْنُهْ، وإن رآه محلولًا اعتقد  
أنها خانته، قال الشاعر :

خَانَتْهُ لَمَّا رَأَتْ شَيْبًا بَمَفْرِقِهِ \* وَغَرَّهَ حَلْفُهَا وَالْعَقْدُ لِلرَّثَمِ  
(١)  
ومنها أَعْتَبَارُ دَائِرَةِ الْمَهْقُوعِ - وهي دائرة تكون في عنق الفرس يقال لها المَهْقُوعَةُ  
عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْخَيْلِ فِي الطَّرَفِ الْآتِي - كانوا يزعمون أن الفرس  
الْمَهْقُوعُ إِذَا عَرِقَ تَحْتَ صَاحِبِهِ أَغْتَلَمَتْ حَلِيلَتُهُ، وَطَلَبَتْ الرِّجَالُ، قال الشاعر :

إِذَا عَرِقَ الْمَهْقُوعُ بِالْمَرْءِ أَنْعَظَتْ \* حَلِيلَتُهُ وَأَزْدَادَ حَرًّا عِجَانُهَا  
ومنها خَضَابُ نَحْرِ الْفَرَسِ السَّابِقِ - كان من عادتهم إِذَا أُرْسِلُوا خَيْلًا عَلَى صَيْدٍ  
فَسَبَقَ أَحَدُهَا خَضَبُوا صَدْرَهُ بِدَمِ الصَّيْدِ عِلَامَةً لَهُ، قال الشاعر :

كَأَنَّ دِمَاءَ الْعَاوِيَاتِ بَنَحَرِهِ \* عُصَارَةُ حِنَاءٍ بِشَيْبِ مُرَجَّلٍ  
(٢)  
ومنها جَزَانِصِيَّةُ الْأَسِيرِ - كانوا إِذَا أَسْرَوْا رِجَالًا ثُمَّ مَنُّوا عَلَيْهِ فَاطْلَقُوهُ، جَزَّوْا  
نَاصِيَتَهُ وَوَضَعُوهَا فِي كَنَانَةٍ، قَالَتِ الْخَنَسَاءُ .

جَزَّزْنَا نَوَاصِيَ قُرْسَانِهِمْ \* وَكَانُوا يَطْنُونَ أَنْ لَا تُجَزَّأَ

(١) فِي اللِّسَانِ فِي زُورِ الْفَرَسِ أَوْ عَرَضَ زُورِهِ . وَسَيَأْتِي تَفْسِيرُهُ بِذَلِكَ فِي الدَّوَائِرِ .

(٢) فِي نَسْخَةِ الْعَادِيَّاتِ .

عُرَ (وهو الحرب) فَكَوُوا صَحِيحًا إِلَى جَانِبِهِ لِيَشْمَ رَائِحَتِهِ بَرِيءٌ ، وَرَبَّمَا زَعَمُوا أَنَّهُ  
يُؤْمِنُ مَعَهُ الْعَدُوُّ ، قَالَ النَّابِغَةُ :

وَكَلَّفَتَنِي ذَنْبُ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ \* كَذَى الْعَرِّيُّ كَوَىٰ غَيْرَهُ وَهُوَ رَانِعٌ  
وَمِنْهَا ذَهَابُ الْحَدَرِ مِنَ الرَّجُلِ - كَانُوا يَقُولُونَ إِنْ الرَّجُلُ إِذَا خَدِرَتْ رَجُلُهُ فَذَكَرَ  
أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ ذَهَبُ عَنْهُ الْحَدَرُ ، قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ كِلَابٍ :

إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي ذَكَرْتُ ابْنَ مُصْعَبٍ \* فَإِنْ قُلْتُ عَبْدُ اللَّهِ أَجَلِي فُتُورَهَا  
وَمِنْهَا الْحَلَىٰ عَنِ الصَّيَّانِ بِجَبَايَةِ الْحَىٰ وَإِطْعَامِهِ الْكِلَابَ - كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْفَتَى  
إِذَا ظَهَرَ فِيهِ الْحَلَىٰ بَشَفَتَهُ (وَهِيَ بُشُورٌ تَبُتْ بِالشَّقَةِ) فَيَأْخُذُ مِنْخَلًا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَيَمْتَرِينَ  
بِیُوتِ الْحَىٰ وَيُنَادِي الْحَلَىٰ الْحَلَىٰ فَيُلْقَىٰ فِي مَنْخَلِهِ مِنْ هُنَا ثَمَرَةٌ ، وَمِنْ هُنَا كِسْرَةٌ ، وَمِنْ  
هُنَا قِطْعَةٌ لَحْمٍ فَإِذَا أَمْتَلَا نَثَرَهُ بَيْنَ الْكِلَابِ فَيَذْهَبُ عَنْهُ الْحَلَىٰ .

وَمِنْهَا شُقُّ الرِّدَاءِ وَالْبُرْقَعِ ، لِدَوَامِ الْحُبِّ - زَعَمُوا أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَحَبَّتْ رَجُلًا أَوْ أَحْبَبَهَا  
وَلَمْ تُشَقَّ عَلَيْهِ رِدَاؤُهُ وَيُشَقَّ عَلَيْهَا بِرُقْعَةٍ فَسَدَ حُبُّهَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا شُقَّ بَرْدُ شِقِّ بِالْبُرْدِ بِرُقْعَةٍ \* دَوَالِيكَ حَتَّىٰ كَلْنَا غَيْرُ لَا بَيسَ  
فَكَمْ قَدْ شَقَّقْنَا مِنْ رِدَاءِ مُحَبَّرٍ \* وَمِنْ بُرْقَعٍ عَنْ طِفْلَةٍ غَيْرِ عَانِيسَ

وَمِنْهَا رَمَى سَنِّ الصَّبِيِّ الْمُتَغَرِّ فِي الشَّمْسِ - يَقُولُونَ : إِنْ الْغُلَامُ إِذَا أَتَغَرَّ فَرَمَى سَنَّهُ  
فِي عَيْنِ الشَّمْسِ بِسَبَابَتِهِ وَإِبَاهِمِهِ وَقَالَ أَبْدَلْنِي بِهَا أَحْسَنَ مِنْهَا ، أَمِنَ عَلَىٰ أَسْنَانِهِ  
الْعَوَجَ وَالْفَلَجَ وَالنَّغْلَ ، قَالَ طَرْفَةُ :

بَدَلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ \* بَرْدًا أَبْيَضَ مَصْقُولِ الْأَشْرِ

وَمِنْهَا التَّعْشِيرُ - زَعَمُوا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَرَادَ دُخُولَ قَرْيَةٍ خَافَ وَبَاغَا فَوْقَ عَلِيٍّ

(١) لَعَلَّهُ دَفَعَ الْحَلَىٰ عَنِ الْخ . وَهُوَ فِي الْأَصُولِ مَقْصُورٌ وَأُورِدَهُ الْقَامُوسُ وَاللَّسَانُ فِي بَابِ الْمَهْمُوزِ وَقَالَ  
الْأَخِيرُ إِنْ بَعْضُهُمْ لَا يَهْمُزُ .



كَذَلِكَ الثَّورُ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوَى <sup>(١)</sup> \* إِذَا مَا عَافَتِ الْبَقَرُ الظَّمَاءُ

ومنها تعليق سنّ الثعلب وسنّ الهرة وحيض السمرة - كانوا يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة فعلق عليه شئ من ذلك ، سلم من آفته ، وأن الجنية إذا أرادت له لم تقدر عليه ؛ قالت امرأة تصف ولدا :

كَانَتْ عَلَيْهِ سِنَّةٌ مِنْ هِمَّةٍ \* وَتَعَلَّبَ وَالْحَيْضُ حَيْضُ السَّمَرَةِ

ومنها تعليق كعب الأرنب - كانوا يعلقونه على أنفسهم ، ويزعمون أنه وقاية من العين والسحر ، قائلين إن الجن تنفر من الأرنب لكونها تحيض ، قال الشاعر :

وَلَا يَنْفَعُ التَّعْشِيرُ إِنْ حُمَّ وَاقِعٌ \* وَلَا وَدَعٌ يُغْنِي وَلَا كَعْبُ أَرْنَبٍ

ومنها تعليق الحلي على السليم (وهو الملسوع) - كانوا إذا لُسع فيهم إنسان علقوا عليه الحلي من الأساور وغيرها ، ويتركونه سبعة أيام ويمنع من النوم فيفريق ، قال النابغة :

يُسَهَّدُ مِنْ وَقْتِ الْعِشَاءِ سَلِيمُهَا \* لِحَلْيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ

ومنها وطء المقاتل القتلى - كانوا يزعمون أن المرأة المقاتلات (وهي التي لا يعيش لها ولد) إذا وطئت قتيلًا شريفًا بقي أولادها ، قال بشر بن أبي خازم :

يَنْظُلُّ مَقَالِيتُ النِّسَاءِ يَطَانُهُ \* يَقْلَنَ أَلَا يُلْقَى عَلَى الْمَرْءِ مِثْرُ

ومنها مسح الطارف عين المطروف - كانوا يزعمون أن الرجل إذا طَرف عين صاحبه فهاجت فمسح الطارف عين المطروف سبع مرات يقول في كل مرة : يا حدى جاءت من المدينة : بائنتين جاءتا من المدينة ، بثلاث جئن من المدينة إلى سبع سكن هيجانها .

ومنها كى السليم من الإبل ليبراً الجرب منها - كانوا يزعمون أن الإبل إذا أصابها

(١) في الأصل بالهواوى وهو تصحيف فاحذره .

يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ سَتْمِي وَمَنْعَصَتِي \* أَضْرِبْكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي  
ومنها تأخير البكاء على المقتول للأخذ بثأره - كان النساء لا يبيكين المقتول منهم  
حتى يؤخذ بثأره، فإذا أخذ به بكينه حينئذ، قال الشاعر :

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ \* فَلَيَاتِ نِسَوْتًا بَوَجْهِ نَهَارٍ  
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَ \* يَلْطُمْنَ حُرَّ الْوَجْهِ بِالْأَشْعَارِ

ومنها تصفيق الضال - كان الرجل منهم إذا ضلَّ في الفلاة، قلب ثيابه وحسب  
ناقته وصاح في أذنها كأنه يؤمى إلى إنسان وصفق بيديه قائلاً : الْوَحَا الْوَحَا النَّجَاءُ  
النَّجَاءُ هَيْكَل : السَّاعَةِ السَّاعَةِ، إلى إلى عَجَل، ثم يحرك ناقته فيزعمون أنها تهتدى،  
إلى الطريق حينئذ . قال الشاعر :

وَأَذَنَ بِالتَّصْفِيقِ مَنْ سَاءَ ظَنُّهُ \* فَلَمْ يَدْرِ مِنْ أَىِّ الْيَدَيْنِ جَوَابُهَا  
يريد إذا ساء ظنُّه بنفسه حين يضلُّ .

ومنها الغول - كانوا يزعمون أن الغول تترأى لأحدهم في الفلاة فيتبعها فتستهويه  
وربما أدعى أحدهم أنه قابلهما وقاتلهما قال تَابُطُ شَرًّا :

أَلَا مِنْ مُحِبٍّ فِتْيَانٌ فَهَمٌ \* بِمَا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطَانٍ  
بَأْنَى قَدْ لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوَى \* بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانٍ  
فَقُلْتُ لَهَا كَلَانَا نَضُو أَرْضَ \* أَخُو سَفَرٍ فَعَلَّى لِي مَكَانِي  
فَشَدَّتْ شِدَّةً تَحْوَى فَأَهْوَتْ \* لَهَا كَفَى بِمَصْقُولٍ يَمَانِي  
فَأَضْرَبُهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ \* صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجَرَانِ

ومنها ضَرْبُ الثَّوْرِ لِيَشْرَبَ الْبَقْرُ - كانوا يزعمون أن الحنَّ تركبُ الثَّيْرَانِ فتصُدُّ  
البقر عن الشرب، فيضربون الثَّوْرَ لِيَشْرَبَ الْبَقْرُ، قال الشاعر :

(١) في نسخة فهر . وفي ياقوت قويم . وقوله في البيت الثاني بسبب في الاصل بسيف وهو تصحيف .

الإسلام ذلك بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ .

ومنها واد البنات (وهو قتلهن) . كانوا يقتلونهن خشية العار؛ ومن فعل ذلك قيس ابن عاصم المنقرئ، وكان من وجوه قومه ومن ذوى المال، وكان سبب ذلك أن النعمان بن المنذر أغزاهم جيشا فسبوا ذراريهم فأتاب القوم وسألوه فيهم فقال النعمان : كل امرأة آخترت أباه ردت إليه ، وكل من آخترت صاحبها تركت معه ، فكلهن آخترن آباهن إلا أبنه لقيس بن عاصم فإنها آخترت صاحبها عمرو بن الجموح ، فنذر قيس أنه لا يولد له أبنه إلا قتلها فكان يقتلن بعد ذلك . وورد القرآن بإعظام ذلك بقوله ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ .

ومنها قتل الأولاد خشية الإملاق والفاقة ، فكان الرجل منهم يقتل ولده مخافة أن يطعم معه إلى أن نهى الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾ .

ومنها حبس البلياء ؛ كانوا إذا مات الرجل يشدون ناقته إلى قبره ويقيمون رأسها إلى ورائها ويغطون رأسها بولية وهي البرذعة فإذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى ،<sup>(١)</sup> ويزعمون أنهم إذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركبها قال أبو زيد :<sup>(٢)</sup>

كالبلياء رؤوسها في الولايا \* مانحات السموم حرا لحدود

ومنها الهامة - كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قُتل ولم يطالب بثأره ، خرج من رأسه طائر يسمى الهامة ، وصاح : أسقوني أسقوني حتى يطالب بثأره ؛ قال ذو الأصبغ :

(١) في الأصل بزية وكذلك جمعها في البيت زلايا وهو تصحيف فاحذره

(٢) في الأصل أبو زيد وهو تصحيف .

وأما الحام ، فكان الفحل إذا صار من أولاده عشرة أبطن ، قالوا حتى ظهره ،  
فُتْرِكَ ، ولا يُحْمَلُ عليه شئ ، ولا يُرْكَب ، ولا يُنْعَمُ ماءً ، ولا مَرَعَى ، وقد أخبر الله  
تعالى ببطان ذلك بقوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ .

ومنها إغلاق الظهر : كان الرجل منهم إذا بلغت إبله مائة عمداً إلى البعير الذى  
كَلَّتْ به مائة فأغلق ظهره بأن يزرع شيئاً من فقراته ويعقر سنامه كي لا يُرْكَبَ ليعلم  
أن إبل صاحبه قد أَمَاتَتْ .

ومنها التَّفَقُّة ، والتَّعْمِيَّة . كان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقاً عين الفحل : وهى  
التفquette ، فإن زادت على ذلك فقاً العين الأخرى وهى التعمية ، ويزعمون أن ذلك  
يدفع العين عن الإبل قال الشاعر :

وَهَبْتَهَا وَأَنْتَ دُوْا مَتْنَانِ \* تُفَقُّ فِيهَا أَعْيُنُ الْبُعْرَانِ

ومنها نكاح المَقْت : وهو نكاح زوجة الأب - وكان من شأنهم فيه أن الرجل إذا  
مات قام أكبر ولده ، فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها ، فإن لم يكن له فيها  
حاجة يُزَوِّجُهَا بعض إخوته بمهر جديد ، فكانوا يتوارثون النكاح كما يرثون المال ،  
فأنزل الله تعالى ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ ، وحرّم زوجة الأب بقوله  
﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ  
سَبِيلًا ﴾ ومن ثم سُمِيَ نكاح المَقْت .

ومنها رَمَى البعرة : كانت المرأة فى الجاهلية إذا مات زوجها ، دخلت حِفْشًا  
(يعنى حُصًّا) ولبست شَرَّ ثِيَابِهَا ولم تَمَسَّ طيباً حتى تَمِضَى عليها سنة ، ثم يُؤْتَى بدابة :  
حماراً أو شاةً أو طيراً ، فَتَقْتَضُّ به أى تَمَسُّحُ به فقلما تَقْتَضُّ بشئ إلا مات ، ثم تخرج  
بعد ذلك فتعطى بعرةً فترمى بها ، ثم تُرَاجَع ما شاءت من طيب أو غيره فَنَسَخَ



إِنَّ الْقِدَاحَ أَمْرُهَا عَجِيبٌ \* الْفَدُّ وَالْتَوَمُّ وَالرَّقِيبُ  
وَالْحِلْسُ ثُمَّ النَّافِسُ الْمُصِيبُ \* وَالْمُصَفَّحُ الْمَشْتَهَرُ النَّجِيبُ  
ثُمَّ الْمَعْلَى حَفْظُهُ الرَّغِيبُ \* هَاكَ فَقَدْ جَاءَ بِهَا التَّرْتِيبُ

ومنها الأزلام : وهي ضرب من الطَّيْرَةِ ، كانوا إذا أرادوا فعل أمر ولا يدرون ما الأمر فيه ، أخذوا قِدَاحًا مكتوبًا على بعضها افعل ، لاتفعل ، وعلى بعضها نعم ، وعلى بعضها لا ، وعلى بعضها خُدْ ، وعلى بعضها سِرْ ، وعلى بعضها سريع ، فإذا أراد أحدهم سفرًا مثلاً أتى سادنَ الأوثان ؛ فيضرب له بتلك القِدَاح ويقول : اللهم أيُّها كان خيرا له فأخرجْه فما خرج له عمل به ، وإذا شكوا في نسب رجل أجالوا القِدَاح وفي بعضها مكتوبٌ صريح ، وفي بعضها مكتوبٌ مُلْحَق ؛ فإن خرج الصريح أثبتوا نسبه ، وإن خرج المُلْحَق نفوه . وإن كان بين اثنين اختلاف في حق شئى كل منهما له سهمًا وأجالوا القِدَاح فمن خرج سهمه فالحق له وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ .

ومنها البَحِيرَةُ ، والسَّائِبَةُ ، وَالْوَصِيلَةُ ، وَالْحَامُ .

فأما البَحِيرَةُ ، فكانت الناقة إذا أُتِجَتْ خمسة أبطن عمدوا إلى الخامس منها مالم يكن ذكرا فشقوا أذنها وتركوها ، فلا يُجْزئُ لها وبر ، ولا يُجَمَلُ عليها شئ ولا يُدَكَّرُ عليها إن ذُكِّتَ اسمُ الله تعالى ، وتكون ألبانها للرجال دون النساء .

وأما السَّائِبَةُ فكان الرجل يُسَيِّبُ الشئ من ماله : بهيمةً أو عبداً ، فيكون حراما أبداً وتكون منافع ذلك للرجال دون النساء .

وأما الوَصِيلَةُ فكانت الشاة إذا ولدت سبعةً أبطن عمدوا إلى السابع فإن كان ذكرا ذُبِحَ ، وإن كان أنثى تُرِكَت في الغنم ، وإن كان ذكرا وأثنى قيل وصلت أخاها فحُرِّمَ ما جميعا ، وكانت منافعهما ولبن الأنثى منهما للرجال دون النساء .

وفيه سبعة حروز ، وله سبعة أنصباء ، وهو أوفرها حظاً ، ولذلك يُضرب به المثل في الحظ فيقال قَدَحُهُ الْمُعَلَّى .

وأما الأربعة التي تُثَقَّلُ بها القداح فهي السَّفِيحُ ، والمَنِيحُ ، والمُضَعَّفُ ، والوَعْدُ ، وكان طريقهم في ذلك أن القوم يجتمعون فيشترون جزوراً فينحرونها ويُفَصِّلُونَهَا على عشرة أجزاء ، وَيُسْتَمُونَ فيها على سبعة أنصباء لا أكثر ، وتسمى الأنصباء فيها الأيسار ، فإن كانوا أَقَلَّ من سبعة وأراد أحدهم قَدَحِينَ أو أكثر ، أخذ وكان له فوزها ، وعليه غرمها ، فإذا جَزَّوْا الجزور على ذلك ، أتوا برجل يسمونه الحُرْصَةَ <sup>(١)</sup> من شأنه أنه لم يأكل لحماً قطُّ بئس ، ويؤتى بالقداح فتشدد مجموعة في قطعة جلد تسمى الرَّابَةَ ، ثم يُلْفُ الحُرْصَةُ على يده اليمنى ثوباً لثلاً يجد مس قَدَحٍ ، له مع صاحبه هوى فيحابه في إخراجها ، ثم يؤتى بثوب أبيض يسمى المَجُولَ ، فيسَطُّ بين يدي الحُرْصَةِ ، ويقوم على رأسه رجل يسمى الرَّقِيبَ ، ويدفع رِبابَةَ القَدَاحِ إلى الحُرْصَةِ ، وهو محوّل الوجه عنها ، فيأخذ الرَّابَةَ التي تُجْمَعُ فيها القَدَاحُ ، ويدخل يده تحت الثوب فينكر القداح فإذا نهد فيها قَدَحٍ يناوله دُفْعَةً إلى الرقيب ، فإن كان مما لاحظ له ، ردّ إلى الرَّابَةِ فإن خرج بعده المُسْبِلُ مثلاً أخذ الثلاثة الباقية وغرم الذين خابوا ثلاثة أنصباء من جزور آخر ، وعلى ذلك أبداً يفعل بمن فاز ومن خاب ، فربما نحروا عدّة جُرُرَ ، ولا يغرم الذين فازوا من منها شيئاً ، وإنما الغرم على الذين خابوا ، وكان عندهم أنه لا يحل للمخائبين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئاً ، فإن فاز قَدَحُ الرجل فأرادوا أن يُعِيدُوا قدحه ثانية على خطأ فعلوا ذلك به ، وقد نظم الصاحب إسماعيل بن عباد أسماء القداح التي لها النصيب فوزاً وغرمًا في أبيات فقال :

(١) الحُرْصَةُ بالضم والراء المهملة والضاد المعجمة أمين المقامر . ووقع في الاصل الحوصة بالواو والصاد المهملة وهو تصحيف من النساخ فاحذره .

ثُعْبَانٌ عَظِيمٌ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ سَارَ فَإِذَا غَرَابٌ وَقَعَ عَلَى سِدْرَةٍ فَصَاحَ بِهِ فَوْقَ عَلَى سَلَامَةٍ ،  
فَصَاحَ بِهِ فَوْقَ عَلَى صَخْرَةٍ فَانْتَهَى إِلَيْهَا ، فَأَنَارَ مِنْ تَحْتِهَا كَنْزًا ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَبِيهِ قَالَ  
لَهُ مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ سِرْتُ صَدْرَ يَوْمِي فَأَنْخَبْتُ لِأَشْرَبَ فَنَعَبَ الْغَرَابُ - فَقَالَ :  
أَتُرَاهُ حَتَّى وَإِلَّا فَلَسْتَ بِأَبْنِي - قَالَ فَعَلْتُ - قَالَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ سِرْتُ حَتَّى وَقْتُ  
الظُّهْرِ فَأَنْخَبْتُ لِأَشْرَبَ فَنَعَبَ الْغَرَابُ ، وَتَمَتَّعَ فِي التَّرَابِ - فَقَالَ أَضْرِبَ السَّقَاءَ وَإِلَّا  
فَلَسْتَ بِأَبْنِي . قَالَ فَعَلْتُ ، فَوْقَ عَلَى صَخْرَةٍ قَالَ أَتُرَاهُ تَحْتَهَا وَالَا فَلَسْتَ بِأَبْنِي . قَالَ  
فَعَلْتُ ، فَوَجَدْتُ كَنْزًا .

وقد وردت السنة بإبطال حكم الزجر والطيرة بقوله صلى الله عليه وسلم ”أَقْرِوْا  
الطَّيْرَ فِي وَكُنَاتِهَا“ وقوله صلى الله عليه وسلم ”لَا عَدَوَى وَلَا طِيرَةَ“ وَأَسْتَحْسِنُ صَلَّى  
الله عليه وسلم ، الْفَأَلُ فَقَالَ ”وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ“ أَسْمِعْهَا . وقد فرق  
العلماء بين الفأل والطيرة بأن الطيرة تُقْصَدُ وَالْفَأَلُ يَأْتِي مِنْ غَيْرِ قِصْدٍ .

ومنها الْمَيْسَرُ : وهو ضرب من القمار كانوا يقتصمون به لَحْمَ الْجُرُزِ التي يذبحونها  
بحسب قِدَاحٍ يَضْرِبُونَهَا ، لِكُلِّ قِدْحٍ مِنْهَا نَصِيبٌ مَعْلُومٌ : وهى أحد عشر قِدْحًا :  
سبعة منها لها حظ إن فازت وعليها غرم إن خابت بقدر ما لها من الحظ عند الفوز ،  
وأربعة منها تُثَقَّلُ بها القِدَاحُ لِاحْظَ لها إن فازت ، ولا غرم عليها إن خابت .  
فأما السبعة التي لها الحظ إن فازت وعليها الغرم إن خابت . فأولها الْقَدُّ : وهو  
قِدْحٌ فِي صَدْرِهِ حَرْزٌ وَاحِدٌ ، وَلَهُ نَصِيبٌ وَاحِدٌ فِي الْأَخْذِ وَالْغُرْمِ . والثاني التَّوَمَ ،  
وفى صدره حَرَّانٌ ، وَلَهُ نَصِيبَانِ فِي الْأَخْذِ وَالْغُرْمِ . والثالث الضَّرِيبُ ( ويسمى  
الْرِيب ) وفيه ثلاثة حُرُوزٍ ، وَلَهُ ثَلَاثَةُ أَنْصِبَاءٍ . والرابع الحُلُسُ وفيه أربعة حُرُوزٍ وَلَهُ  
أربعة أنصباء . والخامس النَّافِسُ وفيه خمسة حُرُوزٍ ، وَلَهُ خَمْسَةُ أَنْصِبَاءٍ . والسادس  
الْمُسَيْلُ ، ويسمى الْمُصْفَحَ أيضًا ، وفيه ستة حُرُوزٍ وَلَهُ سِتَّةُ أَنْصِبَاءٍ . والسابع الْمُعْلَى ،

مُهر - فقال له أنظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول أنهضى حتى دنا من هند فقال لها : أنهضى غير رشحاء ولا زانية ولتلدن ليكا أسمه معاوية ؛ فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها ، فجذبت يدها من يده ، وقالت إليك عني ! فوالله لأحرص على أن يكون من غيرك ، فترجها أبو سفيان ابن حرب فولدت له معاوية ، فكان من أمره ما كان إلى أن آتته به الحال إلى الخلافة . وقد أخبر جماعة من الكهنة بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم قرب ظهوره منهم سطيح الكاهن وغيره .

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، حُرست السماء ومُنعت الشياطين من استراق السمع كما أخبر تعالى بقوله ﴿ وَأَنَا كَأَنَّ تَقَعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ .

ومنها الزجر والطيرة : وهما في معنى واحد ؛ وأصله أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير ؛ فإن طار يمينا كان له حكم ، وإن طار شمالا كان له حكم ، وإن طار أماما كان له حكم ، وإن طار من فوق رأسه كان له حكم ؛ ومن ثم سميت الطيرة أخذًا من اسم الطير ؛ وأكثر ما عولوا عليه من ذلك الغراب ، ثم تعدوه إلى غير الطير من الحيوان ، ثم جاوزوا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك ؛ وربما انتهى بعض الزجر إلى حد الكهانة .

ومما يحكى من زجر الطير أن رجلا من لُهيب : وهم بطن من العرب يعرفون بالعيافة ، خرج في حاجة له ، ومعه سقاء من لبن فسار صَدْرَ يومه فعطش فأناخ ليشرب فإذا غراب فنعب فأثار راحلته ، ثم سار حتى كان وقت الظهيرة أناخ ليشرب ، فنعب الغراب وتمرغ في التراب ، فضرب الرجل السقاء بسيفه فإذا فيه

(١) الرشحاء بالمهملات من النساء القبيحة ووقع في الأصل باعجام الشين وهو تصحيف فاحذره .



## النوع الرابع عشر

( في أوأبد العرب )

وهي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية ، بعضها يجري مجرى الديانات ، وبعضها يجري مجرى الأصطلاحات والعادات ، وبعضها يجري مجرى الخرافات ، وجاء الإسلام بإبطالها : وهي عدة أمور .

منها الكهانة ، وكان موضوعها عندهم الإخبار عن أمور غيبية بواسطة استراق الشياطين السمح من السماء ، وإلقاء ما يستمعونه من الغيبيات إليهم . وقد كان في العرب قبل البعثة عدة كهنة تعتمد العرب كلامهم ، ويرجعون إلى حكمهم فيما يحثرون به . ومن عجيب أخبارهم في ذلك أن هند ابنة عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه ابن المغيرة المخزومي ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فغلا البيت يوما فأضطجع الفاكه هو وهند فيه ، ثم نهض الفاكه لبعض حاجته ، وأقبل رجل ممن كان يغشئ البيت فوجله فلما رأها وثى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إلى هند فركضها برجله وهي نائمة فانتبهت - فقال من ذا الذي خرج من عندك - فقالت لم أر أحدا وأنت الذي أنبهتني - فقال لها اذهبي إلى بيت أبيك فأقيمي عنده ! وتكلم الناس فيها - فقال له أبوها إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، فحاكني إلى بعض كهان اليمن ، فخرجنا في جماعة من قومهما إلى كاهن من كهان اليمن ومعهما هند ونسوة أخر ، فلما شارفوا بلاد الكاهن ، قالت هند لأبيها إنكم تأتون بشرا يصيب ويخطئ ولا آمنه أن ينمني ميسما يكون على سبة - فقال أبوها سأختبره لك فصفر لغرسه حتى أدلى ، فأدخل في إحليله حبة حنطة وشده عليها بسير ، فلما دخلوا على الكاهن ، قال له عتية : إنا قد جئناك في أمر وقد خبأت لك خبا أختبرك به فانظر ماهو فقال ثمة في كمة - فقال أريد أيرف من هذا - فقال حبة بر ، في إحليل

كان قد أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى مكة في حاجة ، ولم يحضر البيعة ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيده الشمال على اليمين وقال ”هذه عن عثمان وشمالى خير من يمينه“ .

ومنها قوله من تقليد لبعض الملوك من ديوان الخلافة : ”وإذا استعنت بأحد على عملك فأضرب عليه بالأرصاد ، ولا ترص بما عرفته من مبدأ حاله ، فإن الأحوال تنتقل بنقل الأجساد ؛ وإياك أن تُخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد .

يشير بذلك إلى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استدعى أبا موسى الأشعرى ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثى ، فذهب الربيع بن زياد إلى بعض موالى عمر وسأله عما يروج عنده وينفق عليه ، فأشار إلى خشونة العيش فمضى ، وليس جبة صوف ، وعمامة رداء ، وخفا مطبقاً ؛ وحضر بين يديه في جملة العمال ، فصوب عمر نظره وصعده فلم يقع إلا عليه ، فأدناه وسأله عن حاله ، ثم أوصى أبا موسى الأشعرى به .

ومنها قوله في معارضة كتاب القاضى الفاضل إلى ديوان الخلافة يُعَدِّد فيه مساعى الملك الناصر ”صالح الدين يوسف بن أيوب“ وما قاساه في الفتوح من الأهوال وهو : ومن جملتها ما فعل الخادم في الدولة المصرية . وقد قام بها منبر وسرير ، وقالت منا أمير ومنكم أمير ، فردَّ الدعوة العباسية إلى معادها ، وأذكر المنابر ما نسبته بها من زهو أعوادها . يشير بذلك إلى ما تقدم من اجتماع الأنصار في اليوم الذى مات فيه النبی صلى الله عليه وسلم ، في سقيفة بنى ساعدة إلى سعد بن عبادة ، وكيف ذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وقال الحباب بن المنذر : منّا أمير ومنكم أمير ؛ فقال أبو بكر رضى الله عنه : لا ، ولكم الأمر وأتم الوزراء . إلى غير ذلك مما يجرى هذا الجرى وينتظم في هذا السلك :

فأشار أبو تمام في يتيه إلى هذه المنقبة : يقول يابني شَيْبَانَ في يوم ذى قار أبدتم  
جيوش كسرى الذى آسرهَن قوس حاجب .

وكما قال أبو نصر "الفتح بن خاقان" في خطبة كتابه "فلائد العقيان" : لو جاوره  
كُتِبَ ما طرق حمّاه ، أو استجار به أحد من الدهر حمّاه ؛ أو كان بوادى الأخرم ،  
لطف به ربيعةٌ وأحرم ؛ أو آسده نجده الكندى ما كساه الملاءه ، أو كان حاضراً  
بسّطام لما ختر على الألاءه .

وكما قلت في المفاخرة بين السيف والقلم عند التعرض لذكر المقرّ الزينى أبى يزيد  
الدوادار الذى من أجله وضعت "فلولقيّه فارسٌ عبّس لوثى عابسا ، أو طرق حمى"  
كُتِبَ لبات من حمّاه آيسا ؛ أو قارعه ربيعة بن مكدّم لعلا بالسيف مفرقه ؛  
أو نازله بسّطام لبّد جمعه وفرقه .

إلى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى وينتظم في هذا السلك .

قال في "حسن التوسل" : وإذا لم يكن صاحب هذا الفن عارفا بكل يوم من  
هذه الأيام ، عالماً بما جرى فيها ، لم يدر كيف يُجيب عما يرد عليه من مثلها ، ولا  
ما يقول إذا سئل عنها . قال : وحسبه ذلك نقصاً في صناعته ، وقصوراً عما يتعين  
عليه من معرفته وحسن الجواب عنه عند السؤال عنه .<sup>(١)</sup>

وأما الوقائع التى وردت في حوادث خاصة بأقوام فقد قال الوزير "ضياء الدين بن  
الأثير" رحمه الله في "المثل السائر" : إنها كالأمثال في الاستشهاد بها وذكر لها أمثلة .  
منها قوله من كتاب : ولا يُعدّ البرّ برّاً حتّى يلحق الغيب بالحضور ، ويصل من لم  
يصله بجزء ولا شكور ؛ فزنة الغائب بالشاهد من كرم الإحسان ، ولهذا نابت شمال  
رسول الله عن يمين عثمان . يشير إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ، في بيعة الحديبية<sup>(٢)</sup>

(١) لعل من زائدة من قلم الناسخ (٢) في بعض النسخ العقبة .

الأمة، فلما بايعناك خرجت تابعا لهذه الأعراب بنى كلب، فأجابهم إلى إظهار بيعة  
أبن الزبير، وسار حتى نزل مرج راهط، وأقبل حسان حتى لقي مروان، فسار مع  
مروان حتى لقوا الضحاك، وهم نحو من سبعة آلاف، والضحاك في نحو ثلاثين ألفا  
وأقتتلوا، فقتل الضحاك وقتل معه أشراف من قریش :

### المقصد الثالث

( في كيفية استعمال الكاتب ذكر هذه الوقائع في كلامه )

لا يخفى أن الكاتب المترشح للكتابة إذا كان من المعرفة بأيام الحرب، والعلم بتفاصيل  
أخبارها، ومن يعد من فُرسان حروبها، ومصاقع خطبائها، ومُقلقي شعرائها، وما  
جرى بينهم في ذلك من الخطب والأشعار والمناقضات، كان مستعدا لما يستشهد  
به من واقعة قديمة، أو يريد عليه في مكتبة : أو شعر : من ذكر أيام مشهورة،  
أو ذكر فارس معين، كما قال أبو تمام الطائي يمدح بنى شيان :

إذا أَفْتَحَ خَرْتَ يوماً تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا \* وَزَادَتْ عَلَى مَا وَطَدَتْ مِنْ مَنَابِ  
فَأَنْتُمْ بِيَدِي قَارِ أَمَلْتُمْ سَيُوفُكُمْ \* عُرُوشَ الَّذِينَ اسْتَرْهَنُوا قَوْسَ حَاجِبِ  
يشير إلى أن حاجب بن زُرارة التميمي وفد على كسرى في سنة جذب فقال  
الحاجب مَنْ أَنْتَ؟ قال رجل من العرب، فلما دخل على كسرى قال له مَنْ أَنْتَ؟  
قال سيد العرب، قال ألم تقبل بالباب إنك رجل من العرب، قال كنت بالباب  
رجلا منهم فلما حضرت بين يدي الملك سُدُّهُمْ، ففلا فمه دُرّاً، وشكا إليه محل  
الحجاز، وطلب منه حمل ألف بعير بُرّاً على أن يعيد قيمتها، فقال وما ترهني على  
ذلك - قال قَوْسِي، فاستعظم همته وقال قبلت، وأعطاه حمل ألف بعير بُرّاً، ومات  
حاجب فأحضر بنوه المال بعد موته وطلبوا منه قوس أبيهم فأفتخرت تميم بذلك .

(١) لعله إذا كان على جانب من المعرفة بأيام الخ كما هو ظاهر .



وقعة ؛ وكانت عدّة القتلى بينهم فيما يقال من أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً ، ومن أهل العراق ستة وعشرين ألفاً ، منهم ستة وعشرون من أهل بدر ، وكان عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مع عليّ رضي الله عنه ، وقاتل حتى قُتِلَ ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : "يَقْتُلُ عَمَّارَا الْفِتْنَةِ الْبَاغِيَّةُ" ومضت عليهما مدة ، وعلى رضي الله عنه على العراق ، ومعاوية على الشام ومصر إلى أن قتل عليّ رضي الله عنه .

ولا حاجة بنا إلى الخوض في أكثر من ذلك ، فإن ذلك محمول على اجتهادهم ، والإمساك عما شجر بينهم واجب .

ومنها وقعة مَرَجٍ رَاهِطٍ ؛ وكان من حديثها أنه لما هلك يزيد بن معاوية ، كان سعيد بن بحدل على قنسرين ، فوثب عليه زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا وَبَايَعَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الزَّيْبِرِ ، فلما قعد زُفَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ ، قال : الحمد لله الذي أقعدني مَقْعَدَ الْغَادِرِ الْفَاحِرِ ، وَحَصِرَ ، فَضَحِكَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ ؛ وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ بِحْدَلٍ عَلَى فِلَسْطِينَ ، وَالْأُرْدُنَّ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى فِلَسْطِينَ رَوْحَ بْنَ زَنْبَاعِ الْجُدَامِيِّ ، وَنَزَلَ هُوَ الْأُرْدُنَّ ، فَوَثَبَ نَائِلُ بْنُ قَيْسِ الْجُدَامِيِّ عَلَى رَوْحَ بْنَ زَنْبَاعِ فَأَخْرَجَهُ مِنْ فِلَسْطِينَ وَبَايَعَ ابْنَ الزَّيْبِرِ ؛ وَكَانَ النِّعْمَانُ ابْنُ بَشِيرٍ عَلَى حِمصِ فَبَايَعَ لِابْنِ الزَّيْبِرِ ، وَكَانَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى دِمَشْقَ ، فَجَعَلَ يَقْدِمُ رَجُلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَقَالَ الضَّحَّاكُ هَلْ لَكَ أَنْ تَقْدِمَ عَلَى ابْنِ الزَّيْبِرِ بَيْعَةَ أَهْلِ الشَّامِ ، قَالَ نَعَمْ وَوَافَقَ عَلَى ذَلِكَ بَنُو أُمِيَّةَ ، وَالْيَمَانِيُّونَ ؛ فَلَمَّا فَشَا ذَلِكَ أَرْسَلَ الضَّحَّاكُ إِلَى بَنِي أُمِيَّةَ تَصْدُرُ إِلَيْهِمْ ؛ وَقَالَ لِمَرْوَانَ وَعَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ : اكْتُبُوا إِلَى حَسَّانَ بْنِ بِحْدَلٍ فَيَسِيرُ مِنَ الْأُرْدُنِّ حَتَّى يَنْزِلَ الْجَابِيَةَ ، وَنَسِيرُ نَحْنُ مِنْ هُنَا حَتَّى نَلْقَاهُ فَنَنْظُرَ هُنَاكَ رَجُلًا تَرْضُونَهُ ؛ فَلَمَّا اسْتَقْلَتْ رَايَاتُ الضَّحَّاكِ مِنْ دِمَشْقَ ، قَالَتِ الْقَيْسِيَّةُ لَا نَصْحَبُكَ دَعَوْتَنَا إِلَى بَيْعَةِ ابْنِ الزَّيْبِرِ ، وَهُوَ رَجُلٌ هَذِهِ

وكان من حديثه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، فحبسه فهلك في الحبس ؛ وكان النعمان قد أودع حلقته (وهي السلاح والدروع) عند هاني بن مسعود البكري ، فأرسل أبرويز يطلبها من هاني ، فقال هذه أمانة ، والحر لا يسلم أمانته ؛ وكان أبرويز لما أمسك النعمان جعل مكانه في ملك الحيرة إياس بن قبيصة الطائي ، فاستشار أبرويز إياسا ، فقال إياس : المصلحة التغافل عن هاني بن مسعود حتى يطمئن ويتبعه فندركه - فقال أبرويز : إنه من أخوالك لا تألوه نصحا - فقال إياس : رأى الملك أفضل ؛ فبعث أبرويز الهزبران<sup>(١)</sup> في ألفين من الأعاجم ، وبعث ألفا من بهراء ، فلما بلغ بكر بن وائل خبرهم أتوا مكانا من بطن ذي قار ، فزلوه ووصلت إليهم الأعاجم ، وأقتتلوا ساعة فانهمزمت الأعاجم هزيمة قبيحة ؛ فبرئ أن النبي صلى الله عليه وسلم ، خبر بذلك أصحابه ، فقال "اليوم أول يوم أنتصف فيه العرب من العجم وبى نصروا" .

ولأبي عبيدة مصنف مفرد في أيام العرب ، وقد أورد منها ابن عبد ربه في كتاب "العقد" جملة مستكررة ، وفي آخر كتاب الأمثال للبدائي نبذة محررة من ذلك ، وليس بنا حاجة إلى استيعابها هنا .

وأما الحروب الواقعة في صدر الإسلام . فمنها وقعة الجمل ، وكانت بين عليّ كرم الله وجهه ، ومعه أهل الكوفة ، وبين عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وكانت راكبة يومئذ على جمل اسمه عسكروبه عرفت الوقعة ، وقُتل بين الفريقين خلق كثير ، وكانت النصرة فيه لعليّ ومن معه .

ومنها وقعة صفين ، وكانت بين عليّ كرم الله وجهه ومعه أهل العراق ، وبين معاوية بن أبي سفيان ، ومعه أهل الشام ، وكان ابتداءها في سنة ست وثلاثين ، وكان مدة مقامهم بصفين مائة وعشرة أيام أوقعوا فيها وقعات كثيرة ؛ قيل تسعين

(١) في العقد الفريد ومعجم البلدان الهامز ، وفسره بالمرزبان .

الأخوين : شَرَّاحِيلُ وَسَلَمَةُ ابْنَى الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو الْكَنْدِيِّ ؛ وَشَرَّاحِيلُ هُوَ الْأكْبَرُ  
 وَكَانَ مَعَهُ بَكَرٌ وَائِلٌ وَغَيْرُهُمْ ، وَسَلَمَةُ الْأَصْغَرُ ؛ وَكَانَ مَعَهُ تَغْلِبُ وَائِلٌ وَغَيْرُهُمْ ، وَأَشْتَدَّ  
 الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَاتَّصَرَ سَلَمَةُ وَتَغْلِبُ عَلَى شَرَّاحِيلَ وَبَكَرٍ ، وَأَنْهَزَهُمُ شَرَّاحِيلُ وَتَبَعْتَهُ  
 خَيْلُ أَخِيهِ فَقَتَلُوهُ . وَيَوْمَ الْكَلَابِ الثَّانِي ، وَكَانَ بَيْنَ بَكَرٍ وَوَائِلٍ . وَيَوْمَ أُوَارَةَ ،  
 (وَأُوَارَةُ أَسْمُ جَبَلٍ) وَكَانَتِ الْحَرْبُ فِيهِ بَيْنَ الْمُنْذَرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ مَلِكِ الْحِيرَةِ ،  
 وَبَيْنَ مُنْذَرٍ وَائِلٍ بِسَبَبِ الْحِيرَةِ ، وَظَفَرَ فِيهِ الْمُنْذَرُ ، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَذْبَحُهُمْ حَتَّى  
 يَسِيلَ دَمُهُمْ مِنْ رَأْسِ أُوَارَةَ إِلَى حَضِيضِهِ ، وَبَقِيَ يَذْبَحُهُمْ وَالدَّمُ يُجَدُّ فَسَكَبَ عَلَيْهِ مَاءٌ  
 حَتَّى سَالَ الدَّمُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ إِلَى حَضِيضِهِ ، وَبَرَّتْ يَمِينُهُ . وَيَوْمَ رَحْرَحَانَ ،  
 (وَرَحْرَحَانُ أَسْمُ وَادٍ بِالْحِجَازِ) وَكَانَتِ الْحَرْبُ فِيهِ بَيْنَ الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ،  
 وَبَنِي دَارِمٍ ، وَبَنِي مَأْوِيَةَ ، وَبَنِي مَعْبَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَبَنِي تَيْمٍ ؛ وَأَنْهَزْتُمْ فِيهِ بَنُو تَيْمٍ  
 وَمِنْ مَعَهُمْ ، وَأَسْرَمَعْبَدَ بْنَ زُرَّارَةَ ؛ وَقَصَدَ أَخُوهُ لَقِيظُ بْنُ زُرَّارَةَ أَنْ يَسْتَفِكَهُ فَلَمْ  
 يَقْدِرْ ، وَعَذَّبُوا مَعْبَدًا حَتَّى مَاتَ . وَيَوْمَ شِعْبِ جَبَلَةَ ، وَشِعْبُ جَبَلَةَ هَضْبَةٌ خَزَاءُ  
 بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالشَّرَفِ . وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنَّهُ لَمَّا آتَفَقَتِ وَقْعَةُ رَحْرَحَانَ الْمُتَقَدِّمَةِ ،  
 وَمَضَى لَهَا سَنَةٌ ، وَذَاكَ فِي الْعَامِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْتَجَدَّ  
 لَقِيظُ بْنُ زُرَّارَةَ التَّيْمِيَّ بْنَ دُبْيَانَ لثَارِ أَخِيهِ فَأَنْجَدْتَهُ ، وَتَجَمَّعَتْ بَنُو تَيْمٍ غَيْرُ بَنِي سَعْدٍ ،  
 وَخَرَجَتْ مَعَهُ بَنُو أَسَدٍ ، وَسَارَ بِهِمْ لَقِيظُ إِلَى بَنِي عَامِرٍ وَبَنِي عَبَّسٍ فِي طَلَبِ ثَارِ أَخِيهِ  
 مَعْبَدٍ ، فَأَدْخَلَتْ بَنُو عَامِرٍ وَبَنُو عَبَّسٍ أَمْوَالَهُمْ فِي شِعْبِ جَبَلَةَ ، فَخَضَرَهُمْ لَقِيظُ  
 فَخَرَجُوا عَلَيْهِ مِنَ الشَّعْبِ وَكَسَرُوا جَمَاعَ لَقِيظٍ وَقَتَلُوا لَقِيظًا ؛ وَأَسْرُوا أَخَاهُ حَاجِبَ بْنَ  
 زُرَّارَةَ ، وَاتَّصَرَتْ بَنُو عَامِرٍ وَبَنُو عَبَّسٍ نَصْرًا عَظِيمًا ؛ وَقُتِلَ أَيْضًا مِنْ بَنِي دُبْيَانَ  
 وَبَنِي تَيْمٍ وَمِنْ بَنِي أَسَدٍ جَمَاعَةٌ مُسْتَكْثَرَةٌ ؛ وَكَانَ هَذَا الْيَوْمُ مِنْ أَعْظَمِ أَيَّامِهِمْ . وَيَوْمَ  
 ذِي قَارٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ الْوَقَائِعِ الْمَشْهُورَةِ فِي الْجَاهِلِيَةِ عَهْدًا ، وَكَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ مِنْ  
 مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَقِيلَ عَامَ بَدْرٍ ؛

جموع العرب وهزمهم وعظم شأنه ، وبقى زمانا من الدهر ؛ ثم داخله زهو شديد ، وبغى على قومه فصار يحجى عليهم مواقع السحاب ، ولا يرعى حماه ، ويقول : وحش أرض كذا فى جوارى ، فلا يُصاد ؛ ولا ترد إبل مع إبله ؛ ولا تُوقد نار مع ناره ؛ وبقى كذلك حتى قتله جَسَّاس بن مُرَّة الوائلى أيضا ؛ ولما قُتل كُليب توالى الحروب بسبب قتله بين بنى تغلب ، وبين بكر أبى وائل ؛ وكان قائد بنى تغلب مهلهل أخو كليب ، وقائد بنى بكر مُرَّة أبو جَسَّاس المقدم ذكره ؛ فكان بينهم يوم عُنيزة ، وتكافأ فيه الفريقان ، ثم كان بينهم يوم واردة ، وانتصر فيه بنو تغلب على بكر ؛ ثم كان بينهم يوم الحنو ، وانتصرت فيه بكر على تغلب ، ثم كان بينهم يوم العصيات ، وانتصرت فيه تغلب على بكر ، وأصيب بنو بكر حتى ظنوا أنهم قد بادوا ؛ ثم كان بينهم يوم قِصَّة ، وهو يوم التحاللى كثر فيه القتل بين الفريقين ، فى أيام أُحرلم يشتد فيها القتال .

ومن أيام غيرهم المشهورة يوم عين أباغ ، وعين أباغ موضع يقال له ذات الحيار ؛ وكان الحرب فيه بين غسان ولخم ، وكان قائد غسان الحارث الذى طلب أدراع أمرئ القيس ، وقيل غيره ، وكان قائد لخم المنذر بن ماء السماء بغير خلاف ؛ وفى هذا اليوم قُتل المنذر ، وأنهزمت لخم ، وتبعته غسان إلى الحيرة وأكثروا فيهم القتل . ويوم مرج حليمة ، وكان بين غسان ولخم أيضا ؛ وكان من أعظم الأيام وأشدّها حربا ، بلغت الجيوش فيه عددا كثيرا ، وعظم الغبار حتى قيل إن الشمس احتجبت وظهرت الكواكب التى فى غير جهة الغبار . ويوم السكديد ، وكان بين كنانة وسليم ، وانتصرت فيه سليم على كنانة ، وقتل فيه ربيعة بن مكرم فارس كنانة ؛ وبه يضرب المثل فى الشجاعة ؛ وكان يُعقر على قبره فى الجاهلية ، ولم يُعقر على قبر غيره . ويوم الكلاب الأول ؛ والكلاب موضع بين البصرة والكوفة ؛ وكان بين



## النوع الثالث عشر

( المعرفة بأيام الحروب الواقعة ؛ وفيه ثلاثة مقاصد )

## المقصد الأول

( في وجه احتياج الكاتب إلى ذلك )

قد ذكر في "حسن التوسل" : أن الكاتب يحتاج إلى معرفة أيام العرب ، وتسمية الأيام التي كانت بينهم ، ومعرفة يوم كل قبيلة على الأخرى ، وما جرى بينهم من الأشعار ، والمناقضات ؛ وذكر فارس مشهور ، أو ملك مذكور ، أو واقعة معينة لشخص خاص ؛ وما أدعاه كل منهم لنفسه أو ليومه : لما في ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه في مكتبة من ذكر يوم مشهور ، أو فارس معين ، ونحو ذلك مما مضى عليه أمر الجاهلية ، أو حدث في الإسلام ؛ فإن الكاتب إذا لم يكن حارفا بالوقائع ، عالما بما جرى منها ، لم يدر كيف يُجيب عما يرد عليه من مثلها ، ولا ما يقول إذا سئل عنها :

## المقصد الثاني

( في ذكر أيام من ذلك تُرشد إلى معرفة المقصد منه )

ومن أشهرها ذكرنا ، وأعظمها حربا . يوم خُراز ( خُراز اسم جبل بين البصرة ومكة كانت الواقعة عنده فعرفت به ) ؛ وكانت الحرب فيه بين بنى ربيعة الفرس ، وهو ربيعة نزار ، وبين قبائل اليمن ؛ وكانت الغلبة فيه لبني ربيعة ، فقتلوا من قبائل اليمن خلقا كثيرا ، وكان قائد ربيعة كليب بن ربيعة ملك بنى وائل ( وأسمه وائل وطلب لقب عليه ) وهو من ربيعة الفرس ؛ وكان تد ملك على بنى معد وقبائل

والفارس الخيل يحيل إذا \* ثار غبار الكعبة الشائر  
 سدت بني الأحوص لم تعدهم \* وعامر ساد بني عامر  
 إن الذي فيه تماريتما \* بين السامع والناظر  
 حكتموه ففضى بينكم \* أبلغ مثل القمر الزاهر  
 لا يأخذ الرشوة في حكمه \* ولا يبالي غبن الخاسر  
 فأعجب الدهر متى سويًا؟ \* كم ضاحك من ذا ومن ساجر؟  
 فاقن حياء أنت ضيعته \* مالك بعد الشيب من عاذر  
 ولست بالأكثر منهم حصي \* وإنما العزة للكائر  
 أقول لما جاءني فخره \* سبحان من علقمة الفاجر!  
 علقم لا تسفه ولا تجعل \* عرَضَكَ للوارد والصادر  
 قد قلت قولاً ففضى بينكم \* وأعترف المنفور للنافر

وعاش هريم حتى أدرك خلافة عمر رضى الله عنه ، فقال : ياهرم أى الرجلين  
 كنت مفضلاً لو فعت ؟ فقال : لو قلت ذلك اليوم يا أمير المؤمنين ، عادت جدعة ،  
 ولبغت شعفات هجر - فقال عمر رضى الله عنه : ” نعم مستودع السر أنت ياهرم !  
 مثلك فليستودع العشيرة أسرارهم ، وإلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم “ .

قال أبو عبيدة : ومات علقمة بجوران وهو والى عمر بن الخطاب . وأما عامر  
 ابن الطفيل فأصابته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابته الغدة ومات  
 في بيت سلوية ، فقال : أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية ؟

وفي هذه القصة مقنع في المنافرة عن غيرها ، وفي كتاب ” الريحان والريحان “  
 لبعض الأندلسيين جملة من هذه المفانرات والمنافرات :

هَرِمَ بجلَسِ مجلِسَه وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقال لبيد :  
يا هَرِمُ ابْنَ الأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا \* إِنَّكَ قَدْ وَلَيْتَ أَمْرًا مُعْجَبًا  
فاحْكُمْ وَصَوِّبْ رَأْيَ مَنْ تُصَوِّبَا \* إِنَّ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ تُرْتَبَا  
نَحْنُ زُنَا خَالًا وَأُمًّا وَأَبَا \* وعامِرُ خَيْرُهُمَا مَرْكَبًا  
\* وعامِرُ أَذْنَى لِقَيْسٍ نَسَبًا \*

فقال هَرِم : إنكما يابني جعفر قد تحاكمتما عندي وأتما كركبتَي البعير الفجلِ تقعان  
الأرض معا ، فليس منكما واحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلا كما سيدُّ كريم ،  
فعمد بنو هَرِم وبنو أخيه إلى تلك الجزر فتحرَّوها حيث أمرهم هَرِم ، وفرقوا  
بين الناس ، ولم يفضل هَرِم واحدا منهما على صاحبه ، وكره أن يجلب بذلك شرًّا  
على الفتيين ، وهما أبنا عم ، فلما رأى ذلك الأعشى ، خرج وهو يقول :

شَاكَ مِنْ قَتْلَةٍ أَطْلَاهَا \* بالشَّطِّ فالْوَتْرِ إلى حَاجِرِ  
وَقَدْ رَأَاهَا وَسَطَ أَثْرَاهَا \* في الحَيِّ ذِي الْبَهْجَةِ وَالنَّامِرِ  
إِذْ هِيَ مِثْلُ الْغُضَنِ هَيَّالَةً \* تَرُوقُ عَيْنِي ذِي الْحِجَا الزَّائِرِ  
كَدُمِيَّةٍ صُورَ مَخْرَاهَا \* بِمُذْهَبٍ فِي مَرَمٍ مَائِرِ  
تَسْفِي غَلِيلَ النَّفْسِ لَاهِهَا \* حَوْرَاءُ تَسْفِي نَظَرَ النَّاطِرِ  
عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ سُرِبَتْ \* هَيْفَاءُ مِثْلُ الْمُهْرَةِ الضَّامِرِ  
مَشْوَقةٌ الْقَدِّ غَلَامِيَّةٌ \* مَوْصُوفَةٌ بِالْخُلُقِ الطَّاهِرِ  
قَدْ نَهَدَ الثَّدْيُ عَلَى نَحْرِهَا \* فِي مُشْرِقِ ذِي صُبْحِ نَائِرِ  
لَوْ أَسْنَدْتُ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا \* عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ  
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا \* يَا نَحْبَا لِلْيَتِّ النَّاشِرِ  
عَلَّقَمَ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ \* النَّاْقِضِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ

لِكَيْلَا يَكُونَ السَّندَرِيُّ نَدِيدًا<sup>(١)</sup> \* وَأَشْتُمُ أَعْمَاءًا عُمُومًا عَمَائِمًا  
وَأَنْشُرُ مِنْ تَحْتِ الْقُبُورِ أَبُوتَةً \* كِرَامًا هُمْ شَدُّوا عَلَى النَّتَائِمِ  
لَعَبْتُ عَلَى أَكْثَانِهِمْ وَمُجُورِهِمْ \* وَلَيْدًا وَسَمَوْنِي وَلِيدًا وَعَاصِمًا  
بَلَى أَيْنَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكٍ \* فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلَا مِيمًا

ووشب الحطيئة فقال :

مَا يُحْسِنُ الْحُكَّامُ بِالْفَصْلِ بَعْدَمَا \* بَدَأَ سَابِقُ ذُو غُرَّةٍ وَحُجُولٍ ؟  
حَتَّى أَتَى عَلَى قَصِيدَةٍ كَامِلَةٍ ، ثُمَّ قَالَ :

يَا عَامٍ قَدْ كُنْتَ ذَا بَاجٍ وَمَكْرُمَةٍ \* لَوْ أَنَّ مَسْعَاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أُمُّ  
وَأَقَامَ الْقَوْمَ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا ، فَأَرْسَلَ هَرِمٌ إِلَى عَامِرٍ فَأَتَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ ،  
فَقَالَ : يَا عَامِرُ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ لَكَ رَأْيًا ، وَأَنْ فِيكَ خَيْرًا ، وَمَا حَبَسْتُكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ  
إِلَّا لِتَنْصَرِفَ عَنْ صَاحِبِكَ ، أَسْتَأْذِنُ رِجَالًا لَا تَفْخَرُ أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ إِلَّا بِآبَائِهِ ، فَمَا  
الَّذِي أَنْتَ بِهِ خَيْرٍ مِنْهُ ؟ فَقَالَ عَامِرُ : أُنْشِدُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ أَنْ لَا تَفْضَلَ عَلَى عِلْقَمَةَ ،  
فَوَإِنَّهُ لَنْ فَعَلْتَ لَا أَفْلَحَ بَعْدَهَا أَبَدًا ! هَذِهِ نَاصِبَتِي لَكَ فَاجْزُئْهَا وَاحْتَكِمْ فِي مَالِي ،  
فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ فَاعْلَا فَسَوْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ - فَقَالَ أَنْصَرِفْ فَسَوْفَ أَرَى رَأْيِي : فَخَرَجَ  
عَامِرٌ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنَّهُ سَيَفْضِلُهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عِلْقَمَةَ سِرًّا ، وَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَهُ  
لِعَامِرٍ ، فَوَدَّ عَلَيْهِ عِلْقَمَةَ بِمَا رَدَّ بِهِ عَامِرٌ وَأَنْصَرَفَ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنَّهُ يَنْفَرُ عَامِرًا  
عَلَيْهِ ، ثُمَّ إِنْ هَرِمٌ أَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ وَبَنِي أَخِيهِ : إِنِّي قَائِلٌ غَدًا بَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ  
مَقَالَةً ، فَإِذَا فَرِغْتَ فَلْيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ جَزَائِرٍ فَلْيَنْحَرْهَا عَنْ عِلْقَمَةَ ، وَلْيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ  
مِثْلَهَا فَلْيَنْحَرْهَا عَنْ عَامِرٍ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ النَّاسِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ . وَأَصْبَحَ

(١) فِي اللِّسَانِ نَدِيدَتِي وَأَجْعَلُ - أَيُّ نَدَى . وَعَمَامَا أَيُّ مَتَفَرِّقَةٍ .



فقال خُفافة بنُ عوف بن الأحوص بن جعفر :

نَهْنِهْ إِلَيْكَ الشَّعْرَ يَا لَيْدُ \* وَأَصْدُدْ فَقْدَ يَنْفَعَكَ الصُّدُودُ  
سَادَ أَبُونَا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا \* سُودِدْكُمْ صَغِيرُهُ زَهِيدُ

ثم قال :

إِنِّي إِذَا مَا نُسِيَ الْحَيَاءُ \* وَضَاعَ يَوْمَ الْمَشْهَدِ اللَّوَاءُ  
أُنْمِي وَقَدْ حُقَّ لِي النَّمَاءُ \* إِلَى كُھُولِ ذِكْرَهَا سَنَاءُ  
إِذْ لَا تَرَالِ حُلُوةٌ كَوْمَاءُ \* مَبْقُورَةٌ لَسَقْمِهَا رُغَاءُ  
لَمْ يَنْهِنَا عَنْ نَحْرِهَا الصَّفَاءُ \* لَنَا عَلَيْكُمْ سَوْرَةٌ وَلَا  
\* الْمَجْدُ، وَالسُّودْدُ، وَالْعَطَاءُ \*

ثم قال :

أَنْتُمْ عَزَلْتُمْ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ \* فِي سَنَوَاتٍ مُضَرَّ الْهَوَالِكِ  
\* يَا شَرَّ أَحْيَاءٍ وَشَرَّ هَالِكِ \*

وكان السندريّ مع علقمة فارتفع صوته ، فقليل من ذا ؟ فقال :

أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيّ \* أَنَا الْقَتْلُ الْجَعْدُ الطُّوَالُ الْجَعْفَرِيّ  
\* مِنْ وَلَدِ الْأَحْوَصِ أَخُوَالِي غَنِيّ \*

فقال عامر للبيد : أجبه ! فرغب عن إجابته ، وكان السندريّ يقال لجدته  
عيساء ، وكانت أمةً لفاخسة أبنه جعفر بن كلاب ، امرأة شريح بن الأحوص ،  
فوقع عليها شريح فولدت له زَبَّانَ ، ويزيد ، وشهابا ، فقال لبيد :

لَمَّا دَعَانِي عَامِرٌ لِأُسْبَهُمْ \* أَيْتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَيْسَاءَ ظَالِمًا  
أَلَا أَيْتَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكِ \* فَلَا زَالَ يَلْقَى فِي الْحَيَاةِ الْمَلَاوِمَا

أَبْنُ حَرْبٍ بِنَ أُمِيَّةٍ فَلَمْ يَقْلُ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، وَكَرِهَ ذَلِكَ لِحَالِهِمَا وَحَالِ عَشِيرَتِهِمَا، وَقَالَ لَهَا  
أَنْتُمَا كَرُمَتِي الْبَعِيرِ الْأَدْرَمَ، وَأَبْنَى أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا، فَاَنْطَلَقَا إِلَى أَبِي جَهْلٍ بَنِ هِشَامٍ،  
فَأَبْنَى أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا، فَوُثِبَ مِرْوَانُ بْنُ سُرَاقَةَ، بَنِ قِتَادَةَ، بَنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ  
وَكَانَ مَعَ عَاتِمَةَ فَقَالَ :

يَا لَقَرَيْشٍ بَيْنُوا الْكَلَامَا \* إِنَّا رَضِينَا مِنْكُمْ الْأَحْكَامَا  
فَبِيدُوا إِذْ كُنْتُمْ الْحُكَّامَا \* كَانُوا أَبُونَا لَهُمْ إِمَامَا  
وَعَبْدُ عَمْرٍو مَنَعَ الْفِتَامَا \* فِي يَوْمٍ نَخَرِ مُعَلِّمُ إِعْلَامَا  
يُحْسِنُ فِيهِ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا \* وَدِعْلَجُ أَقْدَمُهُ إِقْدَامَا  
لَوْلَا الَّذِي أَجْشَمْتُمْ إِجْشَامَا \* لَا تَحْدَثْتُمْ مَدْحُجَ أَنْعَامَا

فَأَبَا أَنْ يَقُولُوا بَيْنَهُمَا شَيْئًا، فَأَتِيَا غِيلَانَ بْنَ سَلَمَةَ بَنِ مَعْتَبِ الثَّقَفِيِّ فَرَدَّاهُمَا إِلَى  
حَرْمَلَةَ بِنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّي، فَرَدَّاهُمَا إِلَى هَرِمَ بَنِ قُدْلَبَةَ بِنِ سَنَانِ الْفَزَارِيِّ، وَإِنَهُمَا سَاقَا  
الْإِبِلَ مَعَهُمَا حَتَّى أَشْتَتْ وَأَرْبَعَتْ لَا يَأْتِيَانِ أَحَدًا إِلَّا هَابَ أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا،  
فَوَعَدَهُمَا هَرِمٌ إِلَى الْعَامِ الْقَابِلِ، فَأَتِيَا لِلْوَعْدِ، وَقَالَ لِبَيْدٍ وَكَانَ مَعَ عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ يَرْتَجِزُ :

يَا هَرِمُ، وَأَنْتَ أَهْلُ عَدْلٍ \* هَلْ يَذْهَبَنَّ فَضْلُهُمْ لِفَضْلِي <sup>(١)</sup>  
أَنْ يَفْخَرَ الْأَحْوَصُ يَوْمًا قَبْلِي \* لِيَذْهَبَنَّ أَهْلُهُ بِأَهْلِي  
لَا تَجْمَعَنَّ شَكْلَهُمْ وَشَكْلِي \* وَتَسْلَ آبَائِهِمْ وَتَسْلِي  
\* قَدْ عَلِمُوا أَنَّ كَرَامَ الْأَصْلِ \*

وقال أيضا :

إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنْ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ \* عَلَقَمَ قَدْ نَافَرْتُ غَيْرَ مُنْفَرٍ  
\* نَافَرْتُ سَقْبًا مِنْ سِقَابِ الْعَرَعَرِ \*

(١) لعله بفضل بالباء .

فقال علقمة : أنت رجل جسيم وأنا رجل قَـضِيف ، وأنت جميل وأنا قبيح ؛  
ولكني أنا فرك بآبائي وأعمامى .

فقال عامر : آباؤك أعمامى ، ولم أكن لأنا فرك فيهم ؛ ولكني أنا فرك : أنا خيرٌ  
منك عَقِبا ، وأطعمُ منك جَدِّبا .

فقال علقمة : قد علمتُ أن لك عَقِبا وقد أطعمت طيبا ؛ ولكني أنا فرك أنى  
خير منك ، وأولى بالخير منك .

فقال عامر : إني والله لأركبُ منك فى الحُمَاه ، وأقتلُ منك للكُجَاه ، وخير منك  
للموالاه .

فقال بعض بنى خالد بن جعفر ، وكانوا يدا مع بنى الأحوص على بنى مالك بن  
جعفر : إنك لن تطيق عامرا ، ولكن قل له أنا فرك لخيرنا ، وأقربنا للخيرات .  
فقال علقمة : له ذلك .

فقال عامر : <sup>(١)</sup> غير وتيس وتيس وعتر فارس لها مثلا نعم على مائة من الإبل إلى مائة  
يعطاها الحكم أينا ينفر عليه صاحبه أخرجهما ففعلوا ، ووضعوا بها رهنا من أبنائهم على  
يدى رجل يقال له خزيمة بن عمرو بن الوحيد فُسِّمى الضمين ، وصارت علما عليه  
إلى الآن ، وخرج علقمة ومن معه من بنى خالد وعامر فيمن معه من بنى مالك وقد  
أتى عامرُ بن الطفيل عمه عامر بن مالك بن جعفر وهو أبو براء ، فقال : يا عماه  
أعنى - فقال : يا ابن أختى سُبْنَى ، فقال : لا أسُبُّك وأنت عمى - قال : فسُبَّ الأحوص -  
فقال : عامر ولا أسُبُّ والله الأحوص وهو عمى ، فقال : ولكن دونك بعلى فإنى قد <sup>(٢)</sup>  
رَبَعْتُ فيها أربعين مِرْبَعا فاستعِن بها على منافرتك ، وجعلنا منافرتهما إلى أبى سفيان

(١) هكذا فى الأغانى .

(٢) لله إبل .

وقدِم الأعشى على تَفِيئَةٍ ذلك فصار هو وليد مع جامر، وصار مع علقمة الحطيئة،  
والسندري، وتافرا .

فقال عامر لعلقمة : والله إني لأكرم منك حسبا ، وأثبت منك نسبا ، وأطول  
منك قصبا .

فقال علقمة : والله لأنا خير منك ليلا ونهارا .

فقال عامر : والله لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك .

فقال علقمة : أنافرك إني لبر، وإنك لفاجر، وإني لولود، وإنك لعاقرب، وإني  
لعف، وإنك لعاهر، وإني لواوف، وإنك لغادر .

فقال عامر : أنت رجل ولود وأنا رجل عقيم وقد وفت لبني عمرو بن تميم .  
وقد زعموا أني غدرت بهم وهم كاذبون ، ولكني أنافرك : أنا أنحر منك للّقاح ،  
وخير منك في الصّباح ، وأطعم منك في السنة الشّياح<sup>(٢)</sup> .

فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس تزعم أني جبان ، ولأن تلقى العدو وأنا  
أمامك أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلقك ، وأنت رجل جواد والناس يزعمون أني  
بخيل ولست كذلك ، وأنت تعطى العشيرة إذا ألفت ، ولكني أنافرك : أنا خير  
منك أثرا ، وأحد منك بصرا ، وأشرف منك ذكرا .

فقال عامر : أنت رجل فان ، وليس لبني الأحوص فضل على بني مالك  
في العدد ، وبصري ناقص وبصرك صحيح ، ولكني أنافرك أني أسمى منك سمّة ،  
وأطول منك قمّة ، وأحسن منك لمّة ، وأجعد منك جمّة ، وأسرع منك رحمة ،  
وأبعد منك همّة .

(١) أي على أثره انظر القاموس في مادة ف ي أ . (٢) الشياح بالكسر القحط .



تُضَىٰ بِاللَّحْمِ إِشْرَاقًا قَوَاضِيَهُمْ ۖ فَكُلُّ أَيَّامِهِمْ أَيَّامٌ تُشْرِيقُ

وعلى هذا المنهج ما حكاه بعضهم، قال : وجدت على قبر مكتوبا أنا ابن من كانت الريح طوع أمره، يحبسها إذا شاء، ويطلقها إذا شاء، قال فعظم في عيني؛ ثم التفت إلى قبر آخر قبالة فإذا عليه مكتوب : لا يغتر أحد بقوله، فما كان أبوه إلا بعض الحدادين، يحبس الريح في كبره إذا شاء، ويرسلها إذا شاء؛ قال : فعجبت منهما يتسابقان ميتين، فإذا طرق السمع شيء من ذلك ظن السامع أنه في غاية الفخر والشرف حتى يعلم حقيقة ذلك وأشبه ذلك ونظائره كثيرة، وليس هذا موضع استيعاب القول في المفارقة الحقيقية ولا غيرها .

وأما أيام المنافرة وهي المحاسبة في الحسب، فمن ذلك ما يحكى أن الأعشى أتى علقمة، بن علاتة، بن عوف، بن الأخوص، بن جعفر، بن كلاب، وهو يريد سلامة ذو فائس الحميري<sup>(١)</sup> من التبابعة، فسأل الأعشى علقمة أن يتلّيه أى يحيره . فقال له علقمة : أتليك على بن الأحرص - قال لا يقنعني - قال : فعلى بن كلاب قال لا يقنعني - قال : فليس عندي أكثر من هذا؛ فأتى عامر بن الطفيل بن مالك ابن جعفر بن كلاب، قال قد أتليك على الجن والإنس، ثم أتى سلامة فأنصرف من عنده بجائه .

وكان عامر وعلقمة المذكوران لما أسق أبو برآء وهو عامر بن مالك، بن جعفر، ابن ملاعب الأسنة تنازعا في الرئاسة .

فقال علقمة كانت لجدى الأخوص وإنما صارت لعمك بسببه وقد قعد عمك عنها وأنا أسترجمتها فأنا أولى بها منك، فشرى الشر بينهما وسارا إلى المنافرة،

(١) وقع في الأصل وأقالنس وهو تصحيف من الناسخ .

قال في شرح اللامية : وعند أكثر الناس أن أبا تمام كان أبوه نصرانيا يقال له تدرس العطار، من جاسم : قرية من قُرَى حوران من الشام، فغير أسم أبيه وأندس في بني طيء، وذكر صاحب الأغاني أن رجلا قال لجرير : من أشعر الناس؟ قال : قم حتى أعرفك الجواب، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية، وقد أخذ عزّا له فاعتقلها وجعل يَمُصُّ صَرَعَهَا، فصاح به انْجُرْ يا أبت، فخرج شيخ دميم، رث الهيئة . وقد سال ابن العزى على لحيته، فقال ترى هذا؟ قال نعم . قال أو تعرفه قال لا. قال هذا أبي، أو تدري لم كان يشرب من ضرع العز؟ قال لا، قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه، ثم قال أشعر الناس من فاجر بهذا الأب ثمانين شاعرا وقارعهم فغلّبهم .

قال الصلاح الصفدى : ما هذه إلا وقاحة عظيمة من جرير في مفارحته أولئك الشعراء وهذا أبوه، لكنه تغفر له هذه الوقاحة باسترافه لذلك الرجل، وإظهاره بخل أبيه، وربما كان الافتخار بالتورية والتعريض بالأموال المقتضية للشرف، بحيث يظن السامع حقيقة الافتخار والشرف بمجرد السماع، فإذا عرف المقصد تبين له خلاف ذلك، كقول أبي الحسن الجزار :

أَلَا قُلْ لِلَّذِي يَسَاءُ \* لُ عَنْ قَوْمِي وَعَنْ أَهْلِي  
لَقَدْ تَسَأَلُ عَنْ قَوْمٍ \* كِرَامِ الْفَرْعِ وَالْأَصْلِ  
يُرِيقُونَ دَمَ الْأَنْعَا \* م فِي حَزْنٍ وَفِي سَهْلٍ  
وَمَا زَالُوا لَمَّا يُبْدُو \* نَ مَنْ بَاسٍ وَمِنْ بَذْلِ  
يَرْجِيهِمْ بَنُو كَلْبٍ \* وَيَحْشَاهُمْ بَنُو عَجَلٍ

وقوله أيضا :

إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرِ سَفْكَ الدِّمَاءِ لَهُمْ \* دَابٌّ، وَسَلَّ عَنْهُمْ مِنْ رَبِّ تَحْقِيقٍ

مَنْ ذَا لِيَوْمِ الْفَخْرِ يَعْدِلُ حَاصِمًا \* وَقَيْسًا إِذَا مَرَّتْ أُلُوفٌ إِلَى الْعُلَا  
فَهِيَّاتٍ قَدْ أَغْيَا الْجَمِيعَ فِعَالُهُمْ \* وقاموا بيوم الفخر مسعاة من سعي  
فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى حباءهم ،  
وأعظم صلاتهم ، وكترم مأبهم .

قال أبو عبيدة : كانت العرب تعدّ البيوتات المشهورة بظم القدر والشرف :  
تعدّ بيت هاشم بن عبد مناف ، وتعدّ أربعة ، أولها بيت آل حذيفة بن بدر ، وبيت  
آل زُرارة الدارميين : بيت بنى تميم ، وبيت آل ذى الجذنين : عبد الله بن عمرو بن  
الحارث بن هشام : بيت بنى شيبان ، وبيت بنى الدّيّان من بنى الحارث بن كعب  
بيت اليمن . قال : فأما كندة فلا يُعدّون في البيوتات إنما كانوا ملوكا .

واعلم أن المفاخرة قد تكون بحقيقة الحسب . وقد تقوم فيها الفصاحة واللسن  
مقام الحسب : كقول أبي تمام الطائي يفتخر :

أَنَا ابْنُ الَّذِينَ اسْتَرْضِعَ الْمَجْدُ فِيهِمْ \* وَسُمِّيَ فِيهِمْ وَهُوَ كَهْلٌ وَيَافِعُ  
مَضَوْا وَكَانَ الْمَكْرُمَاتِ لَدِيهِمْ \* لَكَثْرَةٍ مَا وَصَّوْا بَنَ شَرَائِعُ  
فَأَيُّ يَدٍ فِي الْمَجْدِ مُدَّتْ فَلَمْ يَكُنْ \* لَهَا رَاحَةٌ مِنْ مَجْدِهِمْ وَأَصَابِعُ  
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مُحْفُوظًا مَالِنَا \* فَضَاعَ وَمَا ضَاعَتْ لَدِينَا الْوَدَائِعُ  
وقوله أيضا :

جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلِيَّةٍ مِنْهُ لَوْ جَرَى \* بِهَا الْقَطْرُ شَاوًا قِيلَ أَيُّهُمَا الْقَطْرُ ؟  
فَقِيَ ذَنْرُ الدُّنْيَا أَنَا نَسٌّ وَلَمْ يَزَلْ \* لَهَا بَازِلًا فَانْظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الذَّنْخُ  
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْخَرْ بِمَا شَاءَ مِنْ نَدَى \* فَلَيْسَ لِي غَيْرُنَا ذَلِكَ الْفَخْرُ  
جَمَعْنَا الْعُلَا بِالْجُودِ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا \* إِلَيْنَا كَمَا الْإِيَامُ يَجْمَعُهَا الشَّهْرُ

وأضربهم للملك الجبار ، وأقومهم للحكم ، وألدهم للخصم . ثم قام شاعرهم فقال :  
 لعمري بسطام أحق بفضليها \* وأول بيت العز عن القبائل  
 فسائل (أبيت اللعن) عن عز قومها \* إذا جد يوم الفخر كل مناقل  
 ألسنا أعز الناس قوماً ونصرة \* وأضربهم للكبحش بين القبائل  
 وقائع عز كلها ربيعة \* تدل لها عزاً رقاب الحافل  
 إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها \* وعاد بها من شرها كل وإيل  
 وإنا ملوك الناس في كل بلدة \* إذا نزلت بالناس إحدى الزلازل

ثم قام حاجب بن زرارة التيمي . فقال : قد علمت معد أنا فرغ دعائهم ، وقادة  
 زحفها - قالوا : ولم ذاك يا أخا بني تميم ؟ قال لأننا أكثر الناس عديداً ، وأنجنهم طراً  
 وليداً ، وأنا أعطاهم للجزيل ، وأحملهم للثقل ؛ ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمت أبناء خندف أننا \* لنا العز قدما في الخطوب الأوائل  
 وأنا كرام أهل مجيد وثروة \* وعز قديم ليس بالمتضائل  
 فكم فيهم من سيد وابن سيد \* أغر نجيب ذي فعال ونائل  
 فسائل (أبيت اللعن) عنا فإنتنا \* دعائم هذا الناس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات  
 دعائم : وأثبتهم في النائبات مقدم ؛ قالوا : ولم ذاك يا أخا بني سعد ؟ قال لأننا  
 أدركهم للثار ، وأمنعهم للجار ؛ وأنا لا ننكل إذا حملنا ، ولا نزام إذا حللنا . ثم قام  
 شاعرهم فقال :

لقد علمت قيس وخندف أننا \* وجل تميم والجميع الذي ترى  
 بأننا عماد في الأمور وأننا \* لنا الشرف الضخم المركب في الندى  
 وأنا ليوث الناس في كل مازق \* إذا جز بالبيض الجماجم والطل<sup>(١)</sup>

(١) الطلى بالضم جمع طلية وهي الأعناق .



الرهط وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَأَقْعَدَ لَهُمُ الْحُكَّامَ وَالْعُدُولَ ، وقال ليتكلم كل رجل منكم بما ثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم ، وكان ألسن القوم ؛ فقال : قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والأعز الأعظم ، ومأثرة للصنيع الأكرم - فقال من حوله ولم ذلك يا أخا فزارة ؟ فقال ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضام ؟ قيل صدقت . ثم قام شاعرهم فقال :

فَزَارَةُ بَيْتُ الْعِزِّ وَالْعِزُّ فِيهِمْ ! \* فَزَارَةُ قَيْنِسُ حَسْبُ قَيْنِسٍ نِضَالُهَا  
لَهَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالْحَسْبُ الَّذِي \* بَنَاهُ لَقَيْنِسُ فِي الْقَدِيمِ رِجَالُهَا  
فَهِيَاتَ قَدِ أَغْيَا الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ \* مَا ثَرُ قَيْنِسٍ مَجْدُهَا وَفِعَالُهَا  
وَهَلْ أَحَدٌ إِنْ هَمَزَ يَوْمًا بِكُفِّهِ \* إِلَى الشَّمْسِ فِي مَجْرَى النُّجُومِ يَنَالُهَا  
فَإِنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحْ لَذَلِكَ جَمِيعُهَا \* وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ مِنَ النَّاسِ حَالُهَا

ثم قام الأشعث الكندي ، وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقربته من النعمان بن المنذر ، فقال : قد علمت العرب أنا ثقاتل عديدها الأكثر ، وزحفها الأكبر ، وإنا لغياث الكربات ، ومعدن المكومات - قالوا ولم يا أخا كندة ؟ قال لأننا ورثنا ملك كندة فاستظلنا بأفيائه ، وتقلدنا منكبه الأعظم ، وتوسطنا بجبوحه - الاكرم ، ثم قام شاعرهم ، فقال .

إِذَا قِسْتَ أَيْبَاتِ الرِّجَالِ بَيْنَيْنَا \* وَجَدْتَ لَنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ يُفَاحِرُ  
مَنْ قَالَ كَلًّا أَوْ أَنَا نَا بِمُحْطَةٍ \* يَنَافِرُنَا فِيهَا فَتَحْنُ نَحَاطِرُ  
تَعَالَوْا فِقُّوا كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَيْنَا \* لَهُ الْفَضْلُ فَيَا أَوْرَثَتُهُ الْأَكَابِرُ

ثم قام بسطام الشيباني فقال " قد علمت العرب أنا بناء بيتها الذي لا يزول ، ومغرس عزها الذي لا يحول ، قالوا ولم يا أخا شيبان - قال لأننا أدركهم للنار ،

قال المولى صلاح الدين الصفدى رحمه الله فى شرح لامية العجم "وإنما ذكر خازما لانه مولى خزيمة بن خازم التيمى، وإنما نزل أبوه الموصل فُنِسِبَ إليها".

ومن لطيف ما يحكى أن معاوية بن أبى سفيان كان جالسا وعنده جماعة من الأشراف، فقال معاوية "مَنْ أكرمُ الناس أباً وأماً، وجدّاً وجدّة، وعمّاً وعمّة، وخالا وخالة؟" - فقام الثّعنان بن العجلان الزرقى بعد ما أخذ بيد الحسن فقال "هذا أبوه على بن أبى طالب، وأمه فاطمة، وجدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدّته خديجة، وعمّه جعفر، وعمّته أم هانئ ابنة أبى طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب، فهذا هو الشرف الذى لا يدانى والفضل الذى لا يبارى".

وقريب من ذلك ما يحكى أنه جرى بين عبد الله بن الزبير وبين معاوية كلامٌ طويل فى آخره - "فقال ابن الزبير: ما مثلى يهارش، ولكن عندك من قریش والأنصار، ومن ساكنى الحجون والآطام مَنْ إن سألتَه حملك على محجة أئين من ظهر الجفیر - قال: ومن ذلك - قال هذا؟ يعنى أبا الجهم بن حذيفة - فقال معاوية تكلم يا أبا الجهم - فقال أعفنى - فقال عزمتُ عليك لتقولن - قال: نعم: أمك هند، وأمه أسماء بنت أبى بكر، وأسماء خير من هند، وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير ومعاذ الله أن يكون أبو سفيان مثل الزبير، وأما الدنيا فلك، وأما الآخرة فله إن شاء الله تعالى".

ومن ذلك ما حكاه ابن الكلبي. قال: قال كسرى للثّعنان بن المنذر يوما هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال نعم - قال فبأى شئ؟ قال: مَنْ كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكال الرابع فاليث مَنْ قبيلته فيه ويُنسب إليه - قال فاطلبُ ذلك فطلبه فلم يصبه إلا فى آل حذيفة بن بدر، وآل حاجب ابن زُرارة، وآل ذى الجدين، وآل الأشعث بن قيس بن كندة - قال فجمع هؤلاء

رسوله صلى الله عليه وسلم ، وخصه به من رفيع الشرف الذى لم يبلغه نبى مرسل ، ولا ملك مقرب .

وقد تعرض أبو نؤاس فى بعض أشعاره لمدح بنى تميم ، وبالغ فى فخرهم فأخفش ، فقال :

خَزِيمَةُ خَيْرِ بَنِي خَازِمٍ \* وَخَازِمٌ خَيْرُ بَنِي دَارِمٍ  
وِدَارِمٌ خَيْرُ تَمِيمٍ وَمَا \* مِثْلُ تَمِيمٍ فِي بَنِي آدَمِ

ونقضه عليه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس اليعمرى ، فقال ربه الله فأجاد القول ، وفاز بالقدح المعلن فقال :

مُحَمَّدٌ خَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ \* قَمْنُ تَمِيمٍ وَبَنُو دَارِمٍ ؟  
وَهَاشِمٌ خَيْرُ قُرَيْشٍ وَمَا \* مِثْلُ قُرَيْشٍ فِي بَنِي آدَمِ !

وهو مأخوذ من قول الأول :

قُرَيْشٌ خَيْرُ بَنِي آدَمِ \* وَخَيْرُ قُرَيْشٍ بَنُو هَاشِمٍ  
وَخَيْرُهُمْ بَنِي هَاشِمٍ أَحْمَدُ \* رَسُولُ الْإِلَهِ إِلَى الْعَالَمِ

وإليه ينظر قول ابن عرسية :

لِلَّهِ مِمَّا قَدْ بَرَأَ صَفْوَةٌ \* وَصَفْوَةُ الْخَلْقِ بَنُو هَاشِمٍ  
وَصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ \* مُحَمَّدُ النُّورِ أَبُو الْقَاسِمِ

واقعد أنصف إسحاق بن إبراهيم الموصلى حيث قال :

إِذَا مَضَرَ الْجَمْرَاءُ كَانَتْ أُرُومَتِي \* وَقَامَ بِنَصْرِي خَازِمٌ وَابْنُ خَازِمٍ  
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَاخٍ وَتَنَاوَلْتُ \* يَدَايَ الثَّرَيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ

فإنه جعل مضر التى هى أرومة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصل نخره وقعدد سودده فأصاب الفخر فى قوله ، وفاز بالشرف فى شعره .

فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال :

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودَدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى \* وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَائِمِ  
نَصَرْنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا \* عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاحِمِ  
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ دِيَارِنَا \* بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ  
جَعَلْنَا بَيْنَنَا دُونَهُ وَبَنَانَا \* وَطَبْنَا لَهُ نَفْسًا بَنَى الْمَغَانِمِ  
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا \* عَلَى دِينِهِ بِالْمُرْهَقَاتِ الصَّوَارِمِ  
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا \* وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ  
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ نَفَخَرَكُمُ \* يَعُودُ وَبَالًا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ  
هَبَلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ \* لَنَا خَوْلٌ مِنْ بَيْنِ ظُفْرِ وَخَادِمِ؟  
فَإِنْ كُنْتُمْ جُنْتُمْ لِحَقِّنِ دِمَائِكُمْ \* وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقَسِّمُوا فِي الْمَقَاسِمِ  
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدَاءً وَأَسْلَمُوا \* وَلَا تَلْبَسُوا زِيَاً كَرِيَّ الْأَعَاجِمِ

فلما فرغ حسان من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبي ! إن هذا الرجل مُراد ،  
لِحَطِيبِهِ أَخْطَبُ مِنْ خَطِيبِنَا ، وَلشَاعِرِهِ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا ، وَلأَصَوَاتِهِ أَعْلَى مِنْ  
أَصَوَاتِنَا ؛ فَأَسْلَمُوا وَأَحْسَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَوَائِزَهُمْ .

ففى هذا الوفد نزل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ  
لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

قلت : وهذه مكابرة ظاهرة ، وتجاهل فاحش من بنى تميم ، حيث طلبوا المفاخرة  
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلُّ العرب على اختلاف شعوبهم ، ونتاج قبائلهم  
معتزفون لبني هاشم بالسبق فى الشرف ، والتقدم فى الفضل ، مع ما فضل الله تعالى به



فقام الزبرقان بن بدر التيمي فقال :

نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حَىَّ يَفْأَحِرُنَا \* مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْيَسَعُ  
وَكَمْ فَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ \* عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يَتَّبِعُ  
وَنَحْنُ نَطْعِمُ عِنْدَ الْفَحْطِ مُطْعَمَنَا \* مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنِسِ الْقَرْعُ

وهي أبيات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحسن بن ثابت "قم فأجب الرجل فيما

قال" فقال حسان رضى الله عنه :

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فِهْرِ إِخْوَتِهِمْ \* قَدْ يَنْبِئُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ يُتَّبَعُ  
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ \* تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يُصْطَنَعُ  
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَوْا عَدُوَّهُمْ \* أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا  
نَحِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدِّثَةٍ \* إِنْ الْخَلَائِقُ فَاعْلَمْ شَرْدَا الْبِدْعُ  
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ \* فَكُلُّ سَبْقٍ لَأَذْنٍ سَبَقِيهِمْ تَبِعُ  
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ \* عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَارَقَعُوا  
أَكْرَمُ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ \* إِذَا تَفَاوَتَ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ

وهي أبيات .

ويروى أن الزبرقان بن بدر قال :

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا \* إِذَا اخْتَلَفُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ  
فَإِنَّا فُرُوعُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ \* وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كِدَارِمِ  
وَإِنَّا بُدُورُ الْعَالَمِينَ إِذَا انْتَحَوُا \* وَنَضْرِبُ رَأْسِ الْأُصَيْدِ الْمُتَفَاقِمِ  
وَإِنَّا لَنَا الْمِرْبَاعُ فِي كُلِّ غَارَةٍ \* نَغِيرُ بَحْدٍ أَوْ بَارِضِ الْأَعَاجِمِ

لِنَفْأَحِرْكَ ، فَأَذِنَ لِشَاعِرِنَا وَخَطَبِينَا - قَالَ "قَدْ أَذِنْتُ لَخَطِيبِكُمْ فليَقُلْ" ، فقام عطارِدُ بن حاجِبٍ فقال :

"الحمدُ لله الذى لَهُ عَلَيْنَا الفضلُ ، وهو أَهْلُهُ ، الذى جَعَلَنَا مُلُوكًا ، وهبَ لَنَا أَمْوَالًا عِظَامًا نفعلُ منها المعروف ، وجَعَلَنَا أعزَّ أَهْلِ المِشْرِقِ وأكثرَه عِدادًا ، وأشدَّه عُدَّةً ، فَمَنْ مِثْلُنَا فى النَّاسِ ؟ ألسنا برؤُوسِ النَّاسِ وأُولى فضلهم ؟ فَمَنْ فَاخَرْنَا فليَعُدِّدْ مِثْلَ مَا عَدَدْنَاهُ ، وإِنَّا لو نِشَاءُ لَأَكْثَرْنَا الكلامَ وَلَكِنَّا تَحَيَّنَا عَنِ الإِثْكَارِ ، وأقولُ هذا لِأَن تَأْتُوا بِمِثْلِ قَوْلِنَا ، وأمرٍ أَفضَلَ مِنْ أَمْرِنَا" ، ثم جلس

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لثابت بن قيس الخزرجيَّ : "قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فى خُطْبَتِهِ" ، فقام ثابت بن قيس فقال :

"الحمد لله الذى السَّمَوَاتُ والأَرْضُ خَلَقَهُ ، وقَضَى فِيهِنَّ أَمْرَهُ ، ووسَّعَ كَرِسِيَهُ عِلْمَهُ ولم يَكُنْ شَيْءٌ قَطُّ إِلا مِنْ فِعْلِهِ ؛ ثم كَانَ مِنْ قُدْرَتِهِ أَنْ جَعَلَنَا مُلُوكًا وَأَصْطَفَى مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ رِسُولًا ، أَكْرَمَهُ نِسْبًا ، وَأَصْدَقَهُ حَدِيثًا وَأَفْضَلَهُ حَسَبًا ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ، وَائْتَمَنَهُ عَلَى خَلْقِهِ ؛ وَكَانَ خَيْرَةً مِنَ الْعَالَمِينَ ؛ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ ، فَأَمَّنَ بِرِسُولِ اللَّهِ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قَوْمِهِ وَذَوَى رَحِمِهِ ، أَكْرَمُ النَّاسِ أَحْسَابًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِعَالًا ؛ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ الْخَلْقِ إِجَابَةً ، وَاسْتَجَابَ اللَّهُ حِينَ دَعَاهُ رِسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَحْنُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ، وَوُزَرَاءُ رِسُولِ اللَّهِ ، نُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرِسُولِهِ مُتَّعَ بِمَالِهِ وَدَمِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ جَاهَدْنَاهُ فى اللَّهِ أَبَدًا ، وَكَانَ قَتْلُهُ عَلَيْنَا يَسِيرًا ؛ أَقولُ هذا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لى وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ ."

## النوع الثالث عشر

( المعرفة بمفانرات الأئم ومنافراتهم ، وما جرى بينهم في ذلك من المحاورات والمراجعات والمناقضات ؛ وفيه مقصدان )

## المقصد الأول

( في بيان وجه احتياج الكاتب إلى ذلك )

(١) لاختفاء أنه يتعين على الكاتب معرفة المفانرات الواقعة بينهم ، من معرفة وجوه الاختصار التي يمدح بمثلها : مما يُستعان بمثله على المدح والإطراء الواقع في الولايات وما يُفضّل به كل واحد من البلغاء على خصمه ، وما يردّ عليه من الأجوبة المبطلة له لينسج على منوال ذلك فيما يرد عليه من المخاطبات ، والمكاتبات عند دعاية ضرورته إليه ، واحتياجه إلى إيراد .

## المقصد الثاني

( في ذكر أنموذج من المفانرات ، والمنافرات يُنسج على منواله )

فأما المفانرات ، فمنها ما روي أنه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفد بني تميم سنة الوفود بعد فتح مكة ، فيهم عطارد بن حاجب ، بن زُرارة ، بن عدس التيمي ، وقيس بن عاصم ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن زيد ، وعُتْبة بن حصين ابن حذيفة بن بدر ، والأقرع بن حابس ، في لفهم ولفيفهم ، ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من وراء حُجراته أن أخرج إلينا يا محمد ، فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من صياحهم فخرج إليهم - فقالوا : يا محمد جئناك

(١) لعله والتمكن من معرفة الخ كما يفيد السياق .

إسحاق ؛ وقال الطبرى : أشك أنهم من ولد رعويل بن عيصو بن إسحاق ، وهو قريب من الذى قبله .

الرابعة والعشرون اليونان - وهم الأمة الذين كان منهم الحكماء شرق الخليج القُسْطَنْطِينِيّ ، وهم من ولد يونان ، وهو ياون ، بن يافث ، بن نوح . وقال البيهقى : هم من ولد يونان ، بن خلجان ، بن يافث . وشذ الكندى فقال : يونان ، بن عابر ، بن شالخ ، ابن أرفخشذ ، بن سام بن نوح ، بفعل يونان أخا لقحطان أبى عرب اليمن . وقال : إنه خرج من بلاد العرب مغاضبا لأخيه حُطّانَ فنزل شرق الخليج القُسْطَنْطِينِيّ ؛ وردّ عليه أبو العباس الناشئ بقوله :

تُحْطَطُ يُونَانًا بِقَحْطَانٍ ضَلَّةً \* لَعَمْرِي لَقَدْ بَاعَدْتَ بَيْنَهُمَا جَدًّا

ثم اليونانية على ثلاثة أصناف اللّطِينِيّون ، وهم بنو لطين بن يونان ، والاغريقيّون وهم بنو اغريقن بن يونان ، واللكيم ، وهم بنو اللكيم بن يونان وهى أصل الروم فيما يقال على ما تقدم .

الخامسة والعشرون زُوَيْلَة - (بضم الزاى وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت . وفتح اللام وهاء فى الآخر) وهم أهل بَرْقَة فى القديم ، ومنهم الطائفة الذين وصلوا صُحْبَة جوهر المُعزّى باني القاهرة المنسوب إليهم باب زُوَيْلَة بالقاهرة ، يقال إنهم من بنى حوبلا بن كوش بن حام بن نوح .

السادسة والعشرون يأجوج ومأجوج - وضبطهما معروف . قيل إنهم من ولد ماغوغ ، بن يافث ، بن نوح ؛ وقيل من ولد كومر ، بن يافث .



الثامنة عشرة - الكنعانيون ( بفتح الكاف وسكون النون وفتح العين المهملة وضم الياء المثناة تحتُ المشددة )، وهم الذين كان منهم جبابرة الشام من ولد كنعان ابن حام، بن نوح .

التاسعة عشرة - الممان ( بلام مفتوحة وميم بعدها ألف ونون )، وهم الذين كانوا قصدوا سواحل الشام في الدولة الأيوبيّة ومواطنهم في شمالي البحر الرومي غربا بشمال . قال في العبر : وهم من ولد طوبال ، بن يافث ، بن نوح .

العشرون - النبط ( بفتح النون والباء الموحدة وطاء مهملة في الآخر )، وهم أهل بابل من العراق في الزمن القديم ، وإليهم تنسب الفلاحة النبطيّة لابن وحشيّة . قال ابن الكلبي : هم من بني نبط ، بن ماس ، بن إرم ، بن سام ، بن نوح . وقال ابن سعيد : هم من بني نبط ، بن آشور ، بن سام ، بن نوح .

الحادية والعشرون - الهند وضم ضبطه معروف . في الإسرائيليات أنهم من ولد دادان ، ابن رعماء ، بن كوش ، بن حام ، ونقل الطبري عن ابن إسحاق أنهم من بني كوش ، بن حام ، بن نوح من غير واسطة .

الثانية والعشرون - الأرمن ( بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الميم ونون في الآخر ) وهم أهل أرمينية الذين بقاياهم ببلاد سيس ، قيل هم من ولد قهويل ، بن ناحور ، بن تارخ ، وهو آزر ، وتارخ أبو إبراهيم عليه السلام .

الثالثة والعشرون - الأشبان ( بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وألف ثم نون ) قيل هم من ولد ماشح ، بن يافث ، بن نوح . وعند الإسرائيليين من ولد ياون وهو يونان بن يافث ، وعند آخرين أنهم من شعوب بني عيصو بن

الثالثة عشرة - الفُرس (بضم الفاء وسكون الراء المهملة وسين مهملة في الآخر) وهم الذين كان منهم ملوك الأكسرة. قال ابن إسحاق: هم من ولد فارس، بن لاوذ، ابن سام، بن نوح. وقال ابن الكلبي: هم من ولد فارس، بن طيراش، بن آشور، بن سام، بن نوح؛ وقيل من ولد طيراش، بن همدان، بن يافث، بن نوح؛ وقيل من بني أميم، بن لاوذ، بن سام. ووقع للطبري: أنهم من ولد رعويل، بن عيصو، بن إسحاق، ابن إبراهيم عليه السلام. قال في العبر: ولا التفات إلى هذا القول لأن ملك الفُرس أقدم من ذلك.

الرابعة عشرة - الفرنج (بفتح الفاء والراء المهملة وسكون النون وجيم في الآخر) قيل من ولد طوبال، بن يافث؛ وقيل من ولد غطرما، بن كومر، بن يافث.

الخامسة عشرة - القبط (بكسر القاف وسكون الباء الموحدة وطاء مهملة في الآخر)، وهم الذين كان منهم أهل مصر في القديم. قال إبراهيم بن وصيف شاه: هم من بني قبطيم، بن قفط، بن مصر، بن بيصر، بن حام، بن نوح؛ وعند الإسرائيليين أنهم من ولد قفط بن حام.

السادسة عشرة - القُوط (بضم القاف وسكون الواو وطاء مهملة في الآخر)، وهم أهل الأندلس في القديم. قال "هرشيوش" هم من ولد داغوغ، بن يافث، بن نوح؛ وقيل هم من ولد قُوط، بن حام، بن نوح.

السابعة عشرة - الكُرد (بضم الكاف وسكون الراء المهملة ودال مهملة في الآخر)، وهم الذين كان منهم بنو أيوب ملوك مصر بعد الفاطميين. قال في العبر: هم من بني إيران بن آشور، بن سام، بن نوح. قال المقر الشهابي ابن فضل الله في كتابه "التعريف": ويقال في المسلمين الكُرد، وفي الكفار الكرج، وحينئذ فيكون الكُرد والكُرج نسبا واحدا.

وألف ثم نون) ، قال ابن الكلبي : من بنى سُوريان ، بن نبيط ، بن ماش ، بن آدم ،  
أبن سام ، بن نوح .

الثامنة - السِّند ( بكسر السين المهملة وسكون النون وذال مهملة في الآخر) ،  
في الإسرائيليات أنهم من ولد شبا ، بن رعما ، بن كوش ، بن حام ، بن نوح ؛ وحنكي  
الطبري عن ابن إسحاق : أنهم من بنى كوش بن حام .

التاسعة - السودان وضبطهم معروف . قال ابن سعيد : جميع أحيائهم من ولد  
حام بن نوح ؛ ونقل الطبري عن ابن إسحاق : أن الحبشة من ولد كوش بن حام  
والثوبة ، والزنج ، والزغاوة من ولد كنعان بن حام . وذكر ابن سعيد : أن الحبشة من  
بنى حبش والثوبة من ولد ثوبة أو بنى نوبى ، والزنج من بنى زنج ، ولم يرفع في نسبهم  
فيحتمل أنهم من بنى حام ، وأنهم من بنى غيره .

العاشرة - الصَّقالبة (بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وألف بعدها لأم مكسورة  
وباء موحدة مفتوحة وهاء في الآخر) ، وهم عند الإسرائيليين من بنى بازان بن يافت  
أبن نوح ، وقيل هم من بنى اشكازا ، بن توغرما ، بن كومر ، بن يافت .

الحادية عشرة - الصِّين وضبطهم معروف ، قيل هم من بنى صيني ، بن ماغوغ ،  
أبن يافت ، بن نوح ؛ وقيل من بنى طوبال بن يافت . وذكر "هرشيوش" مؤرخ  
الروم أنهم من بنى ماغوغ بن يافت .

الثانية عشرة - العِبْرانيُّون ( بكسر العين المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح  
الراء المهملة وألف بعدها نون مكسورة وياء مثناة تحت مشددة مضمومة وواو  
ساكنة ثم نون) ، وهم الذين يتكلم اليهود بلسانهم إلى الآن . قال الطبري : وهم من  
ولد عابر ، بن شالخ ، بن أرغخشذ ، بن سام ، بن نوح .

الثانية - الجَرَامِقة (بفتح الجيم وكسر الميم وفتح القاف وهاء في الآخر)، وهم أهل المَوْصل في الزمن القديم. قال ابن سعيد : وهم من ولد جُرموق ، بن أشور، بن سام ، ابن نوح عليه السلام . وقال غيره : من ولد كاثر، بن إدم ، بن سام .

الثالثة - الجليل (بكسر الجيم وسكون المثناة تحت ولام في الآخر) ، وهم أهل كيلان من بلاد الشرق . قال ابن سعيد : وهم من بنى باسل ، بن أشور، بن سام ، ابن نوح عليه السلام .

الرابعة - الخَزَر (بفتح الخاء والزاي المعجمتين وراء مهملة في الآخر)، وهم التركمان . في الإسرائيليات أنهم من ولد توغرىجا، بن كورم ، بن يافث ، بن نوح ؛ وقيل هم من بنى طيراش بن يافث ؛ وقيل نوع من الترك .

الخامسة - الديلم (بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وميم في الآخر) ، وهم الذين كان منهم ملوك بني بويه الخارجين على خلفاء بني العبَّاس ببغداد . قال في العبر : هم من بنى ماداي ، بن يافث ، بن نوح ؛ وقال ابن سعيد : من بنى باسل ، بن أشور ، بن سام ، بن نوح ؛ وقيل هم من العرب وضعفه أبو عبيد .

السادسة - الروم وضبطهم معروف ، وهم الأمة المعروفة الذين منهم ملوك القُسْطَنْطِينِيَّة الآن ؛ قيل هم من بنى كيتم بن يونان . وهو يابان ، بن يافث ، بن نوح ؛ وقيل من ولد رومي ، بن يونان ، بن علجان ، بن يافث ، بن نوح ، وقيل من ولد رعويد ابن عيصو ، بن إسحاق ، بن إبراهيم عليه السلام . وقال الجوهرى : من ولد رُوم ، بن عَيْصُو بن إِسْحَاق .

السابعة - السُّرِّيَّان (بضم السين وسكون الراء المهملتين وفتح الياء المثناة تحت



بالبحيرة وجماعة بالمنوفية . وقد عدّ الحمداني من بطونهم بالبحيرة بنى مزديش ، وهم مزداشة ، وبنى صالح ، وبنى سام وزمران ، وأوريغة ، وعزهان ، ولقان . وزاد بعضهم بنى حيون ، وواكدة ، وفرطيطة ، وغرجومة ، وطازوله ، ونفات ، وناطورة ، وبنى السعوية ، ومزداشة ، وبنى أبى سعيد ، وهم عرب بدر بن سلام . ومن لوائه أيضا مُزَاتَة ( بضم الميم وفتح الزاى والتاء المثناة فوق وهاء فى الآخر ) ، وهم بنو مُزَاتَة ، بن لَوَاثَة الأصغر ، ومنازلهم من البحيرة غربا إلى العقبة الكبيرة ببرقة .

### المقصد الثالث

( فى معرفة أنساب العجم )

وهم من عدا العرب من الفُرس ، والتُرك ، والرُّوم ، وغيرهم . ويُحتاج إلى ذلك فى المكاتبات إلى ملوكهم ، وعَقْدًا لَهُدَن معهم ، ونحو ذلك .

والمشهور من الأمم العجمية ست وعشرون أمة .

الأولى - الترك ( بضم التاء المثناة فوق وسكون الراء المهملة وكاف فى الآخر ) ، وهم الأئمة المشهورة الذين منهم مُلُوك الديار المصرية الآن ، وهم من بنى تُرك ، بن كوسر ، بن يافِث ، بن نوح عليه السلام ، وقيل من بنى طيراش ، بن يافث ، ونسبهم أبى سعيد إلى ترك ، بن عابر ، بن شمويل ، بن يافث . قال فى العبر : ويدخل فى جنس الترك القفجاق ، وهم الخفشاج ، والطغر غرب ، وهم التتر . ويقال فيهم التار بزيادة ألف ، والططر بابدال التاء طاء ، والخطا ، والخزنجية والخزَر ، وهم الغز الذين كان منهم ملوك السَّلاجقة ، والهِياطلة ، وهم الصغدر والغور والعلان ، ويقال : اللان ، والشركس ، والأزكش ، والروس فكلُّهم من جيل الترك ونسبهم داخل فى نسبهم .

قريش، وأولاد زَعَاذِعَ، وهم أشهرُ مَنْ في الصَّعيد . وقطوفة تجمع مَغَاة وواهلة .  
وبركين تجمع بنى زيد وبنى روحين . ومزورة تجمع بنى وركان وبنى غرواسن .  
ثم قال : فأما بنو بلار ففرقتان فرقة بالهنسائية، وهم بنو محمد، وبنو عليّ، وبنو نزار،  
ونصف بنى شهلان .

وأما الفرقة التي بالجزيرة ، فبنو مجدول ، وسَقَّارة ، وبنو أبي كَثير ، وبنو  
الجلاليس . قال : ويقال لهذه الفرقة جد وخاص ، ويقال للأولى البَلارية ؛ ومنهم  
مَغَاة ، ولهم سَمْلُوط إلى الساقية ، وبنى بركين قُلُوسَنَا وما معها إلى بحرى طَنْبَدَى ،  
وبنى جد وخاص الكفور الصولية ، وسَفْط أبو حرجا إلى طنبدى ، وإهريت . ومنهم  
بنو محمد ، وبنو عليّ المقدم ذكرهما ، وأمرؤهم بنو زعازع .

وأما مزورة ، فبنو وركان ، وبنو غرواسن ، وبنو جمار ، وبنو الحكم ،  
وبنو الوليد ، وبنو الحجاج ، وبنو الحرمة .

وأما بنو نزار . فمن بنى زرية ؛ ومنهم نصف بنى عامر ، والحماصة ، والضباعنة ؛  
وهم في إمارة بنى زعازع . ومنهم أيضا بنو زيد وأمرؤهم أولاد قريش ، ومساكنهم  
النَّويرة ؛ وبالجزيرة منهم صلامس : عرب البدرشين ، وبنو منصور : عرب منية  
رهينة ، وبنو بكم : عرب سَقَّارة ، وبنو مجدول ، وبنو يرني ، وبنو يوسف ، وبهم  
تعرف الكفور الثلاثة المسماة بأسمهم . وبالمنوفية منهم بنو يحيى ، والسوة ، وعبيد ،  
ومصالة ، وبنو مختار . ومن لَوَاثة هؤلاء زُنَّارة (بضم الزاى وتشديد النون وألف  
ثمراء مهيأة مفتوحة وهاء في الآخر) ، وهم بنو زُنَّارة من ولد بر، بن قيذار، بن إسماعيل  
عليه السلام ، وقال : إنه أخو هَوَّارة ، وأكثر زُنَّارة ببلاد المغرب ؛ ومنهم جماعة

(١) في السبائك بنو الجلاس بالميم وحرر .

(٢) في معجم ياقوت طنيزة بالذال المعجمة وهاء التأنيث .

والبلازد ، والصوامع ، والسدادرة ، والزبانية ، والخياشنة ، والطرده ، والأهله ،  
 وازلتين ، واساين ، وبنو قير ، والنيه ، والتبابعة ، والغنائم ، وفزاره ، والعبادة ،  
 وساوره ، وغلبن ، وحديد ، والسبعة . وذكر في "مسالك الأبصار" أن لهم بالديار  
 المصرية البحيرة ، ومن الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة ، ولم يزل الأمر على  
 ما ذكره إلى آخر المائة الثامنة في الدولة الظاهرية الشهدية برقوق فغلهم على البحيرة  
 زنارة وحلفائهم من بقية عرب البحيرة ، فخرجوا عنها إلى صعيد مصر ، ونزلوا به  
 بالأعمال الإنخيمية في جرجا وما حولها . ثم قوى أمرهم ، واشتد بأسهم ، وكثر  
 جمعهم ، حتى أنتشروا في معظم الوجه القبلي فيما بين أعمال قوص ، وإلى غربى الأعمال  
 البهنسية ، وأقطعوا بها الإقطاعات ، وصارت الإمرة في بلاد إنخيم لأولاد عمر ،  
 وفي أعمال البهنسا وما حولها لأولاد غريب ، والأمر على ذلك إلى الآن .

(١)  
 القبيلة الثانية - لؤآثة (بفتح اللام والواو والتاء المثناة وهاء في الآخر) قال  
 الحمداني : ويقال لؤآنا بالألف ، وهم بنو لؤآنا الأصغر ، بن لؤآنا الأكبر ، بن رحيك ،  
 ابن مادغش الأبتري ، بن بربر . قال الحمداني : وهم يقولون إنهم من قيس من  
 غطفان ، بن سعد ، بن قيس عيلان . وذكر عن بعض النساين أنهم من ولد برّ ، بن  
 قيذار ، بن إسماعيل عليه السلام ، وأنه تزوج امرأة من العالليق فولدت له أولادا  
 منهم لؤآثة .

وحكى ابن حزم عن بعض النسابة : أن لؤآثة من القبط . ثم قال : وليس بصحيح .  
 قال الحمداني : ولهم بمصر بطون كثيرة ، منهم بنو بلار ، وجد وخالص ، وبنو مجدول ،  
 وبنو جديدي ، وقطوفه ، وبركين ، ومالو ، ومزورة . قال : وبنو جديدي تجمع أولاد

(١) ذكرها صاحب القاموس بهذا الضبط في باب التاء المثناة من فوق فليتبّه .

وقيل صنهاج، بن أوريغ، بن برنس، بن بربر. ويقال إنهم من حمير من عرب اليمن قاله ابن الكلبي والطبري والبيهقي والمسعودي وعبد العزيز الجرجاني .  
وحكى ابن حزم : أن صنهاج إنما هو ابن امرأة أسمها بصلى وليس له أب معروف وأنها تزوجت بأوريغ، وهو معها، فولدت له هؤارة<sup>(١)</sup>، فكان صنهاج أخا هؤارة لأئمة .  
ومن صنهاجة لمتونة (بفتح اللام وسكون الميم وضم التاء المثناة فوق وفتح النون وهاء في الآخر) ، ومن لمتونة ملوك المرابطين الذين كان منهم أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين باني مدينة مراكش من الغرب الأقصى ، وهم الذين آقترض ملكهم بدولة الموحدين .

الطائفة الثانية - الذين منهم بالديار المصرية . قال في العبر : وهم قبيلتان .  
القبيلة الأولى - هؤارة (بفتح الهاء وتشديد الواو وفتح الراء المهملة بعد الألف وهاء في الآخر)، وهم بنو هؤارة بن أوريغ، بن برنس، بن بربر . وذكر الحمداني أنهم من ولد برء بن قيذار، بن إسماعيل عليه السلام . قال في العبر : ونسأبتهم يقولون إنهم من عرب اليمن : فتارة يقولون إنهم من عاملة إحدى بطون قضاة، وتارة يقولون إنهم من ولد المسور، بن السكاسك، بن وائل، بن حمير، وتارة يقولون من ولد السكاسك، بن أشرس، بن كندة، فيقولون هؤار، بن أوريغ، بن حيور، بن المثنى، ابن المسور . وقد عد الحمداني من بطونهم بالديار المصرية بنى مجريش، وبنى اسرات ، وبنى قطران، وبنى كريب ، ولكنهم الآن قد آتسعت بطونهم، وكثرت شعوبهم، وصار لهم بطون كثيرة .

منها بنو محمد، وأولاد مأمون، وبندار، والعرايا، والشلة، وأشخوم، وأولاد مؤمنين، والروابع، والروكة، والبروكية، والبهاليل، والأصابعة، والدناجلة، والمواسية

(١) في العبر بدون هاء التأنيث وقد اختلف الأصل الذي بيدنا فتارة يثبتها وتارة يحذفها .



القبيلة الثانية - زِنَاةُ ( بكسر الزاى وفتح النون وبعد الألف تاء مشناة فوق مفتوحة وهاء فى الآخر ) وهم بطن من البُثْر بن البربر . قال فى العبر : وأسم زِنَاةُ جانا بالحيم ويقال شانا بالشين ، ابن يحيى ، بن صولات ، بن ورساك ، بن ضرى ، بن رحيك ، بن مادغش ، بن بربر . ونقل ابن حزم عن بعضهم أن ضرى ، بن شقعو ، بن تبدواد ، بن ثملا ، بن مادغش ، بن هولك ، بن برسق ، بن كداد ، بن مازيغ ، بن هراك ، ابن هريك ، بن بدا ، بن بديان ، بن كنعان ، بن حام ، بن نوح عليه السلام . وقيل : جانا ابن يحيى ، بن ضرير ، بن جالوت ، بن هريك ، بن جديلات ، بن جالود ، بن رديلات ، ابن عصى ، بن بادين ، بن رحيك ، بن مادغش الأثر ، بن قيس عيلان ، وحينئذ تكون من العرب العدنانية . وقيل : جالوت ، بن جالود ، بن ديال ، بن قحطان ، بن فارس فتكون من الفرس . قال فى العبر : وتزعم نَسَابَةُ زِنَاةُ الآن أنهم من حمير من التبابعة فيكونون من التَّحْطَانِيَّةِ ، وبعضهم يقول إنهم من العَمَلَقَةِ . وقد تقدّم عددهم فى العرب .

ومن زِنَاةُ بنو مَرَيْنَ ( بفتح الميم وكسر الراء المهملة وسكون الياء المشناة تحت ونون فى الآخر ) وهم بنو مَرَيْنَ ، بن ورتاجن ، بن ماخوخ ، بن وجريخ ، بن فاتن ، ابن بدر ، بن يحفت ، بن عبد الله ، بن زرتييص ، بن المعز ، بن إبراهيم ، بن رحيك ، بن واشين ، بن نصبين ، بن سرا ، بن احيا ، بن ورسيك ، بن اديت ، بن جانا ، وهو زِنَاةُ . ومن بنى مَرَيْنَ هؤلاء بنو عبد الحق ملوك فاس القائمون بها الى الآن على ما يأتى ذكره فى الكلام على المسالك والممالك إن شاء الله .

ومن زِنَاةُ أيضا بنو عبد الواد ملوك تلمسان من المغرب الأوسط القائمون بها الى الآن .

القبيلة الثالثة - صَنَهاجَةُ ( بفتح الصاد المهملة وسكون النون وفتح الهاء وألف بعدها جيم مفتوحة وهاء فى الآخر ) وهم بنو صَنَهاجَةُ ، بن بنس ، بن بربر .

وقيل أخلاط من كنعان والعاليق ؛ وقيل من حير ومصر والقبط ؛ وقيل من ولد جالوت ملك بنى إسرائيل ، وانه لما قتله داود تفرقوا في البلاد فلما غزا افريقش البلاد نقلهم من سواحل الشام إلى المغرب ، وهو الذى رجمه صاحب العبر . وبالجملّة فأكثر الأقوال جانحة إلى أنهم من العرب وإن لم يتحقق من أىّ عرب هم ، وهم قبائل متشعبة وبطن متفرقة ، وأكثرهم ببلاد المغرب ؛ وبديار مصر منهم طائفة عظيمة ، قال فى العبر : وهى على كثرتها راجعة إلى أصليْن لا تُخرج عنهما : أحدهما البرانس ، وهم بنو برنس بن بربر . والثانى البتر ، وهم بنو مادغش الأتر بن بربر . وبعضهم يقول إنهم يرجعون إلى سبعة أصول ، وهى اردواحة ، ومصمودة ، وأوربة ، وعجبة ، وكّامة ، وصنهاجة ، وأوريغة . وزاد بعضهم لمطة ، وهسكورة ، وكرولة . وقد ذكر صاحب العبر منهم الجمّ الغفير ، والذى تدعو الحاجة إلى ذكره من ذلك طائفتان .

الطائفة الأولى - الذين كان منهم ملوك المغرب للحاجة إلى ذلك لمعرفة أنساب الملوك عند المكتبة إليهم ، وهم ثلاث قبائل .

القبيلة الأولى - مَصْمُودَة (بفتح الميم وسكون الصاد المهملة وضم الميم وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر) وهم بنو مَصْمُودَة بن برنس بن بربر . قال فى العبر : وهم أكبر قبائل البربر ، وأكثرهم عددا ، وأوسعهم شعوبا ، ومنهم الموحدون أصحاب المهديّ بن تومرت القائم بقاياهم بأفريقية إلى الآن .

ومن مَصْمُودَة هَتَاتَة (بفتح الهاء وإسكان النون وفتح التاء المثناة فوق وبعدها الف ثم تاء ثانية مفتوحة وهاء فى الآخر) ومنهم أبو حفص أحد أصحاب المهديّ بن تومرت المقدم ذكره ، وهو الذى ينسب إليه الحَفْصِيُّون ملوك إفريقية القائمون بتونس إلى الآن على ماسياتى ذكره فى الكلام على المسالك والممالك .

ومن ولد جعفر بن أبي طالب أقوام ببلاد الشام بوادي بنى زيد، وبصرخند وبلادها جماعة من عامر بن هلال، يدعون أنهم من بنى جعفر بن أبي طالب أيضا . وفي بعض قُرى أذرعات قوم يدعون أنهم منهم . وأما الحارث وأبو لهب فقد ذكر في العبر أن لهما عقبا موجودا ولم يصرح بحمله .

### الضرب الثالث

(من العرب الموجودين المتردد في عروبتهن)

وهم البربر (ببائين موحدتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة وراء مهملة في الآخر) . قال الجوهري : ويقال فيهم البريرة والهاء للعجمة والنسب ولا يمتنع حذفها . وقد اختلف في نسبهم اختلافا كثيرا فذهبت طائفة من النساين إلى أنهم من العرب . ثم اختلف في ذلك فقليل أوزاع من اليمن ، وقيل من غسان وغيرهم تفرقوا عند سيل العرم قاله المسعودي ؛ وقيل خلفهم أبرهة ذو المنار أحد تبابعة اليمن حين غزا المغرب ؛ وقيل من ولد لُقْمَان بن حَمِير بن سَبَأ ، بعث سرية من بنيهِ إلى المغرب ليعمروه ، فتلوا وتناسلوا فيه ؛ وقيل من لحم وجذام ، كانوا نازلين في فلسطين من الشام إلى أن أخرجهم منها بعض ملوك فارس فلبثوا إلى مصر فمنعهم ملوكها من نزولها فذهبوا إلى المغرب فتلوه ؛ وذهب قوم إلى أنهم من ولد لقشان بن إبراهيم الخليل عليه السلام . وذكر الحمداني أنهم من ولد بَرَبَر بن قِيْذَار بن إسماعيل عليه السلام ، وأنه ارتكب ذنبا فقال له أبوه البربر أذهب يا برفما أنت يبر ، وقيل هم من ولد بَرَبَر بن ثميلا بن مازيع بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل من ولد بَرَبَر بن كسلاجيم بن حام بن نوح ؛ وقيل من ولد ثميلا بن ماراب بن عمرو ابن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ؛ وقيل من ولد قَبْط بن حام بن نوح ؛

وَضَرَّارَ ، وَحَمْزَةَ ، وَجَجْلَ ، وَأَبُو لَهَبَ ، وَفُتْمَ ، وَالْغَيْدَاقَ الْمَلْقَبَ بِالْمُقَوِّمِ ، وَالْحَارِثَ  
أَعْمَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِلافٍ فِي الْعَدَدِ فِيهِمْ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَالْعَقَبُ  
مِنْهُمْ لِسِتَّةٍ : حَمْزَةُ ، وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَأَبُو لَهَبٍ ، وَأَبُو طَالِبٍ ، وَالْحَارِثُ ،  
وَعَبْدُ اللَّهِ .

فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَمِنْ وَلَدِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَلَاصَةُ الْوُجُودِ ، وَزُبْدَةُ الْعَالَمِ .  
وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَمِنْ وَلَدِهِ الْخُلَفَاءُ مِنْ زَمَنِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّقَّاحِ أَوَّلِ خُلَفَائِهِمْ وَهَلَمَّ جَاءَ  
إِلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ خَلِيفَةَ الْعَصْرِ . وَأَمَّا حَمْزَةُ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ عَقِبَهُ  
أَنْقَرُضَ . وَأَمَّا أَبُو طَالِبٍ فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ ، وَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ  
اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَجَعْفَرُ ، وَعَقِيلُ ، فَمِنْ وَلَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ  
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَقِبَهُمَا قَدْ مَلَأَ  
الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ ؛ وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِي أَنَّ مِنْهُمْ بِصَعِيدِ مِصْرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجَعْفَرِيَّةِ بَنِي  
جَعْفَرِ الصَّادِقِ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَقَالَ مَسْكَنُهُمْ مِنْ بَحْرَى مَنَقْلُوطٍ إِلَى سَمَلُوطٍ  
غَرْبًا وَشَرْقًا ، وَعَدَّةٌ مِنْ بَطُونِهِمُ الْحَيَادِرَةِ ، وَهُمْ أَوْلَادُ حَيْدَرَةَ ، وَالسَّلَاطِنَةِ ، وَهُمْ  
أَوْلَادُ أَبِي جُحَيْشٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ الشَّرِيفُ حِصْنُ الدِّينِ بْنِ تَغْلِبٍ صَاحِبُ  
دَرْوَةِ سَرَبَامٍ مِنَ الْأَشْثُونِيِّينَ ، وَبِهِ عُرِفَتْ بَدَرْوَةُ الشَّرِيفِ ، وَكَانَ قَدْ سَمَتْ نَفْسُهُ  
إِلَى الْمُلْكِ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْإِيوُوبِيَّةِ وَبَقِيَ حَتَّى مَلَكَ الظَّاهِرُ بَيْرُوسَ ، فَأَعْمَلَ لَهُ غَوَائِلَ  
الْغَدْرِ حَتَّى قَبِضَ عَلَيْهِ وَشَنَقَهُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ . قَالَ وَمِنْ بَنِي الْحُسَيْنِ قَوْمٌ بِحَرَجَةِ  
مَنَقْلُوطٍ ، وَبَنِي الْحُسَيْنِ هَؤُلَاءِ تَعْرِفُ الْقَرْيَةَ الْمُسَمَّاةَ بِبَنِي الْحُسَيْنِ . وَفِي أَسْيُوطَ  
جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ يُعْرِفُونَ بِأَوْلَادِ الشَّرِيفِ قَاسِمٍ . وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ  
الْأَبْصَارِ" أَنَّ بَسَامِيَّةً وَحَلَبَ وَبِلَادَهُمَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي الْحُسَيْنِ .



أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيُّ سُهَيْلًا \* عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ  
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ \* وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

وقد اختلف في النسبة إلى أمية على مذهبين، أحدهما أنه أموى بضم الهمزة جريا على اللفظ في أمية، وإليه يميل كلام الشيخ أثير الدين أبي حيان في شرح التسهيل، الثاني أنه ينسب إليها أموى بفتحها لأن أمية تصغير أمة فإذا نسبت رددته إلى أصله وعليه اقتصر الجوهرى .

(١)  
القبيلة الثانية - نوفل، وهم بنو نوفل بن عبد مناف، ومنهم نافع بن طريب ابن عمرو بن نوفل الذى كتب المصاحف لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ وكان نوفل وعبد شمس متآلفين بجرى بنوهما على ذلك .

القبيلة الثالثة - بنو المطلب، وهم بنو المطلب بن عبد مناف، وكان المطلب متآلفا مع أخيه هاشم بن عبد مناف المقدم ذكره بجرى بنوهما على ذلك، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم "لَمْ يَفْتَرِقْ هَاشِمٌ وَالْمُطَلِّبُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامَ" . ومن بنى المطلب الإمام الشافعى رضى الله عنه .

الأصل التاسع - هاشم بن عبد مناف، وأسمه عمرو، وسمى هاشما لهشمه الثريد أيام المجاعة ؛ وفى ذلك يقول الشاعر :

عَمَرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ \* وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتِنُونَ عِجَافُ

وأنتهت إليه سيادة قريش . وكان له على حاشية عمود النسب أربعة أولاد . وهم نضلة، وأسد، وصيفى، وأبو صيفى، ولم يشتهروا كل الأشتار .

الأصل العاشر - عبد المطلب بن هاشم، وكان له اثنا عشر ولدا : عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة، والعباس،

(١) كذا فى سبائك الذهب أيضا والذي فى العقد الفريد شافع بن ظرب .

ومنهم خديجة أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وورقة بن نوفل الذي أنته خديجة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم، في ابتداء النبوة حين جاءه الملك بحراء. وقد ذكر الحمداني أن من بنى الزبير طائفة بصعيد مصر ببلاد البهنسا وما يليها. فمن ولد عبد الله بن الزبير بنو بدر، وبنو مصلح، وبنو رمضان. ومن بنى مُصعب بن الزبير جماعة يعرفون بجماعة محمد بن وراق. ومن ولد عروة ابن الزبير بنو غني.

الأصل الثامن - عبد مناف بن قصي، ولبنى عبد مناف في قريش النسب الصميم، والحسب الكريم، وإلى هذا أشار أبو طالب بقوله:

إِذَا أَفْتَحَرْتُ يَوْمًا قَرِيشَ بِمَفْخَرٍ \* فَعَبْدُ مَنْفٍ أَصْلُهَا وَصِيْمُهَا

ويتفرع منه على حاشية عمود النسب ثلاث قبائل.

القبيلة الأولى - بنو عبد شمس بن عبد مناف. ومن عبد شمس بنو أمية؛ وهم بنو أمية الأكبر وأمية الأصغر أبني عبد شمس بن عبد مناف.

فأما أمية الأكبر، فكان له عشرة أولاد: أربعة منهم يسمون الأعياص؛ وهم العاص، وأبو العاص، والعيص، وأبو العيص، وستة يسمون العنابس؛ وهم حرب، وأبو حرب، وسُفيان، وأبو سُفيان، وعمرو، وأبو عمرو.

ومن بنى أمية الأكبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب، والحكم بن العاص. ومن ولده كانت المراءنة خلفاء بني أمية.

وأما أمية الأصغر فيقال لأولاده العبلات، ومن عقب أمية الأصغر الثريث بنت عبد الله بن الحارث بن أمية، التي كان يشبب بها عمر بن أبي ربيعة، وكان تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، وفيهما يقول عمر بن أبي ربيعة:

وآرتجع مفاتيح الكعبة من خُزاعة بعد أن كانوا آتزعوها من بنى إسماعيل على ما تقدم ذكره . ويتفرع منه على حاشية عمود النسب قبيلتان .

القبيلة الأولى - بنو عبد الدار ، وهم بنو عبد الدار بن قُصَيٍّ ، وبيد بنيهِ كانت مفاتيح الكعبة دون سائر بنى قُصَيٍّ . وذلك أن قُصَيًّا لما أخذ مفاتيح الكعبة من أبى غُبْشَانَ الخُزَاعِيَّ ، أرسلها مع ابنه عبد الدار هذا إلى البيت وقال : يا بنى إسماعيل هذه مفاتيح بيت أبيكم إبراهيم وقد أعادها الله تعالى إليكم . فبقيت بيده من حينئذ ، ومن ولده عثمان بن طلحة الحُجَبِّي الذي آتزع النبي صلى الله عليه وسلم منه مفاتيح الكعبة عام حجة الوداع حين طلبها منه لتدخل عائشة رضى الله عنها البيت ليلا فامتنع من ذلك وقال : إن الكعبة لم تُفتح ليلا قط فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فأعادها إليه وقال ﴿ هِيَ فِيكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . وقد ذكر في المسالك أن بجماء أقواما من بنى عبد الدار .

ومن بنى عبد الدار بنو شيبَةَ بن عثمان المقدم ذكره ، ابن طلحة ، بن أبى طاحَة ، بن عبد العزى ، بن عثمان ، بن عبد الدار ، وهم حُجَبَةُ الكعبة ، ومفاتيحُها بيدهم إلى الآن . وقد ذكر الحمدانى أن من بنى شيبَة هؤلاء قوما بصعيد مصر بسفط وما يليها من بلاد البهنسائية يعرفون بجماعة نَهَار .

القبيلة الثانية - بنو عبد العزى ، وهو عبد العزى بن قُصَيٍّ ، منهم هَبَار بن الأسود كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم فحسن إسلامه ومدحه .

ومن بنى عبد العزى هؤلاء بنو أسد ، وهم بنو أسد بن عبد العزى المقدم ذكره . ومن بنى أسد هؤلاء الزَّيَّير بن العوام ، أحدُ العشرة المقطوع لهم بالجنة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يَقْظَةَ بن مُرَّة بن كعب ، وبه اشتهرت القبيلة دون أبيه يَقْظَةَ لكثرة عقبه دون أبيه . منهم خالد بن الوليد أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو جهل ابن هشام عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخوه العاص بن هشام ، قُتِلَا يوم بدر كافرين ، وأخوهما سلمة بن هشام ، أسلم وكان من خيار المسلمين . ومنهم سعيد بن المسيب التابعي المشهور . وقد ذكر الحمداني أن من بني مخزوم جماعة بصعيد مصر بالأسْثُونيين وفيهم بأس وشدة . وذكر أيضا أن منهم خالد حمص وخالد الحجاز . وذكر أن كلا منهم يدعى بنو خالد بن الوليد رضى الله عنه . ثم قال : وقد أجمع أهل العلم بالنسب على أنقراض عقبه . قال ولعلهم من سواه من بني مخزوم فهم أكثر قریش بقية وأشرفهم جاهلية .

الأصل السادس - كلاب بن مُرَّة ، ويتفرع منه على حاشية عمود النسب قبيلة واحدة ، وهى زُهْرَة (بضم الزاى وسكون الهاء وفتح الراء وهاء فى الآخر) وهم بنو زُهْرَة بن كلاب بن مُرَّة قاله أبو عبيد وغيره . وقد ذكر الجوهري أن زُهْرَة اسم امرأة كلاب تُسبب ولده إليها . منهم سعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف كلاهما من العشرة المقطوع لهم بالحنة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الحمداني أن منهم جماعة ببلاد الأسْثُونيين بصعيد مصر .

الأصل السابع - قُصَي بن كلاب بن مُرَّة ، وكان قُصَي عظيمًا فى قریش ، وهو الذى جمّعهم بعد التفرق ، وفى ذلك يقول الشاعر :

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ حِينَ يَدْعَى مُجْمَعًا \* بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فَهْرٍ



جماعة إلى الديار المصرية في وزارة الصالح طلائع بن رزّيك وزير الفائز الفاطمي .  
ومنهم رجال من بني عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ومقدمهم خَلَف بن نصر  
العُمريّ وأنهم لقوا من الصالح طلائع بن رزّيك وافر الأكرام ، ونزلوا بالبرأس<sup>(١)</sup> من  
سواحل الأعمال الغربية . وذكر أن من العُمريين ببلاد الشام فرقة بوادى بنى  
زيد وفرقة بعجلون .

الأصل الخامس - مرة بن كعب ، ويتفرع عنه قبيلتان على حاشية  
عمود النسب .

القبيلة الأولى - تيم ، وهم بنو تيم بن مرة بن كعب . ومنهم أبو بكر الصديق  
رضى الله عنه ، وطلحة أحد العشرة المقطوع لهم بالحنة . وقد ذكر الحمداني أن من  
بنى الصديق رضى الله عنه من بنى عبد الرحمن وبنى محمد ولدى أبي بكر رضى الله  
عنه جماعة بالأشْمُونِيْنَ والبهْئَسَائِيَّة من صعيد مصر . قال الحمداني ، وهم ثلاث فرق هم  
وأقرباؤهم وأطلق على الكل بنو طلحة . فالفرقة الأولى منهم بنو إسحاق ، ويقال إن  
إسحاق ليس أبا لهم وإنما هو (إسحاق) مكان تحالفوا عنده فُسِّمُوا به . والفرقة الثانية  
فضاء طلحة ، وهم بطون كثيرة ، وأكثرهم أشتات كثيرة في البلاد لاحد لهم . والفرقة  
الثالثة بنو محمد ، وهم بنو محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، ومنازلهم بالبرجين  
وسَفَط سُكَّرة ، وطحا المدينة من بلاد الأشْمُونِيْنَ فيما ذكره الحمداني ، وأكثرهم الآن  
بدهروط من البهْئَسَائِيَّة ، وخرج منهم جماعة من العلماء على مذهبي الإمامين : مالك  
والشافعي رضى الله عنهما .

القبيلة الثانية - بنو يَقْظَة ، وهم بنو يَقْظَة بن مُرَّة . ومنهم بنو مخزوم ( بفتح الميم  
وسكون الخاء المعجمة وضم الزاى وسكون الواو وميم فى الآخر ) وهم بنو مخزوم بن

(١) قال ياقوت برلس بفتحيتن وضم اللام وتشديدها وفى القاموس برلس بالضمات وشد اللام .

القبيلة الثانية - تُزَيْمَة (بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي) وهم بنو خزيمية بن لؤى، وكان تحتها عائذة (بالعين المهملة والياء المشناة تحت والذال المعجمة) بنت الحِمْس بن خُفَافَة فُعْرِيف ولده بها فقييل لهم بنو عائذة .

القبيلة الثالثة - بنو عامر، وهم بنو عامر بن لؤى، وكان له من الولد حَسَل وبَغِيض . ومن ولد حَسَل سُهَيْل بن عمرو الذى عقد الصُّلَح مع النبي صلى الله عليه وسلم، يوم الحُدَيْبِيَّة لقريش؛ ومنهم عمرو بن عبدود العامريّ فارس العرب الذى قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه .

الأصل الرابع - كعب بن لؤى بن غالب، ويتفرع منه خارجا عن عمود النسب قبيلتان .

القبيلة الأولى - هُضَيْض (بضم الهاء وفتح الصاد المهملة وسكون الياء المشناة تحت وصاد مهملة فى الآخر). ومن هُضَيْض بنو سَهْم، منهم عمرو بن العاص رضى الله عنه، وكانت خُطَّة بنى سَهْم بفسطاط مصر حول الجامع العتيق . وقد ذكر الحمدانى أن من بنى عمرو بن العاص أشتاتاً بالصعيد، ولهم حصّة فى وقف عمرو على أهله بمصر .

ومنهم بنو جُمَح (بضم الجيم وفتح الميم وحاء مهملة فى الآخر) وهم بنو جُمَح بن هُضَيْض المقدم ذكره؛ ومنهم أُمَيَّة بن خَلَف عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن من بنى جُمَح قوما بأذرعات من بلاد الشام .

القبيلة الثانية - بنو عَدَى، وهم بنو عدى بن كعب؛ ومنهم أمير المؤمنين عمرُ أبى الخطاب رضى الله عنه وسعيد بن زيد أحد العشرة المقطوع لهم بالجنة؛ وقد ذكر القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" أنه وفد من بنى عدى

السفينة على أنفسهم فأخرج سهما من كئانته ورمأها فأثبتها، ثم قُرِبَت السفينة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها معه إلى مكة فسُمِّيَ باسمها . وقيل سُمِّيَ بنوه بذلك لغلبتهم القبائل وقهرهم إياهم، تشبها بالدابة المقدم ذكرها من حيث إنها تقهر سائر دواب البحر وقيل أخذوا من التقرش، وهو الاجتماع لأن قُصِيًّا جمعهم عليه عند ولايته أمر قُرَيْش . وقيل لتجارتهم أخذوا من التقرش، وهو التجارة .

ثم لقريش عشرة أصول على عمود النسب .

الأصل الأول - فِهْر بن مالك، ويتفرع عن فهر على حاشية عمود النسب قبيلتان .

القبيلة الأولى - بنو الحارث، وهم بنو الحارث بن فِهْر . ومن بنى الحارث هؤلاء بنو الحَراح رهط أبي عُبيدة بن الجراح، أحد العشرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المقطوع لهم بالحنة .

القبيلة الثانية - بنو محارب بن فهر، المقدم ذكره . ومنهم الضَّحَّاك بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأصل الثاني - غالب بن فهر . ويتفرع عنه على حاشية عمود النسب قبيلة واحدة، وهم بنو الأدرم بن لؤي<sup>(١)</sup> بن غالب، والأدرم هو الناقص الدَّوْن .

الأصل الثالث - لؤي بن غالب . ويتفرع منه على حاشية عمود النسب ثلاث قبائل .

القبيلة الأولى - سعد، وهم بنو سعد بن لؤي بن غالب، كان له من الولد عمار، وعمارى، ومخزوم، من أمهاتة بُنَّانَة (بضم الباء الموحدة) وبها يُعرَفون فيقال لهم بنو بُنَّانَة، ومنهم أبو الطَّفِيل أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) فيه نظر فإن تيم الأدرم ابن غالب كما في القاموس في مادة ت ي م فلعل لفظ ابن لؤي مما طغى به قلم الناسخ .

ومنهم بنو الحارث ، ويقال فيهم بلحارث ؛ وهم بنو الحارث بن عبد مناة .  
ومنهم بنو مُدْج ( بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر اللام وجيم في الآخر ) ،  
وهم بنو مُدْج بن مرة بن عبد مناة . وفي بنى مُدْج هؤلاء علم القيافة ، وهو إلحاق  
الآبن بالأب ونحو ذلك بالشَّبة . ومنهم طائفة الآن بصرخَد وحوران من بلاد  
الشام ، وطائفة بالأعمال الغربية من الديار المصرية .

ومنهم بنو صَمْرَة ( بفتح الصاد المعجمة وسكون الميم وفتح الراء المهملة وهاء  
في الآخر ) وهم بنو صَمْرَة بن بكر بن عبد مناة ، وإليه ينسب عمرو بن أمية الضمريّ  
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الحمدانيّ أن منهم طائفة بساقية  
قُلْتَة وما يليها من بلاد إنجيم من صعيد مصر .

الفرع الثالث - عمرو بن كَنانة ؛ وإليه ينسب العمريّون من بنى كَنانة .

الفرع الرابع - عامر بن كَنانة ؛ ومنه العامريّون من كَنانة .

الفرع الخامس - مالك بن كَنانة . ومن عقبه بنو فراس ، بن غنم ، بن ثعلبة ، بن  
الحارث ، بن مالك . وفي بنى فراس هؤلاء يقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب  
رضي الله عنه لبعض من كان معه : " لَوِدِدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي بِأَلْفٍ مِنْكُمْ سَبْعَةٌ مِنْ بَنِي  
فِرَاسِ بْنِ غَنَمٍ " . وقد ذكر الحمدانيّ أن منهم جماعة بساقية قُلْتَة وما يليها من الإنجيمية  
بمصر . وذكر الحمدانيّ أيضا أن من كَنانة بن خزيمة طائفة بصعيد مصر بالأشْموئيين  
وما حولها تُعرَف بِكَانَةَ طَلْحَة .

الصنف الثاني من العرب العدنانية - قُرَيْش ( بضم القاف وفتح الراء المهملة ) ،  
وهم بنو النَّضَر ( بفتح النون وسكون الصاد المعجمة ) ابن كَنانة وقيل في تسميته بذلك إنه  
كان في سفينة بحر فارس إذ خرجت عليهم دابة عظيمة يقال لها قُرَيْش فخافها أهل



ومن بطون أسد الكاهلية ، وهم بنو كاهل بن أسد . ومن بطونهم دُودانُ بن أسد أيضا .

الأصل السادس - كنانة (بكسر الكاف ونون بعدها ألف ثم نون مفتوحة بعدها هاء) وهو كنانةُ بن خزيمه ؛ وهى قبيلة عظيمة اشتهرت على عمود النسب . وقد ذكر الحمداني أن منهم جماعة بالإخميمية من صعيد الديار المصرية يُعرفون بكنانة طلحة ، وذكر في "مسالك الأبصار" أن طائفة منهم قَدَموا الديار المصرية في وزارة الصالح طلائع بن رزيك ونزلوا دِمياطَ وما حولها . وله على حاشية عمود النسب خمسة فروع .

الفرع الأول - مَلْكان (بفتح الميم وسكون اللام ونون في الآخر) ، وهم بنو مَلْكان بن كنانة .

الفرع الثانى - عَبْد مناة باضافة عبد إلى مناة (بميم مفتوحة بعدها نون) ، وهم بنو عبد مناة بن كنانة ، ولهم عادة بطون .

منهم غِفَار (بكسر الغين المعجمة وفتح الفاء وراء بعد الألف) ، وهم بنو غِفَار ابن عبد مناة بن كنانة ، وهم رهط أبى ذر الغِفَارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم "غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ" .

ومنهم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛ ومن بكر هؤلاء الدُّئل . وهم بنو الدُّئل بن بكر ابن عبد مناة ؛ وإليهم ينسب أبو الأسود الدُّؤلَى واضع علم النحو بأمر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ومنهم بنو آيث ؛ وهم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة منهم الصَّعْب بن جَنَامة الليثى الصحابى رضى الله عنه . وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفة بساقية قُلْتة بالإخميمية من صعيد مصر .

مدركة . وهى قبيلة متسعة لها بطون كثيرة والنسبة إليها هُدَلِيّ بحذف الياء بعد الدال ، وإليهم يُنسب عبدالله بن مسعود الصحابى رضى الله عنه .

الأصل الخامس - خُرَيْمَة (بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى وسكون الياء المثناة تحت وفتح الميم وهاء فى الآخر) وهو خُرَيْمَة بن مُدْرِكَة . وله فرعان على حاشية عمود النسب ، وهما الهُون وأسد .

فأما الهون (فبضم الهاء وسكون الواو ونون فى الآخر) وهو الهُون بن خُرَيْمَة ، وهى قبيلة مشهورة .

(١)  
ومن بطون الهُون عَضَد (بفتح العين المهملة والضاد المعجمة ودال مهملة فى الآخر) ، وهم بنو عَضَد بن الهُون .

ومن بطون الهُون أيضا الديش (بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وشين معجمة فى الآخر) وهم بنو الديش بن مُلَيْح بن الهُون ، ويقال لهاتين القبيلتين وهما عَضَد والديش القارة . قال أبو عبيد : وُسُئوا بذلك لأن الشَّدَاخ اللبثى أراد أن يفرقهم فى بطون كأنه فقال بعضهم : دُعونا قارة لا نتفرق فُسُئوا القارة .

وأما أسد وضبطه معروف ، فهم بطن كبير متسع . قال فى العبر : ومنازلهم مما بلى الكَرْخ من أرض نجد فى مجاورة طي . قال : ويقال إن بلاد طي كانت لبني أسد ، فلما خرج بنو طي من اليمن تغلبوا على أجأ وسلمى ، وتفرق بنو أسد بسبب ذلك فى الأقطار ولم يبق لهم حى . قال ابن سعيد : وبلادهم الآن لطي . قال فى "مسالك الأبصار" : وبغسل وما ينضم إليها من بلاد الشام قوم من بنى أسد .

ومن حنظلة بنو يربوع (بفتح الياء المثناة تحت وسكون الراء المهملة وضم الباء الموحدة وسكون الواو وعين مهملة في الآخر)؛ وهم بنو يربوع بن حنظلة .

ومن بنى يربوع بنو العنبر بن يربوع؛ ومنهم سَجَّاحُ التى تنبأت في زمن مسيلمة الكذاب وهم غير بنى العنبر المقدم ذكرهم .

ومن قبائل طابخة بنو ضَبَّة (بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء) . قال في العبر : وكانت ديارهم بالناحية الشمالية من نجد بجوار بنى تميم ثم انتقلوا في الإسلام إلى العراق، وهم الذين قتلوا المتنبي الشاعر .

ومن قبائل طابخة أيضا مُزَيْنَة (بضم الميم وفتح الزاى وسكون الياء المثناة تحت وفتح النون وهاء في الآخر) وهم بنو عثمان وأوس، أبى عمرو، بن أَد بن طابخة، ومُزَيْنَة أمهما عَمِرُوا بها؛ وهى مُزَيْنَة بنت كَلْب بن وَبَرَة . ومنهم كَعْبُ بن زهير ناظم القصيدة المعروفة بِبَانتِ سَعَاد ، وإليهم يُنسب الإمام إسماعيل بن إبراهيم المزنى صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه .

الفرع الثانى - قَمْعَة (بفتح القاف والميم والعين المهملة وهاء في الآخر) وهم بنو قَمْعَة بن إلياس بن مضر . قال الجوهريّ إن أباه سماه قَمْعَة لما أنقمع في بيته أى انقهر وذلل ولم يشتمر عقبه .

الأصل الرابع - مُدْرَكَة (بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر الراء المهملة وفتح الكاف وهاء في الآخر) وهم بنو مدركة بن إلياس بن مضر؛ وقد تقدم سبب تسميته مدركة . وله فرع واحد على حاشية عمود النسب وهو هُدَيْل (بضم الهاء وفتح الدال المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ولام في الآخر) وهم بنو هُدَيْل بن

إلياس رآها يوما مشى ، فقال لها : مالك تُخَنِّدِينَ ؟ والخَنَدَفَةُ أَنْ يقلب ظهر قدمه إلى الأرض عند مشيه . وله فرعان على حاشية عمود النسب .

الفرع الأول - طابخة ( بفتح الطاء المهملة وكسر الباء الموحدة بعد الألف وفتح الخاء المعجمة وهاء في الآخر ) وهم بنو طابخة ، وأسمه عمرو بن إلياس بن مُصَر ، وسمى طابخة لأنه كان هو وأخوه مدركة الآتي ذكره على عمود النسب ، وكان أسمه عامرا ، في إبل لهما فصادا صيدا ، وقعدا يطبخانه فعَدَّتْ عادية على إبلهما فاستاقتهما ، فقال عامر لعمرو أَتَدْرِكُ الإبل أم تطبخ الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ الصيد ، فليحق دامر الإبل فجاء بها فلما جاءا أباهما أخبراه الخبر ، فقال لعامر : أنت مُدْرِكَةٌ . وقال لعمرو : أنت طابخة فسميا بذلك .  
ويتفرع عن طابخة قبائل كثيرة .

فن قبائل طابخة تميم ( بفتح التاء المثناة فوق وكسر الميم رسكون الياء المثناة تحت وميم في الآخر ) وهم بنو تميم بن مُرّ بن مُرَاد بن طابخة . قال في العبر : وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة ، وأمتدت إلى العُدَيْب من أرض الكوفة ، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر ، ولم يبق منهم بادية ، وورث مساكنهم غَزِيَّة من طي وخفاجة من بني عُقَيْل بن كعب .

ومن بطون تميم بنو العنبر ، وهم بنو العنبر بن عمرو بن تميم ، وإليهم يُنسَب جَدِيلَة ابن عبد الله العنبري الصحابي .

ومن بطون تميم بنو حَنْظَلَة وضبطه معروف ، وهم بنو حَنْظَلَة بن مالك ابن زيد مائة بن تميم ، ويقال لهم حَنْظَلَة الأكرمون . قال الجوهري : وهم أكبر قبيلة في تميم .



ومنه جميع أولاده . قال في العبر : وكانت منازلهم في عالية تجدد بالقرب من خيبر .  
ومن منازلهم حرّة سليم ، وحرّة الناريين وادى القرى وتيمّا . قال : وليس لهم  
الآن نجد عدد ولا بقية . ثم قال : وبإفريقية منهم حتى عظيم ، وقد تقدم أنه كان  
منهم جماعة بالبحرين فغلبهم عليها بنو عقيل بن كعب وبنو تغلب . وقال الحمداني :  
ومساكنهم برقة مما يلي المغرب ومما يلي مصر . قال : وفيهم الأبطال الأنجاد ،  
والخيل الحيات . قال في العبر : وقد استولوا على برقة ، وهي إقليم طويل واسع  
الأطراف ، وخربوا مدنه ولم يتركوا بها ولاية ولا إمرة إلا لما ينهزمهم . قال  
في "مسالك الأبصار" : والإمارة الآن فيهم في بني عزاز ، وهي الآن في زماننا  
لبنى عريف .

ومن سليم هؤلاء ليبد برقة ، وهم بطون كثيرة العدد .

ومن قبائل قيس عدوان ( بفتح العين وسكون الدال المهملتين ونون في الآخر )  
وهم بنو عدوان وأسمه الحارث بن عمرو بن قيس عيلان . قال أبو عبيد : وسمى  
عدوان لأنه عدا على أخيه فهم فقتله . قال في العبر : وهم بطن متسع ، وكانت منازلهم  
بالطائف من أرض نجد نزلوها بعد إباد والعمالق ، ثم غلبهم عليها ثقيف ، فخرجوا إلى  
تهامة . وبإفريقية الآن منهم أحياء بادية . وقد عدّ الحمداني عدوان من عرب بركة  
البحر من أحلاف آل فضل من عرب الشام ، فيحتمل أنهم هؤلاء وأنهم غيرهم .

الأصل الثالث - إلياس ( بكسر الهمزة وسكون اللام وفتح الياء المثناة تحت  
وسين بعد الألف ) وهو إلياس بن مضر المتقدم ذكره ، وكانت تحتة خندف ( بكسر  
الخاء وسكون النون وكسر الدال المهملة وفاء في الآخر ) وهي خندف بنت حلوان  
ابن عمران بن الحاف بن قضاعة ، فعرف بنوه بها فقيس لهم خندف : لأن زوجها

أَبْنُ دُبْيَان. قال في العبر : وكانت فزارة بنجد ووادي القرى ، فلم يبق منهم بَنَجْدٌ أَحَدٌ  
ونزل جيرانهم من طيِّ مَكَانِهِمْ . وذكر أن بأرض بَرْقَةَ إلى طَرَابُلُس الغرب منهم  
قبائل : رَوَاحَةَ ، وَهَيْتَ ، وَفَزَانَ . قال : وبافريقية والمغرب منهم الآن أحياء كثيرة ،  
أختلطوا مع أهلها يحتاج المعقل من عرب المغرب الأقصى إلى الاستظهار بهم . قال  
ومنها مع سليم بإفريقية طائفة أخرى أحلاف لأولاد أبي الليل من شعوب بني  
سُلَيْم ، يستظهرون بهم في مواقف الحرب ، و يقيمونهم لأنفسهم مقام الوزراء للولك .  
ثم قال وفي برقة ببلاد هَيْت جماعة منهم نازلون بها ؛ ومنهم طائفة بصحراء المغرب .  
قال الحمداني : ومنهم بالديار المصرية جماعة بالصعيد ، وجماعة بضواحي القاهرة  
في قلوب وما حولها ، وبهم عُرِفَت القرية المسماة بخراب فزارة هناك . ومن فزارة  
بنو مازن ، وبنو بدر ، فأما بنو مازن فهم بنو مازن بن فزارة ؛ وأما بنو بدر فهم بنو  
بَدْرِ بْنِ عَدَى بن فزارة : قال في العبر ، وفيهم كانت رئاسة بني فزارة في الجاهلية ،  
يرأسون جميع غطفان وتدين لهم قيس وإخوانهم بنو ثعلبة بن عدى ؛ ومنهم كان  
حذيفة بن بدر صاحب الفرس المعروفة بالغبراء المقدم ذكرها ؛ ومن بني بدر هؤلاء  
وبني عمهم بني مازن جماعة بالقليلية من الديار المصرية .

قلت : وبنو بدر هم قبيلتنا التي إليها نعتزى ، وفيها نتسب ؛ وأهل بلدتنا قَلَقَشَنَدَةُ  
نصفهم من بني بدر ونصفهم من بني مازن .

ومن قبائل قيس أيضا بنو سُلَيْم (بضم السين وفتح اللام) وهم بنو سليم بن منصور  
أَبْنُ عِكْرَمَةَ بْنِ خَصَّفَةَ بْنِ قَيْسِ عِيلَانَ . قال الحمداني : وهم أكبر قبائل  
قيس . وكان لسُلَيْم من الولد بُهْتَه (بضم الباء الموحدة في أوله وفتح المثناة بعد الهاء)  
(١)

(١) ذكره في القاموس في باب الثاء المثلثة فقال وبهتة رجل من سليم فتهبه .

ومن قبائل قيس بنو مازن ، وهم بنو مازن بن منصور بن خَصَفَة بن قيس عِيلَان . قال في العبر : وعددهم قليل .

ومن قبائل قيس أيضا بنو غَطَفَان بن قيس عيلان . قال في العبر : وهم بطن متسع كثير الشعوب والبطون . قال : وكانت منازلهم مما يلي وادى القرى وجبل طي أجاسمى ، ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية ، وأستولى على مواطنهم هناك قبائل طي .

ومن بطون غَطَفَان بنو عَبَس (بفتح العين وسكون الباء الموحدة وسين مهملة في الآخر) وهم بنو عَبَس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان . منهم زُهَيْر بن قيس صاحب حرب داحس والغبراء . وهما فرسان كانت إحداهما وهى داحس لعَبَس<sup>(١)</sup> والأخرى وهى الغبراء لفزارة فأجريت فوق الحرب بسببهما .

ومن عبس هؤلاء عنترة بن شداد الشاعر الفارس المشهور .

ومن غَطَفَان أَشْجَع (بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الجيم وعين مهملة في الآخر) وهم بنو أَشْجَع بن رَيْث بن غَطَفَان . قال في العبر : وكانوا هم عرب المدينة النبوية ، وكان سيدهم معقل بن سنان الصحابي . قال : ولم يبق أحد منهم بنجد إلا بقايا حول المدينة . ثم قال : وبالمغرب الأقصى منهم حتى عظيم يظعنون مع عرب معقل بجعات سحلماسة ولهم عدد وذكر .

ومن غطفان أيضا ذبيان ، قال الجوهري (بكسر الذال يعنى المعجمة وضمها) وهم بنو ذبيان بن رَيْث بن غَطَفَان ومنهم النابغة الذبياني الشاعر المشهور .

ومن ذبيان فزارة (بفتح الفاء والزاي والراء المهملة وهاء في الآخر) وهم بنو فزارة

(١) أنت الفرس المسمى بداحس ومقتضى القاموس تذكره وقد صرفه فيه فليحرر .

ومن بنى عُقَيْل أيضا خَفَاجَةً ( بفتح الخاء المعجمة وفتح الفاء وجم مفتوحة بعد الألف وهاء في الآخر ) وهم بنو خَفَاجَةَ بن عمرو بن عُقَيْل ، وفيهم الإمرة بالعراق إلى الآن .

ومن بطون هوازن أيضا بنو جُشَم (بضم الجيم وفتح الشين المعجمة وميم في الآخر) وهم بنو جُشَم بن معاوية بن بكر بن هَوَازنَ . قال في العبر : وكانت مساكنهم بالسَّروَات ، وهى تلال تفصل بين تِهَامَةَ ونجد ، متصلةٌ من البحرين إلى الشام كسَّروَات الجبل . قال : وسَّروَات جُشَم متصلة بسَّراة هُذَيْل . ثم قال : وقد انتقل بعضهم إلى المغرب ، وهم الآن به ، ولم يبق بالسَّراة منهم إلا من ليس له صولة . قال صاحب حماء : ومن جُشَم هؤلاء دُرَيْدُ بن الصَّمَّة .

ومن بطون هوازن أيضا ثَقِيفٌ ( بفتح التاء المثناة وكسر القاف وسكون الياء وفاء في الآخر ) وهم رَهْطُ الحجاج بن يوسف : وهم بنو ثَقِيف وأسمه قَيْسُ بن مُنبه بن بكر بن هَوَازنَ ؛ ويقال إنهم من إِيَاد بن زَرَار المقدم ذكره . وعن بعض النسابة أن ثَقِيفاً من بقايا ثُمُودَ ، وكان الحجاج ينكره ويقول كذبوا ، قال الله تعالى : ﴿ وَثُمُودَ فَاِتَّبَعُوا ﴾ أى أهلكهم ولم يبق منهم أحدا . قال في العبر : وَثَقِيفُ بطن واسع ، وكانت منازلهم بالطائف : وهى مدينة من أرض نجد على مرحلتين من مكة فى شرقها وشمالها كانت فى القديم للعائلة ، ثم نزلها ثُمُودُ قبل وادى القُرَى : ويقال إن الذى سكنها بعد العائلة عَدُوَانُ . ثم غلبهم عليها ثَقِيفُ فهى الآن دارهم .

ومن قبائل قيس أيضا بَاهِلَةٌ ، وهم بنو سَعْدِ مَنَاة بن مالك بن أعصَر ، وأسمه مُنبه ابن سعد بن قَيْسِ عِيلَان ، وجعلهم فى العبر بنى مالك بن أعصَر . وباهلة أم سعد مَنَاة عَرَفُوا بها : وهى بَاهِلَةٌ بنت صَعْب بن سعد العشرة من مَذْحِج ، منهم أبو أمانة الباهلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .



مساكنهم بالبحرين في كثير من قبائل العرب ، وكان أعظم القبائل هناك بنو عُقَيْل هؤلاء ، وبنو تغلب وبنو سُليم ، وكان أظهرهم في الكثرة والغلب بنو تغلب ؛ ثم اجتمع بنو عُقَيْل وبنو تغلب على بنى سُليم فأخرجوهم من البحرين ؛ ثم اختلف بنو عُقَيْل وبنو تغلب بعد مدة فغلب بنو تغلب على بنى عُقَيْل فطردوهم عن البحرين ، فساروا إلى العراق ، وملكوا الكوفة والبلاد الفراتية وتغلبوا على الجزيرة والموصل ، وملكوا تلك البلاد ؛ وكان منهم المقلد وقرواش وقريش وابنه مسلم ملوك الموصل ، وبقيت بأيديهم حتى غلبهم عليها ملوك بنى سلجوق ، فتحولوا عنها إلى البحرين حيث كانوا أولا فوجدوا بنى تغلب قد ضُغف أمرهم فغلبوهم على البحرين ، وصار الأمر بالبحرين لبنى عُقَيْل .

ومن بنى عقيل هؤلاء آل عامر ، وهم بنو عامر بن عُقَيْل المذكور ، وهم الذين بيدهم بلاد البحرين . قال ابن سعيد : سألت أهل البحرين في سنة إحدى وخمسين وسبعائة حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا : المملكة بها لبنى عامر بن عُقَيْل ، وبنو تغلب من جملة رعاياهم ؛ على أن الحمداني قد وهبهم فقال : وهم غير عامر المُتَّفِق ، وعامر بن صعصعة ، وتبعه على ذلك في "مسالك الأبصار" . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بحاب وبلادها طائفة من بنى عُقَيْل .

ومن بنى عُقَيْل أيضا بنو عبادة (بضم العين المهملة وبالباء الموحدة والdal المهملة) وهم بنو عبادة بن عُقَيْل . قال ابن سعيد : ومنازلهم بالجزيرة الفراتية مما يلي العراق لهم عدد وكثرة . قال : ومنهم الآن بقية بين الخازر والزَّاب ، يقال لهم عرب شرف الدولة في تجل وعُدَد ، ولهم إحسان من صاحب الموصل . ثم قال : وهم عدد قليل نحو المسائة فارس .

الأكاديش، ولهم غارات عظيمة، وأبناء الروم وبنائهم لا يزالون يباعون من سباياهم .  
وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بحلب وبلادها طائفة من بني كلاب .

ومن بني عامر بن صعصعة أيضا بنو هلال ، وهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة . قال الحمداني وكان لهم بلادٌ صعيدٍ مصرَكلها، وذكرهم ابن سعيد في عرب بركة ، وقال منازلهم فيما بين مصر وإفريقية . قال في العبر: وكانت رياستهم أيام الحاكم العبيدي لماضي بن مقرب، ولما بايعوا لأبي رَكوّة بالمغرب وقتله الحاكم، سَلَطَ عليهم الحبوش والعرب فأفناهم، وانتقل مَنْ بقى منهم إلى المغرب الأقصى فهم مع بني جُشم هناك . وذكر الحمداني أن بحلب طائفة منهم، ثم صار لهم بلاد أسوان وما تحتها . ثم قال: ويأخيم منهم بنو قرة، إلى عيذاب، وبساقية قلّة منهم بنو عمرو وبطنهم، وهم بنو رفاعّة، وبنو حجير، وبنو عزيز . وبأصفون وإسنا منهم بنو عتبة ، وبنو جميلة .

ومن بني هلال حرب فيما ذكره ابن سعيد . قال الحمداني، وهم ثلاث بطون بنو مسروح، وبنو سالم، وبنو عبيد الله . قال: ومساكنهم الحجاز ومن حرب زبيد الحجاز فيما ذكره الحمداني، وذكر أن منهم بنو عمرو . ثم قال : ومن بني عامر مُيمر بن عامر ابن صعصعة . قال في العبر : وكانت منازلهم الجزيرة الفراتية والشام بعدوتيّ الفُرات . قال وهم إحدى جمرات العرب، وكان لهم كثرة وعدّة في الجاهلية والإسلام، ودخلوا الجزيرة الفراتية وملكوا حرّان وغيرها، ثم غلبهم عليها خلفاء بني العباس أيام المعتز بالله فهلكوا بعد ذلك وبادوا .

ومن بني عامر بن صعصعة أيضا بنو عُقيل (بضم العين المهملة وفتح القاف) وهم بنو عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال في العبر : وكانت

فمن قبائل قيس هَوَازَنٌ، وهم بنو هَوَازَنَ بن منصور بن عِكْرَمَةَ بن خَصَفَةَ بن قيس عِيلَانَ، وهم الذين أغار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، وسباهم .

ومن هوازن بنو سَعْدَ الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضيعاً فيهم، وهم بنو سَعْدَ بن بكر بن هَوَازَنَ . قال في العبر: وقد آفَترَقَ بنو سَعْدَ هؤلاء في الإسلام ولم يبق لهم حتى يُفْطَرَقَ إلا أن منهم فِرْقَةً بِأَفْرِيقِيَّةَ من بلاد المغرب بنواحي باجة يعسِكِرُونَ مع جُنْدِ السلطان .

وقد ذكر ابن خلكان أن شاور السعدي وزير العاضد الفاطمي خليفة مصر منهم وإن كان الحمداني قد ذكر أنه من سَعْدَ جُدَامَ من القَحْطَانِيَّةِ بالشرقية من الديار المصرية على ما سبق ذكره هناك .

ومن هوازن أيضا بنو عامر بن صَعَصَعَةَ . وهم بنو عامر بن صَعَصَعَةَ بن معاوية ابن بكر بن هوازن، وإليهم يُنسَبُ مجنون بن عامر الشاعر الذي كان يُشَبَّبُ بليلى . ومن بنى عامر بن صَعَصَعَةَ بنو كِلاب، وهم بنو كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَةَ . قال في العبر: وكان لهم في الإسلام دولة باليمامة، وكانت ديارهم حمى ضَرِيَّةَ وهو حمى كَلِيب، وحمى الرَبْدَةَ في جهات المدينة النبوية، وفَدَكُ والعوالى، ثم أَنتَقَلُوا بعد ذلك إلى الشام فكان لهم في الجزيرة الفراتية صِيَتٌ وملكوا حَلَبَ ونواحيها، وكثيرا من مدن الشام، ثم ضَعُفُوا . قال، وهم الآن تحت خِفَارَةِ الأمراء من آل ربيعة من عرب الشام .

وذكر في "مسالك الأبصار" أنهم يُنسَبون إلى عبد الوهاب المذكور في سيرة البَطَّال وذكر أن اسمه عبد الوهاب بن نُوبَحْت .

ثم قال، وهم بأطراف حلب، وهم عرب غَزَّ يتكلمون بالتركية، ويركبون

ومن بكر بن وائل أيضا بنو حنيفة رَهْطُ مسيلمة الكذاب الذى تنبأ فى زمن النبى  
صلى الله عليه وسلم، وقُتِلَ فى خلافة الصديق رضى الله عنه، وهم بنو حنيفة بن  
لحيم، بن صَعْب، بن على، بن بكر، بن وائل .

ومن بكر أيضا بنو عَجَل، بن لحيم، بن صَعْب، بن على، بن بكر، بن وائل . قال  
فى العبر: وكانت منازلهم من اليمامة إلى البصرة؛ قال ثم خَلَفَهُم الآن فى تلك البلاد  
بنو عامر المُنْتَفِق، بن عَقِيل، بن عامر، بن صَعْصَعَة . وذكر الحمدانى أن بلادهم  
فى زمانه الجزيرة من بلاد حَلَب وأنه كان لهم دولة بالعراق .

وأما ضُبَيْعَة بن ربيعة (فبضم الضاد المعجمة وفتح الباء الموحدة تصغير ضُبَيْعَة)  
وهى قبيلة لم تكثر بطونها . ومنهم المتلمس الشاعر الباهلى المشهور .

الأصل الثانى - مضر (بضم الميم وفتح الضاد المعجمة) وهو مُضَر بن نزار المقدم  
ذكره، ويُعرف بِمُضَر الجمراء: لأن أباه أوصى له من ماله بالذَّهَب وما فى معناه؛  
وهى قبيلة عظيمة إلا أن أكثرها أُنْدرج فيما بعدها لكونها على عمود النسب،  
وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن بنائِلُس من بلاد الشام بقية من مُضَر، وبالرحبة  
رجال منهم، وله على حاشية عمود النسب فرع واحد قد جمع عدة قبائل، وهو قيس  
وقد اختلف فى نسبه فقيل قيس بن عيلان (بالعين المهملة) واسمه الناس (بالنون) ابن  
مضر؛ وقيل هو قيس بن مضر لصلبه، وعيْلَانُ المضافُ إليه قيل فرسه وقيل كَلْبُه .  
قال صاحب حماه: وجعل الله تعالى لقيس من الكثرة أمرا عظيما، ولكثرة  
بطونه غلب على سائر العدنانية حتى جعل فى المثل فى مقابل عرب اليمن قاطبةً  
فيقال قيس وين .



ومن عبد القيس هؤلاء الأشيخ الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنَّ فيكَ لَحَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَانَةُ".

ومن جديلة أيضا بنو النمر (بفتح النون وكسر الميم) وهم بنو النمر بن قاسط بن هنب  
 ابن دُعْمَى بن جديلة . قال في العبر وديارهم رأس العين من أعمال الجزيرة الفراتية .  
 ومن جديلة أيضا بنو وائل (بالياء المثناة تحت) وهم بنو وائل بن قاسط بن هنب  
 ابن أفضى ، بن دُعْمَى ، بن جديلة المقدم ذكره .

ومن وائل بكر (بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف) وتغلب (بالتاء المثناة في أوله  
 والغين الساكنة المعجمة وكسر اللام وباء موحدة) وهم بنو بكر وتغلب ابني وائل  
 المقدم ذكره .

ومن تغلب بن وائل كليب ملك بني وائل الذي قتله جَسَّاس ، وهاجت بسببه  
 الحرب المعروفة بالبسوس أربعين سنة .

ومن تغلب أقوام بزُرْع ، وبُصْرَى ، وبالقريتين منهم نفر .

ومن بكر أقوام بيجينين وبلادها ، وبالرحبة قوم منهم .

ومن بني تغلب كانت بنو حمدان ملوك حلب قديما .

ومن بكر بن وائل شيبان ، وهم بنو شيبان بن ثعلبة ، بن عكابة ، بن صعب ، بن  
 علي ، بن بكر .

ومن بني شيبان هؤلاء مُرَّة وأبنة جَسَّاس قاتل كليب المذكور . ومنهم طرقة  
 ابن العبد الشاعر .

ومن بني شيبان أيضا سدوس (بفتح السين المهملة في أوله وسين ثانية في آخره)  
 وهم بنو سدوس بن دهل بن شيبان .

ومن إياد قُس بن ساعدة الإيادى، وكعب بن مامة الذى يضرب به المثل فى الكرم؛ يقال إنه كان معه ماء لا يفضل عنه وله رفيق فسقاه رفيقه ومات عطشا .

القبيلة الثانية - أنمار (بفتح الهمزة وراء مهملة فى الآخر) وهم بنو أنمار بن نزار المقدم ذكره؛ وقد اختلف فى تعقيقه، فذهب ذاهبون إلى أنه ذهب إلى اليمن ونزل بالسروات من مشارق اليمن، وتناسل بنوه بها فعدوا فى اليمانية؛ وذهب آخرون إلى أنه لا عقب له إلا من بنت له زوجها لأراش من اليمانية، فولدت له أنمار بن أراش المقدم ذكره فى اليمانية؛ فبنو أنمار المعدودون فى اليمانية هم بنو أنمار بن أراش المقدم ذكره فى اليمانية من بنت أنمار بن نزار؛ ولذلك وقع اللبس فيهما، قاله السهيلي .

القبيلة الثالثة - ربيعة، وهم بنو ربيعة بن نزار ويعرف بربيعة الفرس : لأن أباه نزاراً أوصى له من ماله بالخيول . قال فى "مسالك الأبصار" وبالرحبة قوم منهم .

ولربيعة بطنان . وهما أسد، وضبيعة ابنا ربيعة، ولكل منهما عدة أخذا، وديارهم إلى الآن بالجزيرة الفراتية تُعرف بديار ربيعة . أما أسد فأكثرهما أخذا .

فمن أسد بنو عترة (بفتح العين المهملة والنون والزاي وهاء فى الآخر) وهم بنو عترة ابن أسد المقدم ذكره؛ وكانت منازلهم خير من ضواحي المدينة . وجديلة (بفتح الجيم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر) وهم بنو جديلة بن أسد المقدم ذكره، والنسبة إليهم جدلى بحذف الياء بعد الدال .

ومن جديلة عبد القيس؛ وهم بنو عبد القيس، بن أفصى، بن دُعْمَى، بن جديلة . قال فى العبر : وكانت ديارهم بتهامة حتى خرجوا إلى البحرين وزاحموا من بها من بكر بن وائل وتميم، وقاسموهم المواطن، والنسبة إليهم عبدى، ومنهم من ينسب إليهم عبدى قيسى، وبعضهم يقول عبْقَسى .

عريب، بن زيد، بن كهلان، وذكر أبو عبيد أن بني عاملة هم بنو الحارث بن مالك،  
يعنى ابن الحارث بن مرة بن أدد، وأنه كان تحته عاملة بنت مالك بن وديعة بن عفير،  
ابن عدى، بن الحارث، بن مرة بن أدد فعرفوا بها . وذكر صاحب حماه أنهم من  
ولد عاملة بن سببا . وقد ذكر الحمداني أن يجبال عاملة من بلاد الشام منهم الجهم الغفير .

## الضرب الثاني

(من العرب الباقيين على ممر الزمان العرب المستعربة)

قال الجوهرى : ويقال لهم المتعربة أيضا، وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليهما  
السلام، سُموا بذلك لأن لسان إسماعيل عليه السلام كان العبرانية أو السريانية، فلما  
نزل جرحهم من القحطانية عليه وعلى أمه بمكة المشرفة، تزوج منهم، وتعلم هو وبنوه  
العربية من جرحهم المذكورين فسُموا لذلك المستعربة . وأعلم أن الموجودين من  
العرب من ولد إسماعيل عليه السلام كلهم من بنى عدنان بن أدد المتقدم ذكره في عهود  
النسب على خلاف في نسبه إلى إسماعيل يطول ذكره . قال في العبر: ومن عدا عدنان  
من ولد إسماعيل قد انقرضوا، ولم يبق لهم عقب؛ ولذلك عرفت هذه العرب بالعدنانية  
ثم العدنانية صنفان .

الصنف الأول - من فوق قريش؛ ولقبائهم المتفرعة من عمود النسب ستة أصول .

الأصل الأول - نزار بن معد بن عدنان؛ والمتفرع منه على حاشية عمود  
النسب ثلاث قبائل .

القبيلة الأولى - إياد (بكسر المعزة ودال مهملة في الآخر) وهم بنو إياد بن نزار  
المقدم ذكره : قال المؤيد صاحب حماه وفارق إياد الحجاز وسار بأهله إلى أطراف  
العراق فأقام به .

إطفيح . ولبنى البيض الحى الصغير، ولبنى شنوءة من ترعة شريف إلى معصرة  
بوش . الرابعة بنو جعد، وهم بنو مسعود، وبنو حدير، وهم المعروفون بالحديريين،  
وبنو زبير، وبنو ثمال، وبنو نصار . ومسكنهم ساحل إطفيج . الخامسة بنو  
عدى، وهم بنو موسى، وبنو محرب، ومسكنهم بالقرب منهم . السادسة بنو  
بحر، وهم بنو سهل، وبنو معطار، وبنو فهم، وهم المعروفون بالفهميين، وبنو  
عسير، وبنو مسند، وبنو سباع، ومسكنهم الحى الكبير . السابعة قيس، وهم  
بنو غنيم، وبنو عمرو، وبنو حجرة، ولبنى غنيم منهم العدوية، ودير الطين إلى  
جسر مصر، ولبنى عمرو الرستق ولهم نصف حلوان، ولبنى حجرة النصف الثانى،  
ونصف طرا .

ومن بطون لحم بنو الدار رهط تميم الدارى صاحب النبى صلى الله عليه وسلم،  
وهم بنو الدار بن هانىء، بن حبيب، بن نمارة، بن لحم . قال الحمدانى وبلد الخليل  
عليه السلام معمور من بنى تميم الدارى رضى الله عنه، ويبد بنى تميم هؤلاء الرقعة  
التي كتبها النبى صلى الله عليه وسلم لتميم وإخوته بإقطاعهم بيت حبرون التي هى بلد  
الخليل عليه السلام وبعض بلادها ويقال إنها مكتوبة فى قطعة من آدم من خف  
أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وبخطه .

الحى العاشر - من بنى كهلان الأشعريون . وهم بنو الأشعر بن أدد، بن  
زيد، بن يشجب، بن عريب، بن زيد، بن كهلان . قال وسئى الأشعر لأن أمه ولدته  
وهو أشعر . وجعله صاحب حماء من بنى أشعر بن سبيل، وهم رهط أبى موسى  
الأشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الحى الحادى عشر - من بنى كهلان عاملة . وهم بنو عاملة، وأسمه الحارث، بن  
عفير، بن عدى، بن الحارث، بن وبرة، بن أدد، بن زيد، بن يشجب، بن



والأحامدة ، والخمارنة ، وهم بنو حُمران . قال الحمداني : وفي زُهير هؤلاء من  
بنى عَيرين ، وبنى شَيْيب ، وبنى عبد الرحمن ، وبنى مالك ، وبنى عُبَيْد ،  
وبنى عبد القوي ، وبنى شاكر ، وبنى حَسَن ، وبنى سَمان . وهم يتواردون  
في أسماء بعض البطون مع غيرهم .

ومن جذام أيضا ببلاد الشام بنو صَخْر بالكرك ، وبنو مَهْدِيّ باللقاء ، وبنو عُقْبَة ،  
وبنو زُهير بالشوبك . ومنهم بنو سَعِيد بَصْرَخَد ، وحوَران ، ومنهم جماعة ببلاد  
الغور ، وجماعة ببلاد البربر من بلاد السودان .

الحى التاسع - من بنى كهلان نَحْم ( بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وميم  
في الآخر ) ، وهم بنو نَحْم بن عِدَى بن الحارث بن مُرَّة بن أَدَد بن زَيْد بن يَشْجَب بن  
عَريب بن زيد ، بن كهلان ، ونَحْم أخو جُذَام المَقْدَم ذكره ، وكل منهما عم لِكِنْدَة  
المَقْدَم ذكره أيضا . وعدَّ صاحب حماه نَحْمًا من بنى عمرو بن سبأ كما عدَّ جُذَامًا إذ  
كانا أخوين كما تقدّم . وقد كان لهما فوزه من اللخمين مُلْك بالحيرة من بلاد العراق ،  
ثم كان لبنى عَبَّاد من بقاياهم بالأندلس مُلْك بـاشبيلية . وذكر القضاى أنهم حضروا  
فتح مصر ، واختلطوا بها ، هم ومَنْ خالطهم من جُذَام . قال الحمداني : وبصعيد الديار  
المصرية منهم قوم يسكنون بالبر الشرق ، ذكر منهم الحمداني سبع أبطن . الأولى  
سِمَاك ، وهم المعروفون بالسماكيين ، وبنو مُرَّة ، وبنو مليح ، وبنو نَهَّان ، وبنو عَبَس ،  
وبنو كريم ، وبنو بُكَيْر ، وديارهم من طارف ببا بالهنسا إلى مُنَحْدَر دير الجميزة  
في البر الشرق . الثانية بنو حِذَان ، وهم بنو محمد ، وبنو على ، وبنو سالم ، وبنو  
مُدْبَح ، وبنو عيش ، وديارهم من دير الجميزة ، إلى ترعة صول . الثالثة بنو راشد ،  
وهم بنو معمر ، وبنو واصل ، وبنو مِرَا ، وبنو حَبَّان ، وبنو مَعَاد ، وبنو البيض ،  
وبنو حُجْرَة ، وبنو شَنْوَة . وديارهم من مسجد موسى إلى أسكر ، ونصف بلاد

حَسَّان . ومنهم أولاد الهَرِيم من بنى غياث بن عَصْمَة بن نِجَاد بن هلبا بن بعجة .  
ومنهم جَوْشَن بن منظور بن بَعْجَة ، وهو صاحب السَّراة المضروب به المثل  
في الكرم والشجاعة .

ومن ولد نائل مُهَنَّا بن علوان بن علي بن زبير بن حبيب بن نائل ، كان  
جوادا كريما طرقتة ضيُوف في شتاء ولم يكن عنده حَطَب لطعامهم فأوقد أحمال  
بَزْكَانت عنده . ومن بنى حَرَام بن جُدَام أيضا بنو سَعْد . قال الحمداني : وفي جُدَام  
خمسة سَعُود اختلطت بمصر ، وهم سَعْد بن إياس بن حَرَام بن جُدَام . وسَعْد  
أَبْن مالك بن أَفْصَى بن سَعْد بن إياس بن حَرَام بن جُدَام ، وإليه ينسب أكثر  
السَّعْدِيِّين . وسعد بن مالك بن حَرَام بن جُدَام ، وسعد بن سامة بن عَنَس بن  
عَطْفَان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام ، وهم عشائر كثيرة منهم بنو فَضْل ،  
والسَّلاحمة ، وبرشاس ، وجَوْشَن ، وعدْلان ، وفَزارة . قال وأكثرهم مشايخ بلاد  
وخفراء ، ولهم مزارع وماكل ، وفسادهم كثير ، وسكنهم مِئْنة غمر إلى ريفها .  
ومنهم شاور وزير العاضد الفاطمي ، وإليه تنسب أولاد شاور بكار مِئْنة غمر  
وخفراؤها ، على أن ابن خلكان قد ذكر أنه من سعد الذين أَرْضِعَ فيهم النبي صلى الله  
عليه وسلم . وأما بنو محرمة فمنهم الشَّوَاكِر ، وهم بنو شاكر بن راشد . ومنهم أولاد  
العجار أدلاء الحاج من زمن السلطان صلاح الدين وهلم جرأ .

ومن جذام أيضا بالشرقية العائد ، وهم بطن من جذام عليهم دَرَك الحاج إلى  
العقبة . ومنهم أيضا بالشرقية بنو حَرَام . وقال الحمداني : وقلَّ في عرب مصر مَنْ  
يعرفها . ومنهم بالدقهلية عمرو وزُهَيْر ، عدَّ منهم الحمداني الخُضَيْدِينَ ، وردالة ،

(١) في الأصل الخط تكرار في الأسماء . وقص من العدد ويؤخذ من السبائك أن الساقط هو سعد

ابن ربيع بن إياس بن حرام بن جذام فتنه .

ورُومان، وصمران، وأسود. والحميدون، ومن الحميديين، أولاد راشد، ومنهم البراجسة، وأولاد يبرين والجرأشنة، والكعوك، وأولاد غانم، وآل حمود، والأخيوه، والزرقان، والأساوره، والحماريون. ومن بني راشد أيضا الحراقيص، والحنافيس، وأولاد غالى، وأولاد جَوَّال، وآل زيد، ومن النجابية أولاد نجيب وبنو فضيل.

ومن هَلْبَا سُويد أيضا بنو الوليد، وهم بنو الوليد بن سُويد المقدم ذكره. ومنهم الحَيَّادرة، وهم بنو حَيَّدرَة، بن يعرب، بن حبيب، بن الوليد، بن سُويد. قال الحمداني: وهم طائفة كبيرة، ومنهم بنو عمارة، وهو عمارة بن الوليد. ومنهم عدد، والحَيَّيون: وهم بنو حبة بن راشد بن الوليد. ومن ولد الوليد بن سُويد المذكور طريف بن بكتوت الملقب زين الدولة، كان من أكرم العرب، وكان في مضيافته أيام الغلاء اثنا عشر ألفا تأكل عنده كل يوم؛ وكان يَهْشَمُ الثريد في المراكب؛ ومن أولاده من أُمِّرَ بالبوق والعلم؛ وعد من أحلافهم أولاد الهوهرية، والردالين، والحليفين، والحضينين، والربيعيين، وهم أولاد شريف النجابين، وذكر الحمداني أن لهم نسبا في قريش إلى عبد مناف، بن قُصَيٍّ. ومن هَلْبَا سُويد هؤلاء هَلْبَا مالك؛ وهم بنو مالك بن سويد؛ ومن هَلْبَا مالك بنو عبيد، وهم بنو عبيد بن مالك؛ ومن بنو عبيد المذكور الحَسَنِيُّونَ، وهم بنو الحسن بن أبي بكر بن مَوْهوب بن عبيد؛ والغَوَّارنه، وهم بنو الغَوَّار بن أبي بكر بن مَوْهوب بن عبيد؛ وبنو أسير، وهم بنو أسير بن عبيد؛ ومن هَلْبَا مالك أيضا اللَّيْديون، والبَكْرِيُّونَ، والعَقِيلِيُّونَ، وهم بنو عَقِيل بن قُرة بن مَوْهوب بن عبيد. ومنهم بنو رديني، وهم بنو رُدَيْني بن زياد، بن حُسَيْن، بن مسعود، بن مالك، بن سُويد. ومن ولد بَعْجَة هَلْبَا بَعْجَة، وهم بنو هَلْبَا، ومنظور، وردا، ونائل بن بَعْجَة بن زيد بن سُويد بن بَعْجَة؛ فمن ولد هَلْبَا بَعْجَة مُفَرَّج بن سالم، أُمِّره المعز أليك بالبوق والعلم، ثم خلفه على إمرته ولده

قال الحمداني : ويقال إنهم من ولد أعصر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام ،  
 وأستشهد لذلك بما رواه محمد بن السائب أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وفد جذام ، فقال "مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى" . قال صاحب حماء :  
 وكان فيهم العدد والشرف . قال الحمداني : وهو أول من سكن مصر من العرب حين  
 جاءوا في الفتح مع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وأقطعوا فيها بلادا بعضها بأيدي  
 بنهم إلى الآن . وكان لجذام ولدان : هما حشم (بكسر الحاء المهملة وسكون الشين  
 المعجمة وميم في الآخر) ، وحرام (بفتح الحاء والراء المهملتين وألف ثم ميم) ، ومن  
 ولد حشم عتيت (بفتح العين المهملة وكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت  
 وتاء مثناة فوق في الآخر) ، وهم بنو عتيت بن أسلم ، بن مالك ، بن شؤنة ، بن تديل ،  
 ابن حشم بن جذام . قال أبو عبيد : وهم اليوم ينتسبون في بني شيان ، ويقولون  
 عتيت بن عوف بن شيان . قال وإليهم تنسب حفرة عتيت بالبصرة ، قال  
 الجوهرى : أغار عليهم بعض الملوك فسبى الرجال ، فكانوا يقولون إذا كبر صبيانا  
 لم يتركونا ، حتى يفتكونا ، فلم يزلوا عنده حتى هلكوا فضرَب لهم العرب مثلا  
 فقالوا : أودى عتيت ، وفي ذلك يقول الشاعر :

تُرجيها وقد وقعت بقر \* كما ترجو أصاغرها عتيت

ثم لجذام الآن بطون كثيرة متفرقة في الأقطار ، منهم بالشرقية من الديار  
 المصرية من بنى زيد بن حرام بن جذام ، وبنى محمرة بن زيد بن حرام بن جذام ،  
 فأما بنو زيد فمنهم بنو سويد ، وبعجة ، وبردعة ، ورفاعة ونائل ، من بنى زيد بن  
 حرام بن جذام ، فمن ولد سويد هلبا سويد ، وهم بنو هلبا بن سويد بن زيد بن حرام  
 ابن جذام . قال الحمداني . ومنهم العطويون ، والجابرئون ، والغتورة ، ومحمدان ،

(١) في سبائك الذهب . يعفر . (٢) كذا رسم في السبائك أيضا وهو بالباء الموحدة في الصحاح والقاموس  
 وأشد الأول البيت بالباء الموحدة ومثله في باتوت فتنه .



ابن الغافق بن الشاهد بن عد، وفيهم مثل ما تقدم من كلام الجوهرى فى الكلام على بَيْحِلَة أنهم من العدنانية : لأن خَنَمَ وبَيْحِلَة يرجعون إلى أنمار . وكانت مساكنهم مع إخوتهم بَيْحِلَة بَسْرَوَات اليمَن فافترقوا فى الفتوحات الإسلامية، فلم يبق منهم فى مواطنهم إلا القليل . ومن خَنَم هؤلاء أَكْلَب (يفتح الهمزة وسكون الكاف وضم اللام وباء موحدة فى الآخر)، وهم بنو أَكْلَب، بن عُفَيْر، بن خَلَف، بن خَنَم . قال أبو عبيد : ويقال إن أَكْلَب من رَبِيعَة بن نَزَار. قال الحمدانى : وهم بطون كثيرة، ومنازلهم بَيْشَة، شرق مكة المشرفة . ومن خَنَم أيضا بنو مُنَبَّه والفرع، وبنو نَضْلَة ومعاوية، وآل مهديّ، وبنو نصر، وبنو حام، والورد، ونادر، وآل الصعافير، والشاء، وبلوس، قال الحمدانى : ومنازلهم على القرب من بَيْشَة شرق مكة أيضا .

الحى الثامن - من بنى كهلان جُدَام ( بضم الجيم وفتح الذال المعجمة وألف ثم ميم )، وهم بنو جُدَام، بن عَدِيّ، بن الحارث، بن مُرَّة، بن أَدَد، بن زيد، ابن يَشُجْب، ابن عَرِيب، بن زيد، بن كهلان، هذا ما ذكره أبو عبيد : وجعلهم صاحب حماء فى تاريخه من ولد عمرو بن سبيل . قال الجوهرى : وترغم نسبة مُضَر أنهم من مُضَر يعنى من العدنانية، وأنهم آتقلوا إلى اليمَن فزَلَوْها، فَحَسِبُوا من اليمَن، وأستشهد له بقول الكُمَيْت يذكر آتقلهم إلى اليمَن بآتسابهم فيهم :

نَعَاءُ جُدَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلٍ \* وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ !

وأستشهد له الحمدانى أيضا بقول جُنَادَة بن خَشْرَم الجُدَامِيّ :

وَمَا خَطَّانٌ لِي بِأَبٍ وَأُمٍّ \* وَلَا تَصْطَادُنِي شُبَّة الضَّلَالِ

وَلَيْسَ إِلَيْهِمْ نَسَبِي وَلَكِنْ \* مَعْدِيًّا وَجَدْتُ أُنَى وَخَالِي

(١) أعجمه فى الأصل . وقال فى سبائك الذهب « حلف بفتح الحاء المهملة بنوه بطن من خَنَم » .

الحى السادس - من بنى كهلان مُراد (بضم الميم وفتح الراء المهملة وodal مهملة بعد الألف)، وهم بنو مراد، بن مالك، بن أدَد، بن زيد، بن يشجب، بن عَرِيب، ابن زيد، بن كهلان، قال الجوهري: ويقال إن اسمه يُحابر فتمرد فسمى مُرادا . وجعلهم فى العبر بطنًا من مذحج ، فقال مراد بن مذحج . قال صاحب حمّاه : وبلادهم إلى جانب زَبِيد من بلاد اليمن ، قال : وإلى مراد هذا ينسب كل مُرادى من عرب اليمن .

الحى السابع - من بنى كهلان أنمارُ (بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الميم وراء مهملة بعد الألف)، وهم بنو أنمار، بن أراش، بن عمرو، بن الغوث، بن نَبْت، بن مالك، بن زيد، بن كهلان . ولهم بطنان - الأولى بِجِيلَة (بفتح الباء الموحدة وكسر الجيم وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر)، وهم بنو عُبْقَر، والغوث، وصُهَيْبَة، وحَزِيمَة بن أنمار، بن أراش . قال أبو عبيد : وبجيلة أمهم، عُرِفُوا بها - وهى بجيلة بنت صَعْب بن سعد العشيرة، قال فى العبر : وكانت بلادهم فى سَرَوَات اليمن والحجاز إلى تَبَالَة . ثم أفرقوا أيام الفتح الإسلامى فى الآفاق، فلم يبق منهم فى مواطنهم إلا القليل ، قال الجوهري : ويقال إنهم من العدنانية، لأن نزار بن معد بن عدنان وُلِدَ له مُضَرُّ وربيعة وإياد وأنمار ، وولد لأنمار بجيلة وخَنَعَم فصاروا إلى اليمن ، وإلى بجيلة هؤلاء ينسب جرير بن عبد الله البجليّ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جميلا فائق الجمال، حتّى إنه كان يقال له يُوسُفُ الأُمّة، وفيه يقول بعض الشعراء يمدحه :

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بِجِيلِهِ \* نَعِمَ الْقَتْلُ وَيُنْسِتِ الْقَبِيلَهُ

الثانية - خَنَعَم (بفتح الحاء المعجمة وسكون التاء المثناة وفتح العين المهملة وميم فى الآخر)، وهم بنو خَنَعَم بن أنمار بن أراش المقدم ذكره ابن هُند بنت مالك

(١) بفتح الحاء المهملة وكسر الزاى كما ضبطه كذلك فى سبائك الذهب .

الحى الرابع - من بنى كهلان همدان (بفتح الهاء وسكون الميم ودال مهملة ثم ألف ونون)، وهم بنو همدان، بن مالك، بن زيد، بن أوسلة، بن ربيعة، بن الحيار، ابن زيد، بن كهلان، . قال فى "العبر": وكانت ديارهم باليمن من شرقه، ولما جاء الإسلام تفرق من تفرق منهم، وبقى من بقي باليمن . قال : وكانت همدان شيعه لأمر المؤمنين على كرم الله وجهه عند وقوع الفتن بين الصحابة ؛ وفيهم يقول رضى الله عنه :

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ \* لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ ادْخُلِي بِسَلَامٍ

قال فى "مسالك الأبصار": وبالجل المعروف بالطييين من الشام فرقة من همدان .  
الحى الخامس - من بنى كهلان كندة (بكسر الكاف وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر)، وهم بنو كندة، وأسمه ثور، بن عفير، بن عدى، بن الحارث، بن مرة، بن أدد، بن زيد، بن يسجب، بن عريب، بن زيد، بن كهلان . قال صاحب حماة : وسمى كندة لأنه كند أباه أى كفر نعمته . قال : وبلادهم باليمن قبلى حضرموت، وكان لهم ملك بالبحار واليمن ؛ ومنهم الأشعث بن قيس الصحابى المشهور ؛ ومنهم أيضا القاضى شريح قاضى على رضى الله عنه . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن باللوى من بلاد الشام قوما ينسبون إلى كندة، ولهم بطون منها السكون (بضم السين المهملة والكاف ونون بعد الواو)، وهم بنو السكون ابن أشرس بن كندة ؛ ومنهم معاوية بن حديج قاتل محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ؛ وعدة منها صاحب حماة السكاسك أيضا (بفتح السين الأولى وكسر الثانية)، والذى ذكره أبو عبيد أنه من حمير، وقال : هم بنو السكاسك بن وائلة بن حمير . قال الجوهري : والنسبة إلى السكاسك سكسكى ردا له إلى أصله كما ينسب إلى مساجد مسجدى .

العشيرة زُبَيْدٌ (بضم الزاي وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة في الآخر)، وهم بنو مُنَبِّه بن صَعْب بن سعد العشيرة، وتُعرفُ زُبَيْدٌ هؤلاء زُبَيْدُ الأَكْبَرِ، وهم زُبَيْدُ الحجاز. قال في مسالك الأبصار: وعليهم درك الحاج المصري من الصَّفراء إلى الجحفة ورايع. ومن زُبَيْدِ هؤلاء بطنٌ تعرفُ بزُبَيْدِ الأصغر، وهم بنو مُنَبِّه الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه الأَكْبَر. قال أبو عبيد ومن زُبَيْدِ هؤلاء عمرو بن معدى كرب.

(١) ومنها النَّخَع (بفتح النون وسكون الخاء المعجمة وعين مهملة في الآخر)، وهم بنو النَّخَع وأسمه جَسْر بن عمرو بن عِلَّة بن جَلْد بن مَذْج. قال أبو عبيد: وسمي النَّخَع لأنه انتخَع عن قومه أي بَعْدَ، ومنهم الأَشتر النَّخَعِيُّ أحد تابعي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي ولاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مِصْرَ، وكتب له بها عهداً على ما سَأَلَتْهُ ذكره في الكلام على العهود عند ذكر الولايات فيما بعدُ إن شاء الله تعالى. وإليهم ينسب إبراهيم النَّخَعِيُّ الإمام الكبير المشهور. ومنها عَنَس (بفتح العين المهملة وسكون النون وسين مهملة في الآخر)، وهم بنو عَنَس بن مَذْج، منهم عَمَّار بن ياسر الصحابيُّ المشهور؛ وإليهم ينسب الأسود العنسيُّ الكَذَّاب، الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخروجه فادَّعى النبوة باليمن بعد ذلك.

ومنها بنو الحارث، ويقال بَلْحَارِث بن كعب، وهم بنو الحارث بن كَعْب بن عمرو بن عِلَّة بن جَلْد بن مَذْج. قال في "العبر": وديارهم بنواحي تَجْرَان من اليمن مجاورون لبني ذُهَل بن مُزَيْقِيَاء، منهم بَشِير الحارثي الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ما أَسَمَكَ قال: أَكْبَر، قال: بل أنت بَشِير.

(١) الذي في القاموس النَّخَع بالتحريك قبيلة وفي المصباح والنخع بفتح النون قبيلة من مَذْج فليظن.



ابنُ بَحَارٍ، بن مالك، بن زيد، بن كهلان . وقد ذكر الحمداني : أنهم إنما سموا مَذْحِجَ شجرة تحالفوا عندها أسمها مَذْحِج ، فسمُّوا باسمها . ثم لمذحج بطون كثيرة :

منها خَوْلَان ، (بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ونون بعد اللام ألف) ، وهم بنو خَوْلَانَ بن مالك ، وهو مَذْحِج وإليهم ينسب أبو إدريس الخَوْلَانِي . قال في العبر : وبلاد خَوْلَانَ في بلاد اليمن من شرقيه ، قال : وقد أفترقوا في الفتوحات ، وليس منهم اليوم ذرية إلا باليمن ؛ ثم قال وهم غالبون على أهله .

ومنها جَنْب (بفتح الجيم وسكون النون وباء موحدة في الآخر) ، وهم بنو مُنَبِّه ، والحارث ، والغلى ، وسبحان ، وشمران ، وهفان بن يزيد ، بن حرب ، بن عِلَّة ، ابن جَلْد ، بن مَذْحِج . قال أبو عبيد : وسمُّوا بجانب لأنهم جانبوا عمَّهم صُدَاءً ، وحالفوا سعدَ العشيرة ، وحالفت صُدَاءُ بنى الحارث بن كعب . ومن جنبٍ معاوية الخير الجنبِيُّ صاحب لواء مَذْحِج في حرب بني وائل .

ومنها سعد العشيرة ، وهم بنو سعد العشيرة بن مَذْحِج ، وسمِّي بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولده ثلاثة رجل ، فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتي دفعا للعين عنهم ، فقليل له سعد العشيرة . ثم من بطون سعد العشيرة أَوْذ (بفتح الهمزة وسكون الواو وذال معجمة في الآخر) ، وهم بنو أَوْذ بن صَعْب بن سعد العشيرة ، وإليهم ينسب الأفوه الأوذى الشاعر المشهور . ومن بطون سعد العشيرة أيضا جُعْفِيٌّ (بضم الجيم وسكون العين المهملة وكسر الفاء وياء مثناة تحت في الآخر) وهم بنو جُعْفِيٍّ بن سعد العشيرة والنسبة إليهم جُعْفِيٌّ على مثل لفظه ، وإليهم ينسب الإمام البخاري بالمؤالاة ، فيقال الجُعْفِيُّ مولاهم . ومن بطون سعد

(١) صوابه ودال مهمة انظر القاموس وشرحه في مادة أود على أنه لم توجد مادة أود بالمعجمة فما بأيدينا من المعاجم فتنبه .

لأنهم من سلسلة بن عُنَيز، بن سلامان، بن طيٍّ، وهم كرام العرب وأهل البأس  
والنجدة؛ والبرامكة وإن كانوا قوماً كراماً فإنهم قوم عجم وشتان بين العرب والعجم؛  
وقد شرف الله تعالى العرب أن بعث منهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وأنزل فيهم كتابه،  
وجعل فيهم الخلافة والملك، وأبترَّ لهم ملك فارس والروم، ونزع بأسنتهم تاج كسرى  
وقيصر، وكفى بذلك شرفاً لا يُطَاوَل، ونفراً لا يُتَنَاوَل. وذكر في "التعريف" نحوه  
قال في العبر: وكانت رياسة طيٍّ في أيام الفاطميين لبني الجراح، ثم صارت لآل  
ربيعة. قال الحمداني: وكان ربيعة هذا قد نشأ في أيام الأتابك زنكى وابنه نور  
الدين الشهيد صاحب الشام ونبع بين العرب وولد له أربعة أولاد: وهم فضل، ومرا،  
وثابت، ودغفل، ومنهم تفرّعت بطون آل ربيعة. ثم المشهور من آل ربيعة الآن  
ثلاثة بطون: وهم آل فضل، وآل مرا، وآل عليّ: قال فضل هم بنو فضل بن ربيعة  
وآل مرا بنو مرا بن ربيعة. وأما آل عليّ فمن آل فضل، وهم بنو عليّ بن حديثه، بن  
عُقبة بن فضل المتقدم ذكره؛ وقد صارت آل فضل أيضاً بعد ذلك بيوتاً أرفعها قدراً  
بيت عيسى بن مَهَنَّا، بن مَاتِع، بن حديثه، بن عقبة، بن فضل. قال في "مسالك  
الأبصار" وفيهم الإمرة دون سائر آل فضل. قال: ثم صار آل عيسى بيوتاً، بيت  
مهنا بن عيسى، وبيت فضل بن عيسى، وبيت حارث بن عيسى، وبيت محمد  
أبن عيسى، وبيت هبة بن عيسى. وسيأتى الكلام على تقسيم الإمرة فيهم في الكلام  
على عرب الشام في المسالك والممالك إن شاء الله.

الحى الثالث - من كهلان مَذْحِج (يفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء  
المهملة وجيم في الآخر)، وهم بنو مَذْحِج وأسمه مالك، بن أَدَد، بن زيد، بن يَشْجُب،  
ابن عَرِيب، بن زيد، بن كهلان هكذا قاله أبو عبيد، وقال الجوهري: مَذْحِج

آل أجود منهم الرخيمية، والرقي، والفردوس، ولينه، والحدق. وديار آل عمرو بالحوف. وديار بقاياهم النضيف، والكن، واليحموم، والأم، والمعينة. ويلهم ساعدة وديارهم من الحضرم إلى بركة زرود، إلى سقارة، إلى البقعاء، إلى التيب، إلى الساسة، إلى حضر.

ومنها لام. وهم بنو لام بن عمرو، بن طريف، بن عمرو، بن بجميلة، بن مالك، بن جدعاء، بن دهل، بن رومان، بن جندب، بن خازجة، بن سعد، بن قطرة، بن طيء. قال ابن سعيد: ومساكنهم المدينة النبوية وما حولها. وقال الحمداني: ديارهم جبل أجأ وسلمى. ثم قال وظفير من لام، ومنازلهم الظعن قبالة المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

ومنها آل ربيعة، عرب الشام. وهم بنو ربيعة، بن حازم، بن علي، بن مفرج، بن دغفل، بن جراح، بن شبيب، بن مسعود، بن سعيد، بن حرب، بن السكك، بن ربيع، ابن علي، بن حوط، بن عمرو، بن خالد، بن معبد، بن عدى، بن أفلت، بن سلسلة، بن غنم، بن ثوب، بن معن، بن عتود، بن عتيق، بن سلامان، بن ثعل، بن عمرو، بن الغوث، ابن طيء. قال في "مسالك الأبصار": وتقول بنو ربيعة الآن إنهم من ولد جعفر ابن يحيى، بن خالد، بن برمك من العباسة بنت المهدي، أخت الرشيد، ويزعمون أنه كان يحضر مع الرشيد مجلسه الخاص وأنه كلمه في تزويجها ليحلل له نظرها لاجتماعهما بمجلسه فعقد له عليها بشرط أن لا يطأها، فعانقها على حين غفلة من الرشيد، فحملت منه بولد كان ربيعة هذا من ولده. قال: ويقولون في نسبه إنه ربيعة بن سالم، ابن شبيب، بن حازم، بن علي، بن جعفر، بن يحيى، بن خالد، بن برمك، ويزعمون أن نكبة البرامكة كانت بسبب ذلك. ثم قال: وأصلهم إذا نسبوا إليه أشرف لهم:

(١) في العبر ابن معبد بن عمرو.

الفرنج على المسلمين، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد آتت طائفة منهم إلى مصر ونزلوا أطراف بلاد الشرقية؛ فمن بطون دَرْمَا سلامة، والأحمر، وعمرو، وقصير، وأويس، وشبل، والحنابلة، والمرأنة، والحيّانيون؛ ومن بطون زريق بها بنو وهم والطيحيون؛ ومن الطليحيين آل حجاج، وآل عمران، وآل حفصان، والمصاخة؛ ومن بنى زريق أيضا الصبيحيون، ومن الصبيحيين الغيوث، والزُموت، والروايات، والنورة، والشمخين، والسَّعَالَى، والرمالى، والمعامرة، والسَّندِيُون، والبجاجة، والعُقَيْليون، والمساهرة، والمعافرة؛ ومنهم أيضا العليميون. قال الحمداني: وكان مقدمهم قديما عمرو بن عسيلة أُمّر بالبوق والعلم. ومن العليمين القمعة، والرياحين، والغوفة. قال الحمداني: وكان فيهم رجال ذو ذكر ونبأهة، خدموا الدول، وعضدوا الملوك، وقاموا ونصروا. ومنهم من أُمّر بالبوق والعلم. ومن بطون ثعلبة هؤلاء أيضا الجواهرية.

ومنها غَزِيَّة (بفتح الغين المعجمة وكسر الزاي وتشديد الياء المثناة تحت وهاء في الآخر)، وهم بنو غَزِيَّة، بن أَفْلَت، بن ثُعَل، بن عمرو، بن سَلَامان، بن ثُعَل، بن عمرو، بن الغوث، بن طيء. قال الحمداني: وهم بالشام والعراق والحجاز، وفيما بين العراق والحجاز. قال في العبر: وفيهم الإمارة في العراق إلى الآن ولهم صَوْلَة عظيمة. وهم بطون كثيرة: فمن بطونهم البطنين، وأخاذهم، آل دعيج، وآل روق، وآل رفيع، وآل سرية، وآل مسعود، وآل تميم، وآل شرود. ومن بطونهم الأجود وأخاذهم آل منيع، وآل سنيد، وآل منال، وآل أبي الخزم، وآل علي، وآل عقيل، وآل مسافر. وهذا ما ذكره الحمداني. وزاد في مسالك الأبصار عن نصر بن برجس المشرقي، وأولاد الكافرة، وداعدة، وبنى جميل، وآل أبي مالك. قال في "المسالك": ودبار



طيئ . وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفةً بشغردمياط ، وأنه كان لهم شأن أيام الخلفاء الفاطميين ، وعدّ منهم ثلاثة بطون : وهم الخزاعلة ، وعبيد ، وجموح . والإمرة في زماننا هذا فيهم ، في الخزاعلة ، في بنى يوسف بمدينة سنا من الأعمال الغربية . قال الحمداني : ومنهم طائفة بالبطائح من بلاد العراق .

ومنها جرم (بفتح الجيم وسكون الراء وميم في الآخر) ، وهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث ، بن طيئ . وقال الحمداني جَرَمَ أَسَمُ أمه غلب عليه : وهى جرم بنت الغوث ابن طيئ ؛ وهؤلاء هم جرم الذين ببلاد غَزَّة من البلاد الشامية . قال الحمداني : وكانوا متفقين مع ثعلبة بالشام على تدافع الفرنج عن المسلمين ، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد ، دخلت طائفة منهم مصر ، وبقى بقاياهم ببلاد غَزَّة . وقد ذكر الحمداني منهم ثلاثة بطون : وهم شمجان ، وقران ، وجيآن . ثم قال : والمشهور من جَرَمَ الآن جَذِيمة ؛ ويقال إن لهم نسبا في قريش ؛ وزعم بعضهم أنها ترجع إلى مخزوم ، وقيل بل من جذيمة بن مالك ، بن حنبل ، بن عامر ، بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر . ثم قال وجَذِيمة هؤلاء هم آل عَوْسَجَة ، وآل أحمد ، وآل محمود . ثم قال : ومنهم أسلم ، وشبل ، ورضيعة ، ونيور ، والقذرة ، والآحامدة ، والرثة ، وكور ، وموقع . ومنهم من بنى غوث العاجلة ، والعبادلة ، وبنو تمام ، وبنو جميل ، وبنو مقدم ، وآل نادر . ومنهم من بنى غوث بنو بها ، وبنو خولة ، وبنو هرماس ، وبنو عيسى ، وبنو سهيل ؛ وأرضهم الداروم ؛ وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببني فهيد . ثم اختلطوا بهم .

ومنها ثعلبة ، وضبطه معروف ، وهم بنو ثعلبة بن سلامان ، بن ثعل ، بن عمرو بن الغوث . بن طيئ ، وهم رعيان درما وزريق ، ابني عَوْف بن ثعلبة ، وقيل أبنا ثعلبة وآسم درما عمرو ، ودرما اسم أمه غلب عليه . قال الحمداني : وكانوا مع جرم بالشام يدا مع

إنهم وضعوا الخط العربي على ما سيأتى ذكره فى الكلام على الخط فيما بعد  
إن شاء الله .

ومنها هِنَاء ، وهم بنو هِنَاء ، بن عمرو ، بن الغوث ، بن طي .

ومنهم إِيَّاس بن قَيْصمة الذى ملك بعد النعمان بن المنذر .

ومنها سُدُوس (بضم السين والـدال المهملتين وسين مهملة فى الآخر) ، وهم بنو  
سُدُوس بن أصمغ من بنى سعد ، بن نُهَّان ، بن عمرو ، بن الغوث ، بن طي .

ومنهم جعفر بن عَطِيَّة الذى يقول :

مَدَحْتُ نَسِيبِي جَعْفَرًا إِنْ جَعَفَرًا \* تُحَابُّ كَفَّاهُ النَّسْدَى وَأَنَا مِلَهُ

ومنها سَلَامَانُ (بفتح السين المهملة ونون فى الآخر) ، وهم بنو سَلَامَانَ ، بن ثَعْل ،  
أبن الغوث ، بن طي .

ومنها بُحْتَرُ (بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناة فوق وراء  
مهملة فى الآخر) ، وهم بنو بُحْتَرٍ ، بن عَتُود ، بن عُنَيْزٍ ، بن سَلَامَانَ ، بن ثَعْل ،  
أبن عمرو ، بن الغوث ، بن طي ، منهم أبو عبادة البحرى الشاعر الإسلامى المشهور .

ومنها زُبَيْدُ (بضم الزاى وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة  
فى الآخر) ، وهم بنو زُبَيْدٍ ، بن مَعْنٍ ، بن عَمْرٍو ، بن عُنَيْزٍ ، بن سَلَامَانَ ، بن عمرو ، بن  
الغوث ، أبن طي . قال أبن سعيد : وزُبَيْدُ هؤلاء هم الذين بيرية سنجار من الجزيرة  
الفراتية ، وهم الذين ذكرهم المقر الشهابى بن فضل الله ، وسماهم زُبَيْدُ الأحلاف .

(١)  
ومنها سُنْبُسُ (بضم السين المهملة وسكون النون وضم الباء الموحدة وسين مهملة  
فى الآخر) ، وهم بنو سُنْبُسٍ بن معاوية ، بن جَرُول ، بن ثَعْل ، بن عمرو ، بن الغوث ، بن

(١) ضبطه السويدي فى سنائك الذهب فقال بفتح السين وذكر فى القاموس أنه بالكسر وكذلك هو  
فى الصحاح واللسان بضبط القلم فتنبه .

يَثْرِبَ ، ومنهم كانت أنصارُ النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهم بقايا كثيرة متفرقة بالمشرق والمغرب . وقد ذكر الحمداني : أن منهم جماعةً بمنفلوط من صعيد مصر من عقب حسان بن ثابت ، وسعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنهما .

الحى الثاني - من كهلان طيٍّ ( بفتح الطاء وتشديد الياء بهمزة فى الآخر ) أخذنا من الطاعة على وزن الطاعة : وهى الإيغال فى المرحى ، وهم بنو طيٍّ ، بن أدَدَ ابن زيد ، بن يَشْجُب ، بن عَرِيب ، بن زيد ، بن كَهْلان ، والنسبة إليهم طائى ، وإليهم ينسب حاتم الطائى المشهور بالكرم ، وأبو تمام الطائى الشاعر المشهور ، وهم كثير . قال فى العبر : وكانت منازلهم باليمن فخرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرقهم بسيل العَرم ، فزلوا بنجد والحجاز على القرب من بنى أسد ، ثم غلبوا بنى أسد على جبلٍ أجأ وسلمى من بلاد نجد ، فزلوها فعرفا بجبل طيٍّ إلى الآن ، ثم افرقوا فى أول الإسلام زمن الفتوحات فى الأقطار ، ولهم بطون كثيرة . منهم ثعل ( بضم ) الناء المثلثة وفتح العين المهملة ولام فى الآخر ) وهم بنو ثعل ، بن عمرو ، بن الغوث ، بن طيٍّ . قال أبو عبيد : ومنهم البيت والعدد . قال صاحب حماه : ومنهم زيد الخيل .

ومنها جديلة ( بفتح الجيم وكسر الدال وسكون الياء وفتح اللام وهاء فى الآخر ) ، ذكرهم الجوهري ولم يرفع نسبهم ، ثم قال : وجديلة أمهم عرفوا بها : وهى جديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير .

ومنها نهبان ( بفتح النون وسكون الباء الموحدة ونون بعد الألف ) ، وهم بنو نهبان ، وأسمه سودان ، بن عمرو ، بن الغوث ، بن طيٍّ .

ومنها بولان ( بفتح الباء الموحدة وسكون الواو ونون بعد اللام ألف ) وهم بنو بولان ، وأسمه غصين ، بن عمرو ، بن الغوث ، بن طيٍّ . ومنهم الثلاثة نفر الذين يقال

أحدها - أزدُ شَنُوءةٌ، وهم بنو نَصْر بن الأزد، وشَنُوءة لقب لِنَصْر غلب على بنيهِ .

الثانى - أزد السَّراة ، بإضافة أزد إلى السَّراة ( بالسین المهملة ) ، وهو موضع بأطراف اليمن نزل به فرقة منهم فعُرفوا به .

(١) الثالث - أزدُ عَمَّان بإضافة أزد إلى عَمَّان ( بفتح العين المهملة وتشديد الميم ) ، وهى مدينة بالبحرين نزلها قوم منهم فعُرفوا بها . وللازد بقايا ببلاد الشام بزُرْع وبُصْرَى فيما قاله فى "مسالك الأبصار" .

ثم الأزد بطون كثيرة . منها غَسَّان ( بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة ونون فى الآخر ) ، قال أبو عبيد : وهم بنو جَفْنَة ، والحارثُ وهو مُحَرَّق ، وثعلبةُ وهو العَتَقَاء ، وحارثة ، ومالك ، وكعب ، وخارجة ، وعوف بن عمرو ، بن عامرٍ ماء السماء ، بن حارثة الغطريف ، بن امرئ القيس البَطْرِيق ويقال البُهلول ، ابن ثعلبة ، بن مازن ، ابن الأزد ؛ وإنما سُمُوا غسان لما نزلوا عليه اسمه غَسَّان فشربوا منه فسموا به . قال فى العبر : وهو على القرب من بلاد اليمن . قال أبو عبيد : وفى ذلك يقول بعض الأنصار :

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نَجِبٌ \* الْأَزْدُ نَسَبُنَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ

ولغسان هؤلاء كان مُلْكُ العرب بالشام بعد سَالِحِ المَقْدَم ذِكْرُهُمْ إلى أن كان أَخْرَجَهُمْ جَبَلَةُ بن الأيهم الذى أسلم فى زمن عمر ثم أرتد ، ولحق ببلاد الكُفَر . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن لهم بقايا ببلاد الشام بالبَقَاء واليَمُوكَ وَحِصَصَ . ومنها الأَوْسُ والخَزَرَجُ ابْنَا حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو مُزَيْقِيَا ، بن عامرٍ ماء السماء ، بن حارثة الغَطْرِيف ، بن امرئ القيس البَطْرِيق ، بن ثعلبة ، بن مازن ، بن الأزد ؛ وكانت منازلهم

(١) هذا الضبط مخالف لما ضبطه الجوهري بالقلم والقاموس أيضا وضبطه شارحه بالعادة . فقال : كغراب بلد بالبحرين وكذا ياقوت وفيه أيضا أن المفتح المشدد بلد بأطراف الشام فحرر .

(٢) لقب بذلك لطول عنقه ووقع فى الأصل بالمتناة وهو تصحيف .



الحى السابع - جَرَمٌ، وهم بنو جَرَمٍ وأسمه عِلَاف، بن زَبَّان، بن حُلوان، بن عمران،  
 ابن الحافى، بن قُضَاعَة. قال الحمدانى: ومنهم بنو جُشَمَ، وبنو قُدَامَة، وبنو عَوْف.  
 قال فى العبر: ومنهم جماعة من الصحابة رضى الله عنهم. قلت ووهم القاضى ولى  
 الدين بن خلدون فجعلهم هم الذين ببلاد غَزَّة، وقد تقدم أن أولئك هم جرم طيئ  
 لا جرم قُضَاعَة. وعد صاحب حماه فى تاريخه منهم تَنُوخ (بفتح التاء المثناة فوق  
 وضم النون وخاء معجمة فى الآخر) قال الجوهري: ولا تشدد نونه، والتحقيق  
 ما قاله أبو عبيد: أنهم ثلاثة أبطن من القحطانية زَار، والأحلاف<sup>(١)</sup>. قال: وسُمُوا بذلك  
 لأنهم حلفوا على المقام بمكان بالشام والتَنُوخ المقام. قال ابن سعيد: ومن الناس  
 من يعلق تَنُوخ على الضَّجَاعَة، ودوُس الذين تَنَخُوا بالبحرين. قال صاحب  
 حماه: وكان بينهم وبين اللّخميين ملوك الحيرة حروب، ولتَنُوخ بقايا بالمعرة من بلاد  
 الشام فيما ذكره الحمدانى.

القبيلة الثانية - من القحطانية كَهْلَان (بفتح الكاف وسكون الهاء)، وهم بنو  
 كَهْلَان بن سبيل. قال أبو عبيد: وشُعوبهم كلها متشعبة من زيد بن كَهْلَان،  
 وكانوا متداولين المُلْك باليمن مع بنى حمير، انفرد بنو حمير بالملك، وبقيت بطون كهلان  
 على كثرتها تحت ملكهم. قال فى العبر: ثم تقاصر مُلْك حمير وبقيت الرياسة على  
 العرب بالبادية لبني كَهْلَان، وهم أحياء كثيرة.  
 والمشهور منهم أحد عشر حياً.

الحى الأول - الأزْد (بفتح الهمزة وسكون الزاى وبالذال المهملة)، قال  
 أبو عبيد: ويقال بالسين بدل الزاى. قال الجوهري: بالزاى أفصح، وهم بنو  
 الأزْد، بن الغوث، بن نَبْت، بن مالك، بن أدَد، بن زيد، بن كهلان، وهم من أعظم  
 الأحياء وأكثرهم بَطُوناً. وقد قَسَمَ الجوهري الأزْد إلى ثلاثة أقسام.

(١) أى أسد وغطفان فهما اثنان وزار الثالث

(١) ابن سعيد، بن هذيم، بن زيد، بن ليث، بن سود، بن أسلم، بن الحافي، بن قضاة،  
وإلى عذرة هؤلاء ينسب العشق والتثيم، ومنهم عروة بن حزام صاحب عفرأ أحد  
المتيمين وجميل صاحب بئينة . ومن أحسن ما يحكى أنه قيل لرجل منهم : ما بال  
العشق يقتلكم يا بني عذرة ؟ قال لأن فينا جمالا وعفة : وقيل لآخر منهم : ما بال  
الرجل منكم يموت في هوى امرأة ؟ إنما ذلك ضعف فيكم يا بني عذرة - فقال :  
أما والله ! لو رأيتم النواظر الدنج، تحتها المباسم القلج، فوقها الحواجب الزجج،  
لا اتخذتموها الآلات والعزى ؛ ولهم بقايا بالدقهلية والمراحيبة من الديار المصرية، وبقايا  
بالشام أيضا .

الحى الخامس - بهراء (بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وألف بعد الراء المهملة)،  
وهم بنو بهراء، بن عمرو، بن الحافي، بن قضاة، ومنهم جماعة من الصحابة رضوان  
الله عليهم، منهم المقداد بن الأسود، أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
ويقال : إن خالد بن برمك من آل بهراء . قال في العبر : وكانت منازلهم تنمى إلى  
منازل بلئ من الينبع إلى عقبة أيلة، ثم جاور بحر القلزم منهم خلق كثير، وآتشروا  
ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر، وكثروا هناك، وغلبوا على بلاد النوبة، وهم  
يحاربون الحبشة إلى الآن .

الحى السادس - بنو نهد، بن زيد، بن ليث، بن سود، بن أسلم، بن الحافي، بن  
قضاة، وكانت منازلهم باليمن، وإليهم كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابه المشهور؛  
وكان منهم طائفة بالشام أيضا فيما ذكره أبو عبيد . ومن مشاهير نهد الصقعب ؛  
قال صاحب حماه : وكان رئيسا في الإسلام .

(١) في القاموس سعد بن هذيم بدون ياء وهو الصواب وهذيم عبد حبشى حضن سعدا فنسب إليه وإلا

فهو سعد بن زيد بن ليث فليس زيد جدا له كما قد يتوهم من العبارة فتنبه .

ابن حمير وهي حامل ، فتزوجها معد بن عدنان ، فولدت قُضاعةَ على فراشه فتبنّاه  
فُنُسِبَ إليه . قال المؤيد صاحب حماه : ” وكان قُضاعة مالكا لبلاد الشجر وقبره بجبل  
الشجر موجود “ . ولقُضاعة بقايا إلى الآن ينسب إليهم ، وإليهم يُنسب القُضاعي  
المصريّ صاحبُ كتاب ” الشهاب في المواعظ والآداب “ في الحديث ، وخطط مصر  
وغيرهما .

والمشهور من قُضاعة سبعة أحياء .

الحى الأول - بَنَى (بفتح الباء) ، وهم بنو بَلَى ، بن عمرو ، بن الحافى ، بن قُضاعة ،  
ولهم بقايا بالديار المصرية بصعيدها الأعلى ، منهم بنو ناب وغيرهم ، وبقايا بالحجاز  
وغيرهما ، والنسبة إليهم بَأَوَى بزيادة واو مكسورة قبل ياء النسب .

الحى الثانى - جهينة (بضم الجيم وفتح الهاء والنون) ، وهم بنو جهينة ، بن زيد ،  
أَبْن لَيْث ، بن سُود ، بن أسلم ، بن الحافى ، بن قُضاعة ، وهى قبيلة عظيمة ، ولهم بقايا  
ببلاد الصعيد من الديار المصرية وبالحجاز وغيرهما . والنسبة إليهم جُهَيْنِيّ بحذف  
الياء بعد الهاء .

الحى الثالث - كلب ، وهم بنو كلب ، بن وَبَرَة ، بن ثعلبة ، بن حُلوان ، بن عمران ،  
ابن الحافى ، بن قُضاعة ، ومنهم حارثة الكلبي أبو زيد بن حارثة مولى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم .

قال صاحب حماه : وكان بنو كلب فى الجاهلية ينزلون دومة الجندل ، وتبوك ،  
وأطراف الشام . قال ابن سعيد : ومنهم الآن خلق عظيم على خليج القسطنطينية  
مسلمون . قال فى «مسالك الأبصار» : وبشّير ، وحلب ، وبلادها ، وتدمر ، والمنأظر  
أقوام منهم ، والنسبة إليهم كَلْبِيّ .

الحى الرابع - عُذْرَة (بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة) وهم بنو عُذْرَة

## الضرب الأول

(العرب العاربة)

قال الجوهري: ويقال فيهم العرب العاربة، وهم بنو قحطان، بن عابر، بن شالخ  
أبن أرفخشذ، بن سام، بن نوح عليه السلام، وهم عرب اليمن. والمشهور منهم شعبان.  
الشَّعْبُ الأول - جُرْهُم (بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء) وهم بنو جُرْهُم بن  
قحطان، وهم غير جُرْهُم الأولي المقدم ذكرها في جملة العرب البائدة.

وكانت منازلهم أولاً اليمن، ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه، فأقاموا به حتى كان من  
نزول إسماعيل عليه السلام مع أبيه مكة ما كان، فنزلوا عليه بمكة، وأستوطنوها على  
ما سيأتي ذكره في الكلام على العرب المستعربة إن شاء الله تعالى.

الشَّعْبُ الثاني - يَعْرُب، وهم بنو يَعْرُب بن قحطان المقدم ذكره. ويقال إن  
العرب إنما سُمِّيَتْ عَرَباً به، وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به ومنه تناسلوا  
فُولِدَ لَهُ يَشْجُب، وَوَلَدَ يَشْجُب سَبَّأً، ومنه تفرعت جميع قبائلهم،  
ومرجع المشهور فيه إلى قبيلتين.

القبيلة الأولى - حَمِير، وهم حَمِير بن سبيل (بكسر الحاء وأسمه العَرَنَجَج). وقد ذكر  
أبن الكلبي: أنه كان لحَمِير عشرة أولاد من عقبه وكان غالبٌ وجُلُّ قبائل حَمِير من  
أَبْنَيْهِ: الهمَمِيسَع، ومالك ملوك اليمن؛ وكانت بلادهم مشارف اليمن فظفاروما  
حولها. ولحمير بقايا موجودون إلى الآن، ومنه غالب قبائل قُضَاعَة، ومنه غالب  
قبائل حمير، وهو قُضَاعَة، بن مالك، بن عمرو، بن مُرَّة، بن زيد، بن مالك، بن حَمِير؛  
وقيل قُضَاعَة بن مالك بن حمير. وذهب بعض النسابة إلى أن قُضَاعَة من العدنانية  
الآتي ذكرهم. قال السهيلي: والصحيح أن أُمَّ قُضَاعَة (وهي جكرة) مات عنها مالك



قال : وكانت منازلهم الأحقاف باليمن . وذكري في "العبر" أن ديارهم كانت باليمامة ؛ وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين إخوانهم جدّيس الآتي ذكرهم .

القبيلة الخامسة - جدّيس ، وهم بنو جدّيس بن إرم بن سام بن نوح . وقال الطبري جدّيس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت مساكنهم بجوار طسم المقدّم ذكرهم ؛ وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين المذكورين أيضا .

القبيلة السادسة - عبد صخّم ، وهم بنو عبد صخّم بن إرم بن سام بن نوح . قال في "العبر" : كانوا يسكنون الطائف فهلكوا فيمن هلك . قال : ويقال إنهم أول من كتب بالخط العربي .

القبيلة السابعة - جرهم الأولى . قال ابن سعيد : وهم قبيلة من العرب كانوا على عهد عاد فبادوا .

القبيلة الثامنة - مدّين ، وهم بنو مدّين بن إبراهيم عليه السلام ؛ وهم أمة كبيرة قبائل وشعوب ؛ وكانت ديارهم ديار عاد وأرض معان من أطراف الشام مما على الحجاز قريبا من عشيرة قوم لوط<sup>(١)</sup> بعث الله إليهم سعيّا فلم يؤمنوا .

### القسم الثاني

(من العرب الباقية أعقابهم على تعاقب الزمان)

وأكثر من تدعو حاجة الكاتب إلى معرفته من بقي أعقابه منهم متفرقة في أقطار الأرض إلى الآن ، وهم على ثلاثة أضرب .

(١) في سبائك الذهب من أرض قوم لوط فتنه . .

## القسم الأول

### (العرب البائدة)

وهم الذين بادؤوا ، ودرست آثارهم ، وأنقطعت تفاصيل أخبارهم إلا القليل ، والمشهور منهم قبائل .

القبيلة الأولى - عاد ؛ وهم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت منازلهم بالأحقاف بين اليمن وعمان : من البحرين إلى حضرموت والشحر ؛ وهم الذين بعث الله تعالى إليهم هودا عليه السلام فلم يؤمنوا فأهلكهم بالريح كما ورد به القرآن الكريم .

القبيلة الثانية - ثمود ، وهم بنو ثمود بن جاثر ، (ويقال كثر بالكاف بدل الجيم) ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت منازلهم بالجحر ووادى القرى ، بين الحجاز والشام ؛ وكانوا ينحتون بيوتهم من الجبال مرادة لطول أعمارهم . بعث الله تعالى إليهم صالحا عليه السلام فلم يؤمنوا ، فأهلكهم الله بصيحة من السماء كما ورد به القرآن الكريم .

القبيلة الثالثة - العماقة ، وهم بنو عمليق ، (ويقال عملاق) بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ؛ وهم أمة عظيمة يضرب بهم المثل في الطول والجثمان . قال الطبري وتفرقت منهم أمم في البلاد ، فكان منهم أهل عمان ، والبحرين ، والحجاز ، وملوك العراق ، والحزيرة ، وجبارة الشام ، وفراعنة مصر .

القبيلة الرابعة - طسم ، وهم بنو طسم . قال ابن الكلبي وهم بنو طسم ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . وذكر الجوهري أنهم من عاد ،

وخامسها - أن يعبر عنها بأولاد فلان؛ ولا يوجد ذلك إلا في المتأخرين من أنفاذ العرب على قلة : كقولهم أولاد زعازع ، وأولاد قُرَيْش ونحو ذلك .

الثامن - أسماء غالب العرب منقولة عمّا يدور في خزّانة خيالهم مما يُخالطونه ويُجاورونه ؛ إما من الحيوان المفترس كأسد ، وتمر ؛ وإما من النبات كنبت ، وحنظلة ؛ وإما من الحشرات كحبة ، وحنش ؛ وإما من أجزاء الأرض كنفهر ، وصخر ونحو ذلك .

التاسع - الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء : ككلب ، وحنظلة ، ومرة ، وضرار ، وحرب ، وما أشبه ذلك ؛ وتسمية عبيدهم بحبوب الأسماء : كفلاح ونجاح ، ونحوهما . والمعنى في ذلك ما حكى أنه قيل لأبي الدقيش الكلابي <sup>(١)</sup> : لم تُسمّون أبناءكم بِشَرِّ الأسماء نحو كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق وربّاح ؟ فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا ( يريد أن الأبناء معدّة للأعداء فاخترأوا لهم شرّ الأسماء ، والعبيد معدّة لأنفسهم فاخترأوا لأنفسهم خير الأسماء ) .

العاشر - إذا كان في القبيلة آسمان متوافقان : كالحارث والحارث ، وأحدهما من ولد الآخر أو بعده في الوجود عبّروا عن الوالد أو السابق منهما بالأكبر ، وعن الولد أو المتأخر منهما بالأصغر ؛ وربما وقع ذلك في الأخوين إذا كان أحدهما أكبر من الآخر .

## المهيع الثاني

(في معرفة تفاصيل أنساب العرب)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ عَلَى قَسْمَيْنِ .

(١) أهمله في الاصل وصوابه الانعام .

إلى قبيلته الأولى، وأن ينسب إلى القبيلة الثانية التي دخل فيها، وأن ينسب إليهما جميعا مثل أن يقال التيميّ ثم الوائليّ، أو الوائليّ ثم التيميّ وما أشبه ذلك .

السادس - القبائل في الغالب تسمّى باسم أبي القبيلة : كربيعة ومُضَرّ، والأَوْس والخَزْرج، وما أشبه ذلك ؛ وقد تسمّى القبيلةُ باسم الأم : كَحَنْدَفٍ، وَبَجِيلَةَ ونحوهما ؛ وقد تسمّى باسم خاصّةٍ خَصَّتْ أصل تلك القبيلة ونحو ذلك . وربما وقع النسب على القبيلة لحدوث سبب كغَسَّانَ ، حيث نزلوا على ماء باليمن كسعد والحارث وغيرهما .

السابع - أسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أضرب .  
أولها - أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد، وثمرود، ومَدَيْنَ، ومن شاكلهم ؛ وبذلك ورد القرآن الكريم (وإلى عادٍ . وإلى ثمودَ . وإلى مَدَيْنَ) يريد بني عاد، وبني ثمود، وبني مَدَيْنَ ، ونحو ذلك ؛ وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب والقبائل العظام بخلاف البطون والأنخاذ .

وثانيها - أن يطلق على القبيلة لفظ البنوة : فيقال بنو فلان ؛ وأكثر ما يكون ذلك في البطون والأنخاذ .

وثالثها - أن يرد ذكر القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالطالبيين والجماعة ونحوهما ؛ وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين دون غيرهم .

ورابعها - أن يعبر عنها بآل فلان : كآل ربيعة، وآل فَضْل، وآل مُرّة، وآل على، وما أشبه ذلك ؛ وأكثر ما يكون ذلك في الأزمنة المتأخرة، لاسيما في عرب الشام في زماننا . والمراد بالآل الأهل .

(١) كذا في الأصل ويظهر أن فيه سقطا .



فإن كل قبيلة منهم مجتمعة من عدة بطون ، وذلك أن تَوَخَّا اسم لعشر قبائل  
اجتمعوا وأقاموا بالبحرين ، فُسُمُوا بتَوَخَّ أخذوا من التَّوَخَّ وهو المَقَامُ ؛ والعُتْقُ جمعٌ  
اجتمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم فظفر بهم فأعتقهم فُسُمُوا بذلك . وَغَسَّان  
عدة بطون من الأزد نزلوا على ماء يسمى غَسَّان فُسُمُوا به .

الثالث - تخصيص الرجل من رجال العرب بانتساب القبيلة إليه دون غيره من  
قومه بأن يُشهر اسمه بهم لرياسة ، أو شجاعة ، أو كثرة ولد ، أو غيره فتُنسبُ بنُوهُ  
وسائر أعقابه إليه ؛ وربما أنضم إلى النسبة إليه غير أعقابه من عشيرته كإخوته  
ونحوهم ، فيقال فلان الطائي ، فإذا أتى من عقبه من أشتهر منهم أيضا بسبب من  
الأسباب المتقدمة نُسبت إليه بنُوهُ ، وجعلت قبيلة ثانية ؛ فإذا أشتمل النسب على  
طبقتين فأكثر كهاشم ، وقُرَيْش ، ومُضَرَ ، وعدنان ، جاز لمن في الدرجة الأخيرة من  
النسب أن يُنسب إلى الجميع : فيجوز لبني هاشم أن يُنسبوا إلى هاشم ، وإلى  
قُرَيْش ، وإلى مُضَرَ ، وإلى عدنان : فيقال في أحدهم الهاشمي ، والقُرشي ، والمُضري ،  
والعدناني ؛ بل قال الجوهري : إن النسبة إلى الأعلى تغني عن النسبة إلى الأسفل  
فإذا قلت في النسبة إلى كلب بن وَبَرَةَ الكَلبيّ استغنيت أن تنسبه إلى شيء من  
أصوله . وذكر غيره أنه يجوز الجمع في النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى .  
ثم بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى : مثل أن يقال القُرشيّ العدويّ وبعضهم  
يرى تقديم السفلى على العليا ، فيقال العدويّ القُرشيّ .

الرابع - قد ينضم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف والمؤالة فينسب إليهم : فيقال  
فلان حليف بني فلان أو مولاهم .

الخامس - إذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى ، جاز أن ينسب

الطبقة الرابعة - البطن وهي ما أنقسم فيه أنساب العمارة كبنى عبد مناف، وبنى مخزوم وتجمع على بطون وأبطن .

الطبقة الخامسة - الفخذ، وهي ما أنقسم فيه أنساب البطن : كبنى هاشم، وبنى أمية، وتجمع على أنخاذ .

الطبقة السادسة - الفصيلة - بالصاد المهملة - وهي ما أنقسم فيه أنساب الفخذ كبنى العباس وبنى أبي طالب، وتجمع على فصائل ؛ فالفخذ يجمع الفصائل، والبطن تجمع الأنخاذ، والعمارة تجمع البطون، والقبيلة تجمع العمار، والشعب يجمع القبائل . قال النووي وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة، قال الجوهري "وعشيرة الرجل رهطه الأدنون" وحكى أبو عبيدة عن ابن الكلبي عن أبيه تقديم الشعب على القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العمارة، ثم الفخذ، فأقام الفصيلة مقام العمارة في ذكرها بعد القبيلة والعمارة مقام الفصيلة في ذكرها قبل الفخذ . وبالجمله فأكثر ما يدور على الألسنة من الطبقات الست المذكورة القبيلة، ثم البطن، وقيل أن تذكر العمارة والفخذ والفصيلة، وربما عبروا عن كل من الطبقات الست بالحى، إما بالعموم مثل أن يقال حى من العرب، وإما على الخصوص مثل أن يقال حى من بنى فلان . ومما يجب على الناظر في الأنساب أن يعرف عشرة أمور .

الأول - قال الماوردى إذا تباعدت الأنساب، صارت القبائل شعوبا، والعمار قبائل ؛ يعنى وتصير البطون عمار، والأنخاذ بطونا، والفصائل أنخاذا، والحادث من النسب بعد ذلك فصائل .

الثانى - قد ذكر الجوهري أن القبيلة هم بنو أب واحد، وقال ابن حزم جميع قبائل العرب راجعة إلى أب واحد سوى ثلاث قبائل : وهى تنوخ، والعنق، وغسان

الجوهري "وقد يقال فيهم العرب العُرباء". والمستعربة هم الداخلون في العربية بعد العجمية. قال الجوهري "وربما قيل لهم المتعربة". وقد اختلف في العاربة والمستعربة فذهب ابن إسحاق والطبري إلى أن العاربة هي عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعييل والعائلة وعبد صخيم وجُرهم الأولى، ومن في معناهم. والمستعربة بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وبنو اسماعيل عليه السلام لأن لغة عابر وإسماعيل كانت سريانية أو عبرانية، فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة من كان في زمانهم كعاد ونحوهم، وتعلم اسماعيل العربية من جرهم من بني قحطان النازلين على إسماعيل وأمه بمكة. وذهب آخرون منهم المؤيد صاحب حماد إلى أن بني قحطان هم العاربة، وأن المستعربة هم بنو إسماعيل فقط، والذي رجحه صاحب العبر الأول.

ثم قد قسم المؤرخون العرب أيضا إلى بائدة وغيرها، فالبائدة هم الذين بادؤوا ودرست آثارهم كعاد، وثمود، وطسم، وجديس، وغير البائدة هم الباقيون في القرون المتأخرة بعد ذلك من القحطانية: كطي، ونلهم، وجذام ونحوهم، ومن العدنانية كقزارة وسليم وقريش، ومن في معناهم. ثم قد عد الماوردي وغيره طبقات أنساب العرب ست طبقات.

الطبقة الأولى - الشعب بفتح الشين، وهو النسب الأبعد الذي تُنسب إليه القبائل كعدنان، ويجمع على شعوب؛ وسمى شعبا لأن القبائل تتشعب منه.

الطبقة الثانية - القبيلة، وهي ما انقسم فيه الشعب كربيعة ومضر، وتجمع على قبائل، وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها، وربما سميت القبائل بجماعهم.

الطبقة الثالثة - العِمارة بكسر العين، وهي ما انقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكنانة وتجمع على عمائر وعمارات.

يعرب ، بن يشجب ، بن نابت ، بن إسماعيل ، بن إبراهيم الخليل عليهما السلام  
 ابن تارح ، وهو آزر ، بن أرغو ، بن فالغ ، بن عابر ، بن أرفخشذ ، بن سام ، بن نوح عليه  
 السلام ، ابن يرد ، بن مهليل ، بن قين<sup>(١)</sup> ، بن تاتش ، بن شيث ، بن آدم عليه السلام  
 قال النووي : ”والإتفاق على هذا النسب الشريف إلى عدنان ، وليس فيما بعده  
 إلى آدم طريق صحيح“ وفيما بعد عدنان ، إلى إسماعيل عليه السلام خلاف كثير ،  
 قال القضاعى فى ”عيون المعارف فى أحكام الخلائف“ وقد روى أن النبى صلى الله  
 عليه وسلم قال ”لَا تُجَاوِزُوا مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ ، كَذَبَ النَّسَابُونَ ، ثُمَّ قرأ وقرونا بين ذلك  
 كثيراً ولو شاء أن يعلمه لعلمه“ قال : والصحيح أنه من قول ابن مسعود رضى  
 الله عنه .

## المقصود الثانى

(فى أنساب العرب وفيه مهيعان)

## المهيع الأول

(فى أمور تجب معرفتها قبل الخوض فى النسب)

وأول ما تجب معرفته من ذلك من يقع عليه لفظ العرب ، قال الجوهري ”العرب  
 جيل من الناس وهم أهل الأمصار ، والأعراب سُكَّانُ البادية ، والنسبة إلى العرب  
 عربى ، وإلى الأعرابي أعرابى“ والتحقيق إطلاق لفظ العرب على الجميع ، وأن  
 الأعراب نوع من العرب ، ثم اتفقوا على تنويع العرب إلى نوعين عاربة ومُستعربة .  
 فالعاربة هم العرب الأول الذين فهمهم الله اللغة العربية ابتداءً فتكلموا بها . قال

(١) فى القاموس قينان بن أنوش بن شيث .



## النوع الثاني عشر

(معرفة أنساب الأمم من العرب والعجم)

ويحتاج إليه الكاتب في المكتبات : لأنه بصدد أن يكتب عن ملكه إلى أمير قبيلة من العرب ، أو ملك أمة من الأمم ؛ فما لم يكن عارفاً بأنسابها ، كان قاصراً فيما يكتبه من ذلك . ومن غريب ما وقع في ذلك أن ملك البرنو من ملوك السودان كتب كتاباً إلى الأبواب السلطانية ، بالديار المصرية في الدولة الظاهرية برقوق يذكر فيه أن المجاورين لهم من عرب جذام قد أغاروا عليهم وسبوا جماعة من نساءهم وذرياتهم وباعوهم بالديار المصرية وما حولها ، ثم قال ونحن من ذرية سيف بن ذي يزن العربي القرشي ، نخلط القحطانية بالعدنانية ، لأن سيف بن ذي يزن من بقايا التبابعة من حمير من القحطانية ، وقريش من العدنانية ، وناهيك بذلك عينا أن لو وقع من كاتب معتبر .

ويشتمل الغرض منه على ثلاثة مقاصد .

## المقصود الأول

(معرفة عمود النسب النبوي من النبي صلى الله عليه وسلم إلى آدم ، من حيث

إن سائر الأنساب تتعلق به وترجع في القرب والبعد إليه)

وها أنا أورده على ما أورده ابن اسحاق في "السيرة النبوية" على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وتبعه عليه ابن هشام في سيرته إذ كانا عمدة في هذا الباب . فأقول : "هو محمد" رسول الله ، بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن الياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان ، بن أدد ، بن مقوم ، بن ناحور ، بن تيرح ، بن

تبلغ هذه الوظيفة أملها فيه ، بعد ماضيت عليهما من الدهر ملاءوه ، وهذه المدرسة لولا تداركه لكانت كما قال الخزاعي "مدارس آيات خلت من تلاوه" .

ومن ذلك قول المولى دلاء الدين بن غانم في قعدة باسم مظفر الدين غانم ، وقد صرع لغلة ، وادعى بها الملك المؤيد صاحب حماه " الحمد لله الذى ظفر المظفر بإصابة الواجب من الطير ، ووفر من السعادة حظ من أصاب ووافق الصواب فيمن أنتى إذ تشرف به وتميز على الغير ، رخفر من أسراه ، إلى من يحمده لديه صبح سراه إذ يصبحه من بشرة وبره كل خير" . أشار في القرينة الأخيرة إلى المثل السائر من قولهم "عند الصباح يحمده القوم السرى" وقد تقدم أن أول من قال ذلك خالد ابن الوليد رضى الله عنه .

ومما استعمله أهل الصناعة من أمثال المحدثين نرا قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله في وصف خطيب من جملة توقيح : "ومن إذا قام فريدا عدا بألف من فرائد الرجال تنظم ، وإذا أقبل في سواد طيلسانه ، قيل جاء السواد الأعظم" فاستعمل المثل السائر في قولهم السواد الأعظم ، يريدون الجسم الغفير ، وهو من أمثال المحدثين ، وحسن ذلك لمناسبة لبس الخطيب السواد على ما جرت به العادة ، وإن كان خلاف السنة : كما صرح به الشيخ محي الدين النووى رحمه الله من أصحابنا الشافعية .

ومن ذلك ما ذكرته في المفارقة بين السيف والقلم ، وهو : "وأظهر كل منهما ما كان يخفيه ، فكتب وأمل ، وباح بما يكنه صدره ، والمؤمن لا يكون حبل" . فاستعملت المثل في قولهم "المؤمن لا يكون حبل" وهو من أمثال المحدثين إلى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى . وقد تستعمل أمثال المحدثين في الشعر أيضا فتحلو ويروق موقعها ويستظرف ، كما قال القاضى الأترجاني :

تأمل منه تحت الصدغ خالاً \* لتعلم كم خبائيا في الزوايا

أمرَ البازي وما كان من طلب الملك له ، فقال ” فات مأذُج “ إنك أتيتني ولم يكن عندي مأضيفك به ، فذبحت البازي وطبخته ؛ وهو الذي قدمته إليك .  
والمثل الثاني ” سَبَقَ السيفُ العَدْلَ “ وهو مثل لمن يلوم على فعل شيء بعد وقوعه وفوات أمره .

ومما حلَّ من الأمثال الواردة نظماً ، وأستعمل في النثر ، قول القاضي شهاب الدين ابن فضل الله في ” التعريف “ في وصية أمير مكة المعظمة أيضاً في الوصية على وفود الحجيج : ” وكل هؤلاء إنما يأتون في ذِمَامِ الله بيته الذي من دخله كان آمناً ، وإلى محل ابن بنت نبيه الذي يلزمه من طريق رِّ الضيف مأخِذَ لهم ، وإن لم يكن ضامناً ؛ فليأخذ بمن أطاع من عصى ، وليردع كل مفسد ولا سيما العبيد ، فإن العبد لا يردعه إلا العصا ، فقلوه فإن العبد لا يردعه إلا العصا يشير به إلى قول ابن دريد في مقصورته .

وَاللَّوْمُ لِلْحُسْرِ مُقِيمٌ رَادِعٌ \* وَالْعَبْدُ لَا يَرُدُّهُ إِلَّا الْعَصَا

وقد أشتهر النصف الثاني من هذا البيت حتى جرى مجرى المثل ، ولعله كان مثلاً سائراً قبل أن ينظمه ابن دريد .

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن بُبَاة رحمه الله من توقيع بنظر مدرسة بعد أن قدم أن أهلها رفعوا قصصهم في طاب ذلك الناظر : ” وكيف لا وهو نعم الناظر والإنسان ، وفي مصالح القول والعمل ذو اليمين واللسان ، وذو العزائم الذي تقيدت في حُبه الرُّتْب ، ومن وجد الإحسان . “ يريد البيت المشهور :

\* وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيِّدًا تَقَيَّدَا \*

وقد أتى فيه بالآكتفاء ، فزاد في كلامه حسناً وطلاوة .

وأعلى منه وأوقع في النفوس قوله بعد ذلك في التوقيع المذكور ” فاقتضى علو الرأي أن يحاب في طلبه إليهم سؤال القوم ، وأن يتصل أمس الإقبال باليوم ؛ وأن

وسلم ، أعطاه من خير لنفسه حين أعطاه علياً رضي الله عنه بعد ذلك .

ومن ذلك ما ذكرته في المفارقة بين السيف والقلم على لسان القلم :  
وهو ” أنا جُذِلْتُهَا مُحَكَّكٌ ، وَعَدَيْتُهَا الْمُرَجَّبُ ؛ وَكَرَيْمَهَا الْمَجْلُ ، وَعَالَمُهَا الْمَهْذَبُ “ .  
فالقرينة الأولى فيها مثلان ، وأول من قالهما الحباب بن المنذر الأنصاري يوم  
السقيفة ، حين أجمع الأنصار إلى سعد بن عبادة ، يوم مات النبي صلى الله عليه  
وسلم في سقيفة بني ساعدة ؛ وأرادوا تأميره فذهب إليهم أبو بكر وعمر ، وأبو عبيدة  
أَبْنُ الْجَرَّاحِ ؛ وقال الحباب بن المنذر : مِثْلُ أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ  
هَذَانِ الْمَثَلَانِ . وَالْجُذْلُ تَصْغِيرُ جَذْلٍ ، وَاحِدُ الْأَجْدَالِ ؛ وَهِيَ أَصُولُ الشَّجَرِ  
الْعَظَامِ ؛ وَكَانَتِ الْعَرَبُ إِذَا جَرَبَتِ الْإِبِلَ نَصَبَتْ لَهَا جِذْلًا فِي بَاطِنِ الْوَادِي تَحْتَهُ  
فِيهِ ، فَلِذَلِكَ قَالَ جُذِلْتُهَا مُحَكَّكٌ ، أَرَادَ أَنَّهُ يُسْتَشْفَى بِرَأْيِهِ ، كَمَا تَسْتَشْفَى الْإِبِلُ  
بِالْحِكِّ فِي ذَلِكَ الْجِذْلِ ؛ وَالْعَدَقُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ النَّخْلَةُ بِجَمَلِهَا ؛ وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ  
أَنْ النَّخْلَةَ الْكَرِيمَةَ يَبْنِي حَوْلَهَا بِنَاءً يَمْنَعُهَا مِنَ السَّقُوطِ ، فَذَلِكَ هُوَ التَّرْجِيبُ ؛  
أَرَادَ أَنَّهُ كَرِيمٌ فِي قَوْمِهِ عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ . وَمَا ذَكَرْتَهُ فِي الْمَفَارِقَةِ بَيْنَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ  
أَيْضًا عَلَى لِسَانِ السِّيفِ وَهُوَ : ” فَالْشَّمْسُ مِنْ شُعَاعِي فِي تَحْجَلٍ ، وَاللَّيْلُ مِنْ ضَوْئِي  
فِي وَجَلٍ ؛ وَمَا أَسْرَعْتُ فِي طَلَبِ ثَارٍ إِلَّا قِيلَ فَاتٍ مَازُجٍ ، وَسَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ “ .  
ففي القرينة الأخيرة مثلان أحدهما ” فَاتٍ مَازُجٍ “ وهو مثل يضرب لمن  
طلب الشيء بعد قوّاته ، وأصله أن بعض الملوك رأى مع أعرابي بازيًا ، فأعجبه  
فأرسل في طلبه قاصدا ، فأتى الأعرابي ولم يكن عنده ما يضيفه به ، فدَبَجَ  
البازي وطبعه وقدمه إليه ، غير عالم بقصده ، فلما فرغ من أكله ذكر للأعرابي



والأحوال، فأودعها في مكانها، وأستشهد بها في موضعها. والطريق في استعمالها في النثر، كما في حل الأشعار واستعمالها، إلا أن الأمثال لا يجوز تبديل ألفاظها، ولا تغيير أوضاعها : لأنها بذلك قد عُرِفَتْ واشتهرت .

فَمَا آسْتَعْمَلَهُ أَهْلُ الصَّنَاعَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُنْتَوَرَةِ وَأوردوه في كلامهم قول المقر السبائي ابن فضل الله في " التعريف " في وصية أمير مكة المعظمة " ولأنه أحقُّ بنى الزَّهْرَاءِ بما أَبَقَتْهُ له آبَاؤُهُ ، وأَلْقَتْهُ إِلَيْهِ من حديث قُصَيٍّ جَدِّهِ الْأَقْصَى أَبْنَاءُؤُهُ ، وهو أَجْدَرُ مَنْ طَهَّرَ هذا المسجد من أشياء تَنَزَّهَ أَنْ يلحق به خُشْ عَائِيهَا ، وَشَعَاءَ هو يَعْرِفُ كيف يَتَّبِعُهَا " وَأَهْلُ مَكَّةَ أَخْبَرُ بِشَعَائِيهَا " ، فَاسْتَعْمَلِ الْمَثَلَ السَّائِرَ في قوله : وَأَهْلُ مَكَّةَ أَخْبَرُ بِشَعَائِيهَا ؛ وقد وقع هذا المثل في كلامه أحسن موقع ، وجاء على أَجْمَلِ نظام : لِأَنَّهُ قد أَتَى بِهِ في مكانه اللَّائِقُ بِهِ ، ومحلّه المخصوص بوصفه ؛ وقد نقله الشيخ جمال الدين بن نُبَاتَةَ رحمه الله فَاسْتَعْمَلَهُ في غير هذا المعنى ، بخفاءٍ مُنَحْطَأً عن هذه الدرجة ، وقاصراً عن رتبتها ، فقال في وصية خطيب ، : ووصايا هذه الرتبة متشعبة ، وهو كأهل مكة أَخْبَرُ بِشَعَائِيهَا ، وأحوالها مترتبة ، وهو على كل حال أَدْرَبُ وَأَدْرَى بِهَا ؛ إِلَّا أَنَّهُ قد ظَرَفَ بِذِكْرِ الْجَنَاسِ الْأَشْتِقَاقِيَّ في قوله متشعبة مع قوله بشعائيا .

ومن ذلك قول الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في خطبة تقليد بفتوة عن ملك : " ونشهد أن محمدا عبده وسوله " ، الذي نُورُ شريعته جَلِيٌّ ، وَجَاهُ شَفَاعَتِهِ مَلِيٌّ ، وبسيفه وبه جاء النصر والشرف من انتمائنا إليه ، فلا سَيْفٌ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا قَتَى إِلَّا عَلَى . وهذا على ما هو شائع على الألسنة ، وأن ذلك قيل في يوم ضربَ على رضى عنه كافرا آسَمُهُ مَرْحَبٌ ، فَشَقَّ الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ نَصْفَيْنِ ، وَتَمَادَى السَيْفُ فِيهِ وَفِي جَوَادِهِ فَشَقَّهُمَا كَذَلِكَ وَخَلَصَ السَيْفُ بَيْنَهُمَا فَنَاصَ فِي الْأَرْضِ شَبْرَيْنِ ؛ إِلَّا أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ وَأَصْحَابِ السَّيْرِ أَنَّ ذَا الْفَقَارِ آسَمُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

ويحكى أن عبد الملك بن مروان حج وقدم المدينة ، فقال على المنبر : يا أهل المدينة إنكم قُتلَ عثمانُ بين أظهركم فنحن لانحبكم ! وأرسلنا مسلمة بن عُقبة فقتلكم في وقعة الحرة ، فأنتم لاتحبوننا ، فثقلنا ومثلكم كما قال النابغة :

كَلَّيْتُ ذَاتَ الصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا \* وَكَانَتْ تُرِيهِ الْمَالَ غِبًّا وَظَاهِرَ  
فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَدْ تَمَرَّ مَالُهُ \* وَأَثَلُ مَوْجُودًا وَسَدَّ مَقَاوِرَهُ  
أَكَبَّ عَلَى فَاسٍ يَحْدُ غُرَابَهَا \* مَذَكَّرَةً مِنَ الْمَعَاوِلِ بِآرِهِ  
فَلَمَّا وَقَّاهَا اللَّهُ ضَرْبَةً فَاسِهِ \* وَلِلَّهِ عَيْنٌ لَا تَغْمُضُ نَاطِرَهُ  
فَقَالَ تَعَالَى نَجْعَلِ اللَّهَ بَيْنَنَا \* عَلَى مَالِنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَهُ  
فَقَالَتْ يَمِينَ اللَّهِ أَفْعَلْ إِنِّي \* رَأَيْتُكَ سُخْرِيًّا يَمِينُكَ فَاحِرَهُ  
أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي \* وَضَرْبَةُ فَاسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ

وهذه الحكاية مشهورة في الموضوعات على ألسن الحيوان ؛ وهى أن أخوين هبطا بغنمهما وادياً يرعيان فيه ، فخرجت حية من تحت الصفا وفى فيها دينار فألقته إليهما وأقامت كذلك أياما ، فقال أحدهما لابد من قتل هذه الحية وأخذ هذا الكنز ! فنهاه أخوه فلم يقبل ، فخرجت فضربها بفأس فى يده ، فشجَّها وشدَّت عليه فقتلته ، فدفنه أخوه مقابِلَها ، فلما خرجت قال لها هل لك أن نتعاهد على المودة وعدم الأذية ، وتعطينى ذلك الدينار كل يوم ؟ فقالت : لا ! - قال ولم ؟ - قالت لأنك كلما نظرت إلى قبر أخيك لاتصفولى ، وكلما ذكرت الشجرة التى فى رأسى لأصفؤك .

## المقصود الثانى

( فى كيفية استعمال الأمثال فى الكتابة )

فإذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الأمثال السائغ استعمالها ، آنقادت إليه معانيها ، وسيقت إليه ألفاظها ، فى وقت الاحتياج إلى نظائرها من الوقائع

قال الاصمعي : ولم أجد في شعر شاعر بيتا أوله مثل وآخره مثل ، إلا ثلاثة أبيات : بيت الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ \* لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ  
وبيتا امرئ القيس :

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضًا \* وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صِفَرُ الْوِطَابِ  
وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَنَى أَبِيهِمْ \* وَبِالْأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعِقَابُ

قال صاحب العقد : ”ومثل هذا كثير في القديم والحديث ، ولا أدري كيف أغفل القديم منه الأصمعي ، ومنه

\* سَتُبْدَى لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا \*

البيت المتقدم ؟ وهو من أشرف الأبيات وأعظمها بابا .

وأما الأمثال الموضوعة على ألسنة الحيوانات ، فكما روى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، حين رأى خلاف أصحابه وتخاذلهم ، تمثل بقولهم ” إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ “ ، يعني إنما خذلت يوم خذل عثمان ؛ وحكاية هذا المثل أنهم قالوا : أصطحب أسد ، وثور أحمر ، وثور أبيض ، وثور أسود في أجمة ؛ فقال الأسد للأحمر والأسود : هذا الأبيض يَفْضَحُنَا بلونه ، وَيُطْمِعُ فِينَا مَنْ يَقْصِدُنَا ! فلو تركتاني آكله ، أَمِنَّا فُضِيحَةَ لَوْنِهِ ؛ فَأَذِنَا لَهُ فِي ذَلِكَ فَأَكَلَهُ ؛ ثُمَّ قَالَ لِلْأَحْمَرِ : هَذَا الْأَسْوَدُ يَخَالِفُ لَوْنِي وَلَوْنَكَ وَلَوْ بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ ، ظَنَنْكَ مَنْ يَرَاكَ أَسَدًا مِثْلِي فَدَعْنِي آكُلْهُ ، فَسَكَتَ عَنْهُ فَأَكَلَهُ ؛ ثُمَّ قَالَ لِلثَّوْرِ الْأَحْمَرِ : لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنَا وَأَنْتَ ، وَأَرِيدُ أَنْ أَكَلَكَ ! فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا وَلَا بَدَ ، فَدَعْنِي أَصْعَدُ تِلْكَ الْحُضْبَةَ ، وَأَصِيحُ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ ، فَقَالَ : أَفْعَلْ مَا زِيدَ ، فَصَعِدَ وَصَاحَ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ : ” أَلَا إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ “ ، فخرت مبالا ؛

والمحرم عليه صلى الله عليه وسلم، إنما هو نظم الشعر دون إنشاده وسماعه. وقد بسطت القول على ذلك في كتابي المسمى "بالغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع" في الفقه فراجعه هناك، ويروى أن عمر رضى الله عنه تمثل بقول النابغة :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَأَتْلُوهُ \* عَلَى شَعَثِ أَى الرِّجَالِ الْمُهْدَبِ

ثم قال : لمن هذا؟ ف قيل له للنابغة، فقال : ذاك أشعر شعرائكم؛ والمثل السائر فيه في قوله : أَى الرِّجَالِ الْمُهْدَبِ؛ وأمثال ذلك مما تمثل به الصحابة رضوان الله عليهم كثير، ولذلك وقع في أمثال المحدثين الواردة في أشعارهم ما يستظرف ويستحلى كقول القاضي الأترجاني :

تَأْمَلْ مِنْهُ تَحْتَ الصُّدُغِ خَالًا \* لَتَعْلَمَ كَمْ خَبَايَا فِي الزَّوَايَا

يشير بذلك إلى المثل الجارى على ألسنة الناس في قولهم "في الزوايا خبايا" وهو من الأمثلة المستفيضة على ألسنة العامة الشائعة بينهم، وقول ابن عبد ربه .

قَالُوا شَبَابُكَ قَدْ وَلَّى فَقُلْتُ لَهُمْ : \* هَلْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ؟  
صَلْ مَنْ هَوَيْتَ وَإِنْ أَبَدَى مُعَاتَبَةً \* فَاطْيَبُ الْعَيْشِ وَصَلْ بَيْنَ الْفَيْنِ!  
وَأَقْطَعْ حَبَابِلَ خِذَنِ لَا تَلَامُهُ \* فَرُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِإِثْنَيْنِ .

وقول الآخر :

وَعَادَ مَنْ أَهْوَاهُ بَعْدَ الْقَلْبِ \* شَقِيقُ رُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ  
وَأَصْبَحَ الدَّاخِلُ مَا بَيْنَنَا \* كَسَاقِطٍ بَيْنَ فِرَاشَيْنِ  
قَدْ أَلْبَسَ الْبَغْضَاءَ مِنْ ذَا وَذَا \* لَا يَصْلُحُ الْغَمْدُ لِسَيْفَيْنِ  
مَا بَالُ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ \* يَكُونُ أَنْفًا بَيْنَ عَيْنَيْنِ؟



من غير نظر إلى القرائن المنوطة به . والأسباب التي قيل من أجلها ، لا يعطى من المعنى ما قد أعطاه المثل ؛ بل ما كان يفهم من هذا القول معنى يفيد لأن البغى هو الظلم ، والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحدا ، فكان يصير معنى المثل - إن كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر - وهو كلام مختلف المعنى ليس بمستقيم .

وقد أكثر الناس في تصنيف كتب الأمثال ، فمن ذلك الأمثال لأبي عبيد ، وهو مرتب على ترتيب الوقائع التي تقع فيها الأمثال . ومن ذلك أمثال الميداني ، وهي مرتبة على حروف المعجم وفي آخرها جملة من أيام حروب العرب ، إلى غير ذلك من كتب الأمثال المصنفة في هذا الباب : كأمثال الضبي ، والتمني ، وغيرها .

وأما الأمثال الواردة نظما ، فهي كلمات استحسنست في الشعر . وطابقت وقائع عامة جارئة بين الناس ، فتداولها الناس ، وأجروها مجرى الأمثال النثرية . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يتمثل بقول طرفة .

\* وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ \*

وهو نصف بيت مجموعه :

سَتُبْدِي لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا \* وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يُخْرِجُهُ عَنِ الْوِزْنِ ، وَيُحِيلُهُ عَنْ طَرِيقِ الشَّعْرِ فكان يقول : ” وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ بِالْأَخْبَارِ ” فوارا من قول الشعر المنزه عنه مقامه العلى ، وشرفه الرفيع ، لكن ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : ” أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَيْدٍ :

\* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ \* ”

حدودُ الله ، والأبوابُ محارمُ الله ، والداعى القرآنُ“ إلى غير ذلك من الأمثال التي ضربها صلى الله عليه وسلم . ومحل الكلام على أمثال القرآن وأمثال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما تقدم من الكلام على القرآن الكريم والأخبار .

ثم هى على ضربين : قريب الفهم بظهور معناه ، وكثرة دورانه بين الناس ؛ وبعيد الفهم لخفائه ، وقلة دورانه بين الناس . فالقريب من الفهم الكثير الدوران على الألسنة مثل قولهم ، ”عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ“ ، وهو مثل يُضْرَبُ للترغيب فى السير فى الليل ، والحث عليه ؛ وأول من أرسله مثلاً خالد بن الوليد رضى الله عنه ، قاله فى صبح ليلة قطع فيها مفازة كانت فى طريقه من العراق إلى الشام ؛ وقولهم ”سَاءَ سَمْعًا فَاسَاءَ إِجَابَةً“ . وأول من قال ذلك سُهِيلُ بْنُ عَمْرٍو وكان تزوج صَفِيَّةَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فولدت له ابنة أنسا ، فرآه الأحنسُ بْنُ شَرِيْقٍ الثقفى معه فقال من هذا ؟ فقال سُهِيلُ ابْنى - فقال الأحنسُ حَيَّاكَ اللهُ يَا بُنَى ! أَيْنَ أُمُّكَ ؟ فقال : لا والله ما أُمى ثُمَّ ، أَنْطَلَقْتُ إِلَى بَيْتِ أُمِّ حَنْظَلَةَ تَطْحَنُ دَقِيقًا - فقال أبوه ساء سمعًا فأساء إجابة - فلما رجعا قال أبوه فضحنى أبوك اليوم قال كذا وكذا - فقالت إنما أبى صبي وأنت لا تحبه - فقال ”أشبه أمرؤ ببعض بزّه“ فأرسلها مثلاً . والبعيد من الفهم ، مثل قولهم ”إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ“ . وهو مثل يضرب لمن ينكر الأمر الظاهر عنادا . والأصل فى ذلك كما ذكره المفضل بن سامة الضبى أن بنى ثعلبة بن سعد بن ضبّة فى الجاهلية تراهنوا على الشمس ، فقالت طائفة : تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُرَى ، وقالت طائفة : يَغِيبُ الْقَمَرُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فتراضوا برجل جعلوه بينهم حَكَمًا ، فقال واحد منهم : إِنْ قَوْمِى يَبْغُونَ عَلَى ، فقال الحَكَمُ : إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ ، بَخَرْتُ مَثَلًا . ومن المعلوم أن قول التَّمَالِيقِ إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ ، إِذَا أُخِذَ عَلَى حَقِيقَتِهِ

الألفاظ الواردة في المثل دالة عليها، معبرة عن المراد بها، بأخصر لفظ وأوجزه، ولولا تلك المقدمات المعلومة، والأسباب المعروفة، لما فهم من هذه الألفاظ القلائل تلك الوقائع المطولات، وأما الأمثال الواردة ثرا، فإنها كلمات مختصرة، تورد للدلالة على أمور كلية مبسطة، كما تقدمت الإشارة إليه، وليس في كلامهم أوجز منها. ولما كانت الأمثال كالرموز والإشارة التي يلوح بها على المعاني تلويحا، صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا. وحيث كانت بهذه المكانة لا ينبغي الإخلال بمعرفتها، قال صاحب العقد "والأمثال هي وشى الكلام، وجوهر اللفظ، وحلى المعاني، والتي تختيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شئ كسيرها، ولا عم عمومها، حتى قالوا: أسير من مثل، قال الشاعر:

ما أنت إلا مثل سائر ۞ يعرفه الجاهل والخبير

وقد ضرب الله تعالى الأمثال في كتابه فقال ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وقال تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا﴾ الآية، وقال ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْمَنًا يُوَجِّهُهُ لآيَاتٍ يُخَيِّرُ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ الآية، وقال ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ الآية وقال ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضِيبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ إلى غير ذلك من آي القرآن.

وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثال فقال "ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا: فالصراط الإسلام، والستور

الحمد لله المليك الغافر \* ذى الطول والفضل المديد الوافر  
 سبحانه ماذا يقول البارئ \* فى كامل ليس له مضارع  
 ورزقه فى عدله بسيط \* وعلمه بخلقه محيط  
 وما يخرط فى هذا السلك من الكلام المنشور أيضا .

### النوع الحادى عشر

(الإكثار من حفظ الأمثال؛ وفيه مقصدان)

#### المقصد الأول

(فى وجه احتياج الكاتب إلى ذلك)

اعلم أن الكاتب يحتاج إلى النظر فى كتب الأمثال الواردة عن العرب نثرا ونظما والنظر فى الكتب المصنفة فى ذلك : كأمثال الميداني ، والمفضل بن سلمة الضبي ، وحمزة الأصهباني ، وغيرهم . وكذلك أمثال المولدين الواردة فى أشعارهم : كالأمثال الواردة فى شعر جرير ، والفرزدق ونحوهما ، إلى غير ذلك من الأمثال الواردة نثرا ونظما ، والنظر فى أمثال المحدثين الواردة فى أشعارهم : كأبي العتاهية ، وأبي تمام ، والمتنبي ، فحكم ماورد من الأمثال فى شعر المولدين والمحدثين حكم أمثال العرب الشعرية ؛ أما فى شعر المولدين فلجريهم على أسلوب العرب ، وركوب جادتهم ؛ وأما المحدثين فلطافة مأخذهم ، وأستطراف ما يأتون به مما يحرى بحرى النثر والنظم : من الأمثال الموضوعة على ألسنة الحيوان عن العرب وغيرهم ؛ فيستشهد به فى موضعه ، ويورده فى مكانه عارفا بأصل ذلك وما بُنى عليه ، وذلك أن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت ، وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم ؛ وهذه



قلت : والمراد أن الشعر غلب في هذه القبائل وظهر فيها ، وكان فيها الشعراء المجيدون ، وإلا فالشعر موجود في قبائل العرب قبل ذلك : كحِمْيَر وكَهْلَان من اليمن ؛ بل في عادٍ وثمودَ على ما تشهد به كتب السير والأخبار . فإذا عرف الكاتب ذلك ، استعان به في المساواة بمن شاء منهم في التقریظات والتفضيل عليه كما كتبت في تقریظ شاعر : فامرؤ القيس يَغْرَق في مِقياس معانيه ، والنابعة الذبياني يُقْصِر عن أن يبلغ مدى شأوه أو يُدانيه ، وزُهَيْر يقتطف زَهَرَات البلاغة من أفانينه ، وأوس بن حجر يَنْسِج على منواله ويأتم بقوانينه ، وطُفَيْل الغنوي يتطقل على موائد شعره ، وطرفة بن العبد يقصُر عنه في شيوع ذكره ، والأعشى يعيش إلى ضوء ناره ، وعمرو بن كلثوم يسعى إلى بابه ويقف بفناء داره ، وكثير في أمثاله لا يعد من أمثاله ، وحرير في مفارجه يمسك من الفخار بأذياله ، والفرزدق في أوصافه يقلبه ما بين يمينه وشماله ، فلوراء عبد الملك بن مروان لاختاره على الأخطل ، أو اجتمع مع أبي نؤاس لدى الأمين لقال هذا هو المقدم الأفضل ؛ أو أدركه أبو تمام ، لأعترف له بالتمام ؛ أو بصر به أبو عبادة لقال أنا له عبد و غلام ؛ أو عاصره المتنبي لأعترف بفضله ، أو ابن الساعاتي لقال لا يأتي الزمان دون قيام الساعة بمثله . ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى .

وكذلك ينبغي أن يعرف مصطلح أهل العروض الذي هو ميزان الشعر مثل الوَيد ، والسبب ، والفاصلة ، والعروض ، والضرب ؛ وأسماء البحور : من الطويل ، والمديد ، والبسيط ، وأخواتها ؛ وألقاب الزحاف : كالتجنب ، والتجبل ، والقبض وغيرها : ليدخلها تضاعيف كلامه عند احتياجه إلى ذلك كما قال صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثاري في أول ألفيته في العروض .

ومعرفة الفرسان منهم : كامرئ القيس ، وخُفّاف بن نُدْبَة ، والزُّبْران بن بدر وعَنْتَرَة ، وعمرو بن معدى كرب ، ودُرَيْد بن الصَّعْمَة .

ومن كان منهم راجلا يسعى على رجليه كسُليّك بن السُّلَكَة ، وآبن بَرّاقَة ، وتأبط شراً ، والشَّنْفَرى وغيرهم .

ومن تقدّم منهم في نوع من الشعر ، كمعرفة طفيل الغنوى بوصف الخيل ، وأمية بن أبى الصلت في أمر الآخرة وذكر الحرب ، وعمر بن أبى ربيعة في وصف النساء ، وعُتَيْبَة بن مُرداس براكب الإبل ، وكُثَيّر في الأمثال ، والفرزدق في الأخبار ، وجرير في المعاني .

ومعرفة من هو أكثرهم حفظاً : كالأغلب الشاعر : قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة ، ومعرفة أى القبائل كانت الشعراء فيها أكثر كَهْذِيل ، فقد قيل إنه كان فيها أربعون شاعراً مُقلِّقاً كلهم يَعُدُّو على رجليه ، ليس فيهم فارس ، وأى قبيلة كان الشعر فيها أقل : كَشَيْبَان ، وكلب ، فقد قيل إنه ليس في الدنيا قبيلة أقل شعراء منهما وإنه ليس لكلب في الجاهلية شاعر قديم على أنها مثل شيبان أربع مرات .

وقد ذكر ابن رشيق في "عمدته" عن عبد الله بن سلام الجُمَحِيّ وغيره : أن الشعراء كان في الجاهلية في ربيعة فكان منهم مُهَاجِل بن ربيعة ، وهو خال امرئ القيس بن حُجْر ، ويقال إنه أول من قصّد القصائد والمُرَقَّشان الأكبر والأصغر ، وطَرْفَة بن العبد ، وعمرو بن قَيْثَة ، والحارث بن حِلْزَة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسَيَّب بن عَلس وغيرهم ؛ ثم تحوّل الشعر إلى قيس فكان منهم النابغة الذبياني والجعديّ ، وزهير بن أبى سُلمى ، وابنه كعب ، وأبيد ، والحطيئة ، والشمّاخ . ثم استقر الشعر في تميم فكان منهم أوس بن حُجْر ، ولم يتقدّمه أحد حتى كان النابغة وزهير فأخلاه .

أَبْنُ كُثُومٍ، وَالْمَرْقَشُ، وَالنَّرْبَنُ تَوَلَّبَ، وَمُهَلِّهْلٌ، وَطُفَيْلُ الْغَنَوَى، وَعُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ،  
وَقَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ، وَالشَّمَاخُ بْنُ ضِرَارٍ، وَعَنْتَرَةُ، وَالسَّمُوعُ بْنُ عَادِيَا، وَمَنْ  
جَرَى مُجْرَاهُمْ .

وَمَنْ الْمُخَضَّرِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ جَمِيعًا : كَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَيْيَدُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، وَزَيْدُ الْخَلِيلِ الطَّائِي، وَالنَّابِغَةُ  
الْجَعْدِيَّةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ، وَالْحُطَيْئَةُ، وَعَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرْبٍ، وَالزُّبَيْرُ الْقَانِ  
أَبْنُ بَدْرِ التَّمِيمِيِّ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسِ السُّلَمِيِّ، وَالْحَنْشَاءُ بِنْتُ عَمْرُو بْنِ الشَّرِيدِ،  
وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

وَمَنْ الْمَوْلَدِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ وَلِدُوا مِنَ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ : كَالْفَرْزَدَقِ، وَجَرِيرِ  
وَالْأَخْطَلِ، وَالْقَطَامِيِّ، وَالْكُحَيْتِ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ، وَالْمُسَاوِرِ بْنِ هَنْدٍ، وَعَدَى بْنِ  
الرَّقَّاعِ، وَكَثِيرَ عَزَّةَ، وَعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالرَّاعِي، وَأَبْنُ مُقْبِلٍ، وَأَبْنُ مُقَرَّغٍ، وَلَيْلَى  
الْأَخِيلِيَّةُ، وَمَنْ أَنْخَرَطَ فِي سَلَكِهِمْ .

وَمَنْ الْمُحَدَّثِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ أَتَوْا بَعْدَ الْمَوْلَدِينَ كِبَارِهِمْ بِنِهَايَةِ هِرْمَةٍ، وَأَبْنُ أُذَيْنَةَ، وَأَبِي  
نُوَّاسٍ، وَأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ، وَطُفَيْلُ الْكُثَانِيِّ، وَسِلْمُ الْخَاسِرِ، وَأَبْنُ مَيَّادَةَ، وَصَالِحُ بْنُ  
عَبْدِ الْقُدُّوسِ، وَأَبِي عَيْنَةَ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ، وَالْعَتَّابِيُّ، وَأَشْجَعُ السُّلَمِيِّ،  
وَالْعَكَّوكُ، وَأَبْنُ أَبِي زُرْعَةَ الدَّمَشَقِيِّ، وَأَبِي الشَّيْصِ، وَالْحَمْدُونِيُّ، وَالْعَتَبِيُّ، وَدِعْلِيلُ  
الْخَزَاعِيِّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ، وَأَبِي عَلِيٍّ  
الْبَصِيرِ، وَأَبِي تَمَّامِ الطَّائِي، وَأَبِي عَبَّادَةَ الْبُخَيْرِيِّ، وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ، وَأَبْنُ  
بَسَّامٍ، وَالسَّرِيُّ الْمَوْصِلِيُّ، وَأَبِي الْفَتْحِ كُشَّاجِمٍ، وَأَبِي الْفَتْحِ الْعَبْسِيِّ، وَأَبِي الْفَرَجِ  
الْبَغْيَا، وَأَبْنُ السَّاعَاتِيِّ، وَأَبْنُ قَلَاقِسٍ، وَالْوَاوَا الدَّمَشَقِيُّ، وَالْعَفِيفُ التَّلَمَسَانِيُّ، وَابْنُهُ،  
وَابْنُ سَنَّا الْمَلِكِ، وَأَبْنُ شَمْسِ الْخِلَافَةِ، وَأَبْنُ النَّبِيهِ، وَالصَّفِيُّ الْحَلِّيُّ وَنَحْوُهُمْ .

ولا نازلها حتى استعادها؛ فكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائمها عزائم، وعلق عليها من رءوس القتلى تماثماً، ثم قال : وفي هذا من الحسن مالا خفاء فيه . فمن شاء أن ينثر شعراً فليثر هكذا وإلا فليترك . ثم نقله إلى معنى آخر، وأبرزه في صورة أخرى فأضاف إليه البيت الذي قبله من القصيدة فصار على هذه الصورة .

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا \* وَمَوْجُ الْمَنِيَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمٌ  
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ \* وَمِنْ جُثِّ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمٌ

ثم نثرهما فقال : بناها والأسنة في بناها متخاصمه ، وأمواج المنيا فوق أيدي البائين متلاطمه ؛ وما أجلت الحرب عنها حتى زُلزِلَتْ أقطارها بركض الجياد ، وأُصِيبَتْ بِمِثْلِ الْجُنُونِ فَعُلِّقَتْ عَلَيْهَا تَمَائِمٌ مِنَ الرُّءُوسِ وَالْأَجْسَادِ . ولا شك أن الحرب تُعْرَدُ عَنْ عَزِّ جَانِبِهِ ، وتقول ألا هكذا فليُكْسَبِ المجد كاسبه . قال وهذا أحسن من الأول وأتم معنى . ثم تصرف فيه بزيادة على هذا المعنى فقال : بناها ، ودُونَ ذَاكَ الْبِنَاءِ شَوْكُ الْأَسَلِ ، وطوفانُ المنيا الذي لا يقال سَاوَى مِنْهُ إِلَى جَبَلٍ ؛ ولم يكن بناؤها إلا بعد أن هُدمت رءوس عن أعناق ، وكأَنَّما أُصِيبَتْ بِجُنُونٍ فَعُلِّقَتْ الْقَتْلَى عَلَيْهَا مَكَانَ التَّمَائِمِ أَوْ شِينَتْ بَعَطْلَ فَعُلِّقَتْ مَكَانَ الْأَطْوَاقِ . قال وهذا الفصل فيه زيادة على الفصل الذي قبله .

قلت : وكما ينبغي الإكثار من حفظ الأشعار على ما تقدم ليوردها في خلال كلامه استشهاده وتضمينها أو يحلّها ويقتبس معانيها في نثره على ما تقدم بيانه كذلك ينبغي له معرفة المشاهير من الشعراء الطائري السبعة : من شعراء الجاهلية كامرئ القيس ، ابن جحر ، والنابغة الذبياني ، وطرفة بن العبد ، وأوس بن حجر ، وزهير بن أبي سلمى ، والأفوه الأودي ، والمتلمس ، والأعشى ، وعلقمة بن عبدة ، وعمر

(١) أى تغرّ وتجنّ يقال عرّد الرجل عن قرنه إذا فرونكل . انظر اللسان .



تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا قَبْلَ أَتَى \* بِهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهَى مِنْ سُنْدُسٍ خُضِرَ  
فإن أبا تمام قصد المؤاخاة في ذكر لوني الثياب بين الأحمر والأخضر، وجاء  
ذلك واقعا على المعنى الذى أرادته : من لون ثياب القتلى وثياب الجنة ؛ فإن ثياب  
القتلى حمر وثياب الجنة خضر .

قال ابن الأثير : فإذا فكَّ نظم هذا البيت وأريد صوغه بغير لفظه لم يمكن ؛  
فيجب على الناثر أن يحسن الصنعة في فكَّ نظامه ؛ لأنه يتصدى لنثره بالفاظه ، فإن  
كان عنده قوَّةُ تصرُّف ، وبَسْطَة عبارة ، فإنه يأتي به حسنا رائقا . وقد نثر هذا  
البيت فقال : لم تكسه المنايا نَسَجَ شِفَارَهَا ، حتَّى كَسَتْهُ الْجَنَّةُ نَسَجَ شِعَارَهَا : فبدَّلَ  
أَمْرُ ثوبه بأخضره ، وكأْسُ حِمَامِهِ بِكَأْسِ كَوْثَرِهِ . قال : وهذا من الحُسْنِ على  
غاية يكون كمدحسودها ، من جُمْلَة شهودها . ومن ذلك قول أبي الطيب :

وَكَانَ يَهَامِلُ الْجُنُونَ فَأَصْبَحَتْ \* وَمِنْ جُثِّ الْقَتْلِ عَلِيمًا تَمَامٌ

فإن أبا الطيب بنى بيته على واقعة مخصوصة . وذلك أن حصنا من حصون  
سيف الدولة قصده الروم ، وأنزعوه ، وحرَّبوه ؛ فهدَّ سيفُ الدولة إليه وأسترجه ،  
وجدد بناءه ، وهزم الروم ، ونصب جملةً من جُثِّ القتلى على السور ؛ فنظم أبو الطيب  
في هذا قصيدا أوله .

\* عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ \*

ولما انتهى إلى ذكر الحصن ، جاء بهذا البيت في جملة أبيات ، فشرح صورة  
الحال ، في آرتجاع الحصن بالقتال وتعليق القتلى عليه ؛ وأبرز ذلك في معنى التمثيل  
بالجنون والتمائم . وهذا لا يمكن تبديل لفظه ؛ فيجب على الناثر حسن الصنعة  
في حله ونثره . وقد نثر ابن الأثير أيضا فقال : سرى إلى حصن كذا مستعيذاً منه  
سَيِّئَةٌ نزعها العدو اختلاسا ، وأخذها مُخَادَعَةً لا أَفْتَراسا ؛ فإ نزلنا حتَّى آستقادها ،

وعلى هذا النهج يجرى قول ابن الرومي في وصف الحديث :

وَحَدِيثُ السَّحَرِ الْحَلَالُ لَوَّانَهُ \* لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ

نثره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في وصف السيوف فقال : وكفى السيوف  
نغرا أنها لبنة ظلال ، وإلى النصر مآل ؛ وإذا كان من بيان الحديث سحر ، فإن بيان  
حديثها عن كلمته هو السحر الحلال . ثم نقله إلى وصف الأسنة فقال : حسب  
الأسنة الأسنة شرفاً أن كشف خبايا القلوب يذم إلا منها ، وأن بث أسرار الضمائر  
تكره روايته إلا عنها ؛ فكرر حديثها في ذلك لا يفيض إلى مآل ، وإذا لم يكن  
حسن حديثها الذي تسحر الأبواب مما يحل ، فليس في الحديث سحر حلال .  
ثم نقله إلى وصف البلاغة فقال : البلاغة تسحر الأبواب حتى تخيل العرض جوهراً  
وتخيل الهواء المدرك بالسمع لأنسجامة وعدوبته في الذوق نهراً ؛ لكنه سحر لم يجز  
قتل المسلم المتحيز ، فيتأول في حله ، وإذا كان في الحديث ما هو عقلة للمستوفز ،  
فهذا أنسوطه نشاط البليغ وحل عقال عقله . ونقله إلى وصف الكتابة . فقال :  
خطه شرك العقول ، وفتنة تشغل المطمئن بملاحة المرئي المكتوب ، عن فصاحة  
المسموع المقول ؛ ولو لم يكن البيان سحراً ، لما تجسدت منه في طرسه هذه الدرر ،  
ولو لم يكن بعض السحر حالاً ، لما انجلى ظلام النفس عما يهتدى به من هذه  
الأوضح والغرر .

الحال الثاني - أن يكون البيت الشعر مما يضيق المجال فيه فيعسر على الناثر  
تبديل ألفاظه ، وذلك قليل بالنسبة إلى ما يتسع في حله المجال . قال في "المثل السائر"  
وسببه أن المعنى ينحصر في مقصد من المقاصد حتى لا يكاد يأتي إلا فذاً . فمن ذلك  
قول أبي تمام الطائي من قصيدة :

## الضرب الثالث

(وهو أعلى من الضربين الأولين أن يأخذ المعنى فيكسوه ألفاظا من عنده

ويصوغه بألفاظ غير ألفاظه )

قال في "المثل السائر" : وثمَّ يتبينُ حِذْقُ الصائغِ في صياغته ؛ فإنَّ استِطاعَ الزيادة على المعنى فتلک الدرجة العالیة ، وإلا أحسن التصرف وأتقن التأليف ؛ ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول .

وتعلم أن الأبيات الشعرية في حلها بالمعنى لها حالان .

الحال الأول : أن يكون البيت الشعر ما يتسع المجال لنثره في نثره فيورده بضروب من العبارات . قال ابن الأثير : "وذلك عندى شبيهه بالمسائل السئلة في الحساب التي يحاج عنها بعدة من الأجوبة" . فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :  
لا تعذِلُ المشتاقَ في أشواقِهِ \* حتَّى تكونَ حشاكَ في أحشائه  
فهذا البيت يُتصرّف في نثره في وجوه من المعاني . وقد نثر ابن الأثير هذا البيت فقال : "لا تعذِلُ المحبَّ فيما يهواه ، حتَّى تطويَ القلبَ على ما طواه" . ونثره على وجه آخر فقال : "إذا اختلفت العينان في النظر ، فالعدل ضرب من الهدر" . وكذلك قول المتنبي أيضا :

إنَّ القَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ \* مِثْلُ القَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ

نثره ابن الأثير فقال : "القتيل بسيف العيون ، كالقتيل بسيف المئون باغير أن ذلك لا يُجترَد من غمِّه ، ولا يُقَادُ صاحبه بعمِّه" . فزاد على المعنى الذي تضمنه البيت عدم القود بالعمد . ونثره على وجه آخر فقال : "دُمُ الحُبِّ ودم القتل ، متفقان في التشبيه والتمثيل ، ولا تجد بينهما بونا ، سوى أنهما يختلفان لونا" . قال وهذا أحسن من الأول .

الحال الثانى - أن يكون فى البيت لفظ رائق ، قد أخذ من الفصاحة بزمامها ، وأحاط من البلاغة بجوانبها ، فيبقى على حاله ، ويقرّنه بلفظ يماثله ويوازنه ، قال فى "المثل السائر" : وهناك تظهر الصنعة فى المماثلة والمشكلة ، ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة ، فإنه إذا أخذ لفظا لشاعر مجيد ، قد نغمه وصححه ، فقرّنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين أولوة وحصاة ، ولا خفاء بما فى ذلك من الانتصاب للقدح ، والاستهداف للطعن . قال : وهو عندى أصعب منالاً من نثر الشعر بغير لفظه ، لأنه يسلك مضيقاً ، لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو فى غاية الحسن والجودة ، بخلاف نثر الشعر بغير لفظه فإن نثره يتصرف فيه على حسب ما يراه ، ولا يكون مقيدا فيه بمثال يضطر إلى مؤاخاته ، ومثل لذلك بقول أبى تمام فى وصف قصيد له :

حَدَّاءَ تَمَلَّأَ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً \* وَبَلَاغَةً وَتَدَرَّ كُلُّ وَرِيدٍ

ثم قال : فقوله تملأ كل أذن حكمة من الكلام الحسن ، وهو أحسن ما فى البيت وأشهر ، فلو قال قائل لمن هذا ؟ قيل وهل يخفى القمر ، وإذا عُرِفَ الكلام صارت المعرفة له علامة ، ولم يُخَشَّ عليه سرقة إذ لو سُرِقَ لدلت عليه الوسامة ، ومن خصائص صفاته أنه يملأ كل أذن حكمة ، ويجعل فصاحة كل لسان حُجْمَةً . فبقى لفظ تملأ كل أذن حكمة وأتى معها بما يناسبها من الألفاظ الحسنة الرائقة . ونحو ذلك ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي : أنه يؤاخى القرينة المحلولة بمثلها من عنده كما فعل هو فى تقليد من التقاليد فقال : \* فكم ملَّ ضوء الصُّبْحِ مما يُغيره \* ثم قال : وظلام النَّعَمِ مما يُشيره . وقال أيضا : \* وولَّ حديدُ الهندِ مما يلاطمه \* ثم قال : والأجل مما يساقطه إلى قبض النفوس ويُراحه ، والقريدان الأوليان نصفان بيتين للتبني فأضاف إلى كل قرينة ما يناسبها . قال : وهذا من أكثر ما يستعمل فى الكتابة .



أَلَا يَابْنَ الَّذِينَ فَنُوا وَبَادُوا \* أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِتَبْقَى

فإن المصراع الأول يمكن حله بأن تقول ألا يابن الذين بادوا وفنوا فيكون مستقيماً . أما المعراع الثاني فإنه إن قُدم فيه أو أخر بأن قيل ما ذهبوا لتبقى أما والله فإنه لا يستقيم فتحاج في نثره إلى تغيير وزيادة فتقول : ألا يابن الذين ماتوا ومضوا وطمعنوا ونأوا أما والله ما طمعنا لتقيم ، ولا راموا لتريم ، ولا موتوا لتحيّا ، ولا فنوا لتبقى . قال في ”الصناعتين“ وفي هذه الألفاظ طول وليس بضائر على ما تقدم . قال : وإن أردت اختصاره قلت أما والله إن الموت لم يصيبك في أبيك إلا ليصيبك فيك .

### الضرب الثاني

(وهو أعلى من الضرب الأول أن ينثر المنظوم ببعض ألفاظه ويغرم عن البعض ألفاظاً أخر . ويحسن ذلك في حالين)

الحال الأول - أن يكون في الشعر ألفاظ لا يقوم غيرها من الألفاظ مقامها بأن تكون مثلاً سائراً أو جارية مجرى المثل : كقول بعض شعراء الحماسة :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِيحْ إِبِلِي \* بَنُو اللَّقِيظَةِ مِنْ دُحُلِ بْنِ شَيْبَانَ

فإن لفظ بنى اللقيظة لا يقوم غيره من الألفاظ مقامه لكونه علماً على قوم مخصوصين فيحتاج النائر أن يتيقنه بلفظه ، كما فعل ”ضياء الدين بن الأثير“ في قوله في نثر البيت المذكور : لست ممن تستبيح إبلة بنو اللقيظة ، ولا الذي إذا هم بأمر كانت الآمال إليه وسيطة ، ولكنني أحبى الحمل ، وأفوت الأمل ، وأقول سبق السيف العدل . وكذلك كل ما جرى هذا المجرى ونحوه .

وَأَلَدَّ ذِي حَنْقٍ عَلَى كَأَمَّمَا \* تَغْلِي عَدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ  
أَرْجِيئُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْصَهُ \* وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلِ  
فَقَالَ فِي ثَرِهِ : فَكَمْ لِيَ أَلَدَ ذَا حَنْقٍ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْكَوَاكِبِ مِنْ عَلٍ وَتَغْلِي  
عَدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ فَكَوَاهِ فَوْقَ نَاطِرِيهِ ، وَأَكْبَهُ لِقَمِهِ وَيَدِيهِ .

الحال الثاني - أن يكون الشعر مما لا يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها ، فيحتاج في ثره إلى الزيادة فيه ، والنقص منه ، وتغيير بعض ألفاظه حتى يستقيم كقول الشاعر :

لِسَانُ الْفَقِيِّ نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ \* فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

فإن المصراع الثاني من البيت لا يمكن حله بالتقديم والتأخير لأنك تقول في المصراع الأول : فُؤَادُ الْفَقِيِّ نِصْفٌ وَلِسَانُهُ نِصْفٌ ولا يمكن ذلك في المصراع الثاني حتى تزيد فيه أو تنقص منه فتقول مثلاً فُؤَادُ الْفَقِيِّ نِصْفٌ وَلِسَانُهُ نِصْفٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ . ثم تقول وصورته من اللحم والدم فضلة لا غناء بها دونهما ، ولا معول عليها إلا معهما .

قال في ” الصناعتين “ : وزيادة الألفاظ التي تحصل فيه ليست بضائرة لأن بسط الألفاظ في أنواع المنثور شائع ؛ ألا ترى أنها تحتاج إلى الأزدواج ؛ ومن الأزدواج ما يكون بتكرير كلمتين لهما معنى واحدٌ وليس ذلك بقبيح ؛ إلا إذا اتفق لفظاهما ؛ إلا أن أكثر ما يحسن فيه إيراد المعنى على غاية ما يمكن من الإيجاز ، ومعنى قوله فلم يبق إلا صورة اللحم والدم داخل في قوله \* لِسَانُ الْفَقِيِّ نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ \* والمصراع الثاني تذييل للمصراع الأول . قال : فإذا أردت أن تحله حلاً مقتصرًا بغير لفظه ، قلت الإنسان شَطْرَانِ : لسان وجنان ؛ وقريب من ذلك قول أبي نُوَّاسٍ .

الطريق الاول - ان يحمله بالتقديم والتأخير من غير زيادة في لفظه : كما ذكر صاحب "الصناعتين" عن بعض الكتاب أنه حلّ قول البحترى :

أُطِلَ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَتَهْوِينَ شَأْنِهَا \* فَمَا الْغَافِلُ الْمَغْرُورُ فِيهَا بِعَاقِلِ  
يَرْجَى الْخُلُودَ مَعَشَرَ ضَلَّ سَعِيهِمْ \* وَدُونَ الَّذِي يَرْجُونَ غَوْلُ الْغَوَائِلِ  
إِذَا مَا حَرِيزُ الْقَوْمِ بَاتَ وَمَا لَهُ \* مِنْ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمَقَاتِلِ

فقال في نثرها : أُطِلَ تهوينَ شأنِ الدنيا وجَفْوَتَهَا ، فَمَا الْمَغْرُورُ الْغَافِلُ فِيهَا بِعَاقِلِ .  
وَيَرْجُو مَعَشَرَ ضَلَّ سَعِيهِمْ الْخُلُودَ ، وَغَوْلُ الْغَوَائِلِ دُونَ مَا يَرْجُونَ . وَإِذَا بَاتَ حَرِيزُ  
الْقَوْمِ وَمَا لَهُ مِنَ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمَقَاتِلِ . فلم يزد في ألفاظها شيئاً .

الطريق الثاني - أن يحمله بزيادة على لفظه كما حكى الجاحظ عن قليب المعتزلى  
أنه سمع منشداً يُنشد للعتبيّ .

أَفَلْتَ بِطَالَتِهِ وَرَاجَعَهُ \* حِلْمٌ وَأَعْقَبَهُ الْهَوَى نَدَمَا  
أَلْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كُلَّكَاهَ \* وَأَعَارَهُ الْإِقْتَارَ وَالْعَدَمَا  
فَإِذَا أَلَمَ بِهِ أَخُو ثِقَةٍ \* غَضَّ الْجُفُونََ وَجَمَجَجَ الْكَلِمَا

فنثرها فقال يستعطف بعض الملوك على رجل من أهله : جعلني الله فداك  
ليس هو اليوم كما كان ، إنه وحياتك أَفَلْتَ بِطَالَتِهِ ، إِي وَاللَّهِ وَرَاجَعَهُ حِلْمَهُ ، وَأَعْقَبَهُ  
وَحَقَّقَ الْهَوَى نَدَمَا . أَخْنَى الدَّهْرُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ بِكُلِّكَاهَ ، فَهُوَ الْيَوْمَ إِذَا رَأَى أَخَا ثِقَةٍ  
غَضَّ بَصْرَهُ وَجَمَجَجَ كَلَامَهُ . فزاد في نثره ألفاظاً على ألفاظ الشعر .

ونحو ذلك ما حكاه ضياء الدين بن الاثير عن بعض العراقيين أنه نثر قول بعض  
شُعراء الحماسة :

في احسن سلك، وأجل قالب وأصح سبك، ويكملها بما يناسبها من أنواع البديع إذا أمكن ذلك من غير كلفة، ويتخير لها القرائن. وإذا تم معه المعنى المحلول في قرينة واحدة يفرض له من حاصل فكره، أو من ذخيرة حفظه، ما يناسبه. وله أن ينقل المعنى إذا لم يفسده إلى ما شاء؛ فإن كان نسيبا وتأثى له أن يجعله مديحا فليفعل؛ وكذلك غيره من الأنواع. وإذا أراد الحل بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبة لألفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها، فتي قصرت ولو بلفظة واحدة، فسد ذلك الحل وعُد معيبا. وإذا حلّ اللفظ فلا يتصرف بتقديم وتأخير ولا تبديل، إلا مع مراعاة تدوير الفصاحة، واجتناب ما ينقص المعنى أو يحط رتبته.

قال: وهذا الباب لا تتحصر المقاصد فيه، ولا حصر على المتصرف فيه. ثم حل الأبيات الشعرية واستعملها في النثر على ثلاثة أضرب.

### الضرب الأول

أن يأخذ النثر البيت من الشعر فينثره بلفظه، وهو أدنى مراتب الحلّ قال في "المثل السائر" وهو عيب فاحش إذ لم يزد في نثره على أنه أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير. قال ومثله كمن أخذ عقدا قد أتيقن نظمها، وأحسن تأليفها، فأوهاه وبدده؛ وكان يقوم عذره في ذلك لو نقله عن كونه عقدا إلى صورة أخرى مثله أو أحسن منه. وأيضا فإنه إذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال هذا شعر فلان بعينه لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شيء. وبالجملة فحل الشعر بلفظه لا يخرج عن حالين.

الحال الأول - أن يكون الشعر مما يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها، وله في حله طريقتان.



في مكانها اللائق بها بحسب مقتضيات الكتابة . قال صاحب "الريحان والريعان" :  
وهو شأنُ حُذَاقِ الكُتَّابِ في زماننا ، وفيه من الجمال فنون .

منها أنه يدل على حَفَالة أدب المجيد ، واتِّساع الحفظ ، واليسير والتأني لسبب  
اللفظ .

ومنما أنه ليس يُشهر منها إلا النادر للغاية في الحُسن ، فهي إذا حُلَّت يحاورها  
المنشئ بما يناسب حسنها في البراعة ، وهذا كثير في هذه الصناعة . قال في "المثل  
السائر" وإنما جعل المنظوم مادةً للمثور بخلاف العكس لأن الأشعار أكثر ،  
والمعاني فيها أغزر ، قال : وسبب ذلك أن العرب الذين هم أهل الفصاحة كان  
جُلُّ كلامهم شعرا ، ولا يوجد الكلام المنشور في كلامهم إلا يسيرا ، ولو كثُر فإنه لم  
يُنقل عنهم بل المنقول عنهم الشعر فأودعوا أشعارهم كل المعاني كما قال الله تعالى  
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ . ثم جاء الطراز الأول من المُخَضَّرِمْ فلم يكن لهم إلا  
الشعر . ثم استمر الحال على ذلك فكان الشعر هو الأكثر ، والكلامُ المنشور بالنسبة  
إليه قطرةً من بحر ، فلذلك صارت المعاني كلها مُودعة في الأشعار . قال في "حسن  
التوسل" والحلُّ باب متسع على المجيد بحاله ، وتتصَرَّف في كلام العارف به رويته  
وآرتجاله .

قال "صاحب الريحان والريعان" وأقول من فك رقاب الشعر ، وترح مقيدته إلى  
النثر ، عبد الحميد الأكبر : كاتب بن أمية إلى أنقضاء خلافتهم . قال : وربما رامه  
غير المطبوع المتصَرِّف فعقده وأفسده كما قال القائل : وبعضهم يحلُّ فيه قيد . قال :  
وكيفية الحل أن يتوَنَّى هذا البيت المنظوم وحلَّ فرائده من سلكه . ثم ترتيب  
تلك الفرائد وما شابهها ترتيبَ متمكِّن لم يحطَره الوزن ولا اضطرتته القافية ، ويرزها

ومن الامتراج بولائه ... \* كما التقت الصبأ والبارد العذب  
ومن الابتهاج بمزاره ... \* كما أهترت تحت البارح الغصن الرطب  
إلى غير ذلك من فنون الامتراج التي يزواج فيها بين المنشور والمنظوم، وينتهى فيها  
الكاتب إلى ما يبلغ به القدر المحتوم .

أما تضمين بعض أبيات العرب في بعض قصائد المحدثين كما فعل القاضى  
الأرجانى في قوله من قصيدة مدح بها بعض الوزراء :

وأهد إلى الوزير المدح يحمل \* لك المربع منها والصفافيا  
ورافق رفقة رحلوا إليه \* فأبوا بالنهاب والسبأيا  
وقل للراحلين إلى ذراه \* ألتئم خير من ركب المطايا  
ولا تسلك سوى طريقي فإنى \* أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

فإن ذلك من وظيفة الشاعر لا الكاتب، وإن كان الشيخ شهاب الدين محمود  
الحلبى رحمه الله قد أشار في كتابه "حسن التوسل" إلى التمثيل بذلك لما نحن بصدد

### الحالة الثالثة

#### الحل

وهو أن يعمد الكاتب إلى الأبيات من الشعر ذوات المعانى فيحلها من عقل  
الشعر، ويسبكها في كلامه المنشور، فإن الشعر هو المادة الثالثة للكتابة بعد القراءان  
الكريم والاخبار النبوية، على قائلها أفضل الصلاة والسلام، وخصوصا أشعار  
العرب فإنها ديوان أدبهم، ومستودع حكمهم، وأنفس علومهم فى الجاهلية؛ به  
يفتخرون، وإليه يحتكون . فإذا أكثر من حفظ الشعر وفهم معانيه، غُذرت لديه  
المواد، وترادفت له المعاني، وتواردت على فكره، فسهل عليه حينئذ حلها، ووضعها

في كل مُعْتَرَك . ، \* فَسَلَّ حُتَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا \* ؛ فَرَكَّبَتْ نَصْفَ بَيْتِ  
البردة على نصف قرينية . وما ذكرته في الرسالة التي كتبها للمفتي الفتحى صاحب  
ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية بالديار المصرية . وهو : قد لبس شرفا  
لا تطمع الأيام في خلعه ، ولا يتطالع الزمان إلى نزع ، وآنهى إليه المجد فوقف ،  
وعرف الكرم مكانه فانحاز إليه وعطف ، وحلت الرياسة بغناؤه فاستغنت به عن  
السوى ، وأناخت السيادة بغناؤه \* فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النوى \*

وقد ينمّن الكاتب بعض القرينة نصف بيت ، ثم يستطرد فيذكر أبياتاً كاملة  
الأجزاء على نمط أنصاف الأبيات التي يوردها ، كما فعل الشيخ ضياء الدين أحمد بن  
عمر بن يوسف القرطبي في رسالته للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد تغمدهما الله  
برحمته في قوله :

وينهى ورود عذرائه التي ... \* لَهَا الشَّمْسُ خِذْنُهَا وَالتُّجُومُ وَلَا تُدْ  
وحسنائه التي ... \* لَهَا الدَّرُّ لَفْظٌ وَالدَّرَارِي قَلَانْدُ  
ومشرفته التي ... \* لَهَا مِنْ بَرَاهِينِ الْبَيَانِ شَوَاهِدُ  
وكريمته التي ... \* لَهَا الْفَضْلُ وَرَدُّ الْمَعَالِي مَوَارِدُ  
وآيتها الكبرى التي دلّ فضلها \* عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ الْفَضْلَ جَاهِدُ  
وَأَنْتَ سَيِّفٌ سَلَّهُ اللَّهُ لِلْهَدْيِ \* وَلَيْسَ لَسَيْفٍ سَلَّهُ اللَّهُ غَامِدُ

وقد يخالف بين قوافي أنصاف الابيات التي يمزجها ببعض القرائن كما يخالف بين  
فواصل القرائن : كما في قول البديع الهمداني

أنا القرب دار مولاي ... \* كَمَا طَرَبَ النَّشْوَانُ مَالَتْ بِهِ الْخَمْرُ  
ومن الأرتياح إلى لقائه ... \* كَمَا أَتَفَضَّى الْعُصْفُورُ بِلَهْلَهُ الْقَطْرِ

وربما ركبت القرينة الكاملة على البيت أو نصف البيت كما كتب به القاضى  
الفاضل أيضا :

ورد كتاب الحضرة بعد أن عدت { \* وقد عشت دهرًا لا أعدُّ الليالي  
الليالي ليلة بعد ليلة لطلوع صديغه

وبعد أن أنتظرتُ القيظَ والشتاءَ { \* فما للنَّوى تَرى بليلى المَرميا  
لفصل ربيع ... ..

وأستروحت إلى نسيم سحره ... \* إذا الصَّيفُ ألقى في الدِّيارِ المَراسيا

ومددتُ يدي لأقتطف ثمره ... \* فله ما أحلى وأحلى المجانيب!

ووقفتُ على شكواه من زمانه ... \* فبتُ لشكواه من الدهر شاكيا

وعجبت لعمى الخيط عن مكانه ... \* وقد جمع الرحمن فيه المعانيب

وتوقعت له دولةً يعلوها الفضل ... \* إذا هنَّ من تلك الرياح عواليا

ورتبةً يرتقي صهوتها بحكم العدل ... \* فربَّ مراقٍ يعتدِّن مهاويا

وإلى الله أرغبُ في إطلاعه سعوده ... \* زواهر في أفق العلاء زواهي

وفي إنهاض عثرات جُودِه ... \* نقد عثرت بعد النهوض العواليا

وربما ركب نصف البيت على نصف القرينة كما ذكرت في المفارقة بين

السيف والقلم في الكلام على لسان السيف في مخاطبته للقلم . وهو : وأنت وإن

ذكرت في التنزيل ، وتمسكت من الأمتنان بك في قوله ((عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)) بشبهة التفضيل ،

فقد حرم الله تعالى تعلُّم خطك على رسوله ، وحرَمَك من مَس أنامله الشريفة ما يؤسى

على فوته ويُسرِّم بحصوله ؛ لكننى قد نلت من هذه الرتبة أسنى المقاصد ، وشهدت

معه من الوقائع ما لم تُشاهد ، وحلَّنى من كفه شرفا لا يزول حليَّه أبدا ، وقت بنصره



ولم يرد جواباً، ... \* وما ذا عليه لو أجاب المتياً؟  
 ورددته قراءة، ... \* فعوجلت دون الحليم أن تحملت  
 وحفظته، ... \* كما يحفظ الحُر الحديث المكتماً  
 وكثرته، ... \* فمن حيث ما واجهته قد تبسماً  
 وقبّلتها، ... \* فقبّلت دُراً في العقود منطماً  
 وقُت له، ... \* فكُنْتُ بمقروض الحبة قياً  
 وأخلصت لكتابه، ... \* وليس على حكم الحوادث محكاً  
 ولم أصدقَه! ... \* ولكنّه قد خالط اللحم والدماً  
 وأزخت وصوله، ... \* فكان لا يدي الوسائم موسماً<sup>(١)</sup>  
 وشفيت به غليل ... \* فؤاد أمنيّه وقد بلغ الظلما  
 وداويت عليل ... \* حشاً ضرماً فيه من النار ضرماً  
 فأما تلك الأيام التي ... \* حمّاها على اللوم المقام على الحما  
 والديالى العذاب التي ... \* ملأت بحور الليل بيضاً وأنجماً  
 وأرسلت الزفرة ... \* فلو صاغت رضوى لرَضّ وهُدا  
 وأسبلت العبرة ... \* كما أنشأ الأفق السحاب المديماً  
 وخطبت السلوة ... \* فأسأل معدوماً وأمّل مُعدماً  
 فأما الشكر فإنما ... \* أفُضّ به مسكاً عليه مُحْتماً  
 وأقوم منه بفرض ... \* أراني به دون البرية أقوماً  
 وأوفى واجب فرض ... \* وكيف تُوفّي الأرض فرضاً من السما

(١) كذا في الأصل ولعله جمع يد وأضيف للتكلم.

ومازلت منه أنشده

كأني سار في سريرة ليلة \* فلما بدا كبرت إذ طلع الفجر

ووافي على ما كنت أعهد

نخلت بأن العين من سحر كفه \* فمن ذا ومن ذا فيه ينتثر الدر

وأسترجع فأت الدماء من موره

وما كان عندي بعد ذنب فراقه \* بأني أرى يوماً به بعد الدهر

ونفس عن النفس بأبيض أثماده وعين العين بأسود إثمده

به لهما سبج<sup>(١)</sup> طويل فهذه \* على خاطر برد، وفي خاطر بدر

وجدت إليه أشواقاً جديدها

يمر به ثوب الحديد دائماً \* فيبلى ولا يبلى وإن بلى الدهر

وذكر أياماً لا يزال يستعيدها :

وهيات أن يأتي من الأمر فأت \* فدع عنك هذا الأمر قد قضى الأمر

وأما تضمين نصف البيت فمثل قول القاضى الفاضل :

وصل كتاب مولاي بعدما ... \* أجاب المنادى للصلاة فأعما

فلما استقر لدى ... \* تجلى الذى من جانب البدر أظلماً

فقدراته ... \* بعين إذا استمطرها أمطرت دماً

وسأله ... \* فسألت مصروفاً عن النطق أعجاً

(١) في نسخة سمح . وفي أخرى سح . وكلاهما تصحيف كما هو ظاهر . اذ يشير إلى الآية الكريمة (انك في النهار

سبحا طويلاً)

إلى غير ذلك من المكاتبات المتضمنة للأشعار . أما مكاتبات الملوك الآن فقل  
أن تستعمل فيها الأشعار ، أو يستشهد فيها بالمنظوم والمثور ، وقد تجىء التليقات  
بأبيات الشعر في غير المكاتبات من الرسائل الموضوعية لرياضة الذهن ، وتنقيح الفكر  
كالرسائل الموضوعية في صيد ملك أو فتح بلد أو نحو ذلك ؛ وقد أودعت المقامة التي  
أنشأتها في كتابة الإنشاء جملة من الأبيات الشعرية ، وأوردتها مورد الاستشهاد على  
ما يقتضيه المقام ، ويسوق إليه سياق الكلام ، على ما سلف ذكره عند الكلام على  
فضل الكتابة فيما تقدم . وعند مطالعة كلامهم ، والوقوف على رسائلهم ، ترى من  
أصناف الاستشهادات ما يروقك نظره ، ويُطربك سمعه .

### الحالة الثانية

#### التضمين

وهو أن يضم البيت الكامل من الشعر أو نصف البيت لبعض القرينة . أما  
تضمين البيت الكامل من الشعر أو نصف البيت لبعض القرينة فمثل ما كتب به  
القاضي الفاضل :

وصل من الحضرة

كَتَابَ بِهِ مَاءُ الْحَيَاةِ وَنَقَعَهُ السَّحْيَا فَكَأَنِّي إِذَا ظَفِرْتُ بِهِ الْحِضْرُ

فوقفت عنده منه على

عَقُودُهَا هِيَ الدَّرُّ الَّذِي أَنْتَ بَحْرُهُ \* وَذَلِكَ مَا لَا يَدْعِي مِثْلَهُ الْبَحْرُ

ورفعت منه في

رِيَاضُ يَدٍ تَجْنِي وَعَيْنٍ وَخَاطِرٍ \* تَسَابَقَ فِيهَا النَّوْرُ وَالزَّهْرُ وَالنَّثَرُ

وكرعت منه في حياض

تَسْرَجَانِيهَا إِذَا مَا جَنَى الظَّمَا \* وَتُرَوَّى بِجَارِيهَا إِذَا بَخِلَ الْقَطَرُ

كتاب تخلف سطره ما غسل الدمع من سواد ناظري ، ويُقَدِّم بياض منظومه  
ومشوره ماوزعه البين من سويداء خاطري

ولم يبق في الأحشاء إلا صباه \* من الصبر تجرى في الدموع البوادر  
وأسأله المناب ، بشريف الجناح ، وأداء فرض ، تقبيل الأرض ، حيث تلتقي  
وفود الدنيا والآخرة ، وتعمُر البيوت العاصرة المنن الغامرة ، وفضل الظل غير  
منسوخ بهجيره ، ويُسَرُّ المجد بشخص لا تسمح الدنيا بنظيره :

تظاهر في الدنيا بأشرف ظاهر \* فلم زأنق منه غير صميره !  
كفاني غرا أن أسمى بعبد \* وحسني هدياً أن أسير بنوره !  
فأى أمير ليس يشرف قدره \* إذا ما دعا صادقاً بأميده ؟  
وإني في السؤال بكتبه أن يوصلها ليوصل بها لدى تهاني تملأ يدي ، ويودع بها  
عندي مسرة تقدح في الشكر زندي .

عهديك ذا عهد هو الورد نضرة \* وما هو مثل الورد في قصر العهد  
وأنا أترقب كتابه أرتقاب الهلال : لتفطر عين عن الكرى صائمه ، وترد نفس  
عن موارد الماء حائمه اه

بل ربما كان كل المكتبة أو جلها شعرا ، وقد يكون صدر المكتبة شعرا وذيلها  
نثرا ، وبالعكس . وقد يكون طرفاها نثرا وأوسطها شعرا ، وعكس ذلك بحسب  
ما يقتضيه الترتيب ، ويسوق إليه التركيب ؛ وربما أكتفى بالبيت الواحد من الشعر  
في الدلالة على المقصد وبلوغ الغرض في المكتبة : كما كتب بعض ملوك الغرب  
إلى من كرر كتبه ورسله إليه بقول المتنبي :

ولا كتُب إلا المشرقة عنده \* ولا رُسل إلا الخميس العرمم



## الحالة الأولى

## الاستشهاد

وهو أن يُورد البيت من الشعر، أو البيتين، أو أكثر في خلال الكلام المشور مطابقا لمعنى ما تقدم من الثبوت ولا يشترط فيه أن ينبه عليه بقال ونحوه كما يشترط في الاستشهاد بآيات القرآن والأحاديث النبوية، فإن الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن غيره من أنواع الكلام، فلا يحتاج إلى التنبيه عليه. وأكثر ما يكون ذلك في المكتبات الإخوانيات: مثل ما كتب به القاضي الفاضل إلى بعض إخوانه يستوحش منه، ويتشوق إليه:

فِيَارَبِّ إِنِّ الْبَيْنَ أَصَحَّتْ صُرُوفُهُ \* عَلَى، وَمَالِي مِنْ مُعِينٍ فَكُنْ مَعِي

عَلَى قُرْبٍ عُدَّالِي وَبُعْدٍ أَحَبَّتِي \* وَأَمْوَاهِ أَجْفَانِي وَنِيرَانِ أَضْلَعِي!

هذه تحية القلب المعذب، وسريرة الصبر المذبذب، وظلامه عزم السلوك المكذب، أصدرتها إلى المجلس وقد وقَدَّ في الحشا نأرها، الزفير أوارها، والدُّمُوع شَرَّارها، والشوق آتارها، وفي الفؤاد ثأرها:

لَوْ زَارَنِي مِنْكُمْ خَيَالٌ هَاجِرٌ \* لَهَدَّتْهُ فِي ظُلْمَانِهِ أَنْوَارُهَا

أسفا على أيام الاجتماع التي كانت مواسم السرور والأسرار، ومباسم الثُغُور والأوطار، وتذكرا لأوقات عذب مذاقها، وأمتد بالأنس رواقها، وزوجت بكرها، ودوعب ذكراها:

وَاللَّهِ مَا نَسِيتُ نَفْسِي حَلَاوَتَهَا! \* فَكَيْفَ أَذْكُرُ أَنِّي الْيَوْمَ أَذْكُرُهَا؟

ومذ فارقت الجناب، لازال جنا جنايه نضيرا، وسنا سنائه مستطيرا، ومُلكُه في الخافقين خافق الأعلام، وعزُّه على الحديدين جدد الأيام، لم أقف منه على

فكنت إذا كره غير تلك المذاكرة؟ هذا رجل مشهور بالحفظ والأتساع في صنوف العلوم، ما ذا كرت به بحسبها، ومضت على ذلك مدة فحضرنا في حق آخر وجلسنا، وإذا بالطبري قد دخل إلى الحق . فقلت له : أيها القاضي هذا أبو جعفر الطبري قد جاء مقبلا، فأومأ إليه بالجلوس عنده، فعدل إليه وجلس إلى جانبه، وأخذ يحاربه، فكلما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري منها أبياتا، قال أبي : هاتها يا أبا جعفر إلى آخرها فيتلعثم الطبري فينشدها أبي إلى آخرها، وكلما ذكر شيئا من السير، قال أبي هذا كان في قصة فلان، ويوم بنى فلان، مرة يا أبا جعفر فيه فربما مرة فيه، وربما تلعثم، فيمرّ أبي في جميعه . ثم قمنا، فقال لي أبي : الآن شفيت صدرى .

وأما أشعار المحدثين، فللطف مأخذهم، ودوران الصناعة في كلامهم، ودقة توليد المعاني في أشعارهم، وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة، والكتابة، وخصوصا المتنبي، الذي كأنه ينطق عن ألسنة الناس في محاوراتهم، وكثير الاستشهاد بشعره حتى قلّ من يجهله، فإذا أكثر المترشح للكتابة من حفظ الأشعار وتدبر معانيها، ساقه الكلام إلى إبراز ذخيرة ما في حفظه منها، فاستعملها في محلها، ووضعها في أماكنها، على حسب ما يقتضيه الحال في إيرادها واقتباس معانيها .

## المقصد الثاني

(في كيفية استعمال الشعر في صناعة الكتابة)

اعلم أن للكاتب في استعمال الشعر في كتابته ثلاث حالات

فيه بيت شعر". وذكر صاحب "الريحان والريعان" عن سعيد بن المسيب أنه قال :  
كان أبو بكر وعمر وعلى يمجيدون الشعر وعلى أشعر الثلاثة . قال : وكان عمر بن  
الخطاب يقول أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها بين يدي حاجته  
يستعطف بها الكريم ، ويستنزل بها اللئيم . وقد ذكر عن الشافعي رضي الله عنه  
أوغره من بعض الأئمة الأربعة : أنه كان يحفظ ديوان هذيل ، وأما قول الشافعي  
رضي الله عنه .

وَلَوْلَا الشَّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرَى \* لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَيْدٍ

فانه يريد من صرف همته إلى الشعر، بحيث صار شأنه وديدنه، وهو المعنى بقوله  
صلى الله عليه وسلم "لَأَنْ يَمْلَأَ أَحَدُكُمْ جَوْفَهُ قَيْحًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْلَأَهُ شِعْرًا" أى أراد  
سرف همته إليه حتى يملأ جوفه منه . وقد قال صلى الله عليه وسلم "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ  
لِحِكْمَةً" . وكان عمر رضي الله عنه يسمع البيت يُعْجِبُهُ فيكرره مراتٍ كما ذكره  
الجاحظ وغيره . وقد ذكر أبو البركات بن الأنباري في كتاب "طبقات الأدباء"  
في ترجمة أبي جعفر أحمد بن إسحاق البهلول بن حسان الأنباري : أنه كان فقيهاً ،  
علماً ، واسع الأدب وتقليد القضاء لعدة من الخلفاء . ثم حكى عن ولده أبي طالب  
أنه قال كنت مع والدي في جنازة بعض أهل بغداد من وجوه الناس وإلى جانبه  
أبو جعفر الطبري ، فأخذ أبي يعظ صاحب المصيبة وَيُسَلِّيهِ ، وَيُنْشِدُهُ أَشْعَاراً ،  
ويروى له أخباراً ، فداخله الطبري في ذلك ، ثم آتسع الأمر بينهما في المذاكرة ،  
ونحجرا إلى فنون كثيرة من الأدب والعلم آتسحسنها الحاضرون وأُعْجِبُوا بِهَا ، وتعالى  
النهار وأفترقنا ، فقال لي أبي يابني مَنْ هَذَا الشَّيْخُ الَّذِي دَاخَلْنَا فِي الْمَذَاكِرَةِ ؟ فقلت :  
ياسيدي كأنك لم تعرفه ، فقال لا ، فقلت : هذا أبو جعفر الطبري ، فقال إنا لله !  
ما أَحْسَنْتُ عِشْرَتِي مَعَهُ ، فقلت كيف ياسيدي ؟ قال : أَلَا نَهَيْتُنِي فِي الْحَالِ ،

وسيدى عضد الدولة أدام الله علاه . ولّى ما يستصوبه ويراه : من الأمر بمكاتبتى  
بذلك و بمتجددات النعم ، وأوانف المواهب الغالية القسيم ، لآخذ وافر سهمى من  
السرور ، وجزيل قسّمى من الجَدَل والجور ، وتصريفى بين أمره الممثل المطاع ،  
ونفيه المقابل بالآتباع ، إن شاء الله تعالى .

### النوع العاشر

الاستكثار من حفظ الأشعار الرائقة ، خصوصا أشعار العرب وما توفرت دواعى  
العلماء بها على اختياره : كالحماسة ، والمفضّليات ، والأصمعيات ، وديوان هذيل ،  
وما أشبه ذلك ؛ وفهم معانيها واستكشاف غوامضها ، والتوفر على مطالعة شروحها ؛  
ويلتحق بذلك شعرُ المولدين من العرب ، وهم الذين كانوا فى أول الإسلام : بكثير  
والفرزدق ، والأخطل وغيرهم ؛ وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المفلّحين من  
المحدثين : كأبى تمام ، ومسلم بن الوليد ، والبحتري ، وابن الرومى ، والمتنبى ونحوهم .  
وفيه مقصدان .

### المقصد الأول

( فى بيان احتياج الكاتب إلى ذلك )

أما شعر العرب والمولدين فلما فى ذلك من غزارة المواد ، وصحة الاستشهاد ، وكثرة  
النقل ، وصقل مرآة العقل ، وانتزاع الأمثال ، والاحتذاء فى اختراع المعانى على أصح  
مثال ، والأطلاع على أصول اللغة وشواهداها ، والأضطلاع من نواذر العربية  
وشواردها . وقد كان الصدر الأول يعتنون بذلك غاية الاعتناء . قال محمد بن سلام  
عن بعض مشايخه " كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد



ومعاليه ؛ وبقية من كيد عائد إذا عند ، ويحيه من شر حاسد إذا حسد ؛ وأن يؤتیه  
عائدتی العاجلة والعقبی ، ويحطيه بسعادتی الآخرة والأولى ؛ وأن يجعل سعيه في مصالح  
عباده مشكورا ، ونظره في مناجح بلاده مبره را ؛ وأن يغادر متآخربه وتقواه راجحه ،  
كما جعل خواطر سره ، ونجواه صالحه ؛ فرياض الأيام بعدله نواضر ، ونواظر الأنام  
إلى فضله نواظر ؛ ومصالحهم يمينه وبركته موافيه ، وبراعتهم بهمتهم وسعادتهم  
مواتييه ؛ وإني لأعتقد أن مقيل في أفياء السعادة ، ونيل كل مأمول وإرادة ، وتوفيق  
فيما أوفق فيه ، بما أعتمده وآتیه ، جدول من تيار فضله وسعادتہ ، منوط العرى  
بسمو همته ؛ وأود أن أكون عوضا عن كتابي هذا إليه ، وخطابي الوارد آتفا عليه ؛  
لأسعد بالألاء غرته ، وأحظى بالأشرف من خدمته ؛ أدام الله أيام دولته : لأنني  
أجدر عبيده بالمهاجرة إلى بابه ، وأولى خدمه بالمبادرة إلى جنبه ؛ ولولا تحلي أعباء  
خدمته التي طوقنيها ، وكوني نائبه لدى هذه الحضرة فيها ، ثاويا بأوامره ونواهيها  
في مغانيها ، لما شق غباري من أم ذراه ، ولا اتبع آثارى مسرع رام لقياد . ولقد  
قمت بالواجب على للنعمة أيده الله المنزلة إلى ، والموهبة بمقدمه كلاًه الله المكملة  
لدى ، التي أضحت بها نواجد الخالص ضاحكة مستبشرة ، وأمست بسببها وجوه  
الكاشحين عابسة مستبصرة : من وافر شكر يمتري المزيدي ، وعتيق الإمام والعبيد ،  
والصدقة الدارة على التأييد ؛ وأنا أرغب إلى الله تعالى رغبة متوسل إليه ، أمل بما  
لديه ، أن يجعل بركة كل خير دزت به أخلافه ، وكرت لأجله أخلافه ، عائدة عليه ،  
وميامنه نائبة إليه ، مؤذنة بتعميره ملكا حلالا ، لا يلق مؤملوه ليم فضله ساحلا ؛  
وأن يمد لسيدى عضد الدولة في البقاء ، ويمتعه به وبسابقه من إخوته الأمراء ؛  
ويريه فيهم وفيه ، قُصوى ماتسمو إليه هممه وأمانيه . وإني لمتوكف لما يصنني  
من كتاب ينبئ عن اسمه الكريم وكنيته ، لأعتمد ما أستوجبه في خدمته ومكاتبته ؛

أطال الله بقاءه ، أعلیٰ عینا فیا یراه بمطالعی بذلك وبكل ما یؤلیه الله من مستأنف  
نعمه ، ویجده له فی حادث مواهبه له ، لاخذ بحظی منهما ، فأضرب بسیمی فیهما ،  
وتصرفنی بین أمره ونهیه ، وتشریفی بعوارض خدمته ، ان شاء الله تعالى .

وأما التي عارضها بها علی بن حمزة بن طلحة فهي :

وصلنی کتاب سیدی الأمير عضد الدولة ، أطال الله بقاءه ، بالبشری المبسمة  
عن ناجذ السعد الآنف ، والنعمی المنسمة عن صبا المجد المتضاعف ؛ التي أشرفت  
مطالع الإقبال عن محیّاها ، وتضوّعت نفحات درك الآمال عن ربّاها ، وصدقت  
من الأولیاء ظنونهم المرتقبة ، وانتخبت من الأعداء عیونهم المرتعبة ؛ بالولد النجیب  
الخطیر ، الأمير الحبيب الظّهير ، المجید المعمر ، المقیل المؤمر ، الذي كثّر الله به عددنا  
معشر أهلیه ، وعدّدنا بما نرتقبه منه ونراعیه ، وهو تکرمة مُحقق ظنوننا بماله نرتجیه ،  
وما نؤمله من السعادة المقبلة فيه ؛ فاستفزتني غبطة استحوذت علی جوامع لبيّ ،  
وتملكنتني بهجة ثوت فی مراع قلبي ؛ وطفقت مبتهلا ، وتضرعت متوسلا ، إلى ذی  
العرش الحمید ، الفعّال لما یُرید ، أن یجمع له بین العُمر المدید ، والحدّ السعيد کفاء  
ماقرن له بین المجد العتید ، والملک الوطید ؛ وأن یجعل تحیات أیادیه لدى سیدی  
الأمیر متضاعفة الأعداد ، مترادفة الأمداد ، مبشرة بُجباء الأولاد ، یربی آنفها علی  
السالف بسعده ، ویلّهی عن تالدها الطارف بعلو مجده ؛ وأن یریه إیّاه علی مفرق  
دولته ، وعُمره تُشرق فی جهة ذریته ، وناهضا بأعباء مملکته ، وقائما بنصرة دعوته ،  
حتى یربی أولاد أولاده جدودا ، مظفرا سعیدا ؛ وأن یُتبعه أترابا من الإخوة النجباء ؛  
الأماجد السعداء ؛ متجارین فی حلّبات علو الهمم ، متبارین فی مزیّات إیلاء النعم ؛  
لیتراید أزدحام وفود السعادة فی عتبات بابه ، ویترافد اقتحام جنود الإقبال رحیب  
جنابه ؛ ویحرُس لديه ماخوله من مواهبه وأیادیه ، ویحفظ علیه مابه فضله من مناقبه

تابع منهم من مباراة المتبوع، وشافع من مجارة المشفوع، في فائدة تقدم بمقدمه، وعائدة ترد بمورده؛ ويجرس هذه السعادة من خلل يعترض اتصالها، وأوقرة تخترم زمانها، أونائبة تشوبها، أوتغصها، أوزرية تتلمها، أوتقصها<sup>(١)</sup>. إلا أنها الأمد الأبعد والعمر الأطول؛ ثم تُفَضِّي به غَضارة هذه الدار الدنيا، إلى قرارة الدار الأخرى، مَبَوًّا أَوْفَى مراتبها، مَبْلَغًا أَقْصَى مبالغها، حَالًّا أَرْفَعَ درجاتها، مَخْتَصًا بِأَنْعُمها، مَبْتَهَجًا بِهَا، مُسْتَمِرًّا بِمَاقِدَمِهَا لِصَالِحِ سَعِيهِ، وَمُسْتَوِفًّا مَا أَفَاءَ عَلَيْهِ مَتَجَرُّهُ الرَّابِح، وَأَثَارُهُ الْبَادِيَّةُ لَا نِفَاقَهُ فِي أَيَّامِ نَظَرِي الَّتِي اسْتَشَعَرْتُ نُورًا مِنْ سَنَائِهِ، وَأَنْسَتْ جَمَالًا مِنْ بَهَائِهِ، وَثَابَتَ مَصَالِحُهَا بِبِرْكَتِهِ، وَتَوَافَتْ خَيْرَاتُهَا بِيَمِينِهِ؛ وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ السَّعَادَاتِ طَالِعَةٌ عَلَى مَبْطَلَعِهِ، وَأَسْبَابُهَا نَاجِمَةٌ إِلَى بَمَنَاجِمِهِ؛ فَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكُونَ مَكَانَ كَلَّابِي هَذَا مَشَافَهَا بِالْتَهْنِئَةِ لِسَيِّدِي الْأَمِيرِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاؤَهُ وَمَقَبَلًا لِبَسَاطَةِ، لَكُنْتُ أَوْلَى عَيْبِهِ بِالسَّارِعَةِ إِلَى بَابِهِ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى فَنَائِهِ: لِأَنِّي مَعُوقٌ عَنْ تِلْكَ الْخِدْمَةِ بِخِدْمَةِ أَنْفَائِهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَمَقِيمٌ بِهِذِهِ الْحَضْرَةِ، إِقَامَةً الْمُتَصَرِّفِينَ تَحْتَ أَمْرِهِ، وَقَدْ وَفَّيْتُ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى، الْوَاهِبِ مِنْهُ أَيْدِي اللَّهِ تَعَالَى مَا يُقَرِّعِينَ الْوَلِيَّ، وَيُقَذِّدِي عَيْنَ الْعَدُوِّ وَيُطَرِّفُهَا، حَقَّقَهَا مِنَ الشُّكْرِ الْمَتْرَى لِلْقَامِ وَالْمَزِيدِ، بِدَوَامِ الْعَزِّ وَالْتَأْيِيدِ؛ وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجْعَلَ ذَلِكَ مَقْبُولًا عَنْهُ، وَنَافِعًا لَهُ، وَعَائِدًا عَلَيْهِ وَعَلَيْنَا بِطُولِ الْعُمُرِ وَبِبَاهِي النَّشْوِ وَالنَّمَاءِ، وَأَنْ يَعْرِفَ سَيِّدِي الْأَمِيرُ عَضِدَ الدَّوْلَةِ أَيْدِي اللَّهِ بَرَكَتَهُ مَوْلَدَهُ، وَيُؤْمِنَ مَوْرَدَهُ، وَيَبْقِيَهُ حَتَّى يَرَاهُ وَالْأَمْرَاءَ السَّابِقِينَ أَيْدِيهِمْ اللَّهُ تَعَالَى آبَاءَ أَمْثَلِهِمْ، وَأَشْيَاخَ ذُرِّيَّتِهِمْ، مُبْلَغًا فِي كُلِّ مِنْهُمْ أَفْضَلَ مَا رَشَّحَتْهُ لَهُ أَمَانِيهِ، وَأَعْلَى مَا أَنْبَسَتْ أَمَالَهُ فِيهِ، بِقُدْرَتِهِ . وَأَنَا أَتَوَقَّعُ الْكَتَابَ بِمَا يَقَرَّرُ عَلَيْهِ اسْمُ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ وَكُنْيَتُهُ، أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَسْتَأْنِفَ إِقَامَةَ الرَّسْمِ فِي مَكَاتِبَتِهِ، وَتَأْدِيَةَ الْفَرَضِ فِي خِدْمَتِهِ؛ وَسَيِّدِي عَضِدَ الدَّوْلَةِ،

(١) لعله الى إنها كما يفيد السياق . (٢) كذا في الاصول وليحذر .

حمزة بن طلحة في كتابه "الاقتداء بالأفاضل" من ذلك بالعجب العجيب، فإنه قد استحسن كلام الخطيب ابن نباتة الفارقي، والأمير قابوس الخراساني، والوزير أبي القاسم المقرئ، والصاحب ابن عباد، وأبي إسحاق الصابي، الذين هم رؤساء الكتابة، وأئمة الخطابة، من الرسائل والعهود البديعة، والخطب الموجزة الرائقة، فخرت معانيها من ألفاظها، وأخترت لها ألفاظا غير ألفاظها، مع زيادة تنميق، ومراعاة ترصيف، على أتم نظام، وأحسن التثام.

وهاتان نسختا كتابين، الأولى منهما كتب بها أبو إسحاق الصابي عن عز الدولة ابن بويه جوابا عن كتاب وصل إليه عن أخيه عضد الدولة يخبره بمولود ولد له .  
والثانية عارض بها علي بن حمزة المذكور أبا إسحاق الصابي في ذلك بألفاظ أخرى مع اتحاد المعنى .

فأما التي كتب بها أبو إسحاق الصابي عن عز الدولة إلى عضد الدولة فهي :

"وصل كتاب سيدي الأمير عضد الدولة أطل الله بقاءه بالخبر السار للأولياء، الكاتب للأعداء، في الولد الحبيب الأثير، والسيد المقيّل الخطير، الذي زاد الله به في عددنا، وجدّد نعمه عندنا، وحقق فيه آمالنا والآمال لنا؛ فأخذ ذلك مني مأخذ الأغبط ونزل عندي أعلى منازل الأتباع، وسألت الله تعالى أن يختصه بالبقاء الطويل، والعمر المديد، وأن يجعل مواهبه لسيدي الأمير ناميةً بنموه، ناشيةً بنشوّه : ليكون كلّ يوم من أيامه مُمِدّا له من فضله عاده، وواعدّا له من غده زياده، ومُحدّثا لديه منحةً تتضاعف إلى ماسبق من أمثالها، ومجدّدا له عازمةً نتلو ماسلف من أشكالها؛ وأن يريه إياه غزوةً في وجه دولته، ووارثا بعد سالفه البقاء لمزله، قائما للملك قيامه، وسادا منه مكانه ؛ ويهبّ له بعد الأكابر النجباء السابقين، أترابا من الإخوة لاحقين،



يكتب في تهئة بمولود: قد جعلك الله من نَبْعة طابَتْ مَغَارِسُها، ورَسَخَتْ عُروقُها، فالزِيادة فيها زِيادةٌ في جوهر الكرم، وذخيرةٌ نفيسةٌ لذوي الإقبال، فتولّى الله نِعَمه عندك بالحراسة الوافية، والولاية الكافية. وقد بلغني الخبر بمحدث الولد المبارك، والفرع الطيب، الذي عمّر أُنْفِيةَ السيادة، وأضحك مطاع السعادة، فتبأشرتُ بذلك وآتبهجتُ به، بفعله الله بَرًّا تَقِيًّا، سعيدا حميدا، يتقيل سلفه، ويقتفى أثرهم؛ وأيمنَ به عددك، وكثّرَ به ذريتك، وأوزعَكَ الشكرَ عليه، وأجارك فيه من التَّكَلُّ برحمته.

فيأخذ آخرُ المعنى، ويورده بالفاظ أخرى، فيقول: قد جعلك الله من شجرة زَكَتْ عُصُونُها، وفرع شَرُفتْ مَنَابِتُها، فالنمو فيها نعمة كاملة السعادة، وغِبطَةٌ شاملة السرور، فتولّى الله فضلَه عليك بالحِفاظ الرامى، والدِّفاع الكالى؛ وقد اتصل بى خبر السليل الرضى، والولد الصالح الذى جدّد فوائِدَ السيادة، وثبّت أساس الرفعة، فاغتبطتُ به وأستبشرتُ، جعله الله تعالى ولدا مُمِونا، ونجلا سعيدا، يسلك مَنَاجِحَ سلفه، ويحذو فى المحاسن حذوهم، وزاد به فى ثروتك، وأراك فيه غاية أملك، وسرّك بوجوده، وأسعدك برؤيته.

فالمعنى والفصل واحد، والألفاظ مختلفة. وكذلك مايجرى هذا المجرى وما فى معناه.

قلت: ولا ينهض بمثل ذلك إلا مَنْ رَسَخَتْ فى صنعة الكتابة قدمه، وأمتَرَجَ بأجزاء الفصاحة والبلاغة لحمه ودمه؛ وهذا المنهج هو أحد أنواع الإعجاز فى القرآن الكريم، فإن القِصَّة الواحدة تتكرر فيه مرارا فى سور متعددة، ترد فى كل سورة بلفظ وتركيب غير الذى وردت به فى الأخرى، مع استيفاء حدّ البلاغة ونهاية أمدِ الفصاحة؛ ولذلك قلَّ مَنْ سلك هذا المنهج، أو ارتقى هذه الذروة، وقد أتى على بن

أشترى بها أرضاً يعيش بها ولدى ، وأستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون  
 ذُخْراً لمن بعدى ؛ قال : فإننا قد أمرنا لك بما سألت - قال فالمحمودُ الله على ذلك ،  
 ونخرج - فقال هشام : ما رأيت رجلاً أوجز في مقال ، ولا أبلغ في بيان منه ، وإنا لنعرف  
 الحق إذا نزل ، ونكره الاسراف والبخل ، وما نُعطى تبذيراً ، ولا نمنع تقتيراً ، وما  
 نحن إلا خُزَّان الله في بلاده ، وأمنأؤه على عباده ، فإن أذن أعطينا ، وإذا منع أئبنا ،  
 ولو كان كل قائل يصدق ، وكلُّ سائل يستحق ، ما جَهِنَّا قائلًا ، ولا ردَدْنَا سائلًا ؛  
 فنسأل الذى بيده ما استَحَفَظْنَا أن يُجْزِيَهُ على أيدينا فإنه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ  
 ويقدر ، إنه كَانَ بِعِبَادِهِ خَيْرًا بصيرا . فقالوا يا أمير المؤمنين لقد تكلمت فأبلغت ،  
 وما بلغ في كلامه ما قصصت ، فقال إنه مبتدى ، وليس المبتدى كالْمُقْتَدَى .

والحكايات والأخبار فى ذلك كثيرة ، والإطناب يُخرج عن المقصود ، ويؤدى  
 إلى الملل ، وفيما ذكرنا من ذلك مَقْنَعٌ ، والله أعلم .

### المقصود الثالث

( فى كيفية تصرف الكاتب فى مثل هذه المكاتبات والرسائل )

غير خاف على من تعاطى صناعة النثر والنظم أنه لا يستقل أحد باستخراج جميع  
 المعانى بنفسه ، ولا يستغنى عن النظر فى كلام من تقدمه : لاقتباس ما فيه من المعانى  
 الرائقة ، والألفاظ الفائقة ، مع معرفة ترتيب أهل كل زمن وأصطلاحهم ، فينسج  
 على منوالهم ، أو يقترح طريقة تخالفهم ؛ وتوارد الكتاب والشعراء على المعانى غير  
 مجهول ، فإن التوارد يقع فى الشعر الذى هو مبنى على أصل واحد من وزن وقافية ،  
 فإنه إذا وقف على المعنى وترتيب الكلام ، عرف كيف ينسج الكلام ؛ مثل أن

ومن ذلك ما حكى : أن المنصور قال لبعض قواده : صدق الذى قال "أَجْعُ كَلْبَكَ يَتْبَعُكَ" فقال له أبو العباس الطوسى : أما تخشى 'يا أمير المؤمنين أن يلوح له غيرك رغيفا فيتبعه ويدعك .

ومن ذلك ما يحكى : أنه وفد أهل الحجاز من قریش على هشام بن عبد الملك بن مروان ، وفيهم محمد بن أبى الجهم بن حذيفة العدوى ، وكان أعظمهم قدرا ، وأكبرهم سنا ؛ فقال - أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قریش قد قالت فيك ، وأقلت وأكثرت وأطنبت ، وما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى مطنبهم فضلك ؛ وإن أذنت فى القول قلت - قال قُلْ وأوجز - قال تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ! إن لى حوائج أفاد كرها ، قال هاتها - قال كبرت سننى ، ودق عظمى ، ونال الدهر منى ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ، وينفى فقرى - قال : وما الذى ينفى فقرك ويجبر كسرك ؟ - قال ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار . فأطرق هشام طويلا ، ثم قال : هيات يا بن أبى الجهم ، بيت المال لا يحتمل ما سألت - فقال : أما إن الأمر لواحد ، ولكن الله أثرك لمجلسك فإن تعطنا حَقَّنَا أذيت ، وإن تمنعنا نسال الذى بيده ما حَوَيْت ؛ إن الله جعل العطاء محبة ، والمنع مبغضة ، ولأن أُحِبَّكَ <sup>(١)</sup> أحبُّ إلى من أن أبغضك - قال : فألف دينار لما ذا ؟ - قال أقضى بها دينا قد حُمَّ قضاؤه ، وحاننى حمله ، وأضربنى أهله - قال : فلا بأس تُنْقِسَ كُرْبَةً ، وتؤدنى أمانة ؛ وألف دينار لما ذا ؟ - قال أزوج بها من بلغ من ولدى - قال : نعم المسلك سلكت ، أغضضت بصرا ، وأعففت ذكرا ، وروجت نسلا ؛ وألف دينار لما ذا ؟ - قال

(١) فى الاصل . ولئن وهو خطأ فى الرسم .

المنصور يده إليه، ثم قال يا بُحَيَّ! وأعتقه، ونظر في وجوه أصحابه هل فيهم أحد يذكر مقامه ويصف فضله، فكلهم كره ذلك وهاب المهدي، فقام شبة بن عقال التيمي، فقال: "لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين! ما أفصح لسانه! وأحسن بيانه! وأمضى جناحه! وأبل ريقه! وأسهل طريقه! . وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه، والمهدي أخوه، وهو كما قال زهير بن أبي سلمى:

يَطْلُبُ شَاوَأْمَرَيْنِ قَدَمًا حَسَنًا \* بَدَأَ الْمَلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوْقَا

هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَاوَهُمَا \* عَلَى تَكَالُفِهِ فَمَثَلُهُ لِحَقَا

أَوْ يَسْقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ \* فَمَثَلٌ مَاقَدَمًا مِنْ صَالِحِ سَبَقَا

قال الربيع: فأقبل على بعض من حضر، وقال والله مارأيت مثل هذا تخلصاً<sup>(١)</sup> أَرْضَى أمير المؤمنين، ومدح الغلام، وسلم من المهدي. فالتفت إلى المنصور، وقال: ياربيع لا ينصرف التيمي إلا بثلاثين ألف درهم.

ومن ذلك ما حكى أن رجلاً دخل على المهدي ولّى عهد المنصور، فقال يا امير المؤمنين إن أمير المؤمنين المنصور شتمنى وقذف أُمى، فإما أمرتنى أن أحلله، وإما عوضتنى فأستغفرت له - قال ولم شتمك؟ - قال شتمت عدوه بحضرته، فغضب - فقال ومن عدوه الذى غضب لشتمه - قال إبراهيم بن عبد الله بن حسن - قال إن إبراهيم أمس به رجماً، وأوجب عليه حقاً، فإن كان شتمك كما زعمت فعن رجحه ذب، وعن عرضه دفع، وما أساء من أنتصر لابن عمه - قال فإنه كان عدوه - قال فلم ينتصر للعداوة، إنما أنتصر للرحم، فأُسكِت الرجل، فلما ذهب ليولّى قال: لعلك أردت أمراً فلم تجد له ذريعة عندك أبلغ من هذه الدعوى؟ - قال نعم؛ فتبسم وأمر له بخمسة آلاف درهم.



ومن ذلك أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة : أن أجمع بين  
 إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة فولَّ القضاء أنفذهما ، بجمع بينهما ، وكنا غير  
 راغبين في القضاء . فقال إياس : أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي المصير  
 الحسن وأبن سيرين ، وكان القاسم يأتي الحسن وأبن سيرين ، وإياس لا يأتيهما ،  
 فعلم القاسم أنه إن سألها عنه أشارا به ، فقال له : لاتسأل عني ولا عنه ، فوالله الذي  
 لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء ، فإن كنت كاذبا فما أشير  
 عليك أن توليني وأنا كاذب ، وإن كنت صادقا فينبغي لك أن تقبل قولي - قال له  
 إياس إنك جئت برجل فوقفت به على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة  
 يستغفر الله منها وينجو مما كان - قال له عدي : أما إذ فهمتها فأنت لها فاستقضاه .

ومن ذلك : ما حكاه صاحب العقد عن زياد عن مالك بن أنس ، قال  
 ”خطب أبو جعفر المنصور ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس اتقوا الله ،  
 فقام إليه رجل من عرض الناس ، فقال أذكرك الذي ذكرتنا به . فأجابه أبو جعفر  
 بلا فكر ولا روية : سمعنا سمعا لمن ذكرك بالله ، وأعوذ بالله أن أذكرك به وأنساه  
 فتأخذني العزة بالاثم ؟ لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ؛ وأما أنت فوالله ما الله  
 أردت بهذا ، ولكن ليقال قام فقال ، فعوقب فصبر ، وأهون بها لو كانت ؛ وأنا  
 أنذركم أيها الناس أختها ، فإن الموعدة علينا نزلت ، وفيها انبئت . ثم رجع إلى مكانه  
 من الخطبة .

ومن ذلك : ما يحكى عن الربيع قال : كنا وقوفا على رأس المنصور ، وقد طُرحت  
 للهدى بن المنصور وسادة إذ أقبل صالح بن المنصور ، وكان قد رثَّه أن يولِّيه بعض  
 أمره ، فقام بين السَّاطين والناس على قدر أنسابهم ومواضعهم ، فتكلم فأجاد ، فمد

ومن ذلك ما يروى أن أم البراء بنت صفوان استأذنت على معاوية فأذن لها  
فدخلت عليه ، وعليها ثلاثة دروع برود تسجها ذراعا ، قد لاثت على رأسها كورا  
كالمنسف فسلمت وجلست ؛ فقال لها معاوية كيف أنت يا ابنة صفوان ؟ - قالت  
بخير يا أمير المؤمنين - قال كيف حالك ؟ - قالت كسيت بعد نشاط - قال شتان بينك  
اليوم وخين تقولين :

يَا زَيْدُ دُونَكَ صَارِمًا ذَا رَوْنَقٍ \* عَضِبَ الْمَهْزَّةَ لَيْسَ بِالْخَوَّارِ  
أُسْرِجْ جَوَادَكَ مُسْرِعًا وَمُسَمَّرًا \* لِلْغُرَبِ غَيْرَ مَعُودٍ لِلْفِرَارِ  
أَجِبِ الْإِمَامَ وَدُبَّ تَحْتِ لَوَائِهِ \* وَالْقَى الْعَدُوَّ بِصَارِمٍ بَتَّارِ  
يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ لَسْتُ قَعِيدَةً \* فَأَذْبَ عَنْهُ عَسَاكِرَ الْفُجَّارِ

قالت قد كان ذلك ، ومثلك من عفا عما سلف (وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ) . قال  
هيأت ، أما والله لو عاد لعدت ، ولكنه اخترم منك - قالت أجل ! والله إنى لعل  
بينة من ربي وهدي من أمرى - قال كيف كان قولك حين قتل ؟ - قالت أنسيته ؛  
قال بعض جلسائه هو والله حين تقول :

يَا لَرِّجَالٍ لِعُظْمِ هَوْلٍ مُصِيبَةٍ \* فَدَحَتْ فَلَيْسَ مُصَابُهَا بِالْحَائِلِ  
السَّمْسُ كَأَسِيفَةٍ لَفَقْدِ إِمَامِنَا \* خَيْرِ الْخَلَائِقِ وَالْإِمَامِ الْعَادِلِ  
حَاشَى النَّبِيِّ لَقَدْ هَدَدْتُ قَوَاءَنَا <sup>(١)</sup> \* فَالْحَقُّ أَصْبَحَ خَاضِعًا لِلْبَاطِلِ

فقال معاوية : قاتلك الله فما تركت مقالا لقاتل ، أذكركى حاجتك - قالت  
أما الآن فلا ، وقامت فعثرت ، فقالت تعس شانى على ! فقال زعمت أن لا ؛  
قالت هو كما علمت ؛ فلما كان من الغد بعث إليها بجائزة ، وقال إذا ضيعت الحلم  
فمن يحفظه ؟

(١) جمع القوة قوى مقصور وانما سد للضرورة .

يا أمير المؤمنين - قال لا أُعْطِيكَ - قالت أما إذ أُبَيَّت ، فإنِّي أحببت عليا على عدله  
 في الرعية ، وقسمه بالسوية ؛ وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك ، وطلبك  
 ما ليس لك بحق ؛ وواليتُ عليا على ما عُقد له من الولاية ، وعلى حبِّه المساكين ،  
 وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك  
 بالهوى - قال ولذلك أنتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك - قالت يا هذا بهند  
 كانت تضرب الأمثال ، لابي - قال يا هذه أربعي ، فإننا لم نقل الاخيرا إنه اذا انتفخ  
 بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رزن  
 مجلسها فرجعت وسكنت - قال لها فهل رأيت عليا ؟ قالت لقد كنت رأيته -  
 قال كيف كنت رأيته ، قالت رأيته لم يفتنه الملوك الذي فتتك ، ولم تشغله النعمة  
 التي شغلتك - قال لها : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم ، والله كان يحلو القلوب من  
 العمى ، كما يحلو الزيت الطست من الصدا - قال : صدقت فهل لك من حاجة ؟  
 قالت : وتفعل اذا سألتك ؟ - قال نعم - قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها خلها وراعيها -  
 قال تصنعين بها ماذا ؟ - قالت أغدئ بالبنها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأصلح  
 بها بين العشائر - قال فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي ؟ - قالت ماء  
 ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفقى ولا كالك ، ياسبحان الله أودونه ، فأنشأ  
 معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم مني إليكم \* فمن ذا الذي بعدى يومئذٍ للحلم ؟

خذيها هينئا وأذكرى فعل ماجد \* جزاك على حرب العداوة بالسلم .

ثم قال : أما والله ! لو كان عليا ما أعطاك منها شيئا - قالت والله ولا وبرة واحدة

من مال المسلمين .

مقاتلتهم ، وأبعد منزلتهم ؛ فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قربا ، ومن المسلمين حبا . قال وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت : سبحان الله ! والله ما مثلك من مدح باطل ، ولا اعتذر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا ، وضيق قلبنا . كان على والله أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك . قال ممن ؟ قالت من مروان وسعيد بن العاص - قال وبهم استحققت ذلك عندك ؟ - قالت بسعة حاكم ، وكريم عقوك - قال وإنهما يطعمان في ذلك - قالت هما والله من رأى على ما كنت عليه لعثمان بن عفان - قال لقد قاربت فما حاجتك ؟ - قالت : يا أمير المؤمنين ! إن مروان تبك في المدينة تبك من لا يريد منها البراح ، لا يحكم بعدل ، ولا يقضي بسنة ، يتبع دورات المؤمنين ؛ حبس ابن أبي فأتيته فقال كبت وكيت ، فأسمعتني أخشن من الحجر ، وألقمته أمر من الصبر ، ثم رجعت إلى نفسي باللائمة ، وقلت لم لأصرف ذلك إلى من هو أولى بالعفو منه ؛ فأيتك يا أمير المؤمنين ، لتكون في أمرى ناظرا ، وعليه مَعْدِيَا - قال صدقت لأسألك عن ذنبه ، والقيام بحجته ، اكتبوا لها باطلاقة - قالت يا أمير المؤمنين وأنى بالرجعة وقد نفذ زادي ، وكلت راحتي ، فأمر لها براحلة موطاة وخمسة آلاف درهم .

ومن ذلك ما روى أن معاوية حج فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل الحجون يقال لها الدارمية ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها بغيء بها ، فقال ما حالك يا ابنة حاتم ؟ - قالت لست لحام أدعى ، إن عبتني أنا امرأة من بنى كنانة - قال : صدقت أتدري لم أرسلت إليك ؟ قالت لا يعلم الغيب إلا الله - قال : بعثت إليك لأسألك علام أحببت عليا وأبغضتيني ، واليتيه وعاديتيني ؟ - قالت أو تُعَفِّينِي



(١) سِنَانٍ بَنَتْ جَشْمِيَّةُ بْنُ خَرْشَةَ الْمَذْحِجِيَّةُ ، فَكَلَّمَتْهُ فِي الْغَلَامِ ، فَأَغْلَظَ لَهَا مِرْوَانَ ، فَخَرَجَتْ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَانْتَسَبَتْ لَهُ فَعَرَفَهَا ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بَابْنَةِ جَشْمِيَّةٍ مَا أَقْدَمَكَ أَرْضَنَا ؟ وَقَدْ عَهْدُتُكَ تَسْتَمِينَا ، وَتُحَضِّنُ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا ، قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنْ لَبِنِي عَبْدُ مَنَافٍ أَخْلَاقًا طَاهِرَةً ، وَأَعْلَامًا ظَاهِرَةً ، لَا يَجْهَلُونَ بَعْدَ عِلْمٍ ، وَلَا يَسْقُوهُونَ بَعْدَ حِلْمٍ ، وَلَا يَشْتُمُونَ بَعْدَ عَفْوٍ ، وَإِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِاتِّبَاعِ مَا سَنَّ آبَاؤُهُ لِأَنْتَ ، قَالَ : ”صَدَقْتَ نَحْنُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ قَوْلُكَ :

عَزَبَ الرَّقَادُ فُحْلَتِي لَا تَرَقُدُ \* وَاللَّيْلُ يُصْدِرُ بِالْهُمُومِ وَيُورِدُ  
يَا آلَ مَذْحِجٍ لَا مُقَامَ فَشَمَّرُوا \* إِنْ الْعَدُوُّ لَالٍ مَذْحِجَ يَقْصِدُ  
هَذَا عَلَيَّ كَالْهَلَالِ تَحْفُّهُ \* وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعِدُ  
خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ \* إِنْ يَهْدِكُمُ الْنُورُ مِنْهُ يَهْتَدُوا  
مَازَالَ مُدَّ شَهْدِ الْحُرُوبِ مَظْفَرًا \* وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُقْفَدُ“

قَالَتْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَنَا خَلْفًا بَعْدَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جَلَسَائِهِ كَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَهِيَ الْقَائِلَةُ :

إِنَّمَا هَلَكْتَ أبا الْحُسَيْنِ فَلَمْ تَزَلْ \* بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيًا مَهْدِيًا  
فَأَذْهَبَ عَلَيْكَ صَلَاقَةُ رَبِّكَ مَا دَعَتْ \* فَوْقَ الْغُصُونِ حَمَامَةٌ مُقْرِيًا  
قَدْ كُنْتُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْفًا لَنَا \* أَوْصَى إِلَيْكَ بَنَا وَكُنْتُ وَفِيًا  
وَالْيَوْمَ لَا خَلْفَ يُؤْمَلُ بَعْدَهُ \* هِيَاتَ نَأْمُلُ بَعْدَهُ إِنْ سِيَا

قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : لِسَانُ نَطْقٍ ، وَقَوْلٌ صَدَقَ ، وَلِئِنْ تَحَقَّقَ فِيكَ مَا ظَنَّنَاهُ ، فَحُظُّكَ الْأَوْفَرُ ، وَاللَّهِ مَا أَوْرَنَكَ الشَّيْئَانُ ، فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَؤُلَاءِ ، فَأَدْحِضْ

(١) لم نشر على اسم بهذه الصيغة فليحرق .

ومن ذلك ما يروى أن زيد بن منبه قدم على معاوية فشكا إليه ديناً لزمه فأعطاه ستين ألف درهم، وكان عتبة بن أبي سفيان قد تزوج ابنة يعلى أخى زيد بن منبه، وهو يومئذ عامل بمصر - فقال له معاوية : الحق بصهرك "يعنى عتبة" فقدم عليه مصر فقال : "إنى سرت إليك شهرين أخوض فيهما المتألف : ألبس أردية الليل مرةً وأخوض فى بلج السراب أخرى، موقراً من حُسن الظن بك، وهاربا من دهر قَطم، ودين أزم، بعد غنى جَدَعْنَا به أنوفَ الحاسدين، فلم أجد إلا إليك مَهْرًا وعليك معولا - فقال عتبة : مرحباً بك وأهلاً! إن الدهر أعاركم غنى وذا ناكم بنا ثم استرد وأخذ ما أمكنه أخذه، وقد أبقى لكم منا ملاضيقة معه وأنارفع إليك يدى بيد الله" فأعطاه ستين ألفاً كما أعطاه معاوية .

ومن ذلك ما يحكى أن عبد العزى بن زُرارة وفد على معاوية وهرسيد أهل الوبر، فلما أذن له وقف بين يديه وقال يأمر المؤمنين لم أزل أهرُّ ذوائب الرجاء إليك، ولم أجد معولا إلا عليك ، أمتطى الليل بعد النهار ، وأسمُ المجاهل بالآثار، يقودنى إليك أمل ، ويسوقنى إليك بلوى، والمجتهد يُعَدَّر، وإذ بلغتك فقط . فقال معاوية فاحطُط عن راحتك رَحَلَهَا .

ونخرج عبد العزى هذا مع زيد بن معاوية إلى الصائفة وأبوه زُرارة عند معاوية فهلك هناك . فكتب يزيد إلى أبيه معاوية بذلك - فقال معاوية لزُرارة : أتانى اليوم نعى سيد شباب العرب - قال زُرارة يا أمير المؤمنين هو ابنى أو ابنك؟ - قال بل ابنك فقال "للموت ما تلد الوالدة" . أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وَلِلْمَوْتِ تَغْدُو الْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا \* كَمَا لِحَرَابِ الدَّهْرِ تُبْنِي الْمَسَاكِينُ

ومن ذلك ما يروى، أن مروان بن الحكم، وهو وال على المدينة فى خلافة معاوية حبس غلاما من بنى ليث فى جناية جناها بالمدينة، فأثبته جقة الغلام "وهى أم

وبينك لا الوعيد مَنْ أراد المناجزة <sup>(١)</sup> يَقْبَلُ المحاجزة - فقال معاوية لشئ ما سؤده قومه  
وَوَدِدْتُ أَنِّي مِنْ صُلْبِهِ ؛ ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ فَقَالَ : هَكَذَا فَلْتَكُنْ الرِّجَالُ .

ومن ذلك ما روى أن سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على معاوية  
وابنه يزيد إلى جانبه فقال له : ائْتَمْتُكَ أَبِي ، وَأَصْطَنَعَكَ حَتَّى بَلَغَكَ بِأَصْطِنَاعِهِ إِيَّاكَ  
المدى الذى لا يجارى ، والغاية التى لا تُسَامَى ؛ فَمَا جَازَيْتَ أَبِي بِآلَائِهِ حَتَّى قَدِمْتَ  
هَذَا عَلَيَّ ، وَجَعَلْتَ لَهُ الْأَمْرَ دُونِي . ” وَأَوْمَأَ إِلَى يَزِيدَ “ وَاللَّهِ لِأَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّي  
خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ وَلَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ! - فقال له معاوية . أَمَا مَا ذَكَرْتَ يَا بَنَ أَخِي مِنْ تَوَاتُرِ  
آلَائِكُمْ عَلَيَّ ، وَتَظَاهِرِ نَعَائِكُمْ لَدَيَّ ، فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَوَجِبَ عَلَيَّ الْمَكَافَاةُ وَالْمُجَازَاةُ ،  
وَكَانَ مِنْ شُكْرِي إِيَّاهُ أَنْ طَلَبْتُ بَدْمَهُ حَتَّى كَابَدْتَ أَهْوَالَ الْبَلَاءِ ، وَغَشِيتُ عَسَاكَرَ  
الْمَنَايَا إِلَى أَنْ شَفِيتَ حَرَازَاتِ الصُّدُورِ وَتَجَلَّتْ تِلْكَ الْأُمُورُ . وَلَسْتُ لِنَفْسِي بِاللَّائِمِ  
فِي التَّشْمِيرِ ، وَلَا الزَّارِىَ عَلَيْهَا فِي التَّقْصِيرِ .

وَذَكَرْتُ أَنَّ أَبَاكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي هَذَا ” وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَزِيدَ “ فَصَدَقْتَ  
لِعَمْرِ اللَّهِ لِعُمَانَ خَيْرٌ مِنْ مَعَاوِيَةَ ! أَبُكْرَمَ كَرِيماً ، وَأَفْضَلَ قَدِيماً ، وَأَقْرَبُ إِلَى مَجْدِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِمَا . وَذَكَرْتُ أَنَّ أَمْلَكَ خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ فَلِعَمْرِي إِنَّ أَمْرَأَةً مِنْ  
قُرَيْشٍ خَيْرٌ مِنْ أَمْرَأَةٍ مِنْ بَنِي كَلْبٍ . وَذَكَرْتُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ يَزِيدَ فَوَاللَّهِ يَا بَنَ أَخِي  
مَا يَسْرُنِي أَنْ الْغُوطَةَ عَلَيْهَا رِجَالٌ مِثْلُ يَزِيدَ . فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ ” مَهْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !  
أَبْنُ أَخِيكَ اسْتَغْمَلَ الدَّالَّةَ عَلَيْكَ ، وَاسْتَعْتَبَكَ لِنَفْسِهِ ، وَاسْتَرَادَ مِنْكَ فِرْدَهُ وَأَجَلَ لَهُ  
فِي رَدِّكَ ، وَأَحْمَلَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَوَلَّهَ خُرَاسَانَ بِشِفَاعَتِي وَأَعِنَهُ بِمَا لِي بِظَهْرِ بَهْمٍ مَوْرُوثِهِ “  
فَوَلَّاهُ مَعَاوِيَةَ خُرَاسَانَ ، وَأَجَازَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ أَعْجَبَ مَا ظَهَرَ  
مِنْ حِلْمِ يَزِيدَ .

(١) الذى فى المثل من أراد المحاجزة فقبل المناجزة . ولعل ما هنا تصحيف ان لم يكن من تصرف المنشئ

من بنى أمية، فأخذته النعال والأيدى لقوله: "أمير المؤمنين"، وكثرت عليه الجلبة، فأتصل ذلك بمعوية فأذن له، فدخل عليه، فقال السلام عليك يا ابن أبي سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين - فقال معاوية أما إنه أو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو إسلام، لقتلتك. ثم اعترضه معاوية في الكلام، وأراد أن يستخبره ليعرف طبعاً أم تكلفاً - فقال له ممن الرجل - قال من نزار - قال وما كان نزار قال كان إذا غزا انكمش، وإذا لقي اقترش، وإذا أنصرف أحترش. قال فمن أى أولاده أنت؟ - قال من ربيعة - قال وما كان ربيعة؟ - قال: كان يطيل النجاد، ويعول العباد، ويضرب ببقاع الأرض العباد - قال: فمن أى أولاده أنت؟ - قال من جديلة - قال وما كان جديلة؟ - قال كان في الحرب سيفاً قاطعاً، وفي المكرّمات غيثاً نافعا، وفي اللقاء لباً ساطعاً - قال فمن أى أولاده أنت؟ - قال: من عبد القيس - قال وما كان عبد القيس؟ - قال كان حسناً أبيض وهاباً، يقدم لضيفه ما وجد، ولا يسأل عما فقد، كثير المرق، طيب العرق، يقوم للناس مقام الغيث من السماء - قال ويحك يا ابن صوحان! فما تركت لهذا الحى من قرّيش مجداً ولا فخراً، - قال بلى والله يا ابن أبي سفيان! تركت لهم ما لا يصلح إلا لهم، تركت لهم الأحمر والأبيض والأصفر، والسرير والمئبر، والملك إلى المحشر؛ ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قرّيش كلها، قال صدقت يا ابن صوحان إن ذلك كذلك فعرف صعصعة ما أراد؛ فقال ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد. بعدتم عن أنف المرعى، وعلوتم عن عذب الماء - قال ولم ذلك ويلك يا ابن صوحان! فقال الويل لأهل النار، ذلك لبني هاشم - قال قم فأخرجوه - فقال: صعصعة الوعد ببني

(١) أى جد. الأصمى انكمش فى أمره وانشمر وجد بمعنى واحد. وقوله اقترش أى صرع. يقال لقي فلان

فلاناً فاقرشه إذا صرعه وهو مناسب هنا. وقوله احترش أى كسب أو صاد.



فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ ! وَإِيَّاكُمْ وَالتَّوَكُّلَ فَإِنْ ذَلِكَ يَنْقُضُ عُرَى الْإِسْلَامِ ،  
وَيُطْفِئُ نَوْرَ الْحَقِّ . هَذِهِ بَذَرُ الصَّغْرِ ، وَالْعَقَبَةُ الْآخَرَى ، يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ،  
أَمْضُوا عَلَى بَصِيرَتِكُمْ ، وَاصْبِرُوا عَلَى عَزِيمَتِكُمْ . فَكَأَنِّي بَكُمْ غَدًا وَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ  
كَالْحُمْرِ النَّاهِقَةِ تَقْصَعُ قَصْعُ الْبَعِيرِ :

ثُمَّ قَالَ : فَكَأَنِّي أَرَاكَ عَلَى عَصَاكَ هَذِهِ قَدْ أَنْكَفَأَ عَلَيْكَ الْعِسْكَرُ أَنْ يَقُولُوا هَذِهِ  
عَكْشَةُ بَنَاتِ الْأَطْرَشِ فَإِنْ كَدَتْ لَتَفْلَيْنِ أَهْلَ الشَّامِ لَوْ لَا قَدْرُ اللَّهِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا  
مَقْدُورًا ، فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ - قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ( يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ سُوؤُكُمْ ) الْآيَةُ ، وَإِنْ اللَّيْبُ إِذَا كَرِهَ  
أَمْرًا لَا يَحِبُّ إِعَادَتَهُ - قَالَ صَدَقْتَ فَاذْكُرِي حَاجَتَكَ - قَالَتْ كَانَتْ صَدَقَاتُنَا تَوْخَذُ  
مِنْ أَغْنِيَانَا فُتِّرَدَ عَلَى قُرَاتِنَا وَقَدْ فَقَدْنَا ذَلِكَ ، فَمَا يُجِبُّ لَنَا كَسِيرٌ ، وَلَا يُنْعَشِي لَنَا فَقِيرٌ .  
فَإِنْ كَانَ عَنْ رَأْيِكَ فَمِثْلُكَ مِنْ أَنْتَبَهَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَرَاجَعَ التَّوْبَةَ ، وَإِنْ كَانَ عَنْ غَيْرِ  
رَأْيِكَ فَمَا مِثْلُكَ مِنْ أَسْتَعَانَ بِالْخَوْنَةِ وَلَا أَسْتَعْمَلَ الظَّالِمَةَ - قَالَ مَعَاوِيَةُ : يَا هَذِهِ ،  
إِنَّهُ يَنْوُبُنَا مِنْ أُمُورِ رَعِيَّتِنَا نَغُورُ نَتَفَتَّقُ ، وَنُجُورُ نَتَدَفَّقُ . - قَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ  
مَا فَرَضَ اللَّهُ لَنَا حَقًّا بَجَعَلٍ فِيهِ ضَرَرًا لَغَيْرِنَا وَهُوَ عَلَامُ الْغُيُوبِ - قَالَ مَعَاوِيَةُ هِيَئَاتِ  
يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ نَبَهِّكُمْ عَلَى فُلْنٍ تُطَاقُوا . ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ صَدَقَاتِهِمْ فِيهِمْ وَإِنْصَافِهِمْ .

وَالشَّاهِدُ فِي هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَلَامُ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ مَعَ مَا فِيهَا : مِنَ الْمَرَاجَعَاتِ ،  
وَالْمَخَاطَبَاتِ ، وَالْمَقَاوِلَاتِ ، وَالْمَحَاوَرَاتِ ، الصَّالِحَةُ لِلِاسْتِشْهَادِ لِلْفَصْلِ الْمُتَقَدِّمِ قَبْلُ  
ذَلِكَ . وَهَذَا بَابٌ مَتَسَعٍ لَا يَسَعُ اسْتِيفَاؤُهُ ، وَلَا يُمْكِنُ اسْتِيعَابُهُ وَفِيمَا ذَكَرْنَا مَقْنَعٌ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى أَبُو عَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ! أَرْسَلَ إِلَى مَعَاوِيَةَ  
بِالشَّامِ كِتَابًا صَحْبَةً صَعُصَعَةً بَيْنَ صُوحَانَ ، فَسَارَ بِهِ حَتَّى أَتَى دِمَشْقَ ، فَأَتَى بَابَ مَعَاوِيَةَ  
فَقَالَ لِأَذَنِهِ : أَسْتَأْذِنُ لِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَبِالْبَابِ جَمَاعَةٌ

أيها الناس إن الحق كان يطلب ضائته فأصابها ! فصبرا يا معاشر المهاجرين والأنصار على الغصص ؛ فكأن قد اندمل شعب الشتات ، والتأمت كلمة التقوى ، ودمغ الحق باطله ! فلا يجهلن أحد فيقول كيف العدل وأنى : ليَقْضَى اللهُ أَمْرًا كان مفعولا . ألا وإن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ! ولهذا اليوم ما بعده ، والصبر خير في عواقب الأمور . أيها الحرب قُدمنا غيرنا كصين ، ولا متشا كسين .

ثم قال لها يازرقاء لقد شَرِكتَ عليا في كل دم سَفَكه - قالت أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ؛ فمثلك من بشر بخير وسر جليسه - قال ويسرك ذلك ؟ - قالت : نعم سررت بالخبر فأنتى لي بتصديق الفعل ؟ فضحك معاوية وقال : لو فائوكم له بعد موته أعجب عندى من حُبكم له في حياته ! اذكرى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين آليت على نفسى أن لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا ، ومثلك من أعطى من غير مسألة ، وجاد من غير طلبه - قال صدقت ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكسا .

وقريب من ذلك كلام عكرشة بنت الأطرش يوم صفين أيضا .  
يروى أنها دخلت على معاوية متوكئة على عكاز لها فسلمت عليه بالخلافة ، ثم جلست - فقال لها معاوية : الآن صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم إذ لا على حتى ! - قال ألسيت المتقلدة حائل السيف بصفين ؟ وأنت واقفة بين الصفين تقولين : أيها الناس ! عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . إن الجنة لا يحزن من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ؛ فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم هُمومها . وكونوا قوما مستبصرين في دينهم مستظهرين على حقهم ؛ إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون ما الحكمة . دعاهم إلى الباطل فأجابوه ، وآستدعاهم إلى الدنيا فلبّوه .

وَأَنْ تُعْفِنِي مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ ، وَأَمْضِ لِمَا شِئْتَ مِنْ غَيْرِهَا - قَالَ نَعَمْ وَكَرَامَةً قَدْ أَعْفَيْتُكَ ، وَرَدَّهَا مَكْرَمَةً إِلَى بَلَدِهَا .

وَنَحْوَ ذَلِكَ كَلَامُ الزَّرْقَاءِ بِنْتِ عَدِيِّ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيَّةِ يَوْمَ صَفَيْنَ أَيْضًا .  
يُرَوَّى أَنَّهَا ذُكِرَتْ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ يَوْمًا ، فَقَالَ لِحُلَسَائِهِ أَيْكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا ؟ - قَالَ بَعْضُهُمْ نَحْنُ نَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - قَالَ فَأَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَمْرِهَا فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِقَتْلِهَا - فَقَالَ بِئْسَ الرَّأْيُ أَيَحْسُنُ بِمَثَلِي أَنْ يَقْتُلَ امْرَأَةً ؟ . ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ يُوفِدَهَا إِلَيْهِ مَعَ ثِقَةٍ مِنْ ذَوِي مَحْرَمِهَا وَعِدَّةٍ مِنْ فُرْسَانِ قَوْمِهَا ، وَأَنْ يَهْدِيَهَا لَهَا وَلِئِنَّا ، وَيُسْتَرْهَا بِسِتْرِ خَصِيفٍ ، وَيُوسِعَ لَهَا فِي النِّفْقَةِ . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، قَالَ مَرْحَبًا بِكَ وَأَهْلًا ! قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ - قَالَتْ بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدَامَ اللَّهُ لَكَ النِّعْمَةَ ! - قَالَ كَيْفَ كُنْتُ فِي مَسِيرِكَ ؟ قَالَتْ رَيْبَةً بَيْتٍ أَوْ طِفْلًا مُمَهَّدًا - قَالَ بِذَلِكَ أَمْرُنَا . أَتَدْرِينَ فِيمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ - قَالَتْ وَأَتَى لِي بِعَلْمٍ مَا لَمْ أَعْلَمْ ؟ وَمَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ أَلَسْتُ الرَّكْبَةَ الْجَمَلَ الْأَحْمَرَ ، وَالوَاقِفَةَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بِصَفَيْنِ تَحْضِيْنُ النَّاسَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَتُوقِدِينَ الْحَرْبَ ؟ فَمَا حَالُكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ - قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَاتَ الرَّأْسُ ، وَبُتِرَ الدَّنْبُ ، وَلَنْ يَعُودَ مَا ذَهَبَ ، وَالدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ، وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ - قَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ أَتَحْفَظِينَ كَلَامِي يَوْمَئِذٍ ؟ - قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ وَلَقَدْ أُنْسِيْتِهِ - قَالَ لَكِنِّي أَحْفَظُهُ لِلَّهِ أَبُوكَ حِينَ تَقُولِينَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ارْعَوْا وَارْجِعُوا ! إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَتْكُمْ جَلَالِيْبَ الظُّلَمِ ، وَجَارَتْ بِكُمْ عَنْ قَصْدِ الْحَقِّ . فَيَا لَهَا فِتْنَةُ عَمِيَاءَ ، صَمَاءَ ، بَكَّاءَ لَا تَدْرِي مَعُ لِنَاعَتِهَا ، وَلَا تَسْلُسُ لِقَائِهَا . إِنْ الْمَصْبَاحُ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ ، وَالْكُوكَبُ لَا تَتِيرُ مَعَ الْقَمَرِ ، وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ . أَلَا مِنْ آسَرَشَدَ أَرْضِدَانَهُ ، وَمِنْ سَأَلْنَا أَخْبَرَانَهُ .

من طينته ، وتفترع عن نبعته ، وخصه بسره ، وجعله باب مدينته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المنافقين . فلم يزل كذلك يؤيده الله بمعونته ويمضى على سنن استقامته ؛ لا يعرج لراحة اللذات ؛ وهو مُفَلِّقُ الهام ، ومَكْسِرُ الأصنام إذ صُلِّيَ والنَّاسُ مشركون ، وأطاع والناس مرتابون . فلم يزل كذلك حتى قتل مُبارزى بدر . وأُفِيَّ أهل أحد ، وفرَّق جمع هوازن ؛ فيألفها وقائع ! زرعت في قلوب قوم نفاقا ، ورِدَّةً وشقاقا ، وقد أجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية : والله يأم الخير ما أردت بهذا إلا قتلى ! والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك .

قالت : والله ما يسوءني يابن هند أن يُجِرَى الله ذلك على يدي من يُسعدني الله بشقاقه . قال هيهات يا كثيرة الفضول ، ماتقولين في عثمان بن عفان ؟ - قالت وما عسيت أن أقول فيه : استخلفه الناس وهم كارهون ، وقتلوه وهم راضون . فقال إيهيا يا أم الخير هذا والله أصلك الذي تبنين عليه . قالت لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا ، ولقد كان سباقا إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة . قال فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ - قالت وما عسى أن أقول في طلحة أغتيل من مأمنه ، وأني من حيث لم يحدّر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال فما تقولين في الزبير ؟ قالت يا هذا لا تدعني كرجيع الضبع يُعرك في المركن . قال حقا لتقولن ذلك وقد عزمت عليك . قالت وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سباقا إلى كل مكرمة في الإسلام . وإنى أسألك بحق الله يا معاوية فإن قریشا تحدث أنك من أحلمها أن تسعني بفضل حلمك ،



﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ! إن الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، ونور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم في عمياء مُبْهَمَة ! ولا سوداء مدْهِمَة فإلى أين تريدون رحمكم الله . أفاراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف ، أم رغبةً عن الإسلام ، أم أردت اداً عن الحق . أما سمعتم الله عز وجل يقول : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ .

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول .

قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبیدك يارب أزيمة القلوب فاجمع الكلمة على التقوى ، وآلف القلوب على الهدى ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والوصى الوفي ، والصديق الأكبر ! إنها إحنٌ بدرية ، وأحققاد جاهلية ، وضغائن أُحْديّة ، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بنى عبد شمس .

ثم قالت ﴿ قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنبَهُونَ ﴾ . صبراً معشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، وكأني بكم غداً قد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة ، فرّت من قسورة . لا تدرى أين يُسلك بها من بجاج الأرض . باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى وعمّا قليل ليصبحن نادمين ، حين تحلّ بهم الندامة فيطلبون الإقالة ! إنه والله من ضلّ عن الحق وقع في الباطل ، ومن لم يسكن الجنة نزل في النار . أيها الناس إن الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطئوا مدة الآخرة فسعوا لها . والله أيها الناس لولا أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان . لما آخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه . فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته وأبي آبنيه ؟ خلق

عليه كتابه، ركب إليها فأقرأها الكتاب، فقالت أما أنا فغير زائفة عن طاعة ولا معتلة  
بكذب! ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تختلج في صدرى. فلما شيعها  
وأراد مفارقتها قال لها يأم الخير: إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه يجازيني بقولك  
في بالخير خيرا وبالشر شرا، فما عندك؟ قالت يا هذا لا يُطعمنك برك بى أن أسرك  
بباطل، ولا تؤنسك معرفتى بك أن أقول فيك غير الحق. فسارت خير مسير حتى  
قدمت على معاوية فأنزلها مع حريمه، ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع، وعنده  
جلساؤه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال لها وعليك  
السلام يا أم الخير، وبالرغم منك دعوتينى بهذا الاسم. قالت مه يا أمير المؤمنين!  
فإن بديهة السلطان مدحضة لما يجب علمه ﴿وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾. قال صدقت.  
فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟ قالت لم أزل في عافية وسلامة  
حتى صرت إليك فأنا في مجلس أئيق، عند ملك رفيق - قال معاوية بحسن نيتي  
ظفرت بكم - قالت يا أمير المؤمنين أعيذك بالله من دحس المقال وما تُردى عاقبته  
قال ليس هذا أردنا. أخبريني كيف كان كلامك يوم قُتل عمار بن ياسر؟ قالت لم أكن  
والله زورته قبل ولا رويته بعد. وإنما كانت كلمات نقمن لسانى حين الصدمة  
فإن شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت - قال لا أشاء ذلك. ثم التفت  
إلى أصحابه فقال أيكم يحفظ كلام أم الخير فقال رجل من القوم أنا أحفظه  
يا أمير المؤمنين كحفظى سورة الحمد - قال هاية - قال: نعم كأنى بها يا أمير المؤمنين  
في ذلك اليوم عليها بُرد زبيدى كثيف الحاشية، وهى على جمل أرمك وقد أُحيط  
حولها، وببيدها سوط منتشر الظفر، وهى كالفضل يهدير في شقشقتها تقول:

(١)

ورسّت أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسلوا وأشتاتا ، اختار الله لنبيه ما عنده ؛ فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رواقه ، ومدّ طنبه ، ونصب حباله ، وأجلب بخيله ورجله ، وأضطرب جبل الإسلام ، ومرّج عهده وماج أهله ، وبني الغوائل ، وظنّت رجال أن قد أكثبت أطاعهم نهزها ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصديق بين أظهرهم . فقام حاسرا مشمرا ، بجمع حاشيته ورفع قطريه ، فردّ رسن الإسلام على غربه ، ولمّ شعته بيطبه ، وانتاش الدين فنعشه ، فلما أراح الحق على أهله ، وقرّر الرؤوس على كواهلها ، وحقن الدماء في أهيها ، أنته منيته ، فسدّ ثلثته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة . ذاك ابن الخطاب لله درّ أم حملت به ودرّت عليه ! لقد أوجدت به ، ففتّخ الكفرة وديّخها ، وشرّد الشرك شذر مذر ، وبعج الأرض وبخعها فقاءت أكلها ، ولفظت خباها ، ترأّمه ويصّدف عنها ، وتصدى له ويأبأها . ثم وزّع فيها فيها وودّعها كما صحبها . فأروني ماذا ترتئون وأى يومى أبى تتقمون : أيوم إقامته اذ عدل فيكم أم يوم ظعنه إذ نظر لكم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئا ؟ قالوا اللهم لا .

ومن ذلك كلام أم الخير : بنت الحريش البارقية يوم صّفين فى الانتصار لعلّى رضى الله عنه .

يروى أن معاوية كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش البارقية برجلها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيرا وبالشرّ شرّا . فلما ورد

(١) فى بعض الكتب فرد نشر الدين على غره ولم شعته بطيه .

فقال على رضى الله عنه : مهـلاً يا أبا حفص والله ما بدأت ما بدأت وأنا أريد نكته ، ولا أقدرت ما أقدرت وأنا أبتغى حولا عنه . وإن أخسر الناس صفقة عند الله من أثر النفاق ، واحتضن الشقاق وفي الله سلوة عن كل حادث ، وعليه التوكل في جميع الحوادث . ارجع يا أبا حفص إلى مجلسك نافع القلب ، مبرود الغليل ، فسيح اللبان ، فصيح اللسان ، فليس وراء ما سمعت وقلت إلا ما يشد الأزر ، ويحط الوزر ، ويضع الإصر ، ويجمع الألفة بمشيئة الله وحسن توفيقه .

قال أبو عبيدة رضى الله عنه : فانصرف على وعمر رضى الله عنهما . وهذا أصعب ما مرّ على بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك كلام عائشة رضى الله عنها في الانتصار لأبيها .

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواما يتناولون أبا بكر رضى الله عنه ، فأرسلت إلى أزقة من الناس فلما حضروا ، أسدلت أستارها ، وعلت وسادها . ثم قالت أبى : وما أسيه ! أبى والله لا تعطوه الأيدى ، ذاك طود منيف ، وفرع مديد ، هيئات كذبت الظنون ، أنجح إذا كدّيتم ، وسبق إذا ونيتم \* سبق الجواد إذا استولى على الأمد \* فقى قريش ناشئا ، وكهفها كهلا ، يفك عانيها ويريش مملقها ، ويرأب شعبها ، ويلم شعها حتى حليت قلوبها ، ثم استشرى في دين الله فما برحت شكيمة في ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائها مسجدا يحيى فيه ما أمات المبتلون ، وكان رحمه الله غزير الدمعة ، وقيد الجوانح ، شجى النسيج ، فانقضت إليه نسوان مكة وولدها يسخرون منه ويستزنون به (الله يستزرى بهم ويدهم في طغيانهم يعمهون) فأكبرت ذلك رجالات من قريش خفت قسيها وفوقت سهامها وأنزلوه غرضا ، فافلوا له صفاة ، ولا قصفوا له قناة ، ومرّ على سيسائه ، حتى إذا ضرب الدين بجراحه ،



العرب حولنا . والله لو تداعت علينا في صُبح نهار لم نلتقي في مسائه . وزعمت أن الشوق إلى اللّٰحق به كافٍ عن الطمع في غيره ! فمن علامة الشوق إليه نصرته دينه ، وموازرة أوليائه ، ومعاونتهم . وزعمت أنك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه ؛ فمن العُكُوف على عهد الله النصيحة لعباد الله ، والرأفة على خلق الله ، وبذل ما يصلحون به ، ويرشدون عليه . وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر واقع عليك وأى حق أط<sup>(١)</sup> دُونَكَ . قد سمعت وعلمت ما قال الأنصار بالأمس سراً وجهراً ، وتقبلت عليه بطناً وظهراً ، فهل ذكرت أو أشارت بك أو وجدت رضاهم عنك ؟ هل قال أحد منهم بلسانه إنك تصلح لهذا الأمر ؟ أو أوما بعينه أو هم في نفسه ؟ أتظن أن الناس ضلوا من أجلك ، وعادوا كفاراً زُهداً فيك ، وابعوا الله تحاملاً عليك ؟ . لا والله ! لقد جاءني عَقِيل بن زياد الخزرجي في نفر من أصحابه ومعهم شُرَحْبِيل بن يعقوب الخزرجي وقالوا : إن علياً ينتظر الإمامة ، ويزعم أنه أولى بها من غيره ، ويُنكر على من يعقد الخلافة ، فأنكرت عليهم ، ورددت القول في نحرهم حيث قالوا : إنه ينتظر الوحي ويتوَكَّف مناجاة الملك . فقلتُ ذاك أمر طواه الله بعد نبهه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمر معقوداً بأنشوطه ، أو مشدوداً بأطراف ليطه ؟ كلا ! والله لا عجماء بحمد الله إلا أفصحت ، ولا شوكاء إلا وقد تفتحت . ومن أعجب شأنك قولك : ولولا سالف عهد وسابق عقد ، لشفيت غيظي ؛ وهل ترك الدين لأهله أن يشفوا غيظهم بيد أو بلسان ؟ تلك جاهلية وقد استأصل الله شأفتها واقتلع جُرثومتها ، وهور ليلها ، وغور سيلها ، وأبدل منها الرّوح والرّيحان . والهدى والبرهان . وزعمت أنك مُنجم ؛ ولعمري إن من اتقى الله ، وآثر رضاه ، وطلب ماعنده ، أمسك لسانه وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما وراه .

(١) أط . أى بحمد . ووقع في بعض النسخ لك وفي بعضها ليط وكلاهما تصحيف .

سابق عقد، وسألف عهد ، لشفيت غيظي بخنصري وبنصري وخضت لجنته  
بأخصي ومفرقي، ولكنني ملجئ إلى أن ألقى الله ربي، وعنده أحسب ما نزل بي .  
وإني غاد إلى جماعتكم ، مبايع صاحبكم ، صابر علي ما ساءني وسركم ﴿ ليقضى الله  
أمرًا كان مفعولاً ﴾ .

قال أبو عبيدة : فعُدت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقَصَصْتُ عليه القول على  
غره ، ولم أختزل شيئاً من حلوه ومُره ، وبكرت ندوة إلى المسجد ، فلما كان صباح  
يومئذ وإذا على مخترق الجماعة إلى أبي بكر رضي الله عنهما ، فبايعه ، وقال خيراً ،  
ووصف بحبلاً ، وجلس زميناً ، <sup>(١)</sup> وأستأذن للقيام فمضى وتبعه عمر مكرماً له ، مستأثراً  
لما عنده .

فقال علي رضي الله عنه : ما قعدت عن صاحبكم كارهاً ، ولا أتيتُه فرقاً ، ولا أقول  
ما أقول تعلقة . ولإني لأعرف مُنتهى طرفي ومحط قدمي ومَنَزَع قوسي ، وموقع  
سهمي ، ولكن قد أزممت علي فأسي ثقةً بربي في الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رضي الله عنه : كفكف غربك ، وأستوقف سربك ، ودع العيصي  
بإحائها ، والدلاء على رشاها . فإننا من خلفها وورائها ، إن قدحنا أورينا ، وإن متحنا  
أروينا ، وإن قرحنا أدمينا ، ولقد سمعت أمثلك التي لغزت بها عن صبردأكل  
بالجوى ، ولو شئت لقلت علي مقاتلك ما إن سمعته ندمت علي ما قلت . وزعمت أنك  
قعدت في كن بيتك لما وقدك به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقده ، فهو  
وقدك ولم يقد غيرك ؟ بل مُصَابُهُ أعظم وأعم من ذلك ، وإن من حق مُصَابِهِ أن  
لا تصدع شمل الجماعة بفرقة لاعصام لها ، ولا يؤمن كيد الشيطان في بقائها . هذه

(١) أى حلياً وقوراً .

وتَجَرَّعَ الماءَ ممزوجاً بدمٍ ، وحينئذ تأسى على ماضى من عمرك ، ودارج قوتك ، فتود أن لو سقيت بالكأس التي أبيتها ، ورُدِدْتَ إلى حالتك التي استغويتها ، والله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه ، وغيب هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لسرائها وضرائها ، وهو الولي الحميد ، الغفور الودود .

قال أبو عبيدة ، فتمشيت متزلاً أنوء كأنما أخطو على رأسي ، فرقاً من الفرقة ، وشفقاً على الأئمة ، حتى وصلت إلى على رضي الله عنه في خلاء ، فأبتثنه بئى كله ، وبرئت إليه منه ، ورفقت به . فلما سمعها ووعاها ، وسرت في مفاصله حمياًها ، قال : ” حَلَّتْ مُعْلَوِّطُهُ ، وَوَلَّتْ مُحْرَوِّطُهُ “ ، وأنشأ يقول :

إحدى ليالكِ فهيسى هيسى \* لاتنعمى اليلة بالتعريس

نعم يا أبا عبيدة أكل هذا في نفس القوم ، ويحسبون به ، ويضطربون عليه ؟ قال أبو عبيدة : فقلت لا جواب لك عندي إنما أنا قاضٍ حقَّ الدين ، ورائقُ فتق المسلمين ، وساذنُمة الأئمة . يعلم الله ذلك من جُلْجُلان قلبي ، وقرارة نفسي .

فقال على رضي الله عنه : والله ما كان فُعُودِي في كِنِ هذا البيتِ قصداً للخلاف ، ولا إنكاراً للعروف ، ولا زِرايةً على مُسلم ؛ بل لما قد وَقَدَنِي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فراقه ، وأودعني من الحزن لفقده . وذلك أني لم أشهد بعده مشهداً إلا جدد على حُزننا ، وذكَرَنِي شَجْنَا . وإن الشوق إلى اللّحاق به كافٍ عن الطمع في غيره . وقد عكفتُ على عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرّق ، رجاء ثواب معدٍّ لمن أخلص لله عمله ، وسَلَّمَ لعلمه ومشيتته ، وأسرّه ونبيه . على أني ما علمت أن التظاهر على واقع ، ولا عن الحق الذي سبق إلى دافع ؛ وإذ قد أُنْفَعُ الوادى بي ، وحشد النادى من أجلى ، فلا مَرَحَباً بما أساء أحدا من المسلمين وسرني . وفي النفس كلام لولا

أَوْ مُتَسَلِّطًا عَلَيْهَا؟ أَتَرَاهُ حَلَّ عُقُودِهَا وَأَحَالَ عَقُولَهَا؟ أَتَرَاهُ جَعَلَ نَهَارَهَا لَيْلًا، وَوَزَنَهَا كَيْلًا، وَبَقِظَتَهَا رُقَادًا، وَصَلَحَهَا فُسَادًا؛ لَا وَاللَّهِ سَلَا عَنْهَا فَوَلَّيْتُ لَهَا، وَتَطَامَنَ لَهَا فَلَصِقْتُ بِهِ، وَمَالَ عَنْهَا فَمَالَتُ إِلَيْهِ، وَأَشْمَأَزَ دُونَهَا فَأَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ، حَبُوءَ حَبَاهُ اللَّهُ بِهَا، وَعَاقِبَةَ بَلَّغَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، وَنِعْمَةَ سَرَّ بَلَهَ بِجَمَالِهَا، وَيَدُّ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ شُكْرَهَا، وَأَمَّةً نَظَرَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِخَلْقِهِ، وَأَرْأَفُ بِعِبَادِهِ، يَخْتَارُ مَا كَانَ لِهَسَمِ الْخَيْرَةِ . وَإِنَّكَ بِحَيْثُ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُكَ مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، وَلَا يُجْحَدُ حَقُّكَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ، وَلَكِنَّ لَكَ مَنْ يَزَاحِمُكَ بِمَنْكِبِ أَضْغَمٍ مِنْ مَنْكِبِكَ، وَقُرْبٍ أَمْسٍ مِنْ قُرَابَتِكَ، وَسَنٍّ أَعْلَى مِنْ سَنَتِكَ، وَشَبِيهَةٍ أَرْوَعَ مِنْ شَبِيهَتِكَ، وَسَيَادَةٍ لَهَا أَصْلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَفِرْعٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَوَاقِفُ لَيْسَ لَكَ فِيهَا جَمَلٌ وَلَا نَاقَةٌ، وَلَا تُدَكَّرُ مِنْهَا فِي مَقْدَمَةٍ وَلَا سَاقَةٍ، وَلَا تَضْرِبُ فِيهَا بِذِرَاعٍ وَلَا بِإِصْبَعٍ، وَلَا تَخْرُجُ مِنْهَا بِبَازِلٍ وَلَا هُبَّعٍ . وَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ حَبَّةَ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِلَاقَةَ نَفْسِهِ، وَعَيْبَةَ سِرِّهِ، وَمَفْزَعَ رَأْيِهِ وَمَشْهُورَتِهِ، وَرَاحَةَ كَفِّهِ، وَمَرْمَقَ طَرْفِهِ . وَذَلِكَ كُلُّهُ بِمَحْضَرِ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، شُهْرَتِهِ مَغْنِيَةٌ عَنِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ . وَلَعَمْرِي إِنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَابَةً، وَلَكِنَّهُ أَقْرَبُ مِنْكَ قُرْبَةً، وَالْقُرَابَةُ لَحْمٌ وَدَمٌ، وَالْقُرْبَةُ نَفْسٌ وَرُوحٌ . وَهَذَا فَرْقٌ عَرَفَهُ الْمُؤْمِنُونَ وَلِذَلِكَ صَارُوا إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ، وَمَهُمَا شَكَّكَتْ فِي ذَلِكَ، فَلَا تَشْكَنَّ أَنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَرِضْوَانَهُ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ، فَادْخُلْ فِيهَا هُوَ خَيْرُكَ الْيَوْمَ، وَأَنْفَعُ لَكَ غَدًا، وَالْفِطْرُ مِنْ فَيْكِ مَا يَلْقَى بِلَهَاتِكَ، وَأَنْفِثْ سَخِيمَةَ صَدْرِكَ عَنْ ثِقَاتِكَ، فَإِنْ يَكُ فِي الْأَمَدِ طُولٌ، وَفِي الْأَجْلِ فَسَحَةٌ، فَسْتَأْكُلْهُ مَرِيثًا أَوْ غَيْرَ مَرِيءٍ، وَتَسْتَشْرِبْهُ هَنِيئًا أَوْ غَيْرَ هَنِيءٍ، حِينَ لَا رَادَّ لِقَوْلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ آيِسًا مِنْكَ، وَلَا تَابِعَ لَكَ إِلَّا مَنْ كَانَ طَامِعًا فَيْكِ يَمْضُ إِهَابُكَ، وَيَعْرُكُ أَدِيمُكَ، وَيُزْرَى عَلَى هَدْيِكَ . هُنَالِكَ تَقَرَّعُ السَّنُّ مِنْ نَدَمٍ،



فيهم ، وآترك ناجم الحقد حصيدا ، وطائر الشر واقعا ، وباب الفتنة مغلقا ، فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تباع والله على ما نقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تأهبت للنهوض ، قال عمر رضي الله عنه كن لدى الباب هنية في معك دور من القول ، فوقفت وما أدري ما كان بعدى ، إلا أنه لحقني بوجه يندى تهلا ، وقال لي : قل لعل الرقاد محلمة ، والهوى مقحمة ، وما لنا إلا له مقام معلوم ، وحق مشاع أو مقسوم ، ونبا ظاهر أو مكتوم ، وإن أكيس الكيس من منع الشارد تألما ، وقارب البعيد تاطفا ، ووزن كل شئ بميزانه ، ولم يخاط خبره بعيانه ، ولم يجعل فتره مكان شبره ، ديناً كان أو دُنِيّاً ، ضللا كان أو هدى . ولا خير في علم مستعمل في جهل ، ولا خير في معرفة مشوبة بشكر . ولسنا بكلمة رُفِعَ البعير بين العجان والذنب ، وكل صالٍ فبناره ، وكل سيل فإلى قراره . وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لعي وشئ ، ولا كلامها اليوم لفرق أو رفق . وقد جدد الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنف كل ذى كبر ، وقصم ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل كدوب ، فإذا بعد الحق إلا الضلال . ماهذه الخنزروانة التي في فراش رأسك ؟ ماهذا الشجا المعترض في مدارج أنفاسك ؟ ماهذه القداة التي تعشت ناظرك ؟ وما هذه الوحة التي أكلت شراسيفك ؟ وما هذا الذى ليست بسببه جلد النمر ، وأشتملت عليه بالشحناء والنكر ، ولسنا في كسروية كبرى ، ولا في قيصرية قيصر ! تأمل لإخوان فارس وأبناء الأصفر ! قد جعلهم الله جزرا لسيوفنا ، ودرية لرماحنا ، ومرعى لطعاننا ، وتبعاً لسلطاننا ، بل نحن في نور نبوة ، وضياء رسالة ، وثمره حكمة ، وأثرة رحمة ، وعنوان نعمة ، وظل عصمة ، بين أمة مهديّة بالحق والصدق ، مأمونة على الرثق والفلق ، لها من الله قلب أئى ، وساعد قوى ، ويد ناصرة ، وعين باصرة .

أتظن ظنا ياعلى أن أبا بكر وثب على هذا الأمر مفتاتا على الأمة خادعا لها ،

فما سكت عن سِوَاكَ ؛ وإن تلجِجَ في نفسك شئ ، فهُلِّمَ فالحكم مَرْضَى ، والصواب مسموع ، والحق مطاع . ولقد نُقِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل ، وهو عن هذه العِصَابَةِ راضٍ وعليها حَذِرُ : يسرُّه مانسرها ، ويسوءه ماساءها ، ويكيده ما كادها ، ويُرضيه ما أرضاها ، ويُسيِّطه ما أسخطها . أما تعلم أنه لم يدع أحدا من أصحابه ، وأقاربه ، وسُجَرَاءِهِ <sup>(١)</sup> ، إلا أبانه بفضيلة ، وخصَّصه بمزية ، وأفرده بحالة . أتظنُّ أنه صلى الله عليه وسلم ترك الأُمَّةَ سُدىً بَدَا ، عِبَاهِلَ ، مَبَاهِلَ ، طَلَّاحِي <sup>(٢)</sup> مفتونةً بالباطل ، مغبونةً عن الحق ، لا رائد ولا ذائد ، ولا ضابط ولا حائط ، ولا ساق ولا واق ، ولا هادى ولا حادى كلا ! ، والله ما أَشْتَقُ إلى ربه تعالى ، ولا سأله المصير إلى رضوانه وقُربِهِ ، إلا بعد أن ضرب المدى ، وأوضح الهدى ، وأبان الصُّوَى ، وأمن المسالك والمطارح ، وسهل المبارك والمهايج ، وإلا بعد أن شَدَخَ يافوخ الشرك باذن الله ، وشَرَمَ وجه النفاق لوجه الله سبحانه ، وجَدَعَ أنف الفتنة في ذات الله ، وتَقَلَّ في عين الشيطان بعون الله ، وصَدَعَ بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل .

وبعد ، فهذه المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بقعة واحدة ، ودار جامعة ، إن استقالوني لك ، وأشاروا عندى بك ، فأنا واضعٌ يدي في يدك ، وصائرٌ إلى رأيهم فيك . وإن تكن الأخرى فادْخُلْ فيما دخل فيه المسلمون ، وكن العونَ على مصالحهم ، والفاتِحَ لمغالقهم ، والمرشد لضلالتهم ، والرادع لغوايتهم . فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، والتناصر على الحق . ودَعْنَا تقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغِلِّ ، ونَلْقَى الله تعالى بقلوب سليمة من الضَّغْنِ .

وبعد فالناس ثُمَامَةٌ فَارْفُقْ بهم ، وَاَحْنُ عَلَيْهِمْ وَلِنْ لَهُمْ ، وَلَا تُشْقِ نَفْسَكَ بِنَا خَاصَّةٍ

(١) يالسين المهمله جمع سجير كأمير وهو الصديق .

(٢) بالباء الموحدة فى الوزين ومعناها مهملة انظر اللسان .

بالخوف ؛ لا ننتظر عند المساء صباحا ، ولا عند الصباح مساء ، ولا تدفع في نحر  
 أمرئ إلا بعد أن نحسو الموت دونه ، ولا نبليغ مرادا إلا بعد الإياس من الحياة  
 عنده ؛ فإدين في جميع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأب والأم ، والحال  
 والعلم ، والمال والنسب ، والسبد والأبد ، والهلة والبسلة ، بطيب أنفس ، وقرة  
 أعين ، ورحب أعطان ، وثبات عزائم ، وصحة عقول ، وطلاقة أوجه ، ودلافة  
 ألسن ؛ هذا مع خفيات أسرار ، ومكنونات أخبار ، كنت عنها غافلا ، ولولا سنك  
 لم تكن عن شئ منها ناكلا ، كيف وفؤادك مشهور<sup>(١)</sup> ، وعودك معجوم . والآن  
 قد بلغ الله بك وأمنض الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم أقول  
 ماتسمع ؛ فارتقب زمانك ، وقصّ أردانك ، ودع التّعس والتجسس لمن لا يطلع  
 لك إذا خطا ، ولا يترخّج عنك إذا عطا ؛ فالأمر غص ، والنفوس فيها مض ،  
 وإنك أديم هذه الأمة فلا تحلم لحاجا ، وسيفها العصب ، فلا تنب أعوجاجا ، وماؤها  
 العذب ، فلا تحل أجاجا . والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا  
 الأمر ، فقال لي يا أبا بكر هو لمن يرغب عنه لامن يجاحش عليه ، ولمن يتضاءل عنه  
 لامن يتنفّج إليه ؛ هو لمن يقال هو لك لامن يقول هو لي .

ولقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصهر ، فذكر فتيانا من قريش  
 فقلت أين أنت من علي ، فقال صلى الله عليه وسلم : إني أكره لفاطمة ميعة شبابه ،  
 وحدائث سنه . فقلت له متى كنته يدك ورعته عينك ، حقت بهما البركة ،  
 وأسغت عليهما النعمة ؛ مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك ، وما كنت عرفت  
 منك في ذلك لاحوجاء ولا لوجاء ، فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك ، وأجد راحة  
 سواك ؛ وكنت إذ ذاك خيرا لك منك الآن لي ؛ ولئن كان عرض بك رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر ، فلم يكن معرضا عن غيرك ، وإن كان قال فيك

(١) بالشين المعجمة أى ذكرى . يتوقد .

كان على عهد أبينا آدم صلى الله عليه وسلم ، وعادة له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر لا يمنع منه إلا بعض الناجذ على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ووظء هامة عدو الله بالأشد فالأشد ، والآكد فالأكّد ، وإسلام النفس لله عز وجل في آبتغاء رضاه . ولا بدّ الآن من قول ينفع إذا ضرّ السكوت وخيف غيبه ؛ ولقد أُرشدك من أفاء ضالتك ، وصافاك من أحياء مودته بعتابك ، وأراد لك الخير من أثر البقاء معك ؛ ما هذا الذي تُسوّل لك نفسك ، ويدوى به قلبك ، ويلتوى عليه رأيك ، ويتخاوض دونه طرفك ، ويسرى فيه ظعنك ، ويرادّ معه نفسك ، وتكثر عنده صعداؤك ، ولا يفيض به لسانك . أنجمة بعد إفصاح ؟ أتليس بعد إفصاح ؟ أدين غير دين الله ؟ أخلق غير خلق القرآن ؟ أهدي غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، أمثل "تمشى له الصّراء وتدب له الخمر" <sup>(١)</sup> ، أم مثلك ينقيض عليه الفضاء ، ويكشف في عينه القمر ؛ ما هذه القعقة بالشّنان ؟ وما هذه الوعوعة باللسان ؟ إنك والله جدّ عارف باستجابتنا لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبّتنا ، هجرة إلى الله عز وجل ، ونصرة لدينه في زمان أنت فيه في كنّ الصبا ، وخدر الغرارة ، وعنفوان الشّبية ، غافل عما يُشيب ويريب ، لا تبعي ما يراد ويُشاد ، ولا تحصل ما يُساق ويُقاد ، سوى ما أنت جارٍ عليه إلى غايّتك التي إليها عدل بك ، وعندها حطّ رحلك ، غير مجهول القدر ولا مجهود الفضل ؛ ونحن في أثناء ذلك نُعاني أحوالاً تُزِيل الرّواصي ، ونُقايي أهوالاً تُشيب النواصي ، خائضين غمارها ، راكين تيارها ، نتجرع صابها ، ونُشرج عياها ، ونُحكم أساسها ، ونُبرم أمر أسماها ، والعيون تُحدج بالحسد ، والأنوف تعطّس بالكبر ، والصّدور تستعبر بالغَيْظ ، والأعناق تتطاول بالفخر ، والشّفار تُشحذ بالمكر ، والأرض تيمد



فكره أن يَمَادَى الحَالُ فَبَدَّ العورة، وتشتعل الجمرة، وتتفرق ذات البين؛ فدعاني بحضرته في خلوة، وكان عنده عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه وحده فقال : يا أبا عبيدة ما أَيْمَنَ نَاصِيَتَكَ، وأَيْمَنَ الْخَيْرَيْنِ عَيْنَيْكَ، وطالما أَعَزَّ الله بك الإسلام وأصلح شأنه على يديك، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط، والمحل المغبوط؛ ولقد قال فيك في يوم مشهود "لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ" ولم تزل للدين ملتجأ، وللمؤمنين مُرْتَجَاً، ولأهلك ركنًا، ولإخوانك رداءً . قد أردتك لأمرٍ خَطِرٌ مَخُوفٌ، وإصلاحه من أعظم المعروف، ولئن لم يندمل جُرْحُهُ بيسارك ورفقك، ولم يُجِبْ حَيْثَهُ بِرَقِيَّتِكَ، وقع اليأس، وأعضل اليأس؛ واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أَمْرٌ منه وأعلق، وأعسرُ منه وأغلق؛ والله أسأل تمامه بك، ونظامه على يديك. فتأت<sup>(١)</sup> له أبا عبيدة وتلطف فيه، وأنصح الله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذه العصابة غير آل جهدا، ولا قال حمدا، والله كالكلك وناصرك، وهاديك ومبصرك، ان شاء الله . امض إلى على وأخفِضْ له جناحك، وأغضُضْ عنده صوتك، وأعلم أنه سُلالةُ أَبِي طالب، ومكانه ممن فَقَدَنَاهُ بِالْأَمْسِ صلى الله عليه وسلم مكانه، وقل له البحرُ مَغْرُوقَةٌ، والبر مَفْرُوقَةٌ، والحق أَكْلَفٌ، والليلُ أَغْدَفٌ، والسماءُ جَلَوَاءٌ، والأرضُ صَلْغَاءٌ، والصعود متعذر، والهبوط متعسر، والحق عَطُوفٌ رءُوفٌ، والباطل عَنُوفٌ غَسُوفٌ، والعُجْبُ قَدَاحَةٌ الشر، والضغن رائد البوار؛ والتعريض شجار الفتنة، والقِحة ثقوب العداوة، وهذا الشيطان متكى على شِمَالِهِ، متحيلٌ بيمينه، نافخٌ خُصِيَّيْهِ لِأَهْلِهِ، ينتظر الشَّتَاتَ والفرقة، ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة، عنادًا لله عز وجل أولاً، ولآدم ثانياً، ولنبيِّه صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثاً، يُوسُوسُ بالفُجُورِ، ويُدلي بالغُرُورِ، ويمنِّي أهل الشرور . يوحى إلى أوليائه زُخْرُفُ القول غرورا بالباطل، دأبا له منذ

(١) تَأْتَى فَلَانٌ لِأَمْرٍ تَهَيَّأَ لَهُ وَأَتَاهُ مِنْ وَجْهِهِ .

القيحط ، وترؤجوا القرائب فإنه أمس للرحم ، وأثبت في النسب ، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئا ، ولا ترفضوها ، فإن الآخرة لا تدرك إلا بها .

وأما رسائلهم ومخاطباتهم . فمن ذلك رسالة الصديق رضى الله عنه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حين تلقا عن مبايعته ، على لسان أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، مع ما أنضم إلى ذلك من كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما كان من جواب على عنها .

قال أبو حيان علي بن محمد التوحيدى البغدادى : سَمَرْنَا لَيْلَةً عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي حَامِدٍ أَحْمَدَ بْنِ بَشْرِ الْمُرُورُودِيِّ بِبَغْدَادَ ، فَتَصَرَّفَ فِي الْحَدِيثِ كُلِّ مُتَصَرِّفٍ ، وَكَانَ غَزِيرُ الرِّوَايَةِ ، لَطِيفُ الدَّرَايَةِ ، بَخْرِيُّ حَدِيثِ السَّقِيفَةِ ، فَرَكِبَ كُلَّ مَرْبَكَا ، وَقَالَ قَوْلًا ، وَعُزْزُ بِشَيْءٍ ، وَنَزَعَ إِلَى فَقٍّ . فَقَالَ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَحْفَظُ رِسَالَةَ الْأَبِيِّ بَكْرِ الصَّدِّيقِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَجَوَابَ عَلِيٍّ عَنْهَا ، وَمَبَايَعَتِهِ إِيَّاهُ عَقِيبَ تِلْكَ الْمُنَازَعَةِ . فَقَالَ الْجَمَاعَةُ : لَا وَاللَّهِ ، فَقَالَ : هِيَ وَاللَّهِ مِنْ بَنَاتِ الْحَقَائِقِ ، وَمُخْجَبَاتِ الصَّنَادِقِ ، وَمِنْذُ حِفْظَتِهَا مَارَوْيْتَهَا إِلَّا لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ فِي وَزَارَتِهِ ، فَكَتَبْتُهَا عَنِّي بِيَدِهِ ، وَقَالَ : لَا أَعْرِفُ رِسَالَةَ أَعْقَلَ مِنْهَا وَلَا أَيْبَنَ ، وَإِنَّمَا لَتَدُلُّ عَلَى عِلْمٍ وَحِلْمٍ ، وَفَصَاحَةٍ وَنَبَاهَةٍ ، وَبُعْدُ غُورٍ وَشِدَّةُ غَوْصٍ - فَقَالَ لَهُ الْعَبَّادَانِي : أَيُّهَا الْقَاضِي فَلَوْ أَتَمَمْتَ الْمِنَّةَ عَلَيْنَا بِرَوَايَتِهَا ، أَسَمِعْنَاهَا ، فَنَحْنُ أَوْعَى لَكَ مِنَ الْمُهَلَّبِيِّ ، وَأَوْجِبَ ذِمَامًا عَلَيْكَ ، فَانْدَفَعَ وَقَالَ :

” حَدَّثَنَا الْخَزَاعِمِيُّ بِمَكَّةَ ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ ، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي فُلَيْحٍ عَنْ عِيْسَى بْنِ دَوَّابٍ بْنِ الْمُنَاحِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مَوْلَايَ أَبَا عُبَيْدَةَ يَقُولُ : لَمَّا أَسْتَقَامَتِ الْخِلَافَةُ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، بَعْدَ فِتْنَةِ كَادِ الشَّيْطَانِ بِهَا ، فَدَفَعَ اللَّهُ شَرَّهَا وَيَسَّرَ خَيْرَهَا ، بَلَغَ أَبَا بَكْرٍ عَنْ عَلِيٍّ تِلْكَ الْكُؤُوشِمَاسَ ، وَتَهْمُ وَنِقَاسَ ،

ومن مكاتبات ملوك الفرس البلغاء ما كتب به ارسطوطاليس إلى الاسكندر :  
 إنه إنما تملك الرعية بالإحسان إليها، وتظفر بالمحبة منها ؛ فإن طلبك ذلك بإحسانك ،  
 هو أدوم بقاء منه بأعتسافك بعنفك . وأعلم أنه إنما تُملك الأبدان ، فأجمع إليها القلوب  
 بالمحبة . وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت أن تفعل ؛ فاجتهد أن لا تقول  
 تسلم من أن تفعل .

ومما كتب به أبرويز إلى ابنه شيرويه يوصيه بالرعية كتابا فيه : ليكن من تختاره  
 لولايتك رجلا كان في وضيعة فرغته ، وذا شرف كان مهملا فأصطنعته . ولا تجعله  
 أمرا أصبته بعقوبة فأتضع لها ، ولا أحدا ممن يقع بقلبك أن إزالة سلطانك أحب  
 إليه من شوته ؛ وإياك أن تستعمله ضريعا ، غمرا ، كثيرا إعجابه بنفسه ، قليلا تجربته  
 في غيره ، ولا كبيرا مديرا ، قد أخذ الدهر من عقله ، كما أخذت السن من جسمه .

ومما كتب به أبرويز إلى ابنه شيرويه أيضا : إن كلمة منك تسفك دما ، وأخرى  
 تحقن دما ، وإن سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه ، وإن رضاك بركة مفيدة  
 على من رضيت عنه ، وإن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك ، فأحترس في غضبك من  
 قولك أن يُخطئ ، ومن لونك أن يتغير ، ومن جسدك أن يخف ؛ فإن الملوك تعاقب  
 جرما ، وتعفو جرما .

ومما كتب به أردشير إلى رعيته : من أردشير المؤيد ، ملك الملوك ، وارث العطاء ،  
 إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البيضة ، والكتاب  
 الذين هم زين المملكة ، وذوى الحروب الذين هم عمدة البلد . السلام عليكم ، فإننا نحمد  
 إليكم الله سالمين ، وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأيتنا بها إتواتها الموظفة عليها ، ونحن  
 مع ذلك كاتبون بوصية : لا تستشعروا الحقد فيدّهمكم العدو ، ولا تحتكروا فيشملكم

ابن الحسين وهو لأُم ولد، ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن . ثم أبنه محمد بن  
 عليّ خير من أبيك وجدته أُم ولد . ثم أبنه جعفر وهو خير منك ولدته أُم ولد .  
 ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكيم وأعطاهما عهد وميثاقه عليّ الرضا بما حكما  
 به فاجتمعا عليّ خلعه، ثم خرج عمك الحسين عليّ ابن مرجانة وكان الناس معه  
 عليه حتى قتلوه، ثم اتّوا بكم عليّ الأقتاب من غير أوطية كالسبي المجلوب إلى الشام .  
 ثم خرج منكم غير واحد فقتلكم بنو أمية وحرّقوك بالنار وصلّبوكم عليّ جذوع النخل  
 حتى نخرجنا عليهم فأدركا بئارك إذ لم تُدركوه، ورفعنا أقدارك، وأورثناكم أرضهم  
 وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فنحنهم  
 وكفّرناهم، وبيننا فضله وأشدنا بذكره، فاتخذت ذلك علينا حجة، وظننت أنا بما  
 ذكرنا من فضل عليّ قدمناه عليّ حمزة والعباس وجعفر، كل أولئك مضوا سالمين  
 سلما منهم وأبّلي أبوك بالكرماء . ولقد علمت أن ما ثرنا في الجاهلية سقاية الحاج  
 الأعظم، وولاية زمزم، وكانت للعباس دُونَ إخوته فنازع فيها أبوك إلى عمر  
 فقضى لنا عمر بها . وتوفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيّا  
 إلا العباس فكان وارثه دُونَ بنى عبد المطلب، فطلب الخلافة غير واحد من بنى  
 هاشم فلم ينلها إلا ولده . فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم  
 الأنبياء، وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث، ولولا العباس  
 أُخرج إلى بدر كُرْها لمات عمّاك طالب وعقيل جوعا أو يتجشّمان جفان عتبة وشيبة،  
 فأذهب عنهما العار والشّسار . ولقد جاء الإسلام والعباس يَؤُون أبا طالب للأزمة  
 التي أصابتهُم . ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد مُنّاكم في الكفر، وفديناكم من الأسر،  
 وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وحزنا شرف الآباء، وأدركا بئارك إذ عجزتم عنه  
 ووضعناكم حيث لم تَضَعُوا أنفسكم والسلام .



والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلِدْه هاشم إلا مرة واحدة ، ولم يَلِدْه عبد المطلب إلا مرة واحدة .

وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل قد أبى ذلك فقال ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ولكنكم قرابة أبنته ، وإنها قرابة ذريته ، غير أنها امرأة لاتحوز الميراث ، ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الإمامة من قبلها ! ولقد ظلمها أبوك من كل وجه فأخرجها تخاصم ، ومرّضها سراً ، ودفنها ليلاً ، فأبى الناس إلا تقديم الشيخين . ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره . ثم أخذ الناس رجلاً فلم يأخذوا أباك فيهم . ثم كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها ، وبايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب أباك طلحة والزبير ، ودعا سعدا إلى بيعته فأغلق بابه دونه . ثم بايع معاوية بعده ، وأفضى أمر جدك إلى أبيك الحسن فسلمه إلى معاوية بخرق ودراهم وخرج إلى المدينة ، فدفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالا من غير حله . فإن كان لكم فيها شئ فقد بعموه .

وأما قولك إن الله اختار لك في الكفر جعل أبوك أهون أهل النار عذابا فليس في الشر خيار ، ولا من عذاب الله هين ، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفتخر بالنار . سترد فتعلم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وأما قولك إنه لم تلدك العجم ، ولم تُعزق فيك أمهات الأولاد ، وإنك أوسط بنى هاشم نسبا ، وخيرهم أمّا وأبا ، فقد رأيتك نخرت على بنى هاشم طراً ، وقدمت نفسك على من هو خير منك أولاً وآخراً ، وأصلاً وفصلاً . نخرت على إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده ، فانظر ويحك أين تكون من الله تعالى غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على

وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ مِنْ قَبْلِ جَدِّي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، فَمَا زَالَ إِلَهُي يُخْتَارُ لِي حَتَّى اخْتَارَ لِي فِي النَّارِ فَوَلَدَنِي أَرْفَعُ النَّاسَ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ ، وَأَهْوَنُ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَأَنَا ابْنُ خَيْرِ الْأَخْيَارِ ، وَابْنُ خَيْرِ الْأَشْرَارِ ، وَابْنُ خَيْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَابْنُ خَيْرِ أَهْلِ النَّارِ . وَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ دَخَلْتَ فِي بَيْعَتِي أَنْ أَوْثَمَكَ عَلَى نَفْسِكَ وَوَلَدِكَ وَكُلِّ مَا أَصَبْتَهُ إِلَّا حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ حَقًّا لِمُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهَدٍ . فَقَدْ عَلِمْتَ مَا يَلْزِمُكَ فِي ذَلِكَ فَأَنَا أَوْفَى بِالْعَهْدِ مِنْكَ ، وَأَنْتَ آخِرُي بِقَبُولِ الْأَمَانِ مِنِّي . فَأَمَّا أَمَانُكَ الَّذِي عَرَضْتَ عَلَيَّ فَأَيُّ الْأَمَانَاتِ هُوَ ؟ أَمَانُ ابْنِ هَبِيرَةَ ، أَمْ أَمَانُ عَمِكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ، أَمْ أَمَانُ مُسْلِمٍ وَالسَّلَامُ .

فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَمَا بَعْدَ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ ، وَبَلَغَنِي كَلَامُكَ ، فَإِذَا جُلُّ نَفَرِكَ بِالنِّسَاءِ ، لَتُضِلَّ بِهِ الْجُفَاءُ وَالغَوَاةُ ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ النَّسَاءَ كَالْعُمُومَةِ ، وَلَا الْآبَاءَ كَالْعَصْبَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَمَّ أَبَا ، وَبَدَأَ بِهِ عَلَى الْوَالِدِ الْأَدْنَى . فَقَالَ جُلُّ شَأْؤُهُ عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ .

وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعُمُومَتُهُ أَرْبَعَةٌ فَأَجَابَ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا أَبِي ، وَكَفَرَ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا أَبُوكَ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ النَّسَاءِ وَقُرَابَاتِهِنَّ ، فَلَوْ أُعْطِينِ عَلَى قَدْرِ الْأَنْسَابِ ، وَحَقِّ الْأَحْسَابِ ، لَكَانَ الْخَيْرُ كُلُّهُ لَأَمْنَةِ بَنَاتِي وَهَبِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ لِدِينِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ أُمِّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ وَأَنْ هَاشِمًا وَلَدَ عَلِيًّا مَرَّتَيْنِ ، وَأَنْ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَلَدَ الْحُسَيْنَ مَرَّتَيْنِ ، نَخِيرُ الْأَوَّلِينَ

وإن شئت أن تتوثق لنفسك فوجه إلى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والایمان ما أحببت . والسلام .

فأجابه محمد بن عبد الله بما نصه :

من محمد بن عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد . أما بعد : ﴿ طَسَمَ ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ نَبِإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ آبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَزُرِدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ . وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي أعطيتني ، فقد تعلم أن الحق حقنا ، وأنكم إنما أُعطيتموه بنا ، ونهضتم فيه بسعينا وحُطِّمتموه بفضلنا ، وأن أبانا عليا عليه السلام ، كان الوصي والإمام ، فكيف ورثتموه دوننا ، ونحن أحياء ! وقد علمت أنه ليس أحد من بني هاشم يمتُّ بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا ، وإنا بنو أم أبي رسول الله : فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم ، وبنو ابنته فاطمة في الإسلام من بينكم ، فأنا أوسطُ بني هاشم نسباً ، وخيرهم أما وأباً ، لم تلدني العجم ، ولم تُعْرِقْ في أمهات الأولاد . وإن الله عز وجل لم يزل يختار لنا فولدني من النبيين أفضلهم : محمد صلى الله عليه وسلم . ومن أصحابه أقدمهم إسلاماً ، وأوسعهم علماً ، وأكثرهم جهاداً : علي بن أبي طالب ، ومن نسائه أفضلهن : خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى إلى القبلة ، ومن بناته أفضلهن ، وسيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . ثم قد علمت أن هاشماً ولد عليا مرتين ، وأن عبد المطلب ولد الحسن والحسين مرتين ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أحداً فإن يكن الذنب إليه إرشادى وهدايتى له "فَرُبَّ مَلُومٍ لَازِنٌ لَهُ . وَقَدْ يَسْتَفِيدُ  
الظَّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ" وما أردتُ إلا الإصلاحَ ما استطعتُ وما توفيقى إلا بالله عليه  
تَوَكَّلْتُ وإليه أُنِيبُ .

وذكرت أنه ليس لى ولا أصحابى إلا السيف فلقد أضحكت بعد استعبار ! متى  
ألفيت بنى عبد المطلب عن الأعداء ناكين ؟ أو بالسيف مخوفين .  
(ف) لَبَّثَ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلٌ \* سَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبَعِدُ ،  
وأنا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فى بَحْفَلٍ مِنَ الْمَاهِجِينَ ، وَالْأَنْصَارِ وَالْتَابِعِينَ لَهُمْ بِأَحْسَنِ ، شَدِيدِ  
زَحَامِهِمْ ، سَاطِعِ قَتَامِهِمْ ، مُسَرَّيْلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ . أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ .  
قد صحبتهم ذُرِّيَّةَ بَدْرِيَّةٍ وَسُيُوفِ هَاشِمِيَّةٍ قَدْ عَلِمْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فى أَخِيكَ وَخَالِكَ ،  
وَجَدَكَ ، وَأَهْلَكَ ﴿ وَمَا هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

وكما كتب "أبو جعفر المنصور" ثانى خلفاء بنى العباس ، وهو يومئذ خليفة ،  
إلى محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، حين بُوعٍ لَهُ بِالْخِلَافَةِ  
وخرج على المنصور يريد أنتراعها منه . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن  
عبد الله . أما بعد : ﴿ فَإِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فى الْأَرْضِ  
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ  
الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ  
قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . وَلَكَ ذِمَّةُ اللَّهِ وَعَهْدُهُ وَمِيثَاقُهُ  
وَحَقُّ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ ثُبَّتْ مِنْ قَبْلِ أَن يُقَدَّرَ عَلَيْكَ أَن أَوْثَمَكَ عَلَى  
نَفْسِكَ وَوَلَدِكَ وَإِخْوَتِكَ وَمَنْ بَايَعَكَ وَجَمِيعَ شِيعَتِكَ ، وَأَنْ أُعْطِيَكَ أَلْفَ أَلْفِ  
دِرْهَمٍ ، وَأَنْزِلَكَ مِنَ الْبِلَادِ حَيْثُ شِئْتَ ، وَأَقْضَى لَكَ مَا شِئْتَ مِنَ الْحَاجَاتِ ، وَأَنْ  
أُطْلَقَ مَنْ فى بَيْحْنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَشِيعَتِكَ وَأَنْصَارِكَ ، ثُمَّ لَا تُتَّبَعَ أَحَدًا مِنْكُمْ بِمَكْرِهِ ،



تعرفها قلوبُ المؤمنين، ولا تمجها آذان السامعين . فدع عنك من مالت به الرمية فإننا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا، لم يمنعنا قديمُ عزنا، ومديد طَوْلنا على قومك أن خاطنهم بأنفسنا : فنكحنا وأنكحنا، ففعل الأَكفاء ولستم هناك . وأتى يكون ذلك كذلك ! ومنا النبي ومنكم المكذب، ومنا أسدُ الله ومنكم أسدُ الأحلاف، ومنا سيِّدا شبابِ أهل الجنة، ومنكم صبيَّة النار، ومنا خير نساء العالمين، ومنكم حَمَّالة الخطب، فإسلامنا قد سمع وجاهليتنا لا تدفع، كُتِّبُ الله يجمع لنا ما شدَّ عنا وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ لِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فتحن مرةً أَوْلَىٰ بالقرابة وتارة أَوْلَىٰ بالطاعة . ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وسلم فُلجوا عليهم ، فإن يكن الفلجُ به فالحقُّ لنا دونكم ، وإن يكنْ بغيره فالأنصار على دعواهم . وزعمت أُنَّى لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيتُ ، فإن يك ذلك كذلك فليست الجناية عليك، فتكون المَعذرةُ إليك \* وتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارَهَا \*

وقلت إني كنتُ أقاد كما يُقاد الجملُ المحشوش حتى أبايع . ولعمرك الله ! لقد أردت أن تَذمَّ فيحمدت ، وأن تَفْضَحَ فأفتَضَحْتَ ، وما على المسلم من غَضَاضَةٍ في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكاً في دينه ، ولا مُرتاباً في يقينه . وهذه حجتِي إلى غيرك قصدها، ولكني أطلقتُ لك منها بقدر ماسنح لك من ذكرها .

ثم ذكرت ما كان من أمرى وأمر عثمان، فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مَقَاتَلِهِ : أَمَنْ بذل له نُصْرَتُهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَأَسْتَكْفَهَ أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ، حتى أتى قدره عليه . كلا والله ! لقد علم الله الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا . وما كنتُ أعتذر من أُنَّى كنتُ أَتَقِمُّ عَلَيْهِ

أَبْنِ عَفَّانَ ضَمِينِ، إِيَاوُكَ قَتَلَةَ عَثْمَانَ، فَهَمَّ بِطَانَتِكَ، وَعَضُدُكَ وَأَنْصَارُكَ . فَقَدْ بَلَغْنِي أَنَّكَ تَنْتَفِي مِنْ دَمِهِ . فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَادْفَعْ إِلَيْنَا قَتْلَتَهُ نَقْتُلْهُمْ بِهِ . ثُمَّ نَحْنُ أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَيْكَ، وَإِلَّا فَنَلِيسُ لَكَ وَلَا لِأَصْحَابِكَ عِنْدَنَا إِلَّا السَّيْفُ ! وَالَّذِي نَفْسُ مَعَاوِيَةَ بِيَدِهِ لَا طُلُبْنَ قَتْلَةَ عَثْمَانَ فِي الْجِبَالِ، وَالرَّمَالِ، وَالْبَرِّ، وَالْبَحْرِ، حَتَّى نَقْتُلْهُمْ أَوْ تَلْحَقَ أَرْوَاحُنَا بِاللَّهِ ! .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جَوَابِ ذَلِكَ :

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ ! تَذَكَّرْتُ فِيهِ أَصْطَفَاءَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَجْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِهِ وَتَأْيِيدِهِ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيْدَهُ بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا ! أَفْطَقْتُ تَخْبِيرَنَا بِآلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا ، فَكُنْتُ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ أَوْ دَاعِي مِذْرَةَ<sup>(١)</sup> إِلَى النَّضَالِ، وَزَعَمْتُ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانٌ وَفَلَانٌ فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَرَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ قُلُّهُ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلُ وَالْمَفْضُولُ وَالسَّائِلُ وَالْمَسْئُولُ ! . وَمَا لِلطَّلَقَاءِ وَأَنْبَاءِ الطَّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ، هِيَاهُ لَقَدْ حَقَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِيقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مِنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا، أَلَا تَرَجُّعُ عَلَى ظُلْمِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدَرُ، فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ . وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ . وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّيِّهِ، رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ . أَلَا تَرَى، غَيْرَ مُخْبِرِكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ، أَنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ، أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدٍ مِنَّا مَا فُعِلَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ، وَلَوْلَا مَا نَهَى عَنْ تَرْكِةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكَ فُضَائِلَ جَمَّةٍ،

(١) المدره المقدَّم في القتال وزعيم القوم وخطيبهم .

## المقصود الثاني

( في ذكر شيء من مكاتبات الصدر الأول يكون مَدْخَلًا إلى معرفة ما يُحتاج إلى حفظه من ذلك )

أما مكاتباتهم المشتملة على المحاوراة والمراجعة ، فمنها ما كتب به معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زمن المشاجرة بينهما ، وهي :

أما بعد ، فإن الله أصطفى محمداً ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ؛ واختار له من المسلمين أعواناً أيده بهم ، وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ؛ فكان أفضلهم في الإسلام ، وأنصحهم لله ورسوله الخليفة ، وخليفة الخليفة ، والخليفة الثالث ؛ فكلمهم حسدت ، وعلى كلمهم بغيت . عرفنا ذلك في نظرك الشزر ، وتنفسك الصعداء ، وإبطائك على الخلفاء ، وأنت في كل ذلك تُقاد كما يُقاد البعير الخشوش حتى تُبايع وأنت كاره ، ولم تكن لأحد منهم أشد حسداً منك لابن عمك عثمان ، وكان أحقهم أن لا تفعل ذلك به ، في قرابته وصهره ؛ فقطعت رحمه ، وقبحت محاسنه ، وألبت عليه الناس حتى ضربت إليه آباط الإبل ، وشهر عليه السلاح في حرم الرسول ، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائلة ؛ لا تؤدى عن نفسك في أمره بقول ولا فعل ؛ أقسم قسماً صادقا ! لو قتت في أمره مقاماً واحداً تنهين الناس عنه ، ما عدل بك ممن قبلنا من الناس أحد ، ولحما ذلك عنك ما كانوا يعرفونك به : من المجانبة لعثمان والبنى عليه . وأخرى أنت بها عند أولياء

(١) كتاب معاوية يبض له في الأصل فتقناؤه من العقد الفريد لابن عبد ربه جزء ٢ صحيفة ٢٨٥

(٢) أى المجمول فيه الخشاش . وهو عود يجعل في عظم أنف البعير . مصباح

(٣) الهائلة الصوت المنفزع

## النوع التاسع

(١) مما يحتاج إليه الكاتب من حفظ جانب جيد من مكاتبات الصدر الأول ،  
ومحاوراتهم ، ومراجعاتهم ، وما آدعاه كل منهم لنفسه أو لقومه ، والنظر  
في رسائل المتقدمين : من بلغاء الكتاب ؛ وفيه ثلاثة مقاصد

### المقصد الأول

في وجه احتياج الكاتب إلى معرفة ذلك

أما حفظ مكاتبات الصدر الأول ورسائلهم فلائها مع (٢) مبتدع البلاغة  
وكثر الفصاحة غير ملائمة لطريقة الكتاب في أكثر الأمور ؛ فيستعان بحفظها على  
مواقع البلاغة ولا يطمع الخاطر بالأتكال على إيراد فصل منها برمته لخالفته لأسلوب  
الكتاب في أكثر الأمور .

وأما النظر في رسائل البلغاء من فضلاء الكتاب ، فلما في ذلك من تنقيح القرينة ،  
وإرشاد الخاطر ، وتسهيل الطرق ، والنسج على منوال المجيد ، والاقتداء بطريقة  
المحسن ، وأستدراك ما فات ، والاحتراز مما أظهره النقد ، ورد ما بهرجه السبك .  
واقْتَصِرَ على النظر فيها دون حفظها لئلا يتكل الخاطر على ما يأتي به بأصله مما ليس  
له فيتشيع بما لم يُعطَ فيكون كلابس ثوبَي زور . اللهم إلا أن يريد بحفظها المحاضرة  
دون الإنشاء فإن اللائق به الحفظ دون غيره .

(١) كذا بالأصل بزيادة من وفي الضوء إسقاطها وهو الصواب .

(٢) بياض بالأصل .



فَأَسْتَعْنِي عَنْ شَغْلِ الْفِكْرِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ ، وَمَشَقَّةِ التَّعَبِ فِي تَتَبُّعِ الْأَلْفَافِ  
 الْفَصِيحَةِ ، الَّتِي لَا تَنْهَضُ فِكْرَتُهُ بِمِثْلِهَا وَلَوْ جَهْدٌ ، وَلَا يَسْمَحُ خَاطِرُهُ بِنَظِيرِهَا وَلَوْ  
 دَأْبٌ . إِنْ الْخُطْبُ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْكُتَّابَةِ ، وَنَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِهَا ، يَحْتَاجُ الْكُتَّابُ إِلَيْهَا  
 فِي صَدُورِ بَعْضِ الْمَكَاتِبَاتِ ، وَفِي الْبَيْعَاتِ وَالْعُهُودِ وَالتَّقَالِيدِ وَالتَّفَاوِيضِ وَكِبَارِ  
 التَّوَاقِعِ وَالْمَرَامِيمِ ، وَالْمُنَاشِيرِ ؛ عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛  
 وَمَا لَعَلَّهُ يُنْشِئُهُ مِنْ خُطْبَةِ صَدَاقٍ أَوْ رِسَالَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مَصَاقِعَ  
 الْخُطْبَاءِ ، وَمَشَاهِيرَ الْفَصَحَاءِ ، وَالْبُلَدَاءِ ، كَقُتُسْ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ الَّذِي تَقَدَّمَتْ  
 خُطْبَتُهُ آنِفًا فِي صَدْرِ الْخُطْبِ . وَتَحْبَانَ الْوَائِلِيُّ : وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي وَائِلٍ ، لَسِنٌ بَلِيجٌ  
 يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبَيَانِ ، وَغَيْرُهُمَا مِمَّنْ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ؛ وَمَنْ  
 يُنْسَبُ إِلَى الْعِيّ وَالْغَبَاوَةِ كَبَاقِلٍ : وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ اشْتَرَى ظِيْلًا بِأَحَدِ عَشَرَ دِرْهَمًا  
 فَقِيلَ لَهُ بِكُمْ اشْتَرَيْتَهُ فَفَتَحَ كَفِيهِ وَفَزَقَ أَصَابِعَهُ الْعَشْرَةَ وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ ؛ يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى  
 أَحَدِ عَشَرَ وَلَمْ يَحْسَنْ التَّعْبِيرَ عَنْهَا ، فَأَنْفَلَتْ الظُّبْيُ فَضْرَبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْعِيّ . فَإِذَا  
 عَرَفَ الْبَلِيجَ وَغَيْرَ الْبَلِيجِ ، وَعَالِيَ الرِّبَةِ وَسَافِلَهَا ، عَرَّضَ حِينَئِذٍ بِذِكْرِ مَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ  
 مَقَاسِيًا لِلْفَاضِلِ بِمِثْلِهِ ، وَلِلْغَيّْ بِنَظِيرِهِ : كَمَا قَالَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ فِي بَعْضِ رِسَائِلِهِ ،  
 فِي جَوَابِ كِتَابٍ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِهِ :

فَأَمَّا شَوْقُهُ لِعَبْدِهِ فَالْمَوْلَى قَدْ أَبْقَاهُ اللَّهُ قَدْ أُوتِيَ فَصَاحَةً لِسَانٍ . وَتَحَبَّ ذِيْلُ الْعِيّ  
 عَلَى تَحْبَانَ .

وَكَمَا قَالَ الشَّيْخُ ضِيَاءُ الدِّينِ أَحْمَدُ الْقُرْطُبِيُّ مِنْ رِسَالَةٍ كَتَبَهَا لِلشَّيْخِ تَقِيٍّ الدِّينِ  
 ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ ، يَصِفُ رِسَالَةً وَرَدَتْ مِنْهُ عَلَيْهِ : إِنَّ كَلِمَهَا يَمِيسُ فِي صُدُورِهَا  
 وَأَعْجَازِهَا ، وَتَتَنَالُّ عَلَيْهَا أَعْرَاضُ الْمَعَانِي بَيْنَ إِسْهَابِهَا وَإِيجَازِهَا ؛ فَهِيَ فَرَائِدُ اسْتَلَفَتْ  
 فِي أَبْكَارِ الْوَائِلِيِّ وَالْإِيَادِيِّ .

وعقرتهم بالفجائع . وقد رأيتم تنكرها لمن رادها وآثرها وأخلد إليها ، حين ظعنوا عنها  
لفراقٍ إلى الأبد إلى آخر الأمد . هل زودتهم إلا السغب ؟ ، وأحلتهم إلا الضنك ،  
أو تورّت لهم إلا الظلمة ، أو أعقبتم إلا الندامة ؟ أفهذه تُؤثرون ، أم على هذه تُحِرّصون  
أم إليها تطمئنّون ؟ . يقول الله جل ذكره ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ  
إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴾ . بنست الدار لمن أقام فيها ! فأعلموا إذ أنتم  
تعلمون أنكم تاركوها الأبد ، فإنما هي كما وصفها الله تعالى باللعب واللّهو ، وقد قال  
تعالى ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ  
بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ .

إلى غير ذلك من خطب خلفاء الدولتين وأمرائهم مما يطول القول بإيراده ،  
وينخرج الكتاب بذكره عن حاده .

## المقصد الثاني

### في كيفية تصرف الكاتب في الخطب

قد تقدّم في أول المقصد الأول من هذا النوع قول أبي هلال العسكري : إن الرسائل  
والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية والمشاكلّة في الفواصل  
وان الخطب يُشافه بها بخلاف الرسالة ، والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة  
في أيسر كُلفة . وحينئذ إذا أراد الكاتب نقل الخطبة إلى الرسالة أمكنه ذلك ، فإذا  
أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الخطب البليغة ، وعلم مقاصد الخطابة وموارد  
الفصاحة ومواقع البلاغة ، وعرف مصابيح الخطباء ومشاهيرهم ، اتّسع له المجال  
في الكلام وسهّلت عليه مستوعرات النثر ، ودلّت له صِعبات المعاني ، وفاض على  
لسانه في وقت الحاجة ما كَمَن من ذلك بين ضلّوعه فأودعه في نثره ، وضمنه في رسائله ،

الرَّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) مع أن أمراً لم يكن منها في حبرة، إلا أعقبته  
 بعدها عبرة، ولم يلق من سرائها بطناً، إلا منحت من ضرائها ظهراً. ولم تصله غيبة<sup>(١)</sup>  
 رخاء، إلا هطأت عليه مزنه بلاء. وحرية إذا أصبحت له متصرة أن تسمى له<sup>(٢)</sup>  
 خاذلة متحركة. وأى جانب منها أعدوذب وأحلولى، أمر عليه منها جانب وأوبا.  
 فإن آتت امرأة من غصونها ورقاً أرهقته من نوائبها تعباً. ولم يمس منها امرؤ  
 في جناح أمن إلا أصبح منها على قوادم خوف، غرارة: غرور ما فيها، فانية:  
 فإن من علمها بالخير في شئ من زادها إلا التقوى. من أقل منها استكثر مما يؤمنه.  
 ومن استكثر منها، استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه، ويئس عينه. كم واثق بها قد  
 بخته، وذى حكم ثنته إليها قد صرته، وذى آختيال فيها قد خدعته. وكم ذى  
 أبهة فيها قد صيرته حقيراً، وذى نخوة قد ردت له ذليلاً. ومن ذى تاج قد كبته لليدين  
 والفم. سلطانها دُول. وعيشها رنق، وعدبها أجاج، وحلوها صبر، وغذاؤها سمام،  
 وأسبابها رمام. قطافها سلع. حيثما بعرض موت، وصحيتها بعرض سقم. منيعها  
 بعرض اهتضام. ومملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب. وسليمها منكوب، وجارها  
 محروب. مع أن وراء ذلك سكرات الموت، وهول المطلاع، والوقوف بين يدي  
 الحكم العدل (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى).  
 ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول منكم أعماراً، وأوضح منكم آثاراً، وأعد  
 عديداً، وأكثف جنوداً. وأشد عتوداً. تعبدوا للدنيا أى تعبد، وآثروها أى  
 إيثار، وظعنوا عنها بالكره والصغار. فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية،  
 أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطاب بل أرهقتهم بالقوادح، وضععتهم بالنوائب،

(١) في غير هذا الكتاب ولم تطله من الطل. ويظهر أن غيبة مصحفة عن غيبة. والغيبة الدفعة من المطر.

(٢) في نسخة وأولى.

فقد أودت من كان قبلكم . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . والله الآخرة والأولى .  
ولا تقفروا على الله الكذب فيسحقكم بعدايب وقد خاب من افترى . ربنا لا ترغ قلوبنا  
بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

ومن خطب خالد بن عبد الله أمير البصرة : أيها الناس ! نافسوا في المكارم  
وسارعوا إلى المغانم . واشتروا الحمد بالحدود ، ولا تكسبوا بالمطل ذمًا ، ولا تعتدوا  
بال معروف ما لم تُعجلوه ، ومهما يكن لأحد منكم عند أحد نعمة فلم يباغ شكرها ، فالله  
أحسن لها جزاء ، وأجزل عليها عطاء . وأعلموا أن حوائج الناس إليكم ، نعمة من  
الله عليكم ، فلا تملوا النعم فتحولوها نقمًا . وأعلموا أن أفضل المال ما أكسب أجرا ،  
وأورث ذكرا . ولو رأيتم المعروف رجلا ، رأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين .  
ولو رأيتم البخيل رجلا ، رأيتموه مشوها قبيحا تنفر عنه القلوب ، وتغضى عنه الأبصار .  
أيها الناس ! إن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، وأعظم الناس عفوًا من  
عفا عن قدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن لم يطب حرثه لم يرك  
نبتة ، والأصول عن معارسها تنمو ، وبأصولها تسمو . أقول قولي هذا وأستغفر الله  
لي ولكم .

ومن خطب قطري بن الفجاعة خطبته المشهورة في ذم الدنيا والتحذير  
عنها ، وهي :

أما بعد : فإني أحذركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت  
بالقليل . وتحببت بالعاجلة ، وحليت بالآمال ، وتزينت بالغرور . لا تدوم نضرتها ،  
ولا تؤمن بجمعها . غرارة ، ضرارة . وخاتلة ، زائلة . ونافدة ، بائدة . أكالة ،  
غوالة . لا تعدو إذا تاهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال  
الله تعالى ﴿ كذَّبُوا عَنْ آلِهَتِهِمْ كَذَبًا بَعِيدًا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ وَأَصْحَبَهُمْ سَرَاجًا نَّارًا ﴾ .



الدنيا والآخرة . ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ . أَقْمَنُ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ  
سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ . مَالِي أَرَىٰ عِيُونًا تُخْزَا ، وَرِقَابًا صُغْرَا ، وَبَطُونًا يَجْرِي ،  
سَجَى لَا يُسَيِّغُهُ الْمَاءُ ، وَدَاءٌ لَا يُشْرَبُ فِيهِ الدَّوَاءُ . أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ  
كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ . كَلَّا وَاللَّهِ بَلْ هُوَ الْهِنَاءُ وَالطَّلَاءُ حَتَّىٰ يَظْهَرَ الْعُذْرُ ، وَيُبَّحِ  
السِّرَّ ، وَيَضْحَكُ الْعَيْبُ ، وَيَشُوشَ الْجَيْبُ . فَإِنَّكُمْ لَمْ تَخْلُقُوا عِبْنَا وَلَمْ تَتْرَكُوا سُدَىٰ ،  
وَيُحْكَمْ إِلَيَّ لَسْتُ أَنَاوِيًّا أَعْلَمُ ، وَلَا بَدَوِيًّا أَفْهَمُ . قَدْ حَلَبْتُمْ أَشْطَرًا ، وَقَلَبْتُمْ أَبْطَنًا  
وَأَظْهَرًا . فَعَرَفْتَ أَنْحَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعَلِمْتَ أَنْ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالسُّنَنِمْ ،  
وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَضَرَبُوا بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
بِبَعْضٍ ، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَجَدُوا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ  
الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَعْوَانًا يَأْذَنُونَ لَهُمْ ، وَيَصْغَوْنَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا ! قَبْلَ وَقُوعِ  
القَوَارِعِ وَطُولِ الرِّوَايَةِ . هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا ، فَلَسْتُ أَعْتَنِي شَيْئًا وَلَا تَائِبًا ، عَفَا اللَّهُ  
عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ . فَأَسِرُّوا خَيْرًا وَأَظْهَرُوهُ ،  
وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلَصُوهُ . وَطَلِبَا مَشِيئَتِ الْقَهْقَرَىٰ نَا كَصِين . وَلِيَعْلَمَ مِنْ أَدْبَرٍ وَأَصَرَّ  
أَنَّهُا مَوْعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ نِقْمَةٍ ، وَلَسْتُ أَدْعُوَكُمْ إِلَىٰ هَوَىٰ يَتَّبِعُ ، وَلَا إِلَىٰ رَأْيٍ يَتَّبِعُ .  
إِنَّمَا أَدْعُوَكُمْ إِلَىٰ الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيَّةِ ، الَّتِي فِيهَا خَيْرُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ، فَمَنْ أَجَابَ فَلِيَ رُشْدُهُ ،  
وَمَنْ عَمِيَ فَعَنِ قَصْدُهُ . فَهَلُمَّ إِلَىٰ الشَّرَائِعِ ، الْجَدَائِعِ ، وَلَا تُؤَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَلَا تَسْتَبَدِّلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ (يُنْسِ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) . إِيَّاكُمْ وَبُنَيَاتِ  
الطَّرِيقِ ، فَعِنْدَهَا التَّرْنِيقُ وَالتَّرْهِيْقُ . وَعَلَيْكُمْ بِالْحَادَةِ فَهِيَ أَسَدٌ وَأُورْدٌ ، وَدَعُوا الْأَمَانِيَّ

(١) لعله مجرا جمع أبحر والبحر عظم البطن .

(٢) الأنأوى الغريب الذي ليس في وطنه .

(٣) أى أظلم راجعا ولا تائبا مما حصل . ووقع في الأصل أعيش وهو تصحيف لامعنى له هنا .

أيها الناس ! إني قائل قولاً فمن وعاه وأداه فعلى الله جزاؤه، ومن لم يعه فلا يعد من ذمّامها ؛ إن قصّرت عن تفصيله ، فإن تعجزوا عن تحصيله . فأرعوه أبصاركم وأوعوه أسماعكم وأشعروه قلوبكم ؛ فالموعظة حياة ؛ والمؤمنون إخوة ؛ وعلى الله قصد السبيل ولو شاء لهداكم أجمعين . فأتوا الهدى تهتدوا ، واجتنبوا الغي ترشدوا . وأنبيؤا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون . والله جل جلاله وتقدست أسمائه أمركم بالجماعة ورضيها لكم . ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم . فاتقوا الله حقّ ثقائه ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا وأذكّروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . جعلنا الله وإياكم من يتبع رضوانه ويحتب سخطه إنا نحن به وله . وإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين ، وأختاره على العالمين ، وأختاره أصحابا على الحق وزرّاء دون الخلق . اختصهم به وأنخبهم له ، فصدّقه ونصروه وعزّروه ووقّروه ؛ فلم يقموا إلا بأمره ، ولم يججموا إلا عن رأيه ، وكانوا أعوانه بعهد ، وخلفاءه من بعده . فوصفهم فأحسن وصفهم وذكرهم فأثنى عليهم فقال وقوله الحق ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى قوله ﴿مَغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فمن غاظوه كفر وخاب وبخر وخسر . وقال الله جل وعز ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ إلى قوله ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فمن خالف شريعة الله عليه لهم وأمره إياه فيهم فلا حقّ له في النى ، ولا سهم له في الإسلام في أى كثيرة من القرآن ، فرق مارقة من الدين . وفارقوا المسلمين وجعلوهم عِصيين . وحزبوا أحزاباً ، أشابات وأوشابا . نخالفوا كتاب الله فيهم نخابوا وخسروا

(١) كذا في الاصل ولكن باهمال الياء من يمد ولعل مراده فلا يخرج من حرمة أى المقالة

ثم التفت إلى أهل الشام فقال أتم البطانة والعشيرة ! والله ليريحكم أطيّب من ريح المسك الأذفر، وإنما أنتم كما قال الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ الآية .  
 والتفت إلى أهل العراق فقال والله ليريحكم أنتم من ريح الأبخر، وإنما أنتم كما قال الله ﴿ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ الآية .

ومن خطبه لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق ويتوعددهم :  
 أيها الناس : من أعياه دأؤه فعندى دواؤه ! ومن استطال أجله ، فعلى أن أنجله ؛  
 ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ، ومن استطال ماضى عمره قصرت عليه  
 باقيه . إن للشيطان طيفاً ، وللسلطان سيفاً ! ، فمن سقمّت سريره ، صحّت عقوبته ؛  
 ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ؛ ومن لم تسعه العافية ، لم تصق عنه الملكة ؛ ومن سبقته  
 بادرة فمه ، سبق بدنه بسفك دمه ؛ إني أنذر ثم لأنظر ، وأحذر ثم لأعذر ؛ وأتوعد  
 ثم لا أعفو . إنما أفسدكم ترينق ولاتكم ؛ ومن استرخى لبه ، ساء أدبه . إن الحزم  
 والعزم سكا في وسطى ، وأبدلاني به سيفي : فقائم في يدي ، ونجاده في عنقي ، ودبابه  
 قلادة لمن عصاني ! ، والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد  
 فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه .

ولعمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن عبد الملك من خلفاء بني أمية ؛ وأبي جعفر  
 المنصور ، وهارون الرشيد ، وابنه المأمون من خلفاء بني العباس وغيرهم ، من خلفاء  
 الدولتين وأمرائهم خطب فائقة ، وبلاغات معجبة رائقة ، يضيق هذا الكتاب  
 عن إيرادها ، وقد أوردنا من ذلك ما فيه كفاية لليب ، ومقنع للأريب .

ومن خطب أبي بكر بن عبد الله أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل  
 الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام ، وقد بلغه عن قوم من أهل المدينة أنهم ينالون  
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُسعِفُهُمْ آخرون على ذلك :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائَا \* مَتَى أَضَعَ الْعَامَّةَ تَعْرِفُونِي

والله يأهل العراق : إني لأرى رءوساً قد أُنِعتْ وحانَ قِطَافُهَا ، وإني لصاحبها !  
والله لكأنني أنظر إلى الدماء بين العائم والثلج . يأهل العراق ما يُغَمَزُ جانبي كَتَغَازِ  
التَّيْنِ ، ولا يُقَعِّقُ لي بالشَّانِ . ولقد فُِرِّرتُ عن ذَكَاء ، وفُتِّشتُ عن تَجَرِبَةٍ ، وأجريتُ  
من الغايه ؛ وإن أمير المؤمنين عبد الملك ثَرَّ كَنَانَتَهُ بين يديه فَعَجَمَ عِيدَانَهَا عُودَا  
عُودَا فوجدني أمرها عودا ، وأشدَّها مَكْسِراً ، فوجَّهني إليكم وربما كم بي يَأْهَلُ  
الكُوفَةِ ، أَهْلَ الشَّقَاقِ والنِّفَاقِ ، وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ : لأنكم طالما أَوْضَعْتُمْ في الفِتْنَةِ ،  
وَأَضْطَجَعْتُمْ في مَنَامِ الضَّلَالِ ، وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ الْغِيِّ ، وآيَمَ اللَّهِ لِأَلْحُونِكُمْ لَحْوَ الْعُودِ ،  
وَلَا قَرَعَنَّكُمْ قَرَعُ الْمَرُوءَةِ ، وَلَا عَصَبَنَّكُمْ عَصَبُ السَّامَةِ ، وَلَا ضَرْبَنَّكُمْ ضَرْبُ غَرِيبَةِ  
الْإِبِلِ . إني والله لأحلف إلا صَدَقْتُ ، ولا أَعِدُّ إلا وَفَيْتُ . إِيَّايَ وهذه الزَّرَافَاتِ ،  
وقال وما يقولُ ، وكان وما يكون . وما أُنتم وذاك يَأْهَلُ العراق . إنما أنتم أَهْلُ  
قَرْيَةٍ كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ ، فَأَتَاها  
وَعِيدُ الْقُرَى مِنْ رَبِّهَا . فَاسْتَوْتُوا وَاعْتَدِلُوا وَلَا تَمِيلُوا ، واسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ، وشَايِعُوا  
وَبَايِعُوا .

واعلموا أن ليس مني إلا كَثَارُ وَالْإِهْذَارُ ولا مع ذلك التَّفَارُّ ولا الفِرَارُ ؛ إنما هو  
أَنْتَضَاءُ هَذَا السِّيفِ ، ثم لَا يُغَمَدُ الشِّتَاءُ ولا الصِّيفُ ، حَتَّى يُدِلَّ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
عِزَّكُمْ ، وَيُقِيمَ لَهُ أَوْدَكُمْ وَصَعْرَكُمْ . ثم إني وجدتُ الصِّدْقَ مِنَ الْبِرِّ ، ووجدتُ الْبِرَّ  
فِي الْجَنَّةِ ، ووجدتُ الْكُذْبَ مِنَ الْفُجُورِ ، ووجدتُ الْفُجُورَ فِي النَّارِ . وإن  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي أَنْ أُعْطِيَكُمْ أُعْطِيَاتِكُمْ ، وَأُشْخِصَّكُمْ لِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّكُمْ وَعَدُوِّ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ ؛ وقد أَمَرْتُ لَكُمْ بِذَلِكَ وَأَجَلَّتْكُمْ ثَلَاثًا ، وَأَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا بِأُخَاذِنِي بِهِ  
وَيَسْتَوْفِيهِ مِنِّي : لئن تَخَلَّفَ مِنْكُمْ بَعْدَ قَبْضِ عَطَائِهِ أَحَدٌ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ وَأَنْهَبَنَّ مَالَهُ .



فقام إليه عبد الله بن الأَهم قال : ” أشهد أيها الأمير لقد أُوتيت الحكمة وفصل الخطاب “ قال : ” كذبت “ ذاك نبيُّ الله داودُ !

ومن خطب عبد الملك بن مروان ، لما قتل عمرا الأشدق بن سعيد بن العاص : إرموا بأبصاركم نحو أهل المعصية ، وأجعلوا سلفكم لمن غير منكم عِظَةً ، ولا تكونوا أغفالا من حُسن الاعتبار ، فتَنَزَّلَ بكم جائحةُ السَّطوات ، وتَجُوسَ خِلالكم بَوادرُ النِّقات ، وتَطَّأَ رِقَابكم بِثَمَلها العقوبة فتجعلكم هَمدا رُفاتا ، وتشتمل عليكم بطونُ الأرض أمواتا . فَيَأْي من قول قائل ، ورشقة جاهل ! فإنما بيني وبينكم أن أسمع النعوة فأُصم <sup>(١)</sup> تصميم الحُسام المطرور ، وأصول صيال الحنق الموثور ، وإنما هي المصاحفة والمكافئة بظُّبات السيوف وأسنة الرماح ، والمعاودة لكم بسوء الصَّباح ، قتاب تائب ، وهذل خائب ، والتوب مقبول ، والإحسان مبذول ، لمن عرف رُشده وأبصر حظه . فانظروا لأنفسكم ، وأقبلوا على حظوظكم ، ولتكن أهل الطاعة يدا على أهل الجهل من سفهائكم ، وأستديموا النعمة التي ابتدأتكم برغيد عيشها ونفيس زيتها ، فإنكم من ذلك بين فضيلتين : عاجل الخَفْض والدَّعة ، وأجل الجزاء والثَّوبة عصمكم الله من الشيطان وفِتنته ونزغه ، وأمدكم بحُسن معزته وحفظه . انهضوا رحمكم الله إلى قبض أعطياتكم غير مَقْطوعة عنكم ، ولا مَكْدرةٍ عليكم .

نفرج القوم من عنده يدارا كُلَّهم يخاف أن تكون السطوة به .

ومن خطب الحجاج بن يوسف الثقفي عند قدومه الكوفة أميرا على العراق : يا أهل العراق أنا الحجاج بن يوسف ! .

(١) كذا في الأصل بالإهمال وهو تصحيف عن المعجمة . والنغوة والنغية أول الخبر قبل أن تستبينه .

(٢) المطرور براين المحدد المشحوذ وفي الأصل بالدال المهملة وهو تصحيف .

(٣) في الأصل بالهاء وإهمال الدال وإعجام حائب ولعله بالميم وإعجام الذال بمعنى ضجر وقلق وإهمال الحاء

من حائب غرر .

الاليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول . إنه ليس منكم إلا من  
 طرقت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، وأختار الفانية على الباقية ؛ ولا  
 تذكرون أنكم أحدتم في الإسلام الحدث الذي لم تُسبقوا إليه : من ترككم الضعيف  
 يُقهر، والضعيفة المسلوبة في النهار لا تُتصر، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق .  
 ألم يكن منكم منةٌ يمنعون الغواة عن دبح الليل وغارة النهار ! قرَّبتم القرابة ! وباعدتم  
 الدين ؛ تعتذرون بغير العذر، وتُغضُّون على النكر . كل أمرئ منكم يرد عن سفيهة  
 صنع من لا يخاف عقابا ولا يرجو معادا . فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم  
 حتى آتتهوا حرم الإسلام ثم أطرفوا وراءكم كُنُوسا في مكائس الرب ، حرام على  
 الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير بالأرض هداما وإحراقا ! . إني رأيت آخر هذا  
 الأمر لا يصلح إلا بما صالح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ،  
 وإني لأقسم بالله لا أخذن الولي بالمولي ، والمقيم بالطاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقي  
 الرجل أخاه فيقول " انج سعد فقد هلك سعيد " أو تستقيم لي قناتكم . إن كذبة  
 الأمير بقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حاث لكم معصيتي ؛ وقد كان بيني  
 وبين قوم إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي . إني لو علمت أن أحدكم قد  
 قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ، ولم أهتك له سترا ، حتى يُيدي لي صفحته ،  
 فإذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم وراعوا على أنفسكم ، فرب مبتئس  
 بقدمونا سيئسر ، ومسرور بقدمونا سيبتئس ! . أيها الناس إنا قد أصبحنا لكم  
 ساسة ، وعنكم ذادة تسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بغيء الله الذي  
 خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا  
 عدلنا وفيتنا بمناصحتكم لنا ،

(١) في العقد الفريد والصفحة المسلوبة في النهار المبصر . (٢) وقع في الاصل المتأخر وهو تصحيف

عن المواخير انظر اللسان والعقد الفريد . (٣) في العقد الفريد وأعينوا .

وَالْقَتْنَا وَالْفَنَاهَا، فَنَحْنُ بَنُوهَا وَهِيَ أُمْنَا . أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْتَقِيمُوا عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى ،  
وَدَعُوا الْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ ، وَالْبِدَعَ الْمُرْدِيَّةَ ، وَلَسْتُ أُرَاكُمْ تَزْدَادُونَ بَعْدَ الْوَصَاةِ  
إِلَّا اسْتِجْرَاءً ، وَلَنْ أَزْدَادَ بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَالْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ إِلَّا عَقُوبَةً ! ، وَقَدْ التَقِينَا نَحْنُ  
وَأَنْتُمْ عِنْدَ السَّيْفِ مَنْ شَاءَ فَلْيَتَحَرَّكْ أَوْ يَتَقَهَّرْ وَمَا مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ ابْنُ قَيْسٍ  
ابْنُ رِفَاعَةَ الْأَنْصَارِيُّ .

مَنْ يَصِلْ نَارِي بِلا ذَنْبٍ وَلَا تَرَةٍ \* يَصِلْ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ غَدَّارٍ  
أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ مَنِي مُجَاهِرَةً \* كَيْ لَا أَلَامَ عَلَى نَهْيٍ وَإِنْ ذَارِي

وَمَنْ خَطَبَ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَمِيرُ مِصْرَ وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْ أَهْلِهَا  
أُمُورٌ أَنْ صَعِدَ الْمَنْبَرِ وَقَالَ : يَا حَامِلِي الْأَمِّ أَنْوِفِ رُكْبَتَيْ بَيْنِ أَعْيُنٍ ! إِنَّمَا قَلَّمْتُ  
أُظْفَارِي عَنْكُمْ لَيْلَيْنِ مَسَى إِيَّاكُمْ ، وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ لَكُمْ إِذْ كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ ؛  
فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى الْأَمْراءِ وَالْعَتَبَ عَلَى السَّلَفِ وَالْخُلَفَاءِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَقْطَعَنَّ  
بُطُونَ الشَّيَاطِينِ عَلَى ظُهُورِكُمْ ! فَإِنْ حَسَمْتُ مُسْتَشِيرِي دَائِكُمْ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ  
وَرَائِكُمْ . فَكُمْ مِنْ عِظَةٍ لَنَا قَدْ صَمَتَتْ عَنْهَا آذَانُكُمْ ، وَزَجْرَةٍ مِنَّا قَدْ مَجَّتْهَا قُلُوبُكُمْ ؛  
وَلَسْتُ أَبْخُلَ عَلَيْكُمْ بِالْعَقُوبَةِ إِذَا جَدْتُمْ عَلَيْنَا بِالْمَعْصِيَةِ ، وَلَا مُؤَيِّسًا لَكُمْ مِنَ الْمَرَاةِجَةِ  
إِلَى الْحَسَنِ إِنْ صَرْتُمْ إِلَى التِّي هِيَ أَبَرُّ وَأَتْقَى .

وَمَنْ خَطَبَ زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ حِينَ قَدِمَ إِلَى الْبَصْرَةِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجَهْلَالَ  
الْجُهْلَاءَ ، وَالضَّلَالََةَ الْعُمَيَاءَ ، وَالغَيَّ الْمُوَفَّى بِأَهْلِهِ عَلَى النَّارِ مَا فِيهِ سُفْهَاءُكُمْ ، وَيَشْتَمِلُ  
عَلَيْهِ حُلُمَاءُكُمْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَلَا يَتَحَذَّرُ عَنْهَا الْكَبِيرُ ؛ كَأَنَّكُمْ  
لَمْ تَقْرَءُوا كِتَابَ اللَّهِ وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْعَذَابِ

(١) لعلَّ عامل أن محذوف والأصل فسا كان منه إلا أن الخ .

إلا مُسَارِقَةً إِلَيْهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَنَا أَكْثَرُ مِنْ ابْنِ الْخَطَّابِ عَدَدًا ، وَأَقْرَبُ نَاصِرًا وَأَجْدَرُ  
 إِنْ قَالَ هَلُمَّ أَنْ يُجَابَ . هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ حَقُوقِكُمْ وَأَعْطِيَاتِكُمْ شَيْئًا فَإِنِّي إِلَّا أَفْعَلُ  
 فِي الْفَضْلِ مَا أُرِيدُ فَلِمَ كُنْتُ إِمَامًا إِذَنْ ؟ أَمَا وَاللَّهِ مَا عَابَ عَلَيَّ مَنْ عَابَ مِنْكُمْ أَمْرًا  
 أَجْهَلَهُ وَلَا أَتَيْتُ الَّذِي أَتَيْتُ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ .

ومن خطب على كرم الله وجهه : حين بُويع بالخلافة : إِنْ اللَّهُ أَنْزَلَ كِتَابًا  
 هَادِيًا بَيْنَ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، تُخَذُوا بِالْخَيْرِ وَدَعُوا الشَّرَّ ، الْفَرَائِضُ أَذْوَاهَا إِلَى اللَّهِ  
 تُؤَدِّيكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ . إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ حُرْمًا غَيْرَ مَجْهُولَةٍ ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ  
 كُلِّهَا ، وَسَدَّدَ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حَقُوقَ الْمُسْلِمِينَ . فَاَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ  
 لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ ؛ لَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ ، فَأَذُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ ، وَخَاصَّةً  
 أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ . فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ وَأَنَا خَلْفُكُمْ السَّاعَةَ تُدَكِّرُكُمْ . تَخَفَّقُوا تَلَحُّقُوا ، فَإِنَّمَا  
 يَنْتَظِرُ بِالنَّاسِ أَنْحَرَاهُمْ . اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنْ  
 الْبِقَاعِ وَالْبِهَائِمِ ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ . وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخَذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ  
 الشَّرَّ فَدَعَوْهُ ، وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ .

ومن خطب الحسن بن علي رضي الله عنه : اعلموا أَنَّ الْحِلْمَ زِينُ ، وَالْوَقَارَ  
 مَوَدَّةٌ ، وَالصَّلَاةُ نِعْمَةٌ ، وَالْإِكْثَارُ صَافٌ ، وَالْعَجَلَةُ سَفَهٌ ، وَالسَّفَهُ ضَعْفٌ ، وَالْقَلَقُ  
 وَرُطَةٌ ، وَمَجَالَسَةُ أَهْلِ الدَّنَاءَةِ شَيْنٌ ، وَمُخَالَطَةُ أَهْلِ الْفُسُوقِ رِييَةٌ .

ومن خطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بصقين : أَيُّهَا النَّاسُ !  
 إِنَّ الْحَرْبَ صَعْبَةٌ ، وَإِنَّ السَّلَامَ مَنْ وَمَبَرَّةٌ ! أَلَا وَقَدْ زَبَنْتُنَا الْحَرْبُ وَزَبَّنَاهَا



حاسبه الله جل ثناؤه وأشدَّ حسابه، وأقلَّ عَفْوِهِ، وسترون بعدى مُلْكًا عَضُوضًا، وأمةً شَحَاحًا، ودَمًا مُبَاحًا؛ وإن كانت للباطل نَزْوَةً، ولأهل الحق جَوْلَةً، يَعْفُو لها الأثر وتموت الشَّنَنُ، فالزموا المساجدَ واستشيروا القُرَّاءَ<sup>(١)</sup>، وليكن الإبرامُ بعد التَّشاورِ، والصَّفْقَةُ بعد التناظرِ .

ومن خطب عمر رضى الله عنه: أيها الناس! إنَّه أتى على حينٍ وأنا أحسب أنَّ مَنْ قرأ القرآنَ إنما يريدُ اللهَ وما عنده؛ ألا وإنه قد خُيِّلَ إلى أن أقواما يقرءون القرآنَ يريدون ما عند الناس! ألا فأريدوا اللهَ بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم، فإنما كما نعرفكم إذ الوحيُ ينزلُ وإذ النبي صلى الله عليه وسلم بينَ أظهرنا، فقد رُفِعَ الرُّحى وذَهَبَ النبيُّ عليه السلام، فإنما أعرفكم بما أقولُ لكم: ألا فمن أظهر لنا خيرا ظَنًّا به خيرا وأثينا به عليه!، ومن أظهر لنا شرا ظَنًّا به شرا وأبغضنا به عليه!، أقَدَعُوا هذه النفوسَ عن شَهواتها، فإنها لَمَلِقةٌ، وإنكم إلَّا تَقْدَعُوهَا تَنزِعَ بكم إلى شَرِّ غَايَةٍ . إن هذا الحقُّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، وإن الباطلَ خَفِيفٌ وَبِئْسَ، وتركُ الخطيئةِ خيرٌ من مُعَالَجَةِ التَّوْبَةِ؛ ورُبَّ نَظَرَةٍ زَرَعَتْ شَهْوَةً، وشَهْوَةٍ سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْنَ طَوِيلًا! .

ومن خطب عثمان رضى الله عنه: وقد أنكروا عليه تقديمَ بَنِي أُمَيَّةَ على غيرهم: أما بعدُ فإنَّ لكلِّ شَيْءٍ آفَةٌ، وآفَةُ هذا الدِّينِ وعَاهَةٌ هذه المِلَّةِ قَوْمٌ عَيَّابُونَ، طَعَّانُونَ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ مَا تُحِبُّونَ، وَيُخْفُونَ مَا تُكْرَهُونَ . أما والله يامعشرَ المهاجرين والأنصار! لقد عَيْبْتُمْ عَلَى أَشْيَاءَ وَنَقَمْتُمْ مَنَى أُمُورًا قد أَقَرَّرْتُمْ لَابْنِ الْخَطَّابِ بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُ وَقَمَكُمْ وَقَمًا، وَدَمَغَكُمْ حَتَّى لَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِثْلًا بِصَرِّهِ مِنْهُ وَلَا يُشِيرُ بِطَرَفِهِ

(١) كذا في الأصول بالشين المعجمة ولعله تصحيف عن الثاء المثلثة ففي اللسان وثور القرآن بحث عن مانيه وعن علمه . وأورد في ذلك حديث عبد الله أنبأوا القرآن فان فيه خير الأولين والآخرين . وحديثا آخر . من أراد العلم فليجتهد القرآن . (٢) في غير هذا الكتاب وقعكم والقمع والدفع القهر والإذلال

قال صاحب الأوائيل : ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يُعْرَضُ هذا الكلام يوم القيامة على قُسِّ بن ساعدة فإن كان قاله الله فهو من أهل الجنة .

ومن ذلك خطبة أبي طالب حين خطب النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وهى : الحمد لله الذى جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمنا . ثم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أحنى من لا يوازن بأحد إلا ربحه ، ولا يعدل بأحد إلا فضله ، وإن كان فى المال قل فإن المال ظل زائل ، وله فى خديجة رغبة ولها فيه مثلها ، وما كان من صداق فنى مالى ، وله نبال عظيم وخبر شائع . .

ومن خطب النبي صلى الله عليه وسلم ”أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى تُسبِّح من الأموات سافر عما قليل إلينا راجعون ، نبؤهم أجداثهم ، ونأكل من تراثهم كأننا مخلدون بعدهم ، ونسبنا كل واعظة وأميناً كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالا آكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته ، وطابت سيرته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة !“

ومن خطب أبى بكر الصديق رضى الله عنه فيما ذكره أبو جعفر النحاس فى ”صناعة الكتاب“ وهى : ألا إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك ، الملك إذا ملك زهده الله جل وعز فيما عنده ، ورغبه فيما فى يده غيره ، وانتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه الإشفاق ، وإذا وجهت نفسه ، ونضب عمره وصح ظله ،

هَلِكْ رَجَعْ ، أَوْ مَيِّتًا تُثِيرُ ، الدارَ أَمَامَكُمْ وَالظَّنَّ خِلَافَ مَا تَقُولُونَ ، زَيْنُوا حَرَمَكُمْ وَعِظْهُمُوهُ ،  
وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تُفَارِقُوهُ ، فَمَسِيَّتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَسَيُخْرِجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ . ثم قال :  
نَهَارُ لَيْلٍ وَأَخْتِلَافُ حَوَادِثٍ \* سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا  
يَتُوبَانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْتِيَا \* وَبِالْنِّعَمِ الضَّائِفِ عَلَيْنَا سُتُورُهَا  
صُرُوفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقَابَ أَهْلُهَا \* لَهَا عُقْدٌ مَا يَسْتَجِيلُ مَرِيرُهَا  
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ \* فَيُخْبِرُ أَخْبَارًا صَدُوقًا خَيْرُهَا  
ثم قال :

يَا لَيْتَنِي شَهِدْتُ خَوَاءَ دَعْوَتِهِ ! \* حِينَ الْعَشِيرَةِ تَبْنِي الْحَقَّ خِذْلَانَا  
وَمِنْ ذَلِكَ خُطْبَةُ قُسٍّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيَّ ، بِسُوقِ عُكَاظَ فِيمَا ثَقَلَهُ أَصْحَابُ  
السَّيْرِ عَنْ إِبْخَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ وَهِيَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْمَعُوا وَعَوَا ، مِنْ  
عَلَشٍ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هَوَاتِ آتَ ، لَيْلٌ دَاجٍ ، وَنَهَارٌ سَاجٍ ، وَسَمَاءٌ  
ذَابَتْ أَبْرَاجُهَا ، وَنُجُومٌ تَزْهَرُ ، وَبَحَارٌ تَزْخَرُ ، وَجِبَالٌ مُرْسَاهُ ، وَأَرْضٌ مُدْحَاهُ ، وَأَنْهَارٌ مُجْرَاهُ .  
إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا ! مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ .  
أَرْضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوا . يُقْسِمُ قُسٌّ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا إِثْمَ فِيهِ إِنْ لَمْ يَدِينَا هُوَ أَرْضِي  
لَهُ وَأَفْضَلُ مِنْ دِينِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ؛ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْكَرًا ! . وَيُرْوَى أَنَّ  
قُسًّا أَنْشَأَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ  
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا \* لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ  
وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا \* تَمْضِي : الْأَكْبَرُ وَالْأَصَاغِرُ  
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَى وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَايِرُ  
أَيَقْنَسْتُ أَنِّي لَا مَحَا \* لَهُ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

الكلام أكثر مما تكلمت به من الموزون إلا أنه لم يحفظ من المنشور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره. لأن الخطيب إنما كان يخطب في المقام الذى يقوم فيه في مشافهة الملوك، أو الحالات، أو الإصلاح بين العشائر، أو خطبة النكاح؛ فإذا آنقضى المقام حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه. بخلاف الشعر فإنه لا يضيع منه بيت واحد. قال: "ولولا أن خطبة قُتِّ بن ساعدة كان سندها مما يتنافسها الأنام، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى رواها عنه فأطارد كرها، ما تميزت عما سواها".

قلت: وليس ما أشار إليه لرفض النثر عندهم وقلة اعتنائهم به؛ بل لسهولة حفظ الشعر وشيوعه في حاضرهم وباديهم، وخاصتهم وعامتهم؛ بخلاف الخطابة فإنه لم يتعاطها منهم إلا القليل النادر من الفصحاء المصاقيع؛ فلذلك عز حفظها، وقلة نقلها. وقد كانت تقوم بها في الجاهلية سادات العرب، ورؤسائهم ممن فاز بقدر الفضل، وسبق إلى درى المجد، ويحصىون ذلك بالموافق الكرام، والمشاهد العظام، والمجالس الكريمة، والجامع الحفيلة، فيقوم الخطيب في قومه فيحمد الله ويثني عليه. ثم يذكر ما سنع له من مطابق قصده وموافق طلبه: من وعظ يذكر أو نفر أو إصلاح أو نكاح، أو غير ذلك مما يقتضيه المقام.

فمن خطبهم في الجاهلية خطبة كعب بن لؤى جد النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكره أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل. وهى: اسمعوا وعوا، وتعلموا وتعلموا، وتفهموا تفهموا، ليل ساج. ونهار صاج، والأرض مهاده، والجبال أوتاده، والأولون كالآخرين، كل ذلك إلى بلاء، فصلوا أرحامكم، وأصلحوا أموالكم، فهل رأيتم من

(١) لعله ضاح من قولهم ضج القوم يضحون إذا صاحوا وجلبوا. وفي الضوء ليل داج ونهار ساج تأمل



وكما قال الشيخ جمال الدين بن نباتة من جملة توقيع لبعض مدرسي الشام :  
 ”ولأنه الحافظ الذي أحيا ذكر ابن نُقْطَةَ بعد ما دارت عليه الدوائر، وأغنى وحده  
 دمشق عن أُنَى في النسب بعساكر“ .

### النوع الثامن

(الإكثار من حفظ خُطَب البلقاء، والتفنن في أساليب الخطباء، وفيه مقصدان)

### المقصد الأول

(في وجه احتياج الكاتب إلى ذلك)

قال أبو جعفر النحاس : ”وهي من آكد ما يحتاج إليه الكاتب، وذلك ان  
 الخطب من مستودعات سرّ البلاغة، ومجامع الحكم، بها تفاعرت العرب  
 في مشاهدهم، وبها نظقت الخلفاء والأمراء على منابرهم، بها يتميز الكلام، وبها  
 يُخاطب الخاص والعام، وعلى منوال الخطابة تُسجّت الكتابة، وعلى طريق الخطباء  
 مشيت الكُتّاب . وقد قال أبو هلال العسكري رحمه الله في ”الصناعتين“ : والرسائل  
 والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية، وقد يتشاكلان أيضا  
 من جهة الألفاظ والفواصل، فالفاظ الخطب تشبه ألفاظ الكُتّاب في السهولة  
 والعدوية، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل . قال : ”والفرق بينهما  
 أن الخطبة يُشافه بها بخلاف الرسالة، والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة  
 في أيسر كلفة“ .

واعلم أنه كان للعرب بالخطب والنثر غاية الاعتناء حتى قال صاحب ”الريحان  
 والريعان“ : إن ما تكلمت به العرب من أهل المدّر والوبر من جيّد المنشور ومزْدوج

كالبخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي وغيرهم : ليورد ما يحتاج إليه من ذلك في غُضُون كلامه عند احتياجه إليه في كتابة ما يتعلق بذلك من توقيع محدث ونحوه كما قال في "التعريف" في وصية لمحدث في قسم الوصايا من الكتاب "وقد أصبح بالسنة النبوية مُضْطَلَعًا ، وعلى ما جمعه طُرُق أهل الحديث مُطَّلَعًا ، وصح الصحيح أن حديثه الحسن ، وأن المرسل منه في الطلب مقطوع عنه كل ذي لسن . وأن مُسْنَدَه هو المأخوذ عن العوالى ، وسماعه هو المرقص منه طول الليالى . وأن مثله لا يوجد في نسبة المُعْرَق ، ولا يُعرَف مثله للحافظين : ابن عبد البر بالمغرب وخطيب بغداد بالمشرق . وهو يعرف مقدار طلب الطالب فإنه طال ما شدَّ له النطاق ، وسعى له سعيه وتجشَّم المشاق . ورحل له يشتد به حرصه والمطايا من مومه ، ويُنبِّهه له طلبه والجُفُونُ مُقْفَلَةٌ والعيون مَهْمُومَةٌ . ووقف على الأبواب لا يُضْجِرُهُ طول الوقوف حتى يؤذَنَ له في ولُوجها ، وقعد القُرُفْصَاءَ في المجالس لا يَضِيقُ به فُرُوجُها . فليعامل الطلبة إذا أتوه للفائدة معاملة من جرب ، وليبسُطْ للاقرباء منهم ويؤنس الغرباء فما هو إلا ممن طلب آوَنَةً من قريب وآوَنَةٌ تغرب . وليُسْفِرْ لهم صباح قصده عن النجاح ، وليفْتَقِ لهم من عُقُوده الصباح ، وليوضح لهم الحديث ، وليُرِّحْ خواطرهم بتقريبه ما كان يسار إليه السَيْرُ الحديث ، وليؤتِهم مما وسَّع الله عليه فيه المجال ، ويعلمهم ما يجب تعليمه من المُتُونِ والرجال ، وليبصِّرهم بمواقع الجرح والتعديل ، والتوجيه والتعليل ، والصحيح والمعتل الذي تنتثر أعضاؤه سَقَمًا كالغليل . وغير ذلك مما لرجال هذا الشأن به عناية ، وما يُتَقَبَّ فيه عن دراية أو يُقْنَع فيه بمجرد روايه . ومثله ما يزداد حلما ، ولا يعترف بمن رخص في حديث موضوع أو كتم علما . وسيأتى ذكر هذه الوصية في موضعها إن شاء الله تعالى .

حَرَّهَا مِنَ الْخَطْفَةِ، وَلَا تُقَلِّتْ حُمَاهَا إِلَى الْجَحْفَةِ. أَخَذَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَنْ صَبَرَ عَلَى حَرِّ مَكَّةَ وَلَأَوَاءِ الْمَدِينَةِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ". وَالْمَعْنَى الثَّانِي مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ لِلْمَدِينَةِ: "اللَّهُمَّ حَبِّبْهَا إِلَيْنَا كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجَحْفَةِ". وَرُشِّحَ ذَلِكَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ حَيْثُ قَالَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَأْمَنُونَ مِنَ الْخَطْفَةِ وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي وَصْفِ كَرِيمٍ، وَهُوَ: "فَأَغْنِي بِجُودِهِ إِغْنَاءَ الْمَطَرِ، وَسَمَّى إِلَى الْمَعَالِي سُمُو الشَّمْسِ وَسَارَ فِي مَنَازِلِهَا مَسِيرَ الْقَمَرِ. وَنَتَجَّ مِنْ أَبْكَارِ فُضَائِلِهِ مَا إِذَا أَدَّاهُ غَيْرُهُ قِيلَ لِلْعَاهِرِ الْجَرَّ". أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْجَرَّ". إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقْتَبَسَاتِهِ الْمُسْتَكْثَرَةِ، وَاسْتِنْبَاطَاتِهِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ قَاصِرَةٍ وَلَا مُسْتَنَكِرَةٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ أَنَا فِي الْمَفَاخِرَةِ بَيْنَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ، وَهُوَ: "وَبَدَأَ الْقَلَمُ فَتَكَلَّمَ، وَمَضَى فِي الْكَلَامِ بِصَدَقِ عَزَمٍ فَمَا تَوَقَّفَ وَلَا تَلَاعَمَ؛ فَقَالَ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَسْتَفْتِحُ، وَبِحَمْدِهِ أَتَيْمُنُ وَأَسْتَنْجِحُ؛ أَذْمَنْ شَأْنِي الْكَتَابَةِ، وَمَنْ قَتَى الْخَطَابَةَ، وَكُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَجْدَمُ، وَكُلُّ كَلَامٍ لَا يُفْتَتَحُ بِحَمْدِ اللَّهِ فَاسَاسُهُ غَيْرُ مُحْكَمٍ". أَخَذْتُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِاسْمِ اللَّهِ أَوْ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْدَمُ" عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ فِي ذَلِكَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى حِفْظِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ بِطَرِيقِ الذَّاتِ لِلْإِسْتِشْهَادِ بِهَا، وَالْإِقْتِبَاسِ مِنْ مَعَانِيهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ: كَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِأَنْوَاعِ الْحَدِيثِ وَأَقْسَامِهَا: كَالصَّحِيحِ، وَالْحَسَنِ، وَالْمُرْسَلِ، وَالْمَرْفُوعِ، وَالْمُسْنَدِ، وَالْمُتَّصِلِ، وَالْمُنْقَطِعِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ الْمَعْرِفَةُ بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ، وَالْمَشَاهِيرِ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ:

فمن ذلك قوله في دعاء كتاب : ”أعاذ الله أيامه من الغير، وبين بخطر مجده نقص كل خطر . وجعل ذكره زاداً لكل ركب، وأنساً لكل سمر . ومنحه من فضله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر“ . أخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم في وصف نعيم الجنة ” فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر“ فنقله إلى الدعاء .

ومن ذلك ما ذكره في النصر على العدو في مواطن القتال، وهو : ”أخذنا بسنة رسول الله في النصر الذي نرجوه ، ونبدنا في وجه العدو كفاً من التراب وقلنا شأهت الوجوه، فثبت الله ما تزلزل من أقدامنا، وأقدم حيزوم فأغنى عن إقدامنا“ . أخذ المعنى الأول من حديث غزوة حنين وأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ قبضة من التراب وألقى بها في وجوه الكفار وقال : ”شأهت الوجوه“ . وأخذ المعنى الثاني من حديث غزوة بدر : وذلك أن رجلاً من المسلمين لاقى رجلاً من المشركين وأراد أن يضربه فخر على الأرض ميتاً قبل أن يصل إليه ، وسمع الرجل المسلم صوتاً من فوقه وهو يقول أقدم حيزوم بخاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : ”ذلك من مدد السماء الثالثة“ .

ومن ذلك ما ذكره في ضيق مجال الحرب، وهو : ”وضاق الضرب بين الفريقين حتى اتصلت مواقع البيض الذكور، وتصاحت الغرر بالغرر والصدور بالصدور . واستظل حينئذ بالسيوف لأشباك مجالها وتبوتت مقاعد الجنة التي هي تحت ظلالها“ . أخذ ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم ” الجنة تحت ظلال السيوف“ .

ومن ذلك ما ذكره في وصف بعض البلاد الوعجة ، وهو : ”ومن صفاتها أنها مدرة مستوبلة الطينه، مجموع لها بين حرمكة ولأواء المدينه . إلا أنها لم يؤمن



ثم تضمين الكلام شيئاً من الأحاديث على ما تقدم في القرآن الكريم؛ فينقسم إلى الاستشهاد والاقتباس على ما تقدم .

فأما الاستشهاد فهو أن يضمّن الكلام شيئاً من الحديث ، وينبه عليه : كقول أبي إسحاق الصائبي في وصية عهد من خليفة لسلطان : وأن يقوم بما يعقده الرجل من عرض المسلمين ، فإن ذمته ذمة جميع المؤمنين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الْمُسْلِمُونَ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدَّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ” .

وكما كتب بعض الكتاب في صدر كتاب لديوان الخلافة : والحمد لله على أن صار إلى أمير المؤمنين ميراث الطاهرين من آباءه ، وخصّه بما حازله من جزيل الفضل وجبائه ، وحقق للدولة العباسية وعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول لعنه العباس رضوان الله عليه ” أَلَا أَبْشُرُكَ يَا عَمَّ ! بِخُتِمِ النَّبُوءَةِ وَبِوَلَدِكَ يُخْتَمُ الْخِلَافَةُ “ . وكقوله من عهد آخر : وأمره أن يضع الرصد على من يختار في الحالة من أباقي العبيد ، والأحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم : إلى أن قال وأن يعرفوا اللقط ويتبعوا أثرها ، ويشيعوا خبرها ، فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها ، سلمت إليه ، ولم يعترض فيها عليه . والله جل وعز يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ” ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقَ النَّارِ “ إلى غير ذلك من الاستشهادات .

وأما الاقتباسات فهو أن يضمّن الكلام شيئاً من الحديث ولا ينبّه عليه . فمن ذلك ما ذكره الحريري في مقاماته من قوله : وكتمان الفقر زهاده ، وانتظار الفرج بالصبر عباده . وقوله : شأيت الوجوه ، وقبح اللعن ومن يرجوه . وقد أكثر الوزير ضياء الدين بن الأثير من هذا الباب .

أحقَّ بعلمته وصاحب الرسن أحقَّ برسنه . وكنت سمعتُ بكاتب من الكُتَّاب كلمه إلى غثائه ، وقلمه بغائه لا يستنسر وأى بطش لبغائه . وإذا وجب الضوء على غيره بالخارج من السيليين ، وجب عليه من سُبُل ثلاثه . هذا وهو يدعى أنه في الفصاحة أمّة وحده ، ومن قس إياي أو سخبان وائل عنده ، وإذا كُشف خاطره وجد بليدا لا يخرج عن العمه والكه وإن رام أن يستنجه في حين من الأحيان قضى عليه بغرة عبد أو أمه ، وكثيرا ما يتقدم ونقيصته هذه على الأفاضل من العلماء ، وقد صار الناس إلى زمان يعلو فيه حضيض الأرض على هام السماء . فلما أوردته عليه ، ظهرت أمارة الحسد على صفحات وجهه مع إعجابه به واستغرابه فيه إياه .

ثم قال : وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث وهو "لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال" فهذا أين يستعمل من المكاتب ؟ فترويت في قوله ترويا يسيرا ثم قلت : هذا يستعمل في كتاب إلى ديوان الخلافة ، وأملت عليه الكتاب ، بخاء هذا الحديث في فصل منه ، وهو : "إذا أفاض الخادم في وصف ولّائه ، نكصت همم الأولياء عن مقامه ، وعلموا أنه أخذ الأمر بزمامه ، فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والإيمان ، فهذا يظهر أثره في طاعة السر وهذا في طاعة الإعلان ؛ وما عداهما فإن دخوله إلى قلبه من الأشياء المحظورة ، والملائكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة ، فليعول الديوان العزيز منه على سيف من سيوف الله يفرى ، بلاضارب ؛ وييسرى ، بلا حامل ؛ ولا يسأل الا بيد حق ، ولا يغمد إلا في ظهر باطل . وليعلم أن كرشه وعيبتة في تضمّن الأسرار ، وأنه أحد سعديه إذا عدت مواقف الأنصار . فلما رأى هذا الفصل بهت له وتعجب منه . قال : ولم أقنع بإيراد الحديث الذي ذكر حتى أضفت إليه حديثا آخر ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : "الأنصار كرشى وعيبتى" .

درسه وحفظه فهو المراد لأن مالا تحفظه فلست منه على ثقة ؛ وإن كان لك محفوظات كثيرة : كالقرءان الكريم ، ودواوين كثيرة من الشعر ، وماورد من الأمثال السائرة ، وغير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه وما يأتي ذكره ، فعليك بمداومة المطالعة للأخبار ، والإكثار من استعمالها في كلامك ، حتى ترتقم على خاطرك فتكون إذا احتجت منها إلى شئ وجدته ، وسهل عليك أن تأتي به آرتجالاً ؛ فأمل ذلك وأعمل به . ثم قال وكنت جردت من الأخبار النبوية كتاباً يشتمل على ثلاثة آلاف خبر تدخل كلها في الاستعمال ، وما زلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين ، فكنت أنهي مطالعته في كل أسبوع مرة حتى دار على ناظري وخاطري مايزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظاً لا يشذ منه غنى شئ .

### المقصد الثاني

( في بيان كيفية استعمال الأحاديث والآثار في الكتابة )

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير ”وأعلم أن أكثر الأحاديث تدخل في الاستعمال ، ولا يخرج عنه إلا القليل النادر ، ولقد دار بيني وبين بعض علماء الأدب في هذا الأسلوب كلامٌ فاستوعره وأستنكره ، وقال : هذا لا يتهيأ إلا في الشئ اليسير من الأخبار النبوية - فقلت لا ؛ بل يتهيأ في الأكثر منها - فقال قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : ”أَنَّهُ أَخْتُصِمَ إِلَيْهِ فِي جَنِينٍ فَقَضَىٰ عَلَىٰ مَنْ أَسْقَطَهُ بَغْرَةً عَبْد أَوْ أَمَةٌ“ فأين تستعمل هذا ؟ فأفكرت فيما ذكره ، ثم أنشأت هذا الفصل من الكلام ، وأودعته فيه وهو : ”قد كثُرُ الجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان جاهل وضرب المثل بباقل وكَم في هذه الصورة المثلثة من باقل ، ولو عرف كل إنسان قدره لما مثني بدنٌ إلا تحت رأسه ، ولا آنتصب رأسٌ إلا على بدنه ، ولكان صاحبُ العمامة

يَغْلُقُ الرِّهْنُ<sup>(١)</sup> . وَالْمِنَحَةُ مُرَدُودَةٌ . وَالْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ . وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ . وَلَا وَصِيَّةٌ لَوَارِثٍ . وَلَا قَطْعٌ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثَرٍ . وَلَا قَوْدٌ إِلَّا بِحَدِيدَةٍ . وَالْمَرْأَةُ تُعَاقَلُ الرَّجُلَ إِلَى ثَلَاثِ دِيَّتِهَا . وَلَا تَعْقِلُ الْعَاقِلَةُ عَمْدًا وَلَا عَبْدًا وَلَا صُلْحًا وَلَا اعْتِرَافًا . وَلَا طَلَاقٌ فِي إِغْلَاقٍ ، وَالْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا . وَالْجَارُ أَحَقُّ بِصَقْبِهِ . وَالطَّلَاقُ بِالرِّجَالِ وَالْعِدَّةُ بِالنِّسَاءِ . وَكُنْهِيهِ فِي الْبَيْعِ عَنْ الْمُخَابَرَةِ وَالْحَاقِلَةِ ، وَالْمِزَانَةِ ، وَالْمُعَاوَمَةِ ، وَالثَّنْيَا ، وَعَنْ رِبْحٍ مَا لَمْ يُضْمَنْ ، وَعَنْ بَيْعٍ مَا لَمْ يُقْبَضْ ، وَعَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ ، وَعَنْ شَرْطَيْنِ فِي بَيْعٍ ، وَعَنْ بَيْعٍ وَسَلَفٍ ، وَعَنْ بَيْعِ الْغُرْرِ وَبَيْعِ الْمُوَاصِفَةِ ، وَعَنْ الْكَالِيِّ بِالْكَالِيِّ ، وَعَنْ تَلَقُّي الرِّبْكَانِ . وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لِيُغْنِيَ بِحِفْظِهَا وَتَدْبِيرِ مَعَانِيهَا عَنْ إِطَالَاتِ الْفُقَهَاءِ ” .

قلت : والتحقيق أن حاجة الكاتب لا تختص بأحاديث الأحكام ودلائل الفقه ، بل تتعلق بما هو أعم من ذلك خصوصاً الحكم والأمثال والسير وما أشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به في الكتابة والاقتباس من معانيه . قال في ” المثل السائر ” : وينبغي أن يكون أول ما يحفظه من الأخبار ما تضمنه كتاب ” الشهاب في المواعظ والآداب ” للقضاعي ، فإنه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لأنه يتضمن حكماً وآداباً ، فإذا حفظته وتدرّبت باستعماله ، حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل ؛ وعند ذلك تتصفح كتاب صحيح البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، والترمذي ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وغيرها من كتب الحديث ؛ وتأخذ ما تحتاج إليه ، و” أهل مكة أخبر بشعائرها ” . قال : والذي تأخذه إن أمكنك

(١) الحديث في المصباح لا يغلق الرهن بما فيه . أي لا يستحقه المرتهن بالدين الذي هو



والأحكام ، وتأمل فصاحتها ، والنظر في معرفة معانيها وغريبها ، وفقه مالا بدَّ من معرفته من أحكامها لينفق منها على سعة ، ويستشهد بكل شيء في موضعه ، ويحتج بمكان الحجّة ، ويستدلّ بموضع الدليل ، ويتصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه ، ويبني كلامه على أصل لا يُزَلُّ ، ويسوق مقاصده إلى سبيل لا يضل عنه ، فإن الدليل على المقصد إذا استند إلى النص قويت فيه الحجّة ، وسلم له الخصم ، وأذعن له المعاند ، والفصاحة والبلاغة إذا طُلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم وقال : ”أنا أفصح من نطق بالضاد“ .

وقد كان الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم يحتاجون بالحديث ، ويستدلون به في مواطن الخلاف والنزاع ، فينقاد الجموح ويستسهل الصَّعب ، وقد رجع الأنصار يوم السَّقِيفَة إلى حديث ”الأئمة من قُرَيْش“ حيث رواه لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وأذعنوا له ، وبايعوه بعد ما اجتمعوا إلى سعد بن عبادة وقالوا : ”منا أميرٌ ومنكم أميرٌ“ . على ما سيأتى بيانه في موضعه ان شاء الله . ورجع عمر رضى الله عنه لحديث النهى عن دُخُول بلد الطاعون فعاد إلى المدينة بعد أن قارب الشام حين بلغه أن به الطاعون . وقال على رضى الله عنه في حق الأنصار : ”لو زالوا لزلت معهم“ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أزول معكم حيث ما زلتم“ .

ثم الذى أشار إليه ابن قتيبة في ”أدب الكاتب“ أن الأحاديث التى ينبغى للكاتب حفظها الأحاديث المتعلقة بالفقه وأحكامه : كقوله صلى الله عليه وسلم : ”الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعَى . وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ . وَالْخَرَجُ بِالضَّمان . وَجُرْح الْعَجْء جُبَار . وَلَا

مطابقاً لذلك كما قال في "التعريف" في وصية مقرر في القسم الثالث من الكتاب :  
 وليدُمْ على ما هو عليه من تلاوة القرآن ، فإنه مصباح قلبه . وصَلاح قُربه ، وصَباح  
 القبول المؤذن له برضا ربه ؛ وليجعل سُوره له أسواراً ، وآياته تظهر بين عينيه  
 أنواراً . وليتل القرآن بحروفه وإذا قرأ استعاذ ، وليجمع طُرقه وهى التى عليها الجمهور  
 ويترك الشواذ . ولا يرتد دون غاية لإقصار ، ولا يتف فبعد أن أتم لم يبق بحمد الله  
 إحصار ، وليتوسع في مذاهبه ولا يخرج عن قراءة القراء السبعة أئمة الأمصار ، وليبذل  
 للطلبة الرِّغاب ، وليُشبع فإن ذوى النِّهمة سِغَاب . وليُر الناس ما وهبه الله من  
 الاقتدار ، فإنه آحتضن السَّبع ودخل الغاب ، وليتم مَباني ما أتم ابن عامر وأبو عمرو  
 له التعمير ، ولَفَه الكسائى فى كسائه ولم يقل جدى ابن كثير ، وحُمَّ به لحمة أن يعود  
 ذاهب الزمان ، وعرف أنه لا عاصم من أمر الله يلجأ معه إليه وهو الطُّوفان ، وتدفق  
 يتفجر علماً وقد وقفت السيول الدوافع ، وضراً أكثر قراء الزمان لعدم تفهيمهم  
 وهو نافع ؛ وليُقيل على ذوى الإقبال على الطلب ، وليأخذهم بالتربية فما منهم إلا  
 من هو إليه قد أنتسب . وهو يعلم مأمَن الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النِّماء ،  
 ووصل سببه منه بحبل الله الممتد من الأرض إلى السماء . فليقدر حق هذه النعمة  
 بحسن إقباله على التعليم ، والإنصاف إذا سئل فعلم الله لا يتناهى وفوق كل ذى علم عليم .

### النوع السابع

(الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام وفيه مقصدان)

### المقصد الأول

( فى بيان وجه احتياج الكاتب إلى ذلك )

قال فى "حسن التوسل" لابد للكاتب من حفظ الكثير من الأحاديث النبوية ،  
 والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم ؛ وخصوصاً فى السير ، والمغازي ،

عن يوسف عليه السلام ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ . فقال في دعاء كتاب : وصل كتاب من الحضرة السامية أحسن الله أثرها ، وأعلى خَطرَها ، وقضى من العلياء وطَرَّها ، وأظهر على يديها آيات المكارم وسُورَها ، وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقمرها . ثم أبرزه في معنى آخر فقال أكرمُ النعم ما كان فيه ذكرى للعابدين . وتقدمه إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . فهذه النعمة هي التي تأتي بتيسير العسير . وتجلبو ظلمة الخطب بإيضاح المنير . فأنظر إلى أثر رحمة الله كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ثم نقله إلى معنى آخر فقال من تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء : وقد علم أن أمير المؤمنين أدنى مجلسه من سمائه ، وآنسه على وحدة الأفراد بحُفْل نَعَائِهِ . ورفعته حتى ودَّت الشمس لو كانت من أترابه والقمر لو كان من نُدَمَائِهِ . وذلك مقام لا تستطيع الجُودود أن ترقى إلى رتبته . ولا الآمال أن تَطُوفَ حول كعبته ، ولا الشَّفاة أن تتشرف بتقريب رُتَبَتِهِ . فليزدد إعجابا بما نالته من مواطئ أقدامه ، ولينظر إلى سجود الكواكب له في يَقْظَتِهِ لا في منامه .

قال في "حسن التوسل" والناس في استخراج المعاني من القرآن الكريم، وأستعمالها في الكلام على قدر طبقاتهم وتفاوت درجاتهم . فمفرط في الحسن ومفرط وفوق كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

قلت : وكما يحتاج الكاتب إلى حفظ كتاب الله تعالى والعلم بتفسيره ليقبض من معانيه كذلك يحتاج إلى معرفة العلوم المختصة به كالعلم بالقراءات السبع والشواذ، ومعرفة رجالها ، ومن اشتهر منهم وعرف بجودة القراءة ، ومعرفة أعيان المفسرين وروء وسهم ؛ ليمائل بأفاضلهم ويقايس بأعيانهم ؛ في خلال ما يعرض له من الكلام

وقولى فى المفارقة بين السيف والقلم فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :  
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قامت بنصرتهم دولة الإسلام فسمت بهم على  
 سائر الدول . وكرعت فى دماء الكفر سيوفهم فعدت بخلوق النصر لا بحجرة المنجل .  
 صلاة ينقضى دون آنقضائها تعاقب الأيام . وتكلل السنة الأفلام عن وصفها  
 ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام .

وربما أقصر على التلويح والإشارة خاصة : كقول القاضى الفاضل فيما كتب به  
 عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الديوان العزيز ببغداد فى الاستصراخ  
 وتمويل أمر الفرنج : رَبِّ ابْنِ لِي أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ، وهاهى فى سبيلك مبدوله ،  
 وأنى وقد هاجر إليك هجرة يرجوها مقبولة .

وقول ضياء الدين بن الأثير فى وصف غبار الحرب : وعقد العجاج سقفا فانعقد .  
 وأرانا كيف رفع السماء بغير عمد . غير أنها سماء بُنيت بسنابك الجياد . وزينت  
 بنجوم الصّعاد . ففيها ما يُوعَد من المنايا لا ما يُوعَد من الأرزاق . ومنها تُقَدَف  
 شياطينُ الحرب لاشياطينُ الاستراق .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله : ”والطريق فى أستنباط المعانى من  
 القرآن الكريم وأستعمال الآيات فى خلال الكلام أن تعمد إلى سورة من القرآن ،  
 وتأخذ فى تلاوتها وكلما مرّ بك معنى أثبتته فى ورقة مفردة حتى تنتهى إلى آخرها ؛  
 ثم تأخذ فى استعمال تلك المعانى التى ظهرت وإدخالها فى خلال الكلام وكلما عاودت  
 التلاوة وكررتها ظهر لك من المعانى ما لم يظهر لك فى المرة التى قبلها “ .

ولتعلم أن الآية الواحدة قد تقع فى الاستعمال على عدة وجوه . يورده الناصر  
 فى معنى ثم ينقله لمعنى آخر غيره كما فعل ضياء الدين بن الأثير فى قوله تعالى حكاية



يقف دون الرجال مغمورا . ويقعد عن نيل المعالي محسورا . وإذا أدركته منيته مضى وكأنه لم يكن شيئا مذكورا \* وقوله في وصف كاتب : له بنت فكر ماتمخضت بمعنى إلا أنجبته من غير ما تمهله . ( وأتت به قومها تمهله ) . ولم تعرض على مالا من البلاء إلا ألقوا أقلامهم أيهم يستعيره لا أيهم يكفله .

وقول الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي من عهد لسلطان : وجمع بك شمل الأمة بعد أن كاد يزيغ قلوب فريقي منهم ، وعضدك لإقامة إمامته بأولياء دولتك الذين رضى الله عنهم ، وخصك بأنصار دينه الذين نهضوا بما أمروا به من طاعتك وهم فارهون ( وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ) وقوله من عهد السلطان الملك المنصور لاجين : وجعل عدوه وإن أعرض بجيوش الرعب محصورا . وكفاه بالنصر على الأعداء التوغل في سفك الدماء ( فلم يسرف في القتل إنه كان منصورا ) . وقوله في خطبة صداق في وصف نكاح : وأحيا به الأئم وقد قضى دينهم . وجمع بين متفرقين ( لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ) . وقوله من توقيع بامامة صلاة : وليعلم أنه في المحراب مناجيا لربه . واقفا بين يدي ( من يحول بين المرء وقلبه ) .

وقولى في خطبة هذا الكتاب في الإشارة إلى فتح الديار المصرية : فتوجهت إليها عزائم الصحابة زمن الفاروق بحاسوا خلال الديار ، وعمرها وسهلها . واقتطعتها أيدي المسلمين من الكفار ، وكانوا أحق بها وأهلها . وقولى في المقامة المتقدمة الذكر : قال إذن قد تعلقت من الصنعة بأسبابها . وأتيت البيوت من أبوابها . وقولى فيها : قلت قد بانت لى علومها . فما رؤسومها ؟ - قال إن أعباءها لباهظة حملا . وإنها لكيرة إلا . ولكن سأحدثك لك ذكرا . وأنبئك بما لم تحط به خبرا .

الثانى - الاقتباس وهو أن يضمّن الكلام شيئا من القرآن، ولا ينبه عليه :  
كقوله فى خطبة "التعريف" : نحمده على فواضل زادت محاسن العلوم . وعرفت  
تفاوت درجات الأولياء اذ قالوا ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَٰهَةٌ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ . وقوله بعد ذلك :  
وسماء الشيببة بضحي المشيب قد تجلّت ، والنفس قد ﴿ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَجَلَّتْ ﴾ .

وقول ابن نباتة السعدى فى بعض خطبه : فى أيها الغفلة المطرِقون . أما أنتم  
بهذا الحديث مُصَدِّقُونَ . مالكم لا تسمعون . ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ  
مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ . وقوله يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ، ويجعل الظالمين  
لنار جهنم وقودا . يوم تكونوا <sup>(١)</sup> شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .  
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا  
وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

وقول غيره : اتظنون أنكم دون غيركم مخلّدون ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ  
تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقول الحريرى : فلم يكن إلا ﴿ كَلِمَاحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَب ﴾ . حتى أنشد فأغرب .  
وقوله : ﴿ أَنَا أَنبَأُكُمْ بِنَآئِهِ ﴾ . وأميز صحيح القول من عليه .

وقول ضياء الدين بن الأثير فى فصل من كتاب فى مدح الجود وذم البخل :  
وقد علم أن المال الذى يُحْتَرَن ، كالماء الذى يُحْتَقَن ، فكما أن هذا يَأْجُنُ بتعطيل  
الأيدي عن امتياح مَشارِبه . فكذلك يَأْجُنُ هذا بتعطيل الأيدي عن أمتناع <sup>(٢)</sup>  
مَواهبه . وأى فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تُملك به القلوب . وتفلّ به الخطوب .  
ويُرْكَب به ظهر العزم الذى ليس برُكوب ؛ ومن بسط يده فيه ثم قبضها مُجْلُهُ ، فإنه

(١) فى الضوء . ثم تكونون شهداء الخ

(٢) لعله امتناع بالخاء المهملة .

قلت حَسْبُكَ قد دلني عليه عُرْفُهُ، وأرشدني إليه وَصْفُهُ؛ وبان لي مَحْمَدُهُ الفَاخِرُ  
وحَسْبُهُ الصَّمِيمُ، وعرفت أصله الزَّاكِيَ وفرعه الكَرِيمُ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ  
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

وقولي في اختتام هذه المقامة معبراً عن المقرّ البدرى المشار إليه : فلما تحققت  
أن قد أُثْبِتُ في ديوانه ، وكنت من جُمْلَةِ غُلَمَانِهِ ، رجعتُ التَهَقُّرُى عن طلب  
الكسب ، وتساوى عندى المحلّ والحِصْبُ ؛ فاستغنيتُ بنظري إليه عن الطعام  
والشراب ، وتحققت أن نظرة منه تُرَقِّينِي إلى السحاب ، وتلوتُ بلسان الصدق على  
الملاّ وهم يسمعون ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا  
يَجْمَعُونَ﴾ .

وقولي في بيعة خليفة أنشأتها بعد ذكر تحليف أهل البيعة : وَأَشْهَدُوا عليهم بذلك  
مَنْ حضر مجلس العقد من الأئمة الأعلام ، والشهود والحُكَّام ، وجعلوا الله على  
ما يقولون وكَيْلاً ، فَاسْتَحَقَّ عليهم الوفاء بقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ  
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ . وهم يرغبون إلى الله تعالى أن يُضَاعَفَ  
لهم بحسن نيتهم الأجر ، ويلجئون إليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله  
﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَاتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ .

وقولي في بيعة أخرى : والله يجعل أنتقالهم من أدنى إلى أعلى ، ومن يُسْرَى إلى  
يمنى ، ويحقق لهم من استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيَسَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ .

وَتَسُونُ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَأَكْثَرُ مَشَى الصَّابِي فِي كِتَابِهِ عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ مِنَ الْأَسْتِشْهَادِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى آتَى الْقِرْءَانِ فِي خِلَالِ كَلَامِهِ، دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِ، وَالْاِقْتِصَارِ عَلَى اقْتِبَاسِ مَعْنَاهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ غَانِمٍ مِنْ خُطْبَةِ قَدِّمَةِ كَتَبَ بِهَا لِمُظْفَرِ الدِّينِ مُوسَى بْنِ أَقْوَشٍ وَقَدْ صَرَخَ لِفُلْغَةٍ، وَادَّعَى بِهَا لِلْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ: نَحْمَدُهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ الَّذِي سَادَ بِهِ مِنْ سَادٍ وَسَمَاءٍ، وَأَصَابَ بِتَفْوِيقِهِ بِمَعُونَةِ رَبِّهِ طَيْرَ السَّمَاءِ، فَحَسُنَ أَنْ يَتْلَى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي الْمَقَامَةِ الَّتِي أَنْشَأْتُهَا فِي كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ، فِي الْكَلَامِ عَلَى فَضْلِ الْكِتَابَةِ: فَقَدْ نَاطَى الْقِرْءَانُ الْكَرِيمَ بِفَضْلِهَا، وَجَاءَتِ السَّنَةُ الْغَزَاءُ بِتَقْدِيمِ أَهْلِهَا، فَقَالَ جَلِ ثَنَائِهِ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، حَيْثُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْكَرَمِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ تَعْلِيمَهَا مِنْ جَزِيلِ نِعْمَةٍ، وَإِذَا نَا بِأَنَّ مَنَحَهَا مِنْ أَوْفَرِ جُودِهِ وَفَائِضِ دَيْمِهِ، وَقَالَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَحْجُونٍ﴾ فَأَقْسَمَ بِالْقَلَمِ، وَمَا سَطَرَتِ الْأَقْلَامُ، وَأَتَى بِذَلِكَ فِي آكِدِ قِسْمٍ، فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَقْسَامِ . وَقَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ ﴿وَإِنَّ عَلَيْنَا لَلْأَكْفَانِ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ لِجَعْلِ الْكِتَابَةِ مِنْ وَصْفِ الْكَرَامِ، كَمَا قَدْ جَاءَ فِعْلُهَا عَنْ جَمَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا مُنْعَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْجَزَةً قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى سَبَبَهَا، حَيْثُ ذَكَرَ أَخْبَارَهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ آ كَتَبْنَا﴾ .

وقولي من هذه المقامة في التعبير عن المقر البدري بن فضل الله :

(١) أى ان الخطبة عملت لنقل تحية القدوم المظفر بعد صرخ العدو المسمى لفلغة .



ونظير ذلك أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كتب إلى الديوان العزيز ببغداد كتابا يعدد فيه موافقه في إقامة دعوة بني العباس بمصر . فكتب جوابه من ديوان الخلافة ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

### المقصد الثاني

(في كيفية استعمال آيات القرآن الكريم)

واعلم أن تضمين الكلام بعض آي القرآن الكريم ينقسم عند أهل البلاغة إلى قسمين

أحدهما - الاستشهاد بالقرآن الكريم، وهو أقلاهما وقوعا في الكلام ودوراناً في الاستعمال : وهو أن يضمّن الكلام شيئاً من القرآن الكريم، وينبه عليه مثل قول الحريري في مقاماته : فقلت وأنت أصدق القائلين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ . وقول أبي إسحاق في عهدٍ لملك عن خليفة بعد الأمر بالتقوى والحث عليها : فإذا أطلع الله منه على نقاء جبيه، وطهارة ذيله، وصحّة مروءته، واستقامة سيرته، أعانه على حفظ ما استحفظه، وأنهضه بثقل ما حمّله، وجعل له خلاصاً من الشبهة، ومخرجاً من الحيرة . فقد قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وقد قال الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وقال عز اسمه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ إلى آي كثيرة حضّنا بها على كرم الخلق، وأسلم الطرق، فالسعيد من نصّبها رأى ناظره، والشقي من نبذها وراء ظهره، وأشقى منه من يحثّ عليها وهو صادفٌ عنها، فأجاب إليها وهو بعيد منها . وله ولأمثاله يقول الله عز وجل ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

ابن الفخار : باسمك اللهم فاطر السموات والأرض والصلاة على السيد المسيح  
ابن مريم الفصيح ، أما بعد : فلا يخفى على ذى ذهن ثاقب ، وعقل لازب ، أنى أمير  
الملة النصرانية ، كما أنك أمير الملة الخنيفية ، وقد علمتم ما هم عليه رؤساء جزيرة  
الأندلس من التخاذل والتواكل والإخلاد إلى الراحة وأنا أسوهم الخسف وأخلى  
منهم الديار ، وأجوس البلاد ، وأسبي الذراري ، وأقتل الكهول والشبان لا يستطيعون  
دفاعا ، ولا يطيقون امتناعا ، فلا عذر لك فى التخلف عن نصرهم ، وقد أمكنتك يد  
القدرة ، وأنتم تعتقدون أن الله عز وجل فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ،  
والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فلتقاتل عشرة منكم الواحد منا ،  
ثم بلغنى أنك أخذت فى الاحتفال ، وأشرفت على ربوة الإقبال ، وتماطل نفسك عاما  
بعد عام ، وأراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، ولست أدرى إن كان الجبن أبطاك  
أو التكذيب بما أنزل عليك ربك ، ثم حكي لى أنك لا تجد إلى الجواز سبيلا لعله  
لا يجوز لك التفخيم به معها ، فأنأ أقول ما فيه الراحة لك ، وأعتذر لك وعنك ، على  
أن تنى لى بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهن ، وترسل إلى بحملة من عبيدك  
بالمرابك والشوانى ، وأجوز بحملتى إليك ، وأبارزك فى أعز الأماكن عليك ، فإن كانت  
لك فغنيمة وجّهت إليك ، وهديّة عظيمة مثلت بين يديك . وإن كانت لى كانت  
يدى العليا عليك وأستوجب سيادة الملتين ، والحكم على الدينين ، والله تعالى يسهّل  
ما فيه الإرادة ، ويوفى للسعادة ، لأرب غيره ، ولا خير الا خيره .

فكتب رحمه الله جوابا على أعلى كتابه ﴿ اَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا  
وَلَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .

(١) كذا فى الأصل بالقاء والخاء المدجّمة ويظهر أنه تصحيف عن التثنية بالقاف والخاء المهملة  
والتثنية فى الشئ الاقدام عليه من غير روية ولا تدبر وتأمل .

وأفسد وخاشن الرشيد؛ فخافت على ملك الروم فقتلت ولدها، فغضب الروم لذلك، فخرج عليها رجل منهم يقال له يَقْفُور فقتلها وأستولى على الملك وكتب إلى الرشيد: أما بعد، فإن هذه المرأة وضعتك موضع الشاه، ووضعت نفسها موضع الرُخ، وينبغي أن تعلم أنى أنا الشاه وأنت الرُخ فأد إلى ما كانت المرأة تؤدى إليك! فلما قرأ الكتاب: قال للكتاب: أجيئوا عنه فأتوا بما لم يرتضه، وكان الرشيد خطيبا شاعرا. فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى يَقْفُور كلب الروم. أما بعد، فقد فهمت كتابك، والجواب ما تراه لا ماتسمعه، والسلام على من أتبع الهدى.

ثم خرج في جمع له لم يسمع بمثله فتوغل في بلاده وفتك وسبى. فأوقد يَقْفُور في طريقه نارا شديدة فخاضها محمد بن يزيد الشيباني، وتبعه الناس حتى صاروا من ورائها؛ فلما رأى يَقْفُور أنه لا قبل له به، صالحه على الجزية يؤديها عن رأسه وعن سائر أهل مملكته.

وكتب ملك الروم إلى المعتصم يتوعده ويتهده فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه فلم يعجبه مما كتبوا شيئا فقال لبعضهم اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت خطابك، والجواب ما ترى لا ماتسمع (وسيعلم الكافر لمن عقى الدار). هذا مع ما ينسب إليه المعتصم من ضعف البصر بالعربية كما تقدم في الكلام على اللغة. ولا يستكثر مثل ذلك على الطبع السليم، والرجوع إلى سلامة العنصر وطيب المختد.

ومثل ذلك في الجواب وأخصر منه أن الأدفونش ملك الفرنج بالأندلس. كتب إلى يعقوب بن عبد المؤمن أمير المسلمين بالأندلس، بخط وزيره يقال له

حيث بلغه أن الحجاج أنكر على رجل آستشهد بآية فقال : أنسى نفسه حين كتب إلى عبد الملك بن مروان : بلغني أن أمير المؤمنين عَطَسَ فشجته من حضر فرد عليهم ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ . قال في "حسن التوسل" : وإذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون إنكاره على الحجاج لكونه أنكر على غيره ما فعله هو . وذهب بعضهم إلى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز الاستشهاد به إلا فما يضاف إلى الله سبحانه مثل قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وقوله ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله تعالى .

فأما تغيير شيء من اللفظ أو إحالة معنى عما أريد به فلا يجوز بحال .

قال في "المثل السائر" وإذا ضمنت الآيات في أماكنها اللاتقة بها ، ومواضعها المناسبة لها ، فلا شبهة فيما يصير للكلام من الفخامة والجزالة والرونق . قال في "حسن التوسل" : ومن شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة الحجّة ، وقطع النزاع ، وإذعان الخصم . قال في "حسن التوسل" : وأين قول العرب - القتل أنفى للقتل - لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى من قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ .

وقد روى أن الحجاج قال لبعض العلماء : أنت تزعم أن الحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتى على ذلك بشاهد من كتاب الله تعالى وإلا قتلتك فقرأ عليه ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ فعيسى ابن بنته فأسكت الحجاج . وأيضا فإن الآية الواحدة تقوم في بلوغ الغرض ، وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة .

فمن أخصر ما وقع في ذلك وأبلغ أنه كان على الروم بهرقة في أيام الرشيد امرأة منهم ، وكانت تُلَاطِفُ الرشيد ولها ابن صغير ، فلما نشأ فوضت الأمر إليه فعات



وقد اختلف في جواز الاستشهاد بالقرءان الكريم في المكاتبات ونحوها : فذهب أكثر

العلماء إلى جواز ذلك ما لم يحل عن لفظه ولم يتغير معناه . فقد ثبت في الصحيح :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتب في كتابه إلى هرقل (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) إلى قوله مسلمون ؛ وروى ذلك عن غير واحد من

الصحابه والتابعين ومن بعدهم ، فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عهده لعمر بن الخطاب (وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا آكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ . وَسِعِلْمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) على ماسياتي في ذكر عهود الخلفاء عن الخلفاء إن شاء الله تعالى .

وكتب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في آخر كتاب إلى معاوية "وقد علمت مواقع سيوفنا في جدك وخالك وأخيك" (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعْدٍ) . وقال للغيرة

أبن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية (وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا) .

وكتب إلى عامل من عماله بعد البسملة (قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَافُؤُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَجَسَّسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّةَ اللَّهِ خَيْرَ لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) . وقال الحسن بن علي لمعاوية حين نازعه في الخلافة (وَأِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) . ويروى عن ابن عباس

مثله . وكتب الحسن إلى معاوية : أما بعد فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) .

وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي إلى المنصور في صدر كتاب (طَسَمَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ؛ تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) إلى

قوله (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) . ولم يزل العلماء

وفضلاء الكتاب يستشهدون بالقرءان الكريم في مكاتباتهم في القديم والحديث ، من غير نكير ، وذلك كله دليل الجواز . ونقل عن الحسن البصري ما يدل على كراهة ذلك

عَاشَ الْبَدِيعُ وَكَانَ مَيِّتًا وَأَنْتَى \* بَادَى الْحَاسِنِ زَاهِيًا مَحْرُوسًا  
أَحْيَاهُ عَيْسَى نَجَلَ حَجَّاجَ وَكَمْ \* مِنْ مَيِّتٍ أَحْيَاهُ قَدَمَاءُ عَيْسَى

## النوع السادس

(حفظ كتاب الله العزيز؛ وفيه مقصدان)

### المقصد الاول

(في بيان أحتياج الكتاب إلى ذلك في كتابته)

قال في "حسن التوسل" ولا بد للكتاب من حفظ كتاب الله تعالى، وإدامة قراءته، وملازمة درسه، وتدبر معانيه، حتى لا يزال مصورا في فكره، دائرا على لسانه، ممثلا في قلبه ليكون ذا كراه في كلامه وكل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد به فيها، ويفتقر إلى قيام قواطع الأدلة عليها ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ وكفى بذلك مَعِينًا له على قصده، ومُغْنِيًا له عن غيره. قال تعالى ﴿مَا قَرَأْتَ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وقال جل وعز ﴿تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾ . قال في "المثل السائر" كان بعضهم يقول : لو ضاع لي عَقَال لوجدته في القرآن الكريم . قال في "حسن التوسل" وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم، ومخاطباتهم، مع قُصُور كل لفظ ومعنى عنه، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بسورة من مثله - كما حكى أن سائلا سأل بعض العلماء أين تجد في كتاب الله معنى قولهم "الجار قبل الدار"؟ قال في قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فطلبت الجار قبل الدار، ونظائر ذلك كثيرة .

المألوف من غرائب حِكْمِهِ الحسان؛ وتأملتها فوجدتها قد أجاد فيها براعة المَطْلَع،  
وبالغ في تحسين المَتَرَع والمَقْطَع؛ ودخل جِنَانُ الجناس فاجتنى من قُطوفها الدانية  
ماراق، واطَّردت له أنهارها فاستطرد منها في أعلى الطَّبَاق؛ وقابل وجوه حُورها  
أحسن المقابلة، آمناً فيها من الاشتراك والمائله؛ وأوضح الفروق بين التَّوَرِيَةِ والإيهام،  
والتوجيه والاستخدام؛ وأبان في التعميم نقص أبي تَمَّام، وأوجب في إيهامه  
عقد الخصاص على نظمه، وفوض بنزاهته التسليم له وطلب سَلَمِهِ؛ ولم يقنع بما فيه  
الاكتفاء من التذليل والتذويب، بل أتى في الاستندارك على من تقدمه بالعجب  
العجيب؛ معتمداً في تكميل مقاصده الاقتصار والإيجاز، ولو ادعى الإعجاز على  
الحقيقة لا المجاز لحاز؛ وتحققت أن ليس له في هذا الفن مُقاوٍ ولا مقاوم، ولا مساوٍ  
ولا مساوم؛ فكم جلب من بحر براعته دُرَّةُ أشرقت في ليالي الفترة المسودة، وكم  
حلب من ثدى يراعته دُرَّةٌ لها ألف زُبْدَةٍ؛ وكم بلغ الناظر من وصف بيانه بجمع  
البحرين، وسمع ورأى من فضله الجزل وفضله الجزيل ماهو عين المراد ومراد  
العين؛ وكم جلا من عرائس أفكاره وابتكاره صَبَاحُ الوجوه الصَّبَاح، وحَقَّقَ  
في الخافقين لمقاصده وبصائرهِ جَنَاحُ النجاح. قد أصبحت كلماتهُ لُحُصُور الفرائد  
مَنَاطِق، ولِبَدُور الفوائد مَشَارِق؛ ولطلائع أسرار المَبَاني، آلات، ولمَطَالع أَمَازِج  
المعاني، هالات؛ وقد وقعت حين وقفت على بديعته هذه بين داءين كل منهما  
الأخطر، وبين أمرين أمرين كل منهما الأعسر؛ إن لم أكتب عليها شيئاً فقد  
أخللت بالفرض الواجب، وإن كتبت فقد فضحتُ نفسي وعرضتها للعياب؛  
ولكني رُحْتُ على ظُلْمِي متحاملاً، وغدوتُ على حسب طاقتي في هذا الباب قائلاً:

(١) الدرة بالفتح المرة وبالكسر هيئة الدروكثرة . مصباح [وقد أعجم الذال في الأصل وهو من افعال

أَبْنِ الْأَهْتَمِ يُرْشِدُنِي ؛ لَكُنْ أَعْتَرَفَنِي بِالتَّقْصِيرِ أَلْبَغِ مِمَّا آتَيْهِ ، وَإِقْرَارِي بِالْقُصُورِ أُولَى ؛ مِمَّا أَخْفِيهِ مِنْ تَوَالِي طَوْلِهِ وَأَيَادِيهِ ” .

وأما احتياجه إلى معرفة ألفاظ أهل الصناعة ، فلأنه ربما ورى بها في تفاصيل كلامه ونحو ذلك - كما كتب الشيخ زين الدين أبو بكر بن العجمي - على البديعة التي نظمها عيسى العالية الشاعر ، مضاهيا بها بديعة الصفي الحلي فقال :

” وَبَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى هَذِهِ الْمَعْجَزَةِ الَّتِي أَحْيَا بِهَا عَيْسَى مَيِّتَ الْبَدِيعِ ، وَجَوَّدَ مَا شَاءَ فِيهَا مِنَ التَّضَرُّعِ وَالتَّرْصِيعِ ، وَرَقَّمَ لِأَعْطَافِهَا حُلُلَ التَّوَشُّيحِ وَالتَّوَشُّيعِ ، وَنَظَّمَ لِأَجْيَادِ أَبْيَاتِهَا فَرَائِدَ الْمَعَانِي الْمُسْتَخْرَجَةَ مِنْ بَحْرِ فِكْرِهِ عَلَى يَدِ يَرَاعِهِ الْمُرِيعِ ، وَقَلَّدَهَا مِنْ دُرَرِ لَفْظِهِ بِمَا هُوَ أَزْهَى مِنْ زَهْرِ الزُّهْرِ عَلَى نَهْرِ الْحَجَرَةِ وَهَالَاتِ الْبُذُورِ ، وَشَنَّفَ الْمَسَامِعَ مِنْهَا بِمَا هُوَ أُنْبَى مِنْ النُّورِ فِي الْعُيُونِ وَأَوْقَعَ مِنَ الشِّفَاءِ فِي الصُّدُورِ ؛ وَأَوَّلَجَ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ بِمَا طَرَّسَ بِهِ الطُّرُوسَ ، وَأَطْلَعَ فِي ذَلِكَ اللَّيْلِ مِنْ نَاصِعِ مَعَانِيهِ نَجُومًا تُرْهِى عَلَى الشَّمُوسِ ، وَأَوْدَعَ الْمَهَارِقَ شُدُورًا <sup>(١)</sup> تُزَيِّفُ ذَهَبَ الْأَصَائِلِ ؛ وَتُسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ حَسَانَ تَفُوقِ آبَتْسَامِ تُغَوِّرُ الْأَزْهَارَ بَيْنَ الْخَمَائِلِ ؛ وَسَلَكَ فِي الْبَدِيعِ طَرِيقَةَ مُثَلًى ، أَظْهَرَ فِيهَا مِنْ شَهْدِ أَلْفَاظِهِ وَجَوَاهِرِ مَعَانِيهِ مَا حَلَا وَحَلَّى ؛ وَلَمْ يَدَعْ لِلْحَلِيِّ فِي بَهْجَتِهَا مَحَلًّا ؛ وَأَحْسَنَ التَّذْيِيلَ وَالتَّرْشِيحَ وَالتَّهَكُّمَ عَلَيْهِ ، مِنْ غَيْرِ أَلْتَفَاتٍ لِمَا أَهْمَلَهُ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ إِلَيْهِ ؛ وَعَادَتِ الْمَعَانِي تَأْوِي مِنْ حُسْنِ تَصْرِفِهِ إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ ، وَتَحْوِي بِشَبَابِ أَقْلَامِهِ كُلِّ مَارَامِهِ مِنْ تَأْيِيدِ التَّأْيِيدِ ؛ وَتَلْقَى مُقَالِيدَهَا مِنْهُ إِلَى مَلِيٍّ بِحُسْنِ التَّحْيِيلِ وَالتَّحْوِيلِ فِي نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ ، وَتَحْكَمُ لِمَنْ حَكَمَ لَهُ بِكَمَالِ وَصْفِهِ وَوَصَفَ كَمَالَهُ بِأَنَّهُ نَسِجٌ وَحِيدٌ وَفَرِيدٌ عَصْرِهِ ؛ وَأَجْرَى فِي حَلَاةِ الْبَدِيعِ جِيَادَ أَقْلَامِهِ خَازِ قَصَبِ الرَّهَانِ ، وَأَصْفَى لَهَا مَوَارِدَ النَّفْسِ فَارْتَوَتْ وَأَسْتَخْرَجَتْ مِنْ ظُلُمَاتِهِ جَوَاهِرَ الْبَيَانِ ؛ وَنَطَقَتْ بِمَا هُوَ

(١) المهرق كسكر الصحيفة مغرب جمعه مهراق . قاموس .



بهم المثل في البلاغة كقُصِّ بن ساعدة ، وسَحْبَانِ وائل ، وعمرو بن الأَهم ، ونحوهم من بلغاء العرب ؛ وآبن المقفَّع ونحوه من المُحدِّثين . وكما قيل في عيِّ باقِل - وهو رجل آتتهى به العيُّ إلى أنه اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً ، فسأله سائل في الطريق ، وهو ممسك الظبي : بكم اشتريته ؟ فلم يُحسن التعبير عن أحد عشر ، ففرق أصابعه العشرة وأخرج لسانه مشيراً إلى أحد عشر فنفثت الظبي وفتر هاربا . ومعرفة أئمة الصَّناعة : كالجرجاني والرَّمَّاني . وكذلك المعرفة بالأسماء التي أصطلح عليها أهلها : من الفَصْل ، والوَصْل ، والتشبيه كما تقدّم ، والمقابلة ، والمطابقة ، وغير ذلك من أنواعها .

أما احتياجه إلى المعرفة بأسماء البلغاء ولغة أهل الصناعة ، فلا أنه ربما احتاج إلى تفضيل بعض مَنْ يكتب له مَنْ يُنسب مثله إلى البلاغة فيفضّله بمساواته ليلبغ من البلغاء ، أو إمام من أئمة الصنعة : كما كتب الوزير ضياء الدين بن الأثير في ذم كاتب : هَذَا وهو يدعى أنه في الفصاحة أئمة وحده ، وَمَنْ قُسَّ إياد وسَحْبَانُ وائل عنده ؛ وكما قال بعضهم يهجو ضيفاله :

أَنَا وَمَا دَانَاهُ سَحْبَانُ وَائِلُ \* بَيَانًا وَعِلْمًا بِالذِي هُوَ قَائِلُ

فَمَا زَالَ عِنْدَ اللَّقْمِ حَتَّى كَانَهُ \* مِنْ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِاقِلُ

ومما أتى على ذكر جماعة من أهل هذا الشأن قولِي في كلام قليل جاء ذكره في آخر رسالة كتبتُ بها في تقرّيط المقرّ الفتحى ، صاحب دواوين الإنشاء الشريف ، بالأبواب السلطانية بالديار المصرية - وهو : ” على أتى أستقيل من التقصير في إطرائه ، والتعرض في مدحه لما لا أنهض بأعبائه . فلو أن الجاحظ نصيرى ، وآبن المقفَّع ظهيرى ، وقُصِّ بن ساعدة يُسعدنى ، وسَحْبَانُ وائل يُجِدنى ، وعمرو

شئى به فُتِنَ الورى غيرُ الذى \* يدعى الجمال ولست أدري ما هو  
لكن الغالب فى الكلام أن يعلم سببُ تحسينه ، وتعليل موادِّ تمكينه .  
ويُجاب عن العلة فى انحطاطه وارتفاعه ، ويذكر المعنى فى ارتقائه من حضيض  
القول إلى يقاعه .

قلت : وهذا العلم وإن شُخِّنَ أُمَّةُ الْكُتَّابِ <sup>(١)</sup> - كما قال أبو هلال العسكري فى كتابه  
"الصناعتين" والوزير ضياء الدين بن الأثير فى "المثل السائر" والشيخ شهاب الدين  
محمود الحلبي فى "حسن التوسل" فإنه ليس مختصاً بنفِ الكاتبة بل هو آلة لكل  
كلامٍ اقتضى البلاغة ، كما أن المنطق آلة لكل العلوم العقلية ، التى يُحتاج منها إلى  
تصحيح الفكر .

وقد أكثر الناس من المصنِّفات فيه كالرُّمَّانِ والجُرْجَانِ وغيرهما ؛ وأكثر اعتقاد  
أهل الزمان فيه على تلخيص المفتاح للقاضى جلال الدين القزوينى فأغنى ما وضع  
فيه عن إirاده هنا .

## المقصد الثانى

فى كيفية انتفاع الكاتب بهذه العلوم

غير خاف أنه إذا مهر فيها وعرف طُرُقُها ، أتى فى كلامه بالسَّحر الحلال ؛ وصاغ  
من ألفاظه ومعانيه ما يقضى له بالفصاحة التامة ، والبلاغة الكاملة ، من وجوه تحقيق  
الكلام ، وتحسينه وتَدْيِيجِهِ وتَمْيِيقِهِ . وإذا فائتْ هذه العلوم ، أو كان ناقصاً فيها ،  
نقصتْ صناعته بقدر ما ينقص من ذلك . ثم كما يحتاج إلى هذه العلوم بطريق  
الذات ، كذلك يحتاج إليها بطريق العَرَض من جهة المعرفة بالبلقاء الذين يُضْرَبُ

(١) لعله وإن شُخِّنَ به أُمَّةُ الْكُتَّابِ كتبهم وحرر

يُجَدِّ في بنى غَالِبِ بنِ فِهْرٍ، وتعلَّقت بأزمة الفصاحة أهل مصر: لما لهم من نسب وصهر”.

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في كتابه ”حسن التوسل إلى صناعة الترسل“: وهذه العلوم وإن لم يُضطرَّ إليها ذو الذهن الثاقب، والطبع السليم، والقريحة المطاوعة والفكرة المنقحة، والبدية الحبيبة، والروية المتصرفة، لكن العالم بها متمكِّن من أزمة المعاني، وصناعة الكلام؛ يقول عن علم، ويتصرف عن معرفة، وينتقد بحجة، ويتخير بدليل، ويستحسن ببرهان، ويصوغ الكلام بترتيب”.

وحقيق ما قاله . فإن الأديب والكاظم العارفين عن هذه العلوم قاصران عن أدنى رتب الكمال يحيدان، ولا يدريان كيف يُجيبان . فلو سئل كل منهما عن علة معنيٍّ استحسنه أو لفظ استحلاه أو تركيب استجاده، لم يقدر على الإتيان بدليل على ذلك .

وقد حكى الإمام عبد القادر الجرجاني قال : ”ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : إني أجِدُ في كلام العرب حشواً - فقال له أبو العباس في أيّ موضع - قال : وجدت العرب تقول عبد الله قائم ثم يقولون إن عبد الله قائم ، ثم يقولون إن عبد الله لقائم فالألفاظ متكررة والمعنى واحد - فقال له أبو العباس : لا، بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وقولهم إن عبد الله لقائم جواب على إنكار منكر قيامه ، فما أحرار المتفلسف جواباً . فإذا ذهب مثل هذا على الكندي فما الظنُّ بغيره؟ وإن كان من محاسن الكلام مالا يحكم في أمّتراجه بالقلوب غير الذوق الصحيح كما قال الشاعر :

فارس“ . إلى أن خرج عنهم المِفْتَاح ، فكأن الباب أُغْلِقَ دُونَهُمْ ، وظهر من مِسْكَاة بلاد الغرب المصباح ، فكأنما حِيلَ بينه وبينهم . وأدارت المنون على قُطْبِهِم الدوائر ، فتعطلت بوفاته من علومه أفواه المحابر وبُطُون الدفاتر . وأتقطعت زهراءُهم الطيبة عن المقتطف ، وتسائط على العُضْد لسان من يعرف ”كَيْفَ تُؤْكَلُ الكَتِيف“ . فلم نظفر بعد هؤلاء الأئمة رحمهم الله من أهل تلك البلاد بمن مَحَضَ هذا العلم فألقى للطالب زُبْدَتَهُ ، ومَحَضَ النصيح فنشر على أعطاف العارى بُرْدَتَهُ ، ولا حلت قبول القبول إلينا عنهم بِطاقه ، ولا حصلت للتطلعين لهذا العلم على تلك الأبواب طاقه ، ولا رأينا بعد أن . أنطمست تلك الشموُسُ المشرقة ، وأندرست طبقة تحزى الفرقه ، ولم يبق إلا رسوم هي من فضائلهم مسترقة . من أطلع عُصْنُ قلمه من روض الأذهان زهرة على ورقه ، ولا من علق شنه بطبقته فيقال وافق شئ طبقه بل ركزت بينهم في هذا الزمان ريحه ، وخبث مصايحه ، وناداهم الأدب سواكم أعني : ”رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي“ .

وما بعض الإقامة في ديارٍ \* يهاُن بها القى إلا بلاء

فعند ذلك أزمع هذا العلم الترحل ، وأذن بالتحول .

وإذا الكريم رأى الجمول نزيله \* في منزل فالرأى أن يتحولا

وفزع إلى مصر فألقى بها عصا التسيار ، وأنشد من نادى من تلك الديار .

أفمت بأرض مصر فلا ورأى \* تحبُّ بى الركب ولا أمي

ولقد أحسن رحمه الله في بيان السبب ، والتعويل في انجبال أهل مصر على هذا العلم على علاقة الصهر والنسب . حيث قال في أوائل خطبته في أثناء الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما خفقت للبلاغة راية



مناظرته ، وتسام آله في مجادلته ، وشدة شِكِمته في حِجَاجه ؛ وبالعربي الصَّليب ،  
والقرشي الصريح ، أن لا يَعْرِفَ فَهَمَ إِعْجَازِ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ الْجَهْمَةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا مِنْهَا  
الزَّيْجِيُّ وَالنَّبَطِيُّ ، وَأَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَيْهِ بِمَا يَسْتَدِلُّ بِهِ الْجَاهِلُ الْغَبِيُّ ” .

على أن الشيخ بهاء الدين السبكي رحمه الله قد ذكر في شرح تلخيص المفتاح أن  
اهل مصر لا يحتاجون إلى هذه العلوم وأنهم يَدْرُونَهَا بِالطَّبْعِ ، فقال في أثناء خطبته :  
”أما أهل بلادنا فهم مَسْتَغْنُونَ عَنْ ذَلِكَ بِمَا طَبِعَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الذَّوْقِ السَّلِيمِ ،  
وَالْفَهْمِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَالْأَذْهَانِ الَّتِي هِيَ أَرْقُ مِنَ النَّسِيمِ ، وَالطُّفُفُ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ فِي الْحَيَاةِ  
الْوَسِيمِ ، أَكْسَبَهُمُ النَّيْلُ تِلْكَ الْحَلَاوَةَ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِأَصَابِعِهِ فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ هَذِهِ  
الطَّلَاوَةُ ؛ فَهُمْ يَدْرِكُونَ بِطَبَاعِهِمْ مَا أَفْنَتْ فِيهِ الْعُلَمَاءُ فَضْلًا عَنِ الْأَغْمَارِ ، الْأَعْمَارِ ،  
وَيَرَوْنَ فِي مِرْءَاةِ قُلُوبِهِمُ الصَّقِيلَةَ مَا أَحْتَجِبَ مِنَ الْأَسْرَارِ ، خَلْفَ الْأَسْتَارِ .

وَالسَّيْفُ مَا لَمْ يُلَفَّ فِيهِ صِقْلٌ \* مِنْ طَبِيعِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصَقَالِ

فِيهَا غَنِيمَةٌ لَمْ يُوجَفْ عَلَيْهَا مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، وَلَمْ يُزَحَفْ إِلَيْهَا بَعْدَ وَعِيدِيَّةِ<sup>(١)</sup>  
وَلَا بَلْحَاقٍ لَاحِقٍ وَأَنْسِكَابٍ سَكَابٍ ؛ فَلِذَلِكَ صَرَفُوا هِمَمَهُمْ إِلَى الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ  
نَتِيجَةُ أَوْ مَادَّةُ لَعْمِ الْبَيَانِ ، كَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ” . ثم قال :  
”وأما أهل بلاد الشرق الذين لهم اليد الطولى في العلوم ، وَلَا سِمَاءَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ  
وَالْمُنَطِقِ ، فَاسْتَوْفُوا هِمَمَهُمُ الشَّائِخَةَ فِي تَحْصِيلِهِ ، وَاسْتَوْلُوا بِجَدِّهِمْ عَلَى جَمَلَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ .  
وَوَرَدُوا مَنَاهِلَ هَذَا الْعِلْمِ فَصَدَرُوا عَنْهَا بِمَلٍّ سَجَلَهُمْ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَجْلَبُوا عَلَيْهِ  
بِخَيْلِهِمْ وَرَجَلَهُمْ . فَلِذَلِكَ عَمَرُوا مِنْهُ كُلَّ دَارِسٍ ، وَعَبَّرُوا مِنْ حُصُونِهِ الْمَشِيدَةِ مَارَقَدٍ  
عَنْهُ الْخَارِسُ . وَبَلَّغُوا غَنَانَ السَّمَاءِ فِي طَلْبِهِ ، وَ”لَوْ كَانَ الدِّينُ فِي الثَّرِيَا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ

(١) أى نوق نجائب منسوبة الى بنى العبد حتى من العرب . ولاحق وسكاب فرسان للعرب مشهوران .  
انظر اللسان .

البلاغة، وكانت هذه العلوم هي قاعدة عمود الفصاحة ومسقط حجر البلاغة، اضطرّ الكتّاب إلى معرفتها، والإحاطة بمقاصدها : ليتوصل بذلك إلى فهم الخطاب، وإنشاء الجواب، جاريا في ذلك على قوانين اللغة في التركيب، مع قوة الملكة على إنشاء الأقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء : من الخطب والرسائل والأشعار من جهة بلاغتها وخلوها عن اللكن، وتأدية المطلوب بها، وتكميل الأقاويل الشعرية ثرا كانت أو نظما، في بلوغها غايتها وتأدية ما هو مطلوب بها، وأنها كيف تتعين بحسب الأغراض لتفيد ما يحصل بها من التخيل الموجب لانتقال النفس من بسط وقبض، والشئ يُذكر بضده، فيذكر المحاسن بالذات والعيوب بالعرض .

قال أبو هلال العسكري : "فإن صاحب العربية إذا أحل بطلب هذه العلوم، وقطّ في التماسها، فأنته فضيلتها، وعَلِقَتْ به رذيلة فوّتها، وعَفَى على جميع محاسنها، وعمى سائر فضائله، لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيّد، وآخر ردىء؛ ولفظ حسن، وآخر قبيح؛ وشعر نادر، وآخر بارد، بأن جهله، وظهر نقصه؛ وإذا أراد أن ينشئ رسالة أو يضع قصيدة وقد فأنته هذه العلوم، منج الصفو بالكدر، وخط الغرر بالغرر؛ فجعل نفسه مهزأة للجاهل، وعبرة للعاقل . وكذلك إذا أراد تصنيف كلام منثور أو تأليف شعر منظوم وتخطى هذه، ساء اختياره، وقبح آثاره؛ فأخذ الردىء المردود، وترك الجيّد المقبول؛ فدّل على قصور فهمه، وتأخر معرفته؛ مع ما في هذه العلوم الثلاثة من الوسيلة إلى فهم كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اللذين منهما يستمدّ الكاتب شريف المعاني، ويستعير فصيح الألفاظ؛ بل منهما تُستفاد سائر العلوم، وتقتبس نفائس الفضائل". قال : "وقبيح لعمري بالفقيه المؤتمّ به، والقارئ المقتدى بهديه، والمتكلّم المشار إليه في حسن

فإن فُعِلَ لا يجوز حذف الألف واللام منها وإنما يجوز حذفهما من فُعِلَ  
التي لا أَفْعَلَ لها نحو حُبِلَ إلا أن تكون فُعِلَ أَفْعَلَ مضافةً، وهاهنا قد عَرِيت عن  
الإضافة وعن الألف واللام وكان الصواب أن يقال كَأَنَّ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى أَوْ كَأَنَّ  
صُغْرَاهَا وَكُبْرَاهَا . فانظر كيف وقع أبو نُوَاس في مثل هذا الموضع مع قُرْبِهِ  
وسُهولته . وغلط أبو تمام أيضا في قوله :

بِالْقَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلَفِ أَطَّأْتُ \* قَوَاعِدُ الْمُلْكِ مُتَمَدِّدًا لَهَا الطُّولُ

فقال أَطَّأْتُ والصواب أَتَّطَدْتُ لأنَّ التَّاءَ تُبَدَّلُ مِنَ الْوَاوِ فِي مَوْضِعَيْنِ أَحَدُهُمَا  
مَقِيسٌ عَلَيْهِ كَهَذَا الْمَوْضِعِ : لِأَنَّكَ إِذَا بَنَيْتَ أَفْعَلَ مِنَ الْوَعْدِ قُلْتَ أَتَعَدَّ وَكَذَلِكَ  
أَتَّطَدْتُ فِي الْبَيْتِ فَإِنَّهُ مِنْ وَطَدٍ يَطْدُ كَمَا يُقَالُ وَعَدَّ يَعِدُ، فَإِذَا بُنِيَ مِنْهُ أَفْعَلَ قِيلَ  
أَتَّطَدْتُ وَلَا يُقَالُ أَطَّأْتُ . وَأَمَّا غَيْرُ الْمَقِيسِ فَقَوْلُهُمْ فِي وُجَاهٍ نُجَاهٌ وَقَالُوا تُكَلِّانُ وَأَصْلُهُ  
الْوَاوُ لِأَنَّهُ مِنْ وَكَّلَ فَأَبْدَلْتَ الْوَاوَ تَاءً لِلِاسْتِحْسَانِ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ الْخَطِيءُ فِي التَّصْرِيفِ  
أَنْدَرُ وَقَوْعًا مِنَ الْخَطِيءِ فِي النِّحْوِ لِأَنَّهُ قَلَّمَا تَقَعَّ لَهُ كَلِمَةٌ يَحْتَاجُ فِي اسْتِعْمَالِهَا إِلَى الْإِبْدَالِ  
وَالنَّقْلِ فِي حُرُوفِهَا . وَالْمَعْصُومُ مِنْ عَصَمَهُ اللَّهُ، وَالْكَلَامُ فِي تَصْرِيفِ الْكَاتِبِ  
فِي التَّصْرِيفِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي النِّحْوِ .

### النوع الخامس

المعرفة بعلوم المعاني، والبيان، والبدیع، وفيه مقصدان

### المقصد الأول

في وجه احتياج الكاتب إلى ذلك

اعلم أنه لما كانت صناعة الكتابة مبنية على سلوك سبيل الفصاحة وأقتفاء سنن

مبدلة من همزة وإنما الياء التي تبدل<sup>(١)</sup> من الهمزة في هذا الموضع تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا يكون عينا نحو سَفَاتْنِ ، ولم يعلم نافع الأصل في ذلك فأخذ عليه وعيب عليه من أجله وذلك أنه اعتقد أن مَعِيشَةً على وزن فَعِيلَةٍ تجمع على فَعَائِلٍ ولم ينظر إلى أن الأصل في مَعِيشَةٍ مَعِيشَةٌ على وزن مَفْعِلَةٍ لأن أصل هذه الكلمة من عاش لكن أصلها عيش على وزن فَعَلَ ، ويلزم مضارع فَعَلَ المعتل العين يفعل لتصح الياء نحو يَعِيشُ ثم تنتقل حركة العين إلى الفاء فتصير يَعِيشُ ثم يَنْيُ من يَعِيشُ مفعول فيقال مَعْيُوشٌ به كما يقال مَسْيُورٌ به ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال مَعِيشٌ به كما يقال مَسِيرٌ به ثم تؤنث هذه اللفظة فتصير مَعِيشَةٌ . ومن جملة من عابه أبو عثمان المازني فقال في كتابه في التصريف : إن نافعا لم يدر ما العربية .

وحكى أبو جعفر النحاس أن عبيد الله بن سليمان نظر في بعض كُتُبِ الكُتَّابِ فإذا فيه حرف مُصْلَحٌ هو : وقد لَهَوْتُ عن جباية الخراج ، فاغتاض وقال لا يحكه غيري فحكه فأصلحه وقد لَهَيْت بالياء بدل الواو . قال وحكى عن أحمد بن إسرائيل مع تقدمه في الكتابة أنه قال : وكانت رسومهم مُسَانَاةً ثم صارت مشاهرة ثم صارت مُيَاوَمَةً ثم صارت مُسَاعَاةً ، فأخطأ ، وكان يجب أن يقول مُسَاوَعَةً . قال في "المثل السائر" : وكثيرا ما يقع أهل العلم في مثل هذه المواضع فكيف الجهال الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها ؛ وإذا علم حقيقة الأمر في ذلك لم يقع الغلط فيما يُوجب قَدْحًا ولا طَعْنًا . قال : وقد وقع الغلط لأبي نُوَاسٍ فيما هو أظهر من ذلك ، وهو قوله في صفة الخمر :

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا \* حَصْبَاءُ دَرَّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ<sup>(٣)</sup>

(١) أى التي تكون الهمزة بدلا منها .

(٢) لعله التي كما يقتضيه السياق .

(٣) المشهور فواقعه . انظر شرح الأشموني في باب أفعال التفضيل .



قال ضياء الدين بن الأثير في "المثل السائر": وتظهر لك فائدة ذلك ظُهوراً واضحاً فيما إذا قيل للنحوى الجاهل بعلم التصريف كيف تصغر لفظاً اضطراب فإنه يقول ضطيريب<sup>(١)</sup>، ولا يلام في ذلك لأنه الذى تقتضيه صناعة النحو . لأن النحاة يقولون إذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد أو لم يكن حذفه منها، نحو قولهم في منطلق مطيلق وفي جحمرش جحيمرش . ولفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون ، إلا أن الميم زيدت فيها معنىً فلذلك لم تُحذف وحُذفت النون . وأما لفظه جحمرش فخماسية لازيادة فيها وحذف منها حرف أيضاً . فاذا بنى النحوى على هذا الأصل ، فإما أن يحذف من لفظه اضطراب الألف أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء ، وهذه الحروف غير الألف ليست من حروف الزيادة فلا تحذف بل الأولى أن يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الأصلي فيصغر لفظه اضطراب حينئذ على ضطيريب<sup>(١)</sup>، ولم يعلم النحوى أن الطاء في اضطراب مبدلة من تاء وأنه إذا أريد تصغيرها تعاد إلى الأصل الذى كانت عليه . فيقال ضتيريب فإن هذا مما لا يعلمه إلا التصريفى والنحاة أطلقوا ما أطلقوه من ذلك أتاكلاً منهم على تحقيقه من علم التصريف ، إذ كل من النحو والتصريف علم منفرد برأسه ، فتكليف النحوى الجاهل بعلم التصريف إلى معرفة ذلك كتكليفه ما ليس من علمه . قال : فثبت بما ذكر أن علم التصريف مما يحتاج إليه لئلا يغلط في مثل ذلك . قال : ومن العجب أن يقال إنه لا يحتاج إلى معرفة التصريف وهذا نافع بن أبى نعيم وهو من أكبر القراء السبعة قدراً وأنعمهم شأناً قد قال في معاشٍ معاشٍ بالهمز ، وهذه اللفظة مما لا يجوز همزه بإجماع من علماء العربية : لأن الياء فيها ليست

(١) أى بابتات الياء بعد الراء وفى ياء التصغير وليست متقابلة عن ألف الافعال كما قد يتوهم بل ألف الافعال محذوفة

(٢) كذا فى الأصل وصوابه جحيمرش كما تقتضيه القواعد الصرفية . أنظر باب التصغير من الكتاب

من نواله كلّ موزون ومعدود ، ومن فضله وظله كل مقصور وممدود . ولا خاطبت الأيام مُتَمِّسَه إلا بلام التوكيد ، ولا عدوه الا بلام الجحود . هذه المفاوضة اليه أعزه الله ! تفهمه أنا بلغنا أن فلانا أضمر سيدنا له فعلا غدا به منتصبا للكايد ومعتلا وليس موصولا كالذى بصلة وعائد . وما ذاك إلا لأن معرفتها داخلها التنكير ، وقدر لها من الاحتمالات أسوأ التقدير . ونعوت صُحْبَتِه تكررت بفاز قطعها بسبب ذلك التكرير . وسيدنا يعلم بالعلمية المدكُون من الإنافة <sup>(١)</sup> ، وما لإضافته إلى جلالته من الانتماء الذى يجب أن يكون لأجله عيشه به خفضا على الإضافة . وكان الظن أن الأشغال التى جُمِعت له لا تكون جمع تكسير بل جمع سلامة ، وآية لا تكلف تعليما على وصول لأنه فى الديوان كالحرف لا يخبر به ولا عنه والحرف ليست له علامة . وحاش لله ! أن يصبح معرب إحسانه مبنيا ، وأن نزىل كرمه يكون للنكرات بأى محكما أو أن يأتى سيدنا بالماضى من الأفعال فى معنى الاستقبال ، أو أن يجعل بدل غلظه الإبدال للاستقبال . أو يدغم من مودته مظهرًا ، أو أنه لا يجعل لمبتدا محبته مُحَبَّرًا ، أو أن لا يكون له من أبدية تدبير سيدنا مصدرا . ولا يرح سيدنا نسيج وحده فى أموره ! ولا زال حلمه يتنامى الهفوات لا يشتغل مفعوله عن فعله بضميره .

## النوع الرابع

### المعرفة بالتصريف

ويجب على الكاتب المعرفة به ليعرف أصل الكلمة ، وزيادتها ، وحذفها ، وإبدالها فيتصرف فيها بالجمع والتصغير والنسبة إليها وغير ذلك : لأنه إذا أراد جمع الكلمة أو تصغيرها أو النسبة إليها ولم يعرف الأصل فى حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها ، ضلّ حينئذ عن السبيل ، ونشأ من ذلك مجال للعائب والطاعن .

(١) كذا فى الأصل بالادال المهمله . وذكر المتاع تنضيد بعضه على بعض وهو غير مناسب فعليه مصحف عن المذكور بالزاي بمعنى المعلوم فتأمل .

لَا يُفْصَحُ عَنْ مِثْلِهَا الْإِعْرَابُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَفْصَحُ مِنْهَا فِيمَا أَخَذَ عَنِ الْأَعْرَابِ .  
والذى أَصْبَحَتْ أَهْدَابُهُ فَوْقَ عِمَائِمِ الْغَنَائِمِ ثَلَاثٌ ، وَلَمْ يَزَلْ طُولُ الدَّهْرِ يُشْكِرُ  
مِنْهُ أَمْسُهُ وَيَوْمُهُ وَغَدُهُ وَإِنَّمَا الْكَلِمَاتُ ثَلَاثٌ . فَلْيَتَصَدَّ لِلْإِفَادَةِ ، وَلْيَعْلَمَهُمْ مِثْلُ  
مَا ذَكَرَ فِيهِ مِنْ عِلْمِ النَّحْوِ نَحْوَ هَذَا وَزِيَادَهُ . وَلْيَكُنْ لِلطَّلِبَةِ نَجْمًا بِهِ يُهْتَدَى ، وَلْيَرْفَعْ  
بِتَعْلِيمِهِ قَدْرَ كُلِّ حَبِيرٍ يَكُونُ خَبْرًا لَهُ وَهُوَ الْمَبْتَدَأُ . وَلْيَقْدَمْ مِنْهُمْ كُلٌّ مِنْ صَلَحٍ لِلتَّبَرُّيزِ ،  
وَأَسْتَحَقَّ أَنْ يُنْصَبَ إِمَامًا بِالْتَّمِيزِ . وَلْيُورِدْ مِنْ مَوَارِدِهِ أَعْدَبَ النَّطَافِ ، وَلْيَجْزِإِلَيْهِ كُلُّ  
مُضَافٍ إِلَيْهِ وَمُضَافٍ . وَلْيُوقِفْهُمْ عَلَى حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ ، وَلْيَعْرِفْهُمْ دَقَائِقَ الْبَحْثِ  
حَتَّى أَشْتَقَّاقَ الْأَسْمِ هَلْ هُوَ مِنَ السَّمَوِّ أَوْ مِنَ السَّمَاءِ . وَلْيُبَيِّنْ لَهُمُ الْأَسْمَاءَ الْعِجْمِيَّةَ  
الْمَنْقُولَةَ وَالْعَرَبِيَّةَ الْخَالِصَةَ ، وَيَدْلَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الْأَفْعَالِ لَا مَا يَتَشَبَّهُ بِصِفَاتِ كَانَ  
وَإِخْوَاتِهَا مِنَ الْأَفْعَالِ النَّاخِصَةِ ، وَلْيَحْفَظْهُمْ الْمِثْلَ وَكَلِمَاتِ الشَّعْرَاءِ ، وَلْيُنْصِبْ نَفْسَهُ لِحَدِّ  
أَذْهَانِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضِ نَصَبِ الْإِعْرَاءِ . وَلْيُعَامِلْ جَمَاعَةَ الْمُسْتَفِيدِينَ مِنْهُ بِالْعَطْفِ ،  
وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَتَرَفَّقْ بِهِمْ فَمَا بَلَغَ أَحَدٌ عِلْمًا بِقُوَّةٍ وَلَا ذَايَةً بِعَسْفٍ .

وَكَمَا قَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ جُمْلَةِ تَوْقِيعِ مَدْرَسٍ : « وَلَا أَنَّهُ  
فِي الْبَيَانِ ذُو الْإِنْتِقَادِ وَالْإِنْتِقَاءِ . وَالْعَرَبِيُّ الَّذِي كَانَ لِرِقَابِ الْفَضْلَاءِ ابْنُ مَالِكٍ فَإِنْ  
قَرَّبَهُ أَبُو الْبَقَاءِ .

وَكَمَا كَتَبَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي رِسَالَةٍ اقْتَرَحَتْ عَلَيْهِ فِي هَذَا  
الْبَابِ وَهِيَ : « حَرَسَ اللَّهُ نِعْمَةَ مَوْلَايَ ! ، وَلَا زَالَ كَلِمُ السَّعْدِ مِنْ اسْمِهِ ، وَفَعَلَهُ ،  
وَحَرَفَ قَلَمُهُ يَا تَلَفٌ ، وَمَنَادَى جُودَهُ لَا يُرْحَمُ وَأَحْمَدُ عَيْشُهُ لَا يَنْصَرَفُ . وَلَا عَدَمُ  
مُسْتَوْصِلُ الرِّزْقِ مِنْ بَرَاعَتِهِ الَّتِي لَا تَقْفُ الْوَصْلَ <sup>(١)</sup> وَلَا عَدَمَتْ نُحْمَةُ الْجُودِ

## المقصد الثانى

( فى كيفية تصرف الكاتب فى علم العربية )

وأعلم أن أنتفاع الكاتب بالنحو من وجهين . أحدهما الإعراب وما يلحق به .  
ومن أهم ما يعتنى به من ذلك النَّسَبُ لكثرة استعماله فى الألقاب ونحوها ، وكذلك  
العدد فإنه مما يقع فيه اللَّبْسُ على المبتدئ ، ومحل ذلك كله كتب النحو . الثانى فيما يقع  
الكاتب فيه بطريق العَرَضِ ، فيحتاج من ذلك إلى معرفة النُّحاة ومشاهير أهل العربية  
كأبى الأسود الدؤلى ، وسيبويه ، والقرءاء ، وأبى على ، وأبى عثمان المازنى وغيرهم من  
المتقدمين ؛ وابن عصفور وابن مالك وابن معطى وغيرهم من المتأخرين ؛ وكذلك أسماء  
كتبهم المشهورة فى هذا الفن : من المبسوطات والمختصرات من كتب المتقدمين  
والتأخرين ومصطلحاتهم التى اصطَلَحُوا عليها : من ذكر الاسم ، والفعل ، والمعرفة ،  
والنكرة ، والمبتدأ ، والخبر ، والحال ، والتمييز ، وألقاب الإعراب : من الرفع والنصب والجر  
والجزم وغير ذلك مما تجرى به عباراتهم ، ويدور على ألسنتهم فى استعمالهم : من  
قولهم ضرب زيد عمرا ونحو ذلك لِيُدْرَجَ ما عَنَ له من ذلك فى خلال كلامه حيث  
أحتاج إليه فى التواقيع والمكاتبات وغيرها .

قال فى «التعريف» فى وصية نحوى : وهو زيد الزَّمان ، الذى يضربُ به المثل ،  
وعمره الأوان ؛ وقد كثر من سيبويه المَلَلُ وما زنى الوقت لكنه لم يَسْتَبِحِ الإِبلُ ،  
وكسأى الدهر الذى لو تقدم لما اختار غيره الرشيدُ للأُمون ، وذو السُّودد لأبو الأسود  
على أنه ذو السابقة والأَجْرُ الممنون . وهو ذو البرِّ المأثور ، والقدر المرفوع ولواؤه  
المتصوبُ وذيلُ نخاره المجرور . والمعروف بما لا يُنْكَرُ مثله من الحَزْمِ ، والذهابُ  
عمله الصالح بكلِّ العوامل التى لم يبق منها لحسوده إلا الجَزْمُ . وهو ذو الأبنية التى



تَحْكِيهَا إِلَّا مَعَ إِعْرَابِهَا وَمَخَارِجِ أَلْفَظِهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ غَيَّرْتَهَا بَانَ لَحْنُهَا فِي إِعْرَابِهَا  
 أَوْ أَخْرَجْتَهَا مَخْرَجَ كَلَامِ الْمُؤَلِّدِينَ وَالْبَلَدِيِّينَ ، نَخَرَجْتَ مِنْ تِلْكَ الْحِكَايَةِ وَعَلَيْكَ فَضْلٌ  
 كَبِيرٌ ، وَإِنْ سَمِعْتَ نَادِرَةً مِنْ نَوَادِرِ الْعَوَامِّ وَمُلْحَةً مِنْ مُلَحِّهِمْ فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ لَهَا  
 الْإِعْرَابَ أَوْ تُنْخِرَ لَهَا لَفْظًا حَسَنًا ، فَإِنْ ذَلِكَ يُفْسِدُ الْإِمْتَاعَ بِهَا وَيُخْرِجُهَا مِنْ  
 صُورَتِهَا الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا وَيُذْهَبُ اسْتِطَابَتُهُمْ إِيَّاهَا . قَالَ : ” وَاللَّحْنُ مِنَ الْجَوَارِي  
 الظَّرَافِ ، وَمِنَ الْكَوَاعِبِ النَّوَاهِدِ ، وَمِنَ الشَّوَابِّ الْمَلَا حَ ، وَمِنْ ذَوَاتِ الْخُدُورِ أَيْسَرُ  
 وَرَبَّمَا اسْتَمْلَحَ الرَّجُلُ ذَلِكَ مِنْهُنَّ مَا لَمْ تَكُنِ الْجَارِيَةُ صَاحِبَةً تَكْلُفُ “ وَلَكِنْ إِذَا كَانَ  
 اللَّحْنُ عَلَى سَجِيَّةِ سُكَّانِ الْبَلَدِ كَمَا يَسْتَمَاعُونَ اللَّثْغَاءَ إِذَا كَانَتْ حَدِيثَةَ السَّنِّ فَإِذَا أُسْنَتْ  
 وَأَكْتَهَلَتْ سُمِّيَ ذَلِكَ الْاسْتِمْلَاحَ . قَالَ : ” وَمَنْ اسْتَمْلَحَ اللَّحْنَ فِي النِّسَاءِ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ  
 فَقَالَ فِي بَعْضِ نِسَائِهِ :

أُغْطِيْ مَنِيَّ عَلَى بَصْرِى لِأَسْجُبَّ أَمْ أَنْتِ أَكْلُ النَّاسِ حُسْنًا ؟  
 وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا \* تَشْتَبِيهِ الْأَسْمَاعُ يُوزَنُ وَزْنًا  
 مَنَظِقُ صَائِبٌ وَتَلَحْنُ أَحْيَا \* نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا “

وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِحَسَبِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَرَبَ وَإِنْ تَغَيَّرَتْ أَلْسِنَتُهُمْ  
 بِمَخَالَطَةِ مَنْ عَدَاهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَخْلُوكَ كَلَامُهُمْ مِنْ مُوَافَقَةِ الْإِعْرَابِ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ  
 وَالْجُرْحِيِّ عَلَى قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ خُصُوصًا عَرَبَ الْحِجَازِ وَأَهْلَ الْبَادِيَةِ مِنْهُمْ . وَقَدْ قَالَ  
 الْحَاحِظُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ « وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَلْسَنَةٌ ذَلِيقَةٌ ، وَأَلْفَاظُ حَسَنَةٌ ، وَعِبَارَةٌ جَيِّدَةٌ ،  
 وَاللَّحْنُ فِي عَوَامِّهِمْ فَايَسٌ وَعَلَى مَنْ لَمْ يَنْظُرْ مِنْهُمْ فِي النَّحْوِ غَالِبٌ »

ما حكي أن اللحن وقع لجماعة من الشعراء المتقدمين في شعرهم، كقول أبي نواس في محمد الأمين :

يا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ \* إلا النَّبِيُّ الطاهر المأمونُ

فرفع المستثنى من الموجب. وكقول المتنبي :

أرأيت هِمَّةَ نَاقَتِي في نَاقَةٍ \* تَقَلَّتْ يَدًا سُرْحًا وَخُفًّا جُمِعَرَا  
تَرَكَتْ دُخَانَ الرِّمِّثِ في أوطانِها \* طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ العَنَبَرَا  
وَتَكَرَّمَتْ رُكْبَتُهَا عَن مَبْرَكٍ \* تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكَكَ أَذْفَرَا

بجمع في حالة التثنية، لأن الناقاة ليس لها إلا رُكْبَتَانِ وقد قال رُكْبَتَاهَا.

واعلم أن اللحن قد فشا في الناس، والألسنة قد تغيرت حتى صار التكلم بالإعراب عيباً، والنطق بالكلام الفصيح عيباً. قلت : والذي يقتضيه حال الزمان ، والجرى على منهاج الناس أن يحافظ على الإعراب في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وفي الشعر والكلام المسجوع، وما يدون من الكلام، ويكتب من المراسلات ونحوها؛ ويغتفر اللحن في الكلام الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه بينهم ويتحاورون به في مخاطبتهم؛ وعلى ذلك بحرَّت سنة الناس في الكلام مذ فسدت الألسنة، وتغيرت اللغة حتى حكي أن القراء مع جلالة قدره وعلو رتبته في النحو دخل يوماً على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه، فقال جعفر بن يحيى يا أمير المؤمنين إنه قد لحن - فقال الرشيد للقراء أتلحن يا يحيى؟ فقال يا أمير المؤمنين! : إن طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن فإذا حفظت أو كتبت لم أَلْحَنُ وإذا رجعت إلى الطبع لَحَنْتُ - فاستحسن الرشيد كلامه . وقد قال الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" «ومتي سمعت حفظك الله نادرةً من كلام الأعراب فإياك أن

خاصم عيسى بن عمر النحوي رجلا إلى بلال بن أبي بردة فجعل عيسى يُشيع الإعراب ويتعمق في الألفاظ، وجعل الرجل ينظر إليه - فقال له القاضي: "لأن يذهب بعض حق هذا أحب إليه من تركه الإعراب، فلا تتشاغل به وأقصد بحجتك". وخاصم نحوي آخر عند بعض الفضاة في دين عليه فقال: "أصلح الله القاضي! لي على هذا درهمان" - فقال خصمه: "والله أصلحك الله! إن هي الا ثلاثة دراهم ولكنه لظهور الإعراب ترك من حقه درهما". فهذا وشبهه قد صار مذموما والمتشبه به مَلُوماً، ولذلك كان بعض الكتاب لشدة اقتداره على الإعراب يُعرب كلامه ولا يُحِيل إلى السامع أنه يُعرب، فإن عرض مع التعمق في الإعراب لحن، كان ذلك أبلغ في الشناعة، وأجدر بتوجه اللوم على صاحبه والسخرية من المتكلم به. وقد قال الجاحظ: «إن أقبح اللحن لحن أصحاب التعجير والتشديق والتعطيط والجهورية والتفخيم». قال «وأقبح من ذلك لحن الأعراب النازلين على طريق السابلة وبُقرُب مجامع الأسواق». وعلى الجملة فالنحو لا يُستغنى عنه ولا يوجد بد منه، إذ هو حَلَى الكلام، وهوله كما قيل كالملح في الطعام. قال في "المثل السائر": والجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الجهل به نفسه لأنه رُسُوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب آتباعهم؛ ولذلك لم ينظم الشاعر شعره وغرضه منه رفعُ الفاعل ونصبُ المفعول أو ما جرى مجراهما وإنما غرضه إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة. قال: ولذلك لم يكن اللحن قادحا في نفس الكلام: لأنه إذا قيل جاء زيد راكب بالرفع أو لم يكن حسنا إلا بأن يقال جاء زيد راكبا بالنصب لكان النحو شرطا في حسن الكلام وليس كذلك فتبين أنه ليس الغرض من نظم الشعر إقامة إعراب كلماته وإنما الغرض أمر وراء ذلك - وهكذا يجري الحكم في الخطب والرسائل من المنشور مع

ثم المرجع في معرفة النحو إلى التلّقى من أفواه العلماء الماهرين فيه ، والنظر في الكتب المعتمدة في ذلك من كتب المتقدمين والمتأخرين .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُتُبَ النُّحُو : من المبسوطات والمختصرات والمتوسّطات أكثر من أن يأخذها الحصر . ومن الكتب المعتمدة في زماننا عند أبناء المشرق "المفصل" للزخمشري و"الكافية" لابن الحاجب . وعند المصريين كتب ابن مالك : كالتسهيل والكافية الشافية والألفية وغير ذلك من كتب ابن مالك وغيرها .

قال أبو جعفر النحاس : وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلّمي العربية جهلاً وتعدّياً حتّى إنهم يحتجّون بما يزعمون أن القاسم بن محيّمرة قال : « النحو أوله شغل وآخره بنى » قال : وهذا كلام لا معنى له لأن أول الفقه شغل وأول الحساب شغل وكذا أوائل العلوم . أفترى الناس تاركين العلوم من أجل أن أولها شغل ؟ . قال وأما قوله « وآخره بنى » إن كان يريد به أن صاحب النحو إذا حدّقه صار فيه زهوٌ وأستحقرّ من يلحن فهذا موجود في غيره من العلوم : من الفقه وغيره في بعض الناس وإن كان مكروهاً . وإن كان يريد بالبنى التجاوز فيما لا يحلّ فهذا كلامٌ محالٌ فإن النحو إنما هو العلم باللغة التي نزل بها القرآنُ وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم وكلامُ أهل الجنة وكلامُ أهل السماء . ثم قال بعد كلامٍ طويل : وقد كان الكتاب فيما مضى أرغب الناس في علم النحو وأكثرهم تعظيماً للعلماء حتّى دخل فيهم من لا يستحقّ هذا الاسم فصعب عليه باب العدد فعابوا من أعرب الحساب ، وبعُدَتْ عليهم معرفة الهمزة التي ينضمّ وينفتح ما قبلها ، أو تختلف حركتها وحركة ما قبلها فيكتبون يقرّؤه بزيادة ألف لا معنى لها : في كلام آخر يتعلق بالهجاء ليس هذا موضع ذكره . - أمّا التعمّق في الإعراب والمبالغة فيه فإن حكمه في الاستكراه حكم التقعّر في الغريب ؛ وقد كانوا يدّمون من يتعاناه ، ويسخّرون من يتعاطاه . قال الأصمعي



حين سمعه وظن ذلك فصاحةً فقال أنا والله أعلم من أين أخذها ؟ من قوله ﴿ شَعَلْنَا  
أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا ﴾ فأضحك كلُّ منهما من نفسه . قال صاحب "الريحان والريعان" :  
وكان من يؤثّر عقله من الخلفاء يعاقب على اللحن وينفّر من خطأ القول ، ولا يجوز أن  
يُخاطَب به في الرسائل البدائية ، ولا أن يُوقَف به على رءوسهم في الخطب المقامية  
قال : وهو الوجه . فأنديتهم مطلب الكمال ، ومطآن الصواب في إحكام الأفعال ، فكيف  
في إحكام الأقوال . قال ابن قادم النحوى : "وجه إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي وهو  
أمير فأحضرنى فلم أدري ما السبب ، فلما قرّبت من مجلسه تلقاني كاتبه على الرسائل  
ميمون بن إبراهيم وهو على غاية الهلع والجزع ، فقال لي بصوت خفي : إنه إسحاق ! ومرّ  
غير متلبث حتى رجع إلى إسحاق ، فراعني ما سمعت ، فلما مثّلت بين يديه ، قال كيف  
يقال وهذا المال مأل أو وهذا المال مالا ، فعلمت ما أراد ميمون الكاتب فقلت له  
الوجه وهذا المال مأل ويجوز وهذا المال مالا ، فأقبل إسحاق على ميمون كاتبه بغلظة  
وفظاظة ثم قال : « الزم الوجه في كُتُبك ودع ما يجوز ! » ورمى بكتاب كان في يديه ،  
فسألت عن الخبر فإذا بميمون قد كتب عن إسحاق إلى المأمون وهو ببلاد الروم  
وذكر ما لاهمه إليه فقال « وهذا المال مالا » ، فخط المأمون على الموضوع من الكتاب  
ووقع بخطه في حاشيته تكتائني باللحن ؟ ويقال إنه لم يتجاوز موضع اللحن في قراءة  
الكتاب فقامت عند إسحاق ، فكان ميمون الكاتب بعد ذلك يقول : لا أدري  
كيف أشكر ابن قادم بقي على رُوحى ونعمتي . ووقف بعض الخلفاء على كتاب  
لبعض عمّاله فيه لحن في لفظه فكتب إلى عامله : قنع كاتيك هذا سوطاً معاقبةً على  
لحنه . قال أحمد بن يحيى : كان هذا مقدار أهل العلم ، وبحسبه كانت الرغبة في طلبه  
والحذر من الزلل . قال صاحب "الريحان والريعان" : فكيف لو أبصر بعض كتاب  
زماننا هذا ؟ . قلت قد قال ذلك في زمانه هو وفي الناس بعض الرمي والعلم ظاهر  
وأهله مكرمون ، وإلا فلو عمّر إلى زماننا نحن لقال ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ .

”الإعراب حَلَّى اللِّسَانِ فَلَا تَمْنَعُوا أَلْسِنَتَكُمْ حُلِيَّاهَا“ . والله درّ ابى سعيد البصرى !  
حيث يقول :

النَّحْوُ يَسْطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكَيْنِ \* وَالْمَرْءُ تَكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَرْبِ  
وَإِذَا طَلَبَتْ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا \* فَأَجَلُهَا عِنْدِي مُقِيمُ الْأَلْسِنِ

قال صاحب ”الريحان والريعان“ واللحن قبيح في كبراء الناس وسرّاتهم ، كما أن الإعراب جمال لهم ، وهو يرفع الساقط من السفلة ويرتقي به إلى مرتبة تلحقه بمن كان فوق تمّطه وصنّفه . قال وإذا لم يتجه الإعراب فسد المعنى ؛ فإن اللحن يغيّر المعنى واللفظ ويقبّله عن المراد به إلى ضده حتى يفهم السامع خلاف المقصود منه . وقد روى أن أعرابيا سمع قارئاً يقرأ ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ بجزّ رسوله فتوهم عطفه على المشركين فقال : أو برىء الله من رسوله ؟ ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يحسن العربية . على أن الحسن قد قرأها بالجزّ على القسم وقد ذهب على الأعرابي فهم ذلك لخلفائه . وقرأ آخر ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ برفع الأول ونصب الثانى ، فوقع في الكفر بنقل فتحة إلى ضمة وضمة إلى فتحة فقل له : يا هذا إن الله تعالى لا يخشى أحدا ! فتنبه لذلك وتفظّن له . وسمع أعرابى رجلا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله بفتح رسول الله فتوهم أنه نصبه على النعت فقال يفعل ماذا ؟ . وقال رجل لآخر ماشائك ؟ بالنصب فظن أنه يسأله عن شين به فقال عظم في وجهى . وقال رجل لأعرابى : كيف أهلك ؟ بكسر اللام وهو يريد السؤال عن أهله فتوهم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه فقال صلبا . ودخل رجل على زياد بن أبيه فقال : إن أبونا مات وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله – فقال زياد : للذى أضعته من كلامك أضّر عليك مما أضعته من مالك . وقيل لرجل من أين أقبلت ؟ فقال من عند أهلونا ، فحسده آخر

فيحتاج إلى المعرفة بالنحو وطُرق الإعراب، والأخذ في تعاطي ذلك حتى يجعله دأبه، ويصيره ديدنه : ليرتسم الإعرابُ في فكره، ويدور على لسانه، وينطلق به مقال قلمه وكلمه، ويزول به الوهم عن سجيته، ويكون على بصيرة من عبارته. فإنه إذا أتى من البلاغة بأعلى رتبة ولحن في كلامه، ذهبت محاسن ما أتى به، وأندمت طبقة كلامه وألغى جميع ما حسنه، ووقف به عند ما جهله. قال في "المثل السائر": وهو أول ما ينبغي إثبات معرفته؛ على أنه ليس مختصاً بهذا العلم خاصة بل بكل علم؛ لا : بل ينبغي معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن معزة اللحن. قال صاحب "الريحان والريعان" ولم يزل الخلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم يُحثُّون على تعلم العربية، وحفظها والرعاية لمعانيها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، والمحلل المخصوص. قال عثمان المهرى : «أنا كتابُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ونحن بأذربيجان يأمرنا بأشياء، ويدكر فيها : "تعلموا العربية فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة" . وكان لخالد بن يزيد بن معاوية أخٌ بجاءه يوماً فقال : إن الوليدَ ابنَ عبد الملك يعبثُ بي ويحتقرني، فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين ! : إن الوليد قد آحقر ابن عمه عبد الله وأستصغره، وعبد الملك مُطرق فرفع رأسه وقال : ((إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا)) الآية - فقال خالد : ((وإذا أردنا أن نهلك قريةً)) الآية - فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى؟ وقد دخل على فما أقام لسانه لحنًا - فقال خالد : أفعلَى الوليد تُعول؟ فقال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان - فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالدٌ في كلام كثير طويل ليس هذا موضع ذكره .

وقال الرشيد يوماً لبنيه : "ماضراً أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ؟ أيسر أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وأمتيه ؟" . ومن كلام مالك بن أنس

كما عَمِلَ نفوسُ ملوكِ الديارِ المصريةِ وأمرائها وجُنُدها لمن يتكلم بالتركية : من العلماءِ  
والكُتَّابِ ومن في معناهم على ما هو معلوم مشاهد ،

وأما المكتبة فبأن يكونَ يعرفُ لسانَ الكُتُبِ الواردةِ على ملكه ليترجمَها له  
ويُجيبَ عنها بلغتها التي وردت بها ، فإن في ذلك وقعاً في النفوس ، وأستجلاباً للقلوب ،  
وصونا للسرعن اطلاع ترجمان عليه ، وأمرُ النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت  
بتعلُّم السريانية أو العبرانية على ما تقدّم ظاهرٌ في طلب ذلك من الكاتب وحثه عليه .  
ثم اللغات العجمية على ضربين أحدهما ما له قلم يُكتب به في تلك اللغة كاللغة  
الفارسية ، واللغة الرومية ، واللغة الفرنجية ونحوها ، فإن لكل منها قلماً يخصّه يُكتب به  
في تلك اللغة . والثاني ما ليس له قلم يكتب به ، وهي لغات القوم الذين تغلب عليهم  
البدَاوة كالترك والسودان . ولأجل ذلك ترد الكُتُبُ من القانات ملوك الترك ببلاد  
الشَّمال المعروف في القديم بيت بركة ، والآن بمملكة أذربك باللغة المغلية بالخط العربي .  
وترد الكتب الصادرة عن ملوك السودان باللفظ العربي والخط العربي . أما اللغات  
التي لها أقلام تخصها فإن كتبهم ترد بخطهم ولغتهم : كالكتب الواردة من ملوك  
الروم والفرنج ونحوهما ممن لُغته قلم يخصه على اختلاف الألسنة واللغات .

### النوع الثالث

(المعرفة بالنحو ، وفيه مقصدان)

#### المقصد الأول

( في بيان وجه احتياج الكاتب إليه )

لا نزاع أن النحو هو قانون اللغة العربية ، وميزان تقويمها ، وقد تقدّم في النوع  
الأوّل أن اللغة العربية هي رأس مال الكاتب ، وأُسْ مقّاله ، وكنز إنفاقه ، وحينئذ



قال محمد بن عمر المدائني بل قد قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربيا لأن الله تعالى بعثه إلى الناس كافةً ولم يكن الله بالذي يبعث نبياً إلى قوم لا يفهم عنهم ، ولذلك كَلَّمَ سَلْمَانَ بِالْفَارْسِيَّةِ . وساق بسنده إلى عكرمة أنه قال : سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَلْ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَارْسِيَّةِ قَالَ نَعَمْ ، دَخَلَ عَلَيْهِ سَلْمَانُ فُقِيلَ لَهُ دَرَسْتَهُ وَسَادَتَهُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أُمَيْلٍ : أَظْنَهُ مَرَجَبًا وَأَهْلًا .  
وحينئذ فيكون النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمر زيدا بتعلُّمِ كَلَامِ السُّرْيَانِيَّةِ أَوِ الْعِبْرَانِيَّةِ لتحریم الکتابۃ علیہ لا أنه أمره بتعلُّم لغتهم .

## المقصد الثاني

(في بيان ما يتصرف فيه الكاتب من اللغة العجمية)

اعلم أن الذي ينبغي له تعلُّمه من اللغات العجمية هو ما تعلق به حاجته في المخاطبة والمكاتبة .

أما المخاطبة فبأن يكون لسانُ ملكه بعضُ الألسن العجمية أو كان الغالب عليه لسانٌ عجميٌّ مع معرفته بالعربية : كما غلبت اللغة التركية على ملوك الديار المصرية ، وكما غلبت اللغة الفارسية على ملوك بلاد العراق وفارس ، وكما غلب لسانُ البربر على ملوك بلاد المغرب مع تبعية عسكر كل ملك في اللسان الغالب عليه له في ذلك فيحتاج الكاتب إلى معرفة لسان الساطن الذي يتكلم به هو وعسكره ليكون أقرب إلى حصول قصده : من فهم الخطاب وتفهمه ، وسُرعة إدراك ما يلقي إليه من ذلك ، وتأدية ما يقصد تأديته منه ؛ مع ما يحصل له من الحظوة والتقريب بالموافقة في اللسان فإن الشخص يميل إلى مَنْ يخاطبه بلسانه لاسيما إذا كان من غير جنسه

تقياً، يتَقَيَّل سَلَفُهُ، وَأَيِّنَ بِهِ عَدَدَكَ، وَأَوْزَعَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ، وَوَاصَلَكَ الْمَزِيدَ بِرَحْمَتِهِ، كَانَ ذَلِكَ كِتَاباً كَافِياً فِي هَذَا النُّوعِ . فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ وَقِسْ عَلَيْهِ .

## النوع الثاني

(المعرفة باللغة العجمية، وهي كل ما عدا العربية : من التركية، والفارسية،  
والرُومِيَّة، والفِرْجَانِيَّة، والهِبَرِيَّة، والسُّودَان، وغيرهم، وفيه مقصدان)

## المقصد الأول

(في بيان وجه احتياج الكاتب إلى معرفة اللغات العجمية)

لا يَخْفَى أَنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ فِي كِتَابِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ لُغَةِ الْكُتُبِ الَّتِي تَرِدُ عَلَيْهِ لِمَلِكِهِ أَوْ أَمِيرِهِ لِيَفْهَمَهَا وَيُجِيبَ عَنْهَا مِنْ غَيْرِ اطِّلاَعٍ تَرْجُمَانٍ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَصَوْنٌ لِسَرِّ مَلِكِهِ، وَأَبْلَغُ فِي بُلُوغِ مَقَاصِدِهِ .

وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو المَدَائِنِيُّ فِي "كِتَابِ الْقَلَمِ وَالِدَوَاةِ" بِسَنَدِهِ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّهُ يَرِدُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْ كَلَامِ السُّرْيَانِيَّةِ لَا أَحْسِنُهَا فَتَعَلَّمْ كَلَامَ السُّرْيَانِيَّةِ فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سِتَّةِ عَشْرِ يَوْمًا» وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَتُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ؟ فَإِنَّهُ يَأْتِينِي كُتُبٌ بِهَا، قُلْتُ لَا . قَالَ فَتَعَلَّمْتُهَا فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةِ عَشْرِ يَوْمًا، فَكُنْتُ أَجِيبُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْرَأُ كُتُبَ يَهُودَ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ» وَفِي رِوَايَةٍ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَا زَيْدُ تَعَلَّمْ كِتَابَ يَهُودَ فَإِنَّي وَاللَّهِ لَا أَمْنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي قَالَ فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ فَمَا مَرَّ لِي سِتُّ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَدِّقْتُهُ فَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ وَأُجِيبُ إِذَا كَتَبَ» وَفِي رِوَايَةٍ الْعِبْرَانِيَّةِ بِدِلِ السُّرْيَانِيَّةِ .

الميمون ، الذي عَمَرَ أَفْنِيَةَ السِّيَادَةِ . زاد في مواثيق العهد والرياسة ، أَرَسَى قَوَاعِدَ  
السيادة ، ثَبَّتَ أَسَاسَ الرَّفْعَةِ ، أَوْثَقَ عُرَا المجد ، مَكَّنَ أَرْكَانَ الفُضْلِ ، وَطَّدَ أَسَاسَ  
المَكَارِمِ ، أَكَّدَ عَلَاقِقَ الشَّرَفِ ، أَبَدَ أَوَانِي الكرم ، أَرَمَ حِبَالَ الجُودِ ، أَمَرَ أَسْبَابَ  
الطُّولِ ، شَيَّدَ بُيُوتَ الكَمَالِ ، أَحْصَفَ أَيْدِي السَّمَاحَةِ ، أَحْكَمَ قُوَى الرَّجَاحَةِ ، أَوْثَقَ  
عَقْدَ العُلَا ، رَفَعَ دَعَائِمَ الظَّاهِرَةِ ، أَنَارَ أَعْلَامَ الغَارَةِ ، أَظْهَرَ عِلَامَاتِ الحَيْرِ . فَبَاشَرْتُ  
بِهِ ، ابْتَهَجْتُ ، اجْتَذَلْتُ ، اغْتَبَطْتُ ، فَرِحْتُ ، سُرِرْتُ ، اسْتَبَشَرْتُ . جَعَلَهُ اللهُ بَرًّا  
تَقِيًّا ، سَيِّدًا ، حَمِيدًا ، مَيْمُونًا ، مُبَارَكًا ، طَيِّبًا ، عَزِيزًا ، سَعِيدًا ، ظَهِيرًا ، عَوْنًا ، نَاصِرًا ،  
رَاجِحًا ، زَكِيًّا ، وَزَرًا ، مَلَجَأً . يَتَقَلَّلُ سَلْفُهُ ، وَيَقْتَنِي أَثَرُهُ ، يَسْلُكُ مِنْهَا جِهَهُ ، يَسْتَنُ  
سُنَّتَهُمْ ، يَتَّبِعُ قَصْدَهُمْ ، يَسِيرُ سِيرَتَهُمْ ، يَسْعَى مَسَاعِيَهُمْ ، يَخُوضُ مِثَالَهُمْ ، يَحْذُو حَذْوَهُمْ ،  
يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِهِمْ ، يَتَبَصَّرُ بِصِيرَتِهِمْ ، يَنْوُطُ أَفْعَالَهُمْ ، يَتَرَسَّمُ رُسُومَهُمْ . وَأَيْمَنَ بِهِ عِدْدَكَ ،  
كَثَّرَ بِهِ دُرِّيَّتَكَ ، أَرَاكَ فِيهِ غَايَةَ أَمَلِكَ ، شَفَعَهُ اللهُ بِإِخْوَةِ بَرَّةٍ ، وَفَقَّهُ اللهُ لِأَدَاءِ حَقِّكَ ،  
جَعَلَهُ خَيْرَ خَلْفٍ كَمَا هُوَ خَيْرُ سَلَفٍ . زَيْنَ بِهِ الْعَشِيرَةَ ، وَهَبَ لَهُ التَّمَاءَ ، بَلَغَ بِهِ  
أَكْلَاءَ الْعُمُرِ ، مَكَّنَ لَهُ فِي رَفِيعِ المَرَاتِبِ ، حَقَّقَ فِيهِ فِرَاسَتَكَ ، وَهَبَ لَهُ تَمَامَ الفَضِيلَةِ ،  
وَأَوْزَعَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ ، أَجَارَكَ فِيهِ مِنَ الثُّكُلِ ، سَرَّكَ بِفَائِدَتِهِ ، أَسْعَدَكَ بِرُؤْيَيْهِ ، أَطَابَ  
عَيْشَكَ بِهِ ، مَتَّعَكَ بِعَطِيَّتِهِ ، أَلْهَمَكَ شُكْرَ مَا خَوْلَكَ ، وَاصَّلَ لَكَ الْمَزِيدَ بِرَحْمَتِهِ .

فإنه إذا أراد الكاتب أن يستخرج من ألفاظ هذا الكتاب عدة كتب بتهنئة  
بولد ، فعل . كما إذا قال : قد جعلك الله من نعمة طابت مغارمها ، فالزيادة فيها زيادة  
في جوهر الكرم ، فتولى الله نعمه عندك بالحراسة ، وبلغني الخبر بجهة الله الجديدة  
المستجدة ، الولد المبارك الذي عَمَرَ أَفْنِيَةَ السِّيَادَةِ ، فَبَاشَرْتُ بِهِ ، جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى بَرًّا

## المقصد الرابع

(في كيفية تصرف الكاتب في الألفاظ اللغوية . وتصريفها في وجوه الكتابة)  
 لاخفاء أنه إذا أكثر من حفظ الألفاظ اللغوية ، وعرف الألفاظ المترادفة على  
 المعنى الواحد والمتقاربة المعاني ، تمكن من التعبير عن المعاني التي يضطر إلى الكتابة  
 فيها بالعبارات المختلفة ، والألفاظ المتباعدة ؛ وسهل عليه التعبير عن مقصوده ، وهان  
 عليه إنشاء الكلام وترتيبه . وفي الأمثلة التي أوردناها كشأجم في "كز الكلب"  
 حيث يعبر عن المعنى الواحد بعبارات متعددة ما يرشد إلى الطريق في ذلك ، ويهدي  
 إلى سلوك الحادة الموصلة إلى القصد منه .

وهذه نسخة مكتوبة منه في التهنئة بمولود يُستضاء بها في ذلك ، وهي :

قد جعلك الله من نبعة طابت مغارسها ، أرومة رسخت عروقها ؛ شجرة زكت  
 غصونها ؛ فرع شرفت منابته ؛ معدن زكت علائقه ؛ جوهير شاعت مكارمه ؛ عنبر  
 بسقت فروعه ؛ محمد ذاعت محامده ؛ أصل تجت مآثره ؛ سنخ خلصت مناقبه ،  
 نصاب صرحت مفاخره ؛ تجر نمت مساعيه ؛ أصل فضلت معالمه ؛ عنبر نصرت  
 محاسنه ؛ متمى كثر مناقبه . فالزيادة فيها زيادة في جوه الكرم ، مظاهر في نحو  
 ثرى الإفضال ، ذخيرة نفيسة لذوى الآمال ، نعمة كاملة السعادة ، غبطة شاملة  
 البشاشة ، سرور يواجه الأولياء ، حبور تجتويه الأعداء ، غبطة تصل إلى الأحرار ،  
 ابتهاج لذوى الأخطار . فتولى الله نعمه عندك بالحراسة الوافية ، بالولاية الكافية ،  
 الكفاية المتظاهرة ، الدفَاع الكلى ، الحِفاظ الداعى ، الصنْع الجميل ، الدفَاع الحسن ،  
 العافية المتكاثفة . وبلغنى الخبر بجهة الله المستجدة ، الولد المبارك ، الفرع الطيب ،  
 السليل الرضى ، الولد الصالح ، الابن السار ، الثمرة المثمرة ، السلالة الزكية ، النجل



هَلِيلَجْ بِحَذْفِهَا، أَوْ مَهْمُوزِ الْوَسْطِ وَالْعَامَّةُ تَسْهَلُهُ : كَقَوْلِهِمْ فِي الْمِرْءَةِ بِإِثْبَاتِ الْهَمْزَةِ مِرَاةً بِحَذْفِهَا، أَوْ غَيْرِ مَهْمُوزِ الْأَوَّلِ وَالْعَامَّةُ تَثْبِتُ الْهَمْزَةَ فِي أَوَّلِهِ : كَقَوْلِهِمْ فِي الْكُرَّةِ، أُكْرَّةً<sup>(١)</sup>، أَوْ كَانَ بِالْظَاءِ الْمَعْجَمَةُ بِفَعْلَتِهِ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ كَالْوُضَيْفَةِ وَنَحْوِهَا، أَوْ بِالضَّادِ بِفَعْلَتِهِ بِالْظَاءِ : كَقَوْلِهِمْ فِي الْبَيْضَةِ بَيَّضَةً، أَوْ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةُ بِفَعْلَتِهِ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ كَالذَّرَاعِ، أَوْ كَانَ بِالْجِيمِ بِفَعْلَتِهِ بِالْقَافِ : كَقَوْلِهِمْ فِي تَجَادَيْفِ السَّفِينَةِ مَقَادَيْفَ، أَوْ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ بِفَعْلَتِهِ بِالتَّاءِ الْمُثَنَّى فَوْقَ : كَقَوْلِهِمْ فِي دَخَارِيصِ الْقَمِيصِ تَخَارِيصَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا شَاعَ وَذَاعَ وَفِي "أَدَبِ الْكَاتِبِ" لِأَبْنِ قَتَيْبَةَ نَبْذَةً مِنْ لَحْنِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَكَتَابَ "تَثْقِيفِ اللِّسَانِ" لِأَبْنِ مَكِّي التُّونِسِيِّ مَوْضُوعٌ فِي لَحْنِ أَهْلِ الْغَرْبِ، وَفَصِيحٌ ثَعْلَبٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ هَذَا الْمَقْصَدِ .

الصَّنْفُ الْخَامِسُ - الْأَلْفَاظُ الْكَتَابِيَّةُ، وَهِيَ الْأَفَاطُ اتَّخَبَهَا الْكُتَّابُ وَاتَّقَوْهَا مِنَ اللُّغَةِ اسْتَحْسَانًا لَهَا وَتَمَيِّزًا لَهَا فِي الطَّلَاوَةِ وَالرَّشَاقَةِ عَلَى غَيْرِهَا . قَالَ الْجَاهِظُ "مَا رَأَيْتُ أَمْثَلَ طَرِيقَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ، فَإِنَّهُمْ التَّمَسُّوْا مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ مَتَوَعَّرًا حُوشِيًّا، وَلَا سَاقِطًا سُوقِيًّا". وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي "الْمَثَلِ السَّائِرِ" : أَنَّ الْكُتَّابَ غَرَبُوا اللُّغَةَ وَاتَّقَوْا مِنْهَا أَلْفَاظًا رَائِقَةً اسْتَعْمَلُوهَا .

ثُمَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ أَسْمَاءٌ وَأَفْعَالٌ : فَالْأَسْمَاءُ كَقَوْلِكَ فِي الْمَدْحِ فَلَانٌ غُرَّةُ الْقَبِيلَةِ ، وَسَنَامُهَا، وَذَوَابَتُهَا، وَذِرْوَتُهَا، وَهُوَ نَبْعَةُ أَرْوَمَتِهِ وَأَبْلَقُ كَتِيبَتِهِ وَمِدْرَهُ عَشِيرَتِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ . وَالْأَفْعَالُ كَقَوْلِكَ فِي إِصْلَاحِ الْفَاسِدِ : أَصْلَحَ الْفَاسِدَ، وَلَمْ الشَّعَثَ، وَرَأَبَ الشَّعْبَ، وَصَمَّ النَّشْرَ، وَرَمَّ الرَّثَّ، وَجَمَعَ الشَّتَاتَ، وَجَبَرَ الْكُسْرَ، وَأَسَا الْكَلِمَ، وَرَقَعَ الْخَرَقَ، وَرَتَّقَ الْفَتَقَ، وَشَعَبَ الصَّدْعَ . وَفِي "كِتَابِ الْأَلْفَاظِ" "لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَيْسَى الْكَاتِبِ" كِفَايَةٌ مِنْ ذَلِكَ . وَلَهُ مُخْتَصَرٌ أَرَبِيٌّ عَلَيْهِ وَفِي "كَتَرِ الْكُتَّابِ" لِكُشَايِمَ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ .

على العكس من الأول فيقولون في رَجُل رَكُل يَقْرَبُونَهَا من الكاف ، ويأتون بَشِين معجمة بحيم فيقولون في اجْتَمَعُوا اشْتَمَعُوا ، ويأتون بصاد مهملة كزاي فيقولون في صِرَاط زِرَاط ، ويأتون بحيم كزاي فيقولون في جابر زابر ، ويأتون بقاف بين القاف والكاف المعقودة ، قاله ابن سعيد عن سماعه من العرب ؛ ولا يكاد يوجد منهم من يَنْطِقُ بها على أصلها الموصوف في كتب التحويلين . وقد ذكر الشيخ أنير الدين أبو حيان ذلك جميعه في شرحه على تسميل ابن مالك .

الصنف الرابع - ما تلحن فيه العامة وتغيره عن موضعه بأن يكون مفتوح الأول والعامة تكسره : كقولهم في جَفْن العين بفتح الجيم جَفْن بكسرها ؛ أو مفتوح الأول والعامة تضمه : كقولهم في الْقَبُول الذى هو خلاف الرد قُبُول بضمها ؛ أو مكسور الأول والعامة تفتح : كقولهم في دِرْهم بكسر الدال دَرْهم بفتحها ؛ أو مكسور الأول والعامة تضمه : كقولهم في التَّمْسَاح بكسر التاء تُمْسَاح بضمها ؛ أو مضموم الأول والعامة تفتح : كقولهم في العَصْفور بضم العين عَصْفُور بفتحها ؛ أو مضموم الأول والعامة تكسره : كقولهم في الظُّفْر بضم الظاء ظِفْر بكسرها ؛ أو مفتوح الوَسط : كقولهم في القَالَب بفتح اللام قَالِب بكسرها ؛ أو مكسور الوَسط والعامة تفتح : كقولهم في الرجل المُوَسَّوس ، والبرّ المَسَّوس ، والجن المدوّد بكسر الواو في الثلاثة : مُوسَّوس ومُسَّوس ومدوّد بفتحها ؛ أو مضموم الوَسط والعامة تفتح كقولهم في الجُدّد جمع جديد جُدّد بفتحها ؛ أو محزك الوَسط والعامة تسكنه : كقولهم في التَّحْفَة بفتح الحاء تُحْفَة باسكانها ؛ أو ساكن الوَسط والعامة تحركه : كقولهم في الحَلَقَة باسكان اللام حَلَقَة بفتحها ؛ أو مشددا والعامة تخففه : كقولهم في العارِيَة بتشديد الياء عَارِيَة بتخفيفها ؛ أو مخففا والعامة تشدده : كقولهم في الكَرَاهِيَة بتخفيف الياء كَرَاهِيَة بتشديدتها ؛ أو مهموزا والعامة تحذف الهمز من أوله : كقولهم في الإِهْلِيلَج بإثبات همزة في أوله

فَبَقِيَتْ أَلْفَاظُهُمْ سَالِمَةً مِنَ التَّغْيِيرِ وَالْإِخْتِلَافِ بِلُغَةِ غَيْرِهِمْ : كَقُرَيْشٍ ، وَهَذِيلٍ ، وَكَثَانَةٍ ، وَبَعْضِ تَمِيمٍ ، وَقَيْسِ عِيلَانَ ، وَنَحْوِهِمْ مِنْ عَرَبِ الْحِجَازِ ، وَأَوْسَاطِ تَجْدِيدٍ .  
بِخِلَافِ الَّذِينَ حَلُّوا فِي أَطْرَافِ بِلَادِ الْعَرَبِ ، وَجَاوَرُوا الْأَعْجَمَ فَتَغَيَّرَتْ أَلْفَاظُهُمْ بِمَخَالَطَتِهِمْ : كَحِمَيْرَ ، وَهَمْدَانَ ، وَخَوْلَانَ ، وَالْأَزْدَ : لِمَجَاوَرَتِهِمْ بِلَادَ الْحَبَشَةِ ، وَطَيِّئَ وَغَسَّانَ : لِمَجَاوَرَتِهِمْ بِلَادَ الرُّومِ بِالشَّامِ ، وَبَعْضِ تَمِيمٍ ، وَعَبْدِ الْقَيْسِ : لِمَجَاوَرَتِهِمْ أَهْلَ الْحِزْيَةِ وَفَارِسَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّغْيِيرَ يَدْخُلُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مِنْ عِدَّةٍ وَجُودٍ .

مِنْهَا أَنْ تُبَدَّلَ كَلِمَةٌ بِغَيْرِهَا : كَمَا يَسْتَعْمَلُ أَهْلُ اللُّغَةِ الْحَمِيرِيَّةِ "ثَبَّ" بِمَعْنَى 'أَجْلَسَ' ، وَهِيَ فِي عَامَّةِ لُغَةِ الْعَرَبِ لِلْأَمْرِ بِالطَّفْرِ . قَالَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ فِي شَرْحِ أُمْنِيَةِ الْأَلْمَعِيِّ "وَرَبَّمَا غَلَبَتِ الْعُجْمَةُ عَلَى أَحَدِهِمْ حَتَّى لَا يُفْهَمَ عَنْهُ شَيْءٌ" .

وَمِنْهَا أَنْ تُبَدَّلَ حَرْفًا مِنَ الْكَلِمَةِ بِحَرْفٍ آخَرَ : كَمَا تُبَدَّلُ حَمِيرُ كَافِ الْخَطَابِ شِينًا مَعِجْمَةً فَيَقُولُونَ فِي قُلْتُ لَكَ قُلْتُ لَشَّ ؛ وَرَبَّمَا أَبَدَلُوا التَّاءَ أَيْضًا كَأَفَّا فَيَقُولُونَ فِي قُلْتُ قُلُّكَ ، وَكَمَا تُبَدَّلُ رُبْعَةُ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ مِيمًا فَيَقُولُونَ فِي بَكَرٍ مَكْرُوحٍ ذَلِكَ ، وَكَمَا يُبَدَّلُ بَعْضُ الْعَرَبِ الصَّادَ الْمَهْمَلَةَ بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةَ فَيَقُولُونَ فِي صَابِرٍ سَابِرٍ ، وَكَمَا يُبَدَّلُ بَعْضُهُم الطَّاءَ الْمَهْمَلَةَ بِتَاءٍ مَثْنَاةٍ فَوْقُ فَيَقُولُونَ فِي طَالَ تَالٌ وَتُسَمَّعُ مِنْ عَرَبِ أَهْلِ الشَّرْقِ كَثِيرًا ، وَكَمَا يُبَدَّلُ قَوْمُ التَّاءِ الْمَثْنَاةِ فَوْقُ بِضَادٍ مَعِجْمَةً فَيَقُولُونَ فِي أَتْرَاضِرٍ .  
وَمِنْهَا أَنْ يُعَاقَبَ بَيْنَ حَرْفَيْنِ فِي الْكَلِمَةِ كَمَا يَقُولُ بَعْضُهُمْ فِي بَلَخٍ فَلَخٌ ، وَفِي أَصْبَهَانَ أَصْفَهَانَ .

وَمِنْهَا أَنْ يَأْتِيَ بِحَرْفٍ بَيْنَ حَرْفَيْنِ فَيَأْتُونَ بِكَافٍ بِكِيمٍ فَيَقُولُونَ فِي كَلٍّ جَمَلٌ . قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : "وَهِيَ لُغَةٌ فِي الْيَمَنِ كَثِيرَةٌ فِي أَهْلِ بَغْدَادٍ" وَيَأْتُونَ بِجِيمٍ كَكَافٍ

من الأشربة ؛ والحوْلُنْجان ، والكافُور ، والصَّنْدل ، وغيرها من الأفاوية ، والطَّيب ونحو ذلك ؛ وفي "فقه اللغة" من ذلك جملةٌ جيّدة . إلى غير ذلك من الأمور التي لا يَسَعُ استيفائها مما في أدب الكاتب وفقه اللغة الكثيرُ منه .

ومنها ما تعدّدت لغاتُه ؛ ولتَعْلَم أن لغة العرب متعدّدة اللغات متسعة أرجاء الأُسُن بحيث لا تُساويها في ذلك لغة . فن ذلك ما فيه لغتان كقولهم رَطْل ورَطْل بكسر الراء وفتحها وسمٌ وسمٌ بفتح السين وضمها ؛ وما فيه ثلاث لغات مثل بَرُقِع بضم القاف وبرُقِع بفتحها وبرُقُوع بضم الباء وزيادة الواو ، وخاتم بكسر التاء وخاتم بفتحها وخَيْتام ؛ وما فيه أربع لغات مثل نَطَع بكسر النون وفتحها وسكون الطاء ونَطَع بفتح النون والطاء جميعا وكَسَر النون ، وصَدّاق بفتح الصاد وصِدّاق بكسرها وصِدّاق بضمها وصُدّقة بضم الصاد وسكون الدال ؛ وما فيه خمس لغات كقولهم رِيح الشَّمال بفتح الشين من غير همز ، والشَّمال بالهمز ، والشَّمال بغير همز ، والشَّمل بفتح الميم ، والشَّمل بسكونها ؛ وما فيه ستُّ لغات كقُسْطاط بضم الفاء وقُسْطاط بكسرها ، وقُسْطاط بضم الفاء وإبدال الطاء تاء ، وقُسْطاط بكسر الفاء ، وقُسْطاط بضم الفاء وتشديد السين ، وقُسْطاط بكسر الفاء ؛ وما فيه تسع لغات كالآتمة بفتح الهمزة وضمها وكسرها مع فتح الميم وضمها وكسرها ؛ وما فيه عشر لغات كالأصبع بفتح الهمزة وضمها وكسرها مع فتح الباء وضمها وكسرها والعاشر أَصْبُوع . وفي "أدب الكاتب" جملةٌ من هذا النمط

الصنف الثالث - الفصحى من اللغة . وأعلم أن اللغة العربية قد تنوّعت وأختلفت بحسب تنوع العرب واختلاف ألسنتهم ؛ والذي أَعْتَمَدَه حُدّاق اللغة وجهابذة العربية من ذلك ما نطق به فُصحاء العرب ، وهم الذين حلّوا أوساط بلاد العرب ، ولم يخالطهم من سِوَاهُمْ من الأُمم كثيرٌ مخالطةً ، ولم يُصَاقِبُوا بلاد العجم



ومنها ما تختلف أسماءه مع المشابهة في المعنى كالظفر للإنسان، والحافر للفرس والبغل والحمار، والظلف للبقر، والمنسم للبعير، والبرثن للسمك، وما يجري هذا المجرى . وفي "فقه اللغة" جزء وافر منه .

ومنها ما تختلف أسماءه وأوصافه باختلاف أحواله كالكأس لا يقال فيه كأس إلا اذا كان فيه شراب وإلا فهو قدح، ولا مائدة إلا اذا كان عليها طعام والا فهي خوان، ولا قلم إلا اذا كان مبرياً والا فهو أنبوبة، ولا خاتم إلا وفيه فص وإلا فهو فتحة ونحو ذلك، وفي "فقه اللغة" جملة منه .

ومنها معرفة الأصول التي تُشتق منها الأسماء كتسمية القمر قمرًا لبياضه، إذ الأقر هو الأبيض، وكتسمية ليلة الرابع عشر من الشهر ليلة البدر لمبادرة الشمس القمر بالطلع، أو لتمامه وأمتلائه حينئذ من حيث إن كل تام يقال له بدر، وكتسمية النجم نجماً، أخذًا من قولهم نجم إذا طلع ونحو ذلك، وفي "أدب الكاتب" جملة من ذلك .

ومنها ما نطقت به العجم على وفق لغة العرب، لعدم وجوده في لغتهم<sup>(١)</sup> وهو المعرب كالكف والساق والدلال والوزان والصراف والجمال والقصاب والبيطار وما أشبه ذلك؛ وفي "فقه اللغة" جزء من ذلك كاف .

ومنها ما اشترك فيه العربية والفارسية، كالتنور، والخير، والدينار، والدرهم، والصابون، وما أشبه ذلك؛ وفي "فقه اللغة" أيضا نبذة منه .

ومنها ما اضطرت العرب إلى تعريبه واستعماله في لغتهم من اللغة العجمية كالكوز، والإبريق، والطست، والخوان، والطبق، وغيرها من الآنية، والسكاج، والزيرباج، والطبايح، والجوذاب، ونحوها من الأطعمة، والحلاب، والسكجيين، ونحوهما

(١) قوله وهو المعرب كذا في الأصل

فاذا عرف الكاتب ذلك تمكن من وضعه في مواضعه لتحسين الكلام وتتيقنه في الطباق والمقابلة ؛ وفي "أدب الكاتب" نبذة من ذلك .

ومنها ما ورد من كلامهم مني إماما على سبيل التغليب : كقولهم القمران يريدون الشمس والقمر ، والعمران يريدون أبا بكر وعمر ، وإماما على الحقيقة : كقولهم ذهب منه الأطيان ، يريدون الأكل والنكاح واختلف عليه المملوان أو الحديدان ، يريدون الليل والنهار ، ونحو ذلك ؛ وفي "أدب الكاتب" أيضا طرف منه .

ومنها ما ورد من كلام العرب مرتباً كقولهم أول النوم النعاس ، وهو الاحتياج إلى النوم ؛ ثم الوسن ، وهو ثقل النعاس ؛ ثم الكرى والغمض ، وهو أن يكون بين النائم واليقظان ؛ ثم التغفيق ، وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم ؛ ثم الإغفاء ، وهو النوم الخفيف ؛ ثم التهجاع ، وهو النوم القليل ؛ ثم الرقاد ، وهو النوم الطويل ؛ ثم الهجوع ، وهو النوم الغرق ؛ ثم التسيخ ، وهو أشد النوم ، وما أشبه ذلك ، وفي "فقه اللغة" للنعالي قدر صالح من ذلك .

ومنها ما ورد من كلامهم مؤرد الدعاء : إماما على بابه في الدعاء كقولهم "استأصل الله شأفته" يريدون أذهب الله أثره كما يذهب أثر الشأفة ، وهي قرحة تخرج في القدم فتكوى فتذهب ؛ وقولهم "أباد الله خضراءهم" أى سوادهم ومعظمهم . أو لم يقصد به حقيقة الدعاء ، كقولهم "تربت يدك" أى ألصقت بالتراب من الفاقة ، وقولهم "أرغم الله أنفه" أى ألصقه بالرغام ، وهم لا يقصدون به الدعاء . وفي "أدب الكاتب" جملة من ذلك .

(١) أهمله في الأصل وهو من إهمال الناسخ .

كالسَّخْلَةِ وَالْحَيَّةِ وَالْحَمَامَةِ وَالنَّعَامَةِ وَالْبَطَّةِ وَنَحْوَهَا. وَأَيْضًا إِنْ كَانَ مِنْ وَصَفِ الْمُؤَنَّثِ مَا يُحَذَفُ مِنْهُ الْهَاءُ بِاعْتِبَارِ تَأْوِيلِ آخِرِ كَصَيْغَةِ فَعِيلٍ : فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَقَتِيلٍ بِمَعْنَى مَقْتُولٍ وَخَضِيبٍ بِمَعْنَى مَخْضُوبٍ ، حُذِفَتْ الْهَاءُ مِنْ مُؤَنَّثِهِ : فَيَقَالُ امْرَأَةٌ قَتِيلٌ وَكَفُّ خَضِيبٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ كَعَلِيمٍ بِمَعْنَى عَالِمٍ وَرَحِيمٍ بِمَعْنَى رَاحِمٍ ، ثَبَّتَ الْهَاءُ فِي مُؤَنَّثِهِ : فَتَقُولُ فِيهِ عَلِيمَةٌ وَرَحِيمَةٌ . وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فَعُولٌ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ كَانَ بِغَيْرِ هَاءٍ نَحْوُ امْرَأَةٍ صَبُورٍ وَشَكُورٍ بِمَعْنَى صَابِرَةٍ شَاكِرَةٍ ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَانَ مُؤَنَّثُهُ بِالْهَاءِ كَالْحُلُوبَةِ بِمَعْنَى الْحَلُوبَةِ ، وَالرَّكُوبَةِ بِمَعْنَى الْمُرْكُوبَةِ ؛ وَصَيْغَةُ مُفْعِلٍ مِمَّا لَا يُوصَفُ بِهِ الذَّكَورُ تَكُونُ بِغَيْرِ هَاءٍ كَامْرَأَةٌ مُرْضِعٌ ، فَإِنْ أَرَادُوا الْفِعْلَ قَالُوا مُرْضِعَةٌ ؛ وَصَيْغَةُ فَاعِلٍ مِمَّا لَا يَكُونُ وَصْفًا لِمَذْكَرٍ تَكُونُ بِغَيْرِ هَاءٍ أَيْضًا نَحْوُ امْرَأَةٍ طَالِقٍ وَحَامِلٍ ، وَرَبَّمَا حُذِفَتْ الْهَاءُ مِمَّا يَكُونُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ جَمِيعًا فَتَقُولُ امْرَأَةٌ عَاقِرٌ وَرَجُلٌ عَاقِرٌ . وَفِي ”أَدَبِ الْكَاتِبِ“ وَ”فَصِيحِ ثَعْلَبِ“ جُمْلَةٌ مِنْ ذَلِكَ . وَفِي كِتَابِ النُّحُوِّ الْمَبْسُوطَةِ قَوَاعِدُ مُوَصَّلَةٌ إِلَى مَقَاصِدِهِ .

وَمِنْهَا الْمَهْمُوزُ وَغَيْرُ الْمَهْمُوزِ إِنْ كَانَ الْمَعْنَى قَدْ يَخْتَلِفُ فِي اللَّفْظِ الْوَاحِدِ بِاعْتِبَارِ الْهَمْزِ وَعَدَمِهِ : كَمَا تَقُولُ عَبَّاتُ الْمَتَاعِ بِالْهَمْزِ ، وَعَبَّيْتُ الْجَيْشَ بِغَيْرِ هَمْزٍ ، وَبَارَأْتُ الْكَرِيَّ بِالْهَمْزِ مِنَ الْإِبْرَاءِ ، وَبَارَيْتُ فَلَانًا مِنَ الْمُفَاخَرَةِ بِغَيْرِ هَمْزٍ . وَتَقُولُ زَنَى مِنَ الزَّنَا بِغَيْرِ هَمْزٍ ، وَزَنَانًا فِي الْجَبَلِ إِذَا رَقِيَ فِيهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ . وَرَبَّمَا جَاءَ الْهَمْزُ وَعَدَمُهُ فِي الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ كَمَا تَقُولُ شَنَّتْ بِالْهَمْزِ وَشَيْتَ بِإِسْكَانِ الْيَاءِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ وَنَحْوُ ذَلِكَ : فَتَقِي لَمْ يَكُنِ الْكَاتِبُ عَارِفًا بِالْهَمْزِ وَمَوَاضِعِهِ ضَلَّ فِي طَرِيقِ الْكِتَابَةِ . وَفِي ”أَدَبِ الْكَاتِبِ“ بَابُ مَفْرَدٌ لَذَلِكَ .

وَمِنْهَا مَا وَرَدَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مُزْدَوِجًا كَقَوْلِهِمُ الطَّمَّ وَالرَّمَّ ، يَرِيدُونَ بِالطَّمِّ الْبَحْرَ وَبِالرَّمِّ الثَّرَى ، وَكَقَوْلِهِمُ الْحَجَرَ وَالْمَدَرَّ ، فَالْحَجَرُ مَعْرُوفٌ وَالْمَدَرُ التُّرَابُ النَّدَى وَنَحْوُ ذَلِكَ .

ومنها المقصور والمدود كالنمدى للجود وندى الأرض ، والحقا لكلال القدم والحافر؛ والمدود كالسماء للآلآء وكل ماعلاك، والبقاء لضد الفناء، ونحو ذلك؛ وما يجوز فيه المد والقصر جميعا كالزناء<sup>(١)</sup> والشرأ وما أشبههما . ويحتاج إليه الكاتب من ثلاثة أوجه : أحدها أن الدلالة تختلف باعتبار المد والقصر كلفظ الهوى فإنه إن قصر كان بمعنى هوى النفس، وإن مد كان بمعنى ما بين السماء والأرض . الثانى أنه إذا أضيف المدود أضيف بزيادة واو فى الكتابة فى حالة الرفع وزيادة ياء فى حالة الخفض، وإذا أضيف المقصور لم يحتاج إلى زيادة واو ولا ياء، ولو كان مما يجوز فيه المد والقصر، جاز فيه بعض حركاته . ربما يمد كالبلاء والقلاء، فإنه إذا كسر أولهما قُصِرا وكتبَا بالياء وإذا فتح مُدّا وكتبَا بالآلف . وكالباقلاء فإنه إذا خفف مُدّ وإذا شدد قُصِر؛ فتى لم يعرف الكاتب ذلك كان قاصرا فى صناعته، وفى "أدب الكاتب" من ذلك جملة .

ومنها المذكر والمؤنث فإنه تختلف أحواله باعتبار التذكير والتأنيث فى كثير من الأمور . وذلك أن المؤنث على ضربين : أحدهما مافيه علامة من علامات التأنيث الثلاث؛ وهى الهاء نحو حمزة وطاحة، والآلف المدودة نحو حمراء، والآلف المقصورة نحو حُبلى . وضرب لا علامة فيه وإنما يؤخذ من السماع : كالسماء، والأرض، والقوس، والحرب، وما أشبهها . وربما كان منه ما يجوز فيه التذكير والتأنيث كالطريق، والسبيل، والموسى، واللّسان، والسُّلطان، وما أشبهها؛ فإن من العرب من يذكّر ذلك ومنهم من يؤنثه . وربما وقع لفظ التأنيث على الذكر والأنثى جميعا

(١) أهمله فى الاصل وهو من أهال الناسخ .

(٢) قوله ولو كان ما يجوز الخ كذا فى الاصل وهو كما ترى غير مفهوم وهو يحمل الوجه الثالث الذى سقط من قلم الناسخ وحاصله أن الداعى إلى معرفتهما إما أن يرجع إلى المعنى وهو الاول أو إلى الرسم والكتابة وهو الثانى أو إلى النطق والرسم وهو الثالث الساقط فتأمل .



و ثِنْيَةٍ جاوزتها بَثْنِيَّةٌ \* حَرْفٌ يُعَارِضُهَا جَنْيَبٌ أَذْهَمُ

فإنه أراد بالثنية الأولى العقبة ، وبالثنية الثانية الناقة ، والجنيب الأدھم استعارةً لظلمها . فالثنية من حيث وقوعها على الناقة والعقبة أوفق للتجنيس من الناقة ، إذ لو ذكر الناقة مع الثنية التي هي الطريق لفاته التجنيس . ومحل الكلام عليهما كتب الفقه <sup>(١)</sup> ونحوها .

ومنها الحقيقة والمجاز . والحقيقة هي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي كالأسد للحيوان المفترس ، والجمار للحيوان المعروف . والمجاز هو ما أريد به غير الموضوع له في أصل اللغة ، كالأسد للرجل الشجاع بعلاقة الشجاعة في كل منهما ، والجمار للبلد بعلاقة البلادة في كل منهما ، ويحتاج إليه لنقل الألفاظ من حقائقها إلى الاستعارة والتثيل والكناية لما بينهما من العلاقة والمناسبة ، كاليد فإنها في أصل اللغة للجارحة أُطْلِقَتْ على القوة والنعمة مجازاً ، من حيث إن القوة تَظْهَرُ في اليد والنعمة تُؤْتَى بها ومحل ذكرهما أصول الفقه وما في معناها .

ومنها الألفاظ المتضادة وهي التي تقع كل لفظة منها على ضد ما تقع عليه الأخرى كالأمانة والخيانة ، والنصيحة والغش ، والفنق والرتق ، والنقص والإبرام ، ونحو ذلك فإن الكلام كثيراً ما يبنى على الأضداد وربما غلط الكاتب بفعل مقابل الشيء غير ضده فيلزمه النقص في صناعته ، وفوات ما يقصده من المقابلة والطباق اللذين هما من أحسن أنواع البديع . وفي "صناعة الكتاب" لأبي جعفر النحاس جملة صالحة من ذلك ، وفي "كثرة الكتاب" لأبي الفتح كُشِّجِمَ جملةً جيدة منه أيضاً . ومنها تسمية المتضادين باسم واحد كالجون للأسود والأبيض ، والقراء للظهور والحيض ، والصريم لليل والنهار ، ووراء لخلف وقدام ، ونحو ذلك . ويحتاج إليه للتمييز بين الحقائق التي يقع اللبس فيها . وفي "أدب الكاتب" جملة من ذلك .

المصنوعة والأطبخة ؛ وأسماء الأشربة : كالماء ، واللبن ، والعسل ، والخمر ؛ وأسماء السلاح : من السيوف ، والرماح ، والقسي ، والسهام ، والدروع وغيرها ؛ وأسماء اللباس : من الثياب على اختلافها ؛ وأسماء الأمتعة ، والآنية وسائر الآلات ؛ وأسماء الطيب : من المسك ، والنّد ، والغالية ، والزعفران ، وما أشبهها . وكذلك كل ما يجري هذا المجرى . و"كفاية المتحفظ" لابن الأجدابي ، و"المذهبة والمعقبة" لابن أصبغ كافلتان بالكثير من ذلك . وفي "أدب الكاتب" لابن قتيبة و"فقه اللغة" للشعالبي الجزء الوافر من ذلك .

وصرف آخرون عنايتهم إلى التأليف في الأفعال وتصاريقها كابن درستويه وغيره . وفي "فصيح ثعلب" جزء وافر من ذلك ؛ ولعصريتنا الشيخ مقبل الضرغتمشيّ التحوى كتاب زاد فيه عليه جمعا ووضوحا .

الصنف الثاني - الفروع المتشعبة في المعاني المختلفة ، وهي فروع كثيرة متسعة الأجزاء ، متباينة المقاصد ؛ لا يكاد يجمعها مصنف ، وإن كان الكاتب لا يستغني عن شئ منها ، ولا يحسن به تركه .

منها المتباين والمترادف . فأما المتباين فهو ما دلّ لفظ الكلمة منه على خلاف مادلت عليه الكلمة الأخرى ، كالسواد والبياض ، والطول والعرض ؛ ويحتاج إليه في التعبير عن المعاني المختلفة لاتساع نطاق الكلام . وأما المترادف فهو المتوارد للألفاظ على مسمى واحد كالأسد والسبع للحيوان المفترس ؛ والثنية والقُلوص للناقاة ، ونحو ذلك . ويحتاج إلى معرفة ذلك للإختصاص عند ضيق الكلام عليه في موضع لطول لفظة أو قصرها أو اختلاف وزنها في شعر ، أو رعاية الفاصلة آخر الفقرة في نثر ، أو غير ذلك مما يضطر فيه إلى إيراد بعض الألفاظ بدل بعض ، كما في قوله :

ويأبسه، فإذا كان رطباً قيل له خلّاً، وإذا كان يابساً قيل له خشيش، وأخذ في ذكر النبات من ابتدائه إلى آكتهاله إلى هيجه، فقال المعتصم "ليتلقد هذا العرض علينا." ثم خصّ به حتى استوزره .

فقد ظهر أن معرفة الغريب من الأمور الضرورية للكاتب التي هي من أهم شأنه، وأعنى مقاصده. وجُلّ كتب اللغة المصنّفة في شأنها راجعة إليه، كصاح الجوهري، ومُحْكَم ابن سيده، ومُجَلَّ ابن فارس وغيرها من المصنّفات التي لا تكاد تُحصى كثرة والصاح أقربها مأخذاً، والمحكم أمثلها طريقة، وأكثرها جمعاً، وأكملها تحقيقاً. وقد صرف قوم من المصنّفين العناية من ذلك إلى الاقتصار على ذكر الأسماء والأوصاف: كأوصاف الرجال والنساء المحمودّة والمذمومة، وما يختص من ذلك بالرجال والنساء؛ وأوصاف الخيل، وأعضائها، وألوانها، وشيأتها، وأسنانها، وسيرها، وعدوها وما يخص الذكور والإناث منها؛ وأوصاف الوحوش: من السباع والظباء والوعول والبقر والحمر الوحشيين؛ وأسماء الطير: من الجوارح الصائدة والطيور المصيدة، وبُغَاث الطير كالرخم، وصِغَارِهِ كالنحل والجراد؛ وأوصاف الهوام كالخشرات: من الحيات والوزغ ونحو ذلك؛ وأوصاف العلويات: من السماء والسحاب والرياح والأمطار؛ والأزمنة كأوقات الليل والنهار، وأوقات الشهر وفصول السنة ونحو ذلك؛ وأسماء النّبات: من الشجر البرّي كالطَّلح والأراك، والبُستانيّ كالنخل والعنب؛ والنبات البرّي كالشَّيْح والقَيْصُوم؛ وأنواع المَرْعى؛ وأسماء الأماكن: من البراري والقفار، والرمال والجبال والأحجار، والمياه والبحار والأنهار والعيون والسيول؛ والرياض والمَحَالّ والأبنية؛ وأسماء جواهر الأرض: من اليواقيت ونحوها؛ وسائر مستخرجات المعادن، كالنحاس والرصاص وما يجري مجراها؛ ومستخرجات البحر: من اللؤلؤ والعنبر والمرجان وغيرها؛ وأسماء المأكولات: من الحبوب، والفواكه، والأطعمة

المألوف لاسمياً الشعرُ الجاهليُّ . وقد قال الأصمعيُّ ”توسَّلت بالمُلح ونلت بالغريب“ .  
قال صاحب ”الريحان والريعان“ : والغريب وإن لم يُنفق منه الكاتب فإنه يجب أن  
يُعلم ويُتطَّلَع إليه ويُستَشَرَف ؛ فربَّ لفظَةٍ في خلالِ شِعْرٍ أو خُطْبَةٍ أو مَثَلٍ نادر  
أو حكاية ، فإن بقيت مُقفلة دون أن تُفتَح لك ، بقي في المصدر منها حَزَاة تُخَوِّج  
إلى السُّؤال ؛ وإن صُنِّت وجهك عن السؤال ، رضيت بمنزلة الجهال . وقد عاب  
أَبْنُ قَتِيْبَةَ رجلاً كتب في وصفِ رِذْوَنَ : ”وقد بعثت به أبيض الظهر والشفَتين“  
ف قيل له : هَلَّا قلت في بياض الشفتين أَرْتَمَ أَلْمَطَ ؛ فقال لهم : فيياض الظهر ، قالوا  
لَا نَدْرِي ، فقال : إنما جَهِلت من الشفتين ما جَهِلْتُم من الظَّهْر . وذَمَّ قوماً من وجوه  
الكُتَّاب بأنه آجتماع معهم في مجلس فتذاكروا عُيوبَ الرقيق فلم يكن فيهم من يُفترِّق  
بين الوَكْع والكَوْع ، ولا بين الحَنَف والفَدْع<sup>(١)</sup> ، ولا بين اللَّيِّ واللَّطَع . ثم قال :  
”وأشئ مقام أنزى لصاحبه من رجل من الكُتَّاب أصطفاه بعضُ الخُلَفَاء ، وأرتضاه  
لِسِرِّهِ ، فقرأ عليه يوماً كتاباً فيه مُطرناً مطراً كثرُ عنه الكَلَّا ، فقال له الخليفة ممتحناله :  
وما الكَلَّا ؟ فتردد في الجواب ، وتعثَّر لسانه ثم قال : لا أدري ؛ فقال : سَل عنه“ .  
قال أبو القاسم الزجاجيُّ في شرح مقدمة أدب الكاتب : وهذا الخليفة هو المعتصم  
والكاتب أحمد بن عَمَّار ، وكان يتقلَّد العَرَض عليه ؛ وكان المعتصمُ ضعيفَ البَصَرِ  
بالعربية ؛ فلما قرأ عليه أحمد بن عَمَّار الكِتَاب وسأله عن الكَلَّا فلم يعرفه ، قال :  
إِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون ! خليفة أُمِّي ، وكاتب عُمِّي ؛ ثم قال مَنْ يَقْرُبُ مِنَّا  
من كُتَّاب الدار فَعَرِّفْ مكانَ محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان يقف على قَهْرمة الدار  
فأمر بإشخاصه ، فلما مثل بين يديه ، قال له ما الكَلَّا ؟ قال : النبات كلُّه رَطْبُه<sup>(٢)</sup>

(١) هو بالفاء والذال المهملة اعوجاج الرُّسْغ من اليد أو الرجل حتى يتقلب الكف أو القدم إلى أنسيها .

قاموس . وفي الأصل القُدْع بالقاف والذال المعجمة وهو تصحيف ظاهر فتنبه

(٢) هو من باب دخل كما في المختار



## المقصد الثاني

( في وجه احتياج الكاتب إلى اللغة )

لامرئية في أن اللغة هي رأس مال الكاتب، وأُس كلامه، وكثر إنفاقه؛ من حيث إن الألفاظ قوالبٌ للعاني التي يقع التصرف فيها بالكتابة؛ وحينئذ يحتاج إلى طول الباع فيها، وسعة الخطو، ومعرفة بسائطها : من الأسماء والأفعال والحروف، والتصريف في وجوه دلالتها الظاهرة والخفية : ليقدر بذلك على استعمالها في محالها، ووضعها في مواضعها اللائقة بها، ويجد السبيل إلى التوسع في العبارة عن الصور القائمة في نفسه فيتسع عليه نطاق النطق، وينفسح له المجال في العبارة، وينفتح له باب الأوصاف فيما يحتاج إلى وصفه، وتدعو الضرورة إلى نعتة؛ فيستظهر على ما يشيه، ويحيط علماً بما يذره ويأتيه؛ إذ المعاني وإن كانت كامنة في نفس المعبر عنها فإنما يقوى على إبرازها وإبانها من توفر حفظه من الألفاظ، وأقداره على التصرف فيها : ليأمن تداخلها وتكريرها المهجنين للمعاني - وناهيك أن ابن قتيبة لم يضمن كتابه "أدب الكاتب" غير اللغة إلا التزوير اليسير من الهجاء؛ وأبا جعفر النحاس ضمن كتابه "صناعة الكتاب" جزءاً وافراً من اللغة؛ وأبا الفتح كشاجم لم يزد في كتابه "كثر الكتاب" على ذكر الألفاظ وصورة تركيبها .

## المقصد الثالث

( في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من اللغة؛ ويرجع المقصود منه إلى خمسة أصناف )  
الصنف الأول - الغريب، وهو ما ليس بمألوف الاستعمال، ولادائر على الألسنة وذلك أن مدار الكتابة على استخراج المعاني من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والشعر؛ وألفاظها لا تخلو عن الغريب؛ بل ربما غلب الغريب منها في الشعر على

وأما ما آخِصَّتْ به على غيرها من اللغات، فقد حكى في "صناعة الكتاب" أنها اللغة التامة الحروف، الكاملة الألفاظ، لم ينقص عنها شيء من الحروف فيشِينها نُقصانُه، ولم يزد فيها شيء فيعيبها زيادته؛ وإن كان لها فروع أخرى من الحروف فهي راجعة إلى الحروف الأصلية؛ وسائر اللغات فيها حروف مولدة، وينقص عنها حروف أصلية: كاللغة الفارسية: تجد فيها زيادةً ونقصاناً. وكذلك يوجد فيها من الأسماء ما لا يوجد في الفارسية وغيرها: كالحقِّ والباطل، والصواب والخطأ، والحلال والحرام، فلا ينطق به أهل تلك اللغة إلا عربياً. قال الفراء: "وجدنا للغة العرب فضلاً على لغة جميع الأمم اختصاصاً من الله تعالى وكرامةً أكرمهم بها، ومن خصائصها أنه يوجد فيها من الإيجاز ما لا يوجد في غيرها من اللغات". قال: "ومن الإيجاز الواقع فيها أن للضرب كلمةً واحدةً فتوسَّعوا فيها، فقالوا للضرب في الوجه لطم، وفي القفا صفع، وفي الرأس إذا أدمى شجّ؛ فكان قولهم لطم أوجز من ضرب على وجهه". قال في "المثل السائر": "حضرت مع رجل يهودي عارف باللغات بخرى ذكر اسم الجمل فقال: لا شك أن العربية أوجز اللغات، فإن اسم الجمل بالعبرانية كومل فسقط منه الواو وحولت الكاف إلى الجيم". قال أبو عبيد: وللعرب في كلامها علامات لا يشتركون فيها أحد من الأمم كعلامة إدخالهم الألف واللام في أول الاسم، وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجه مع نقلهم كل ما احتاجوا إليه من كلام العجم إلى كلامهم؛ فقد نُقل ما قالت حكماء العجم والفلاسفة إلى العربية ولم يقدر أحد من الأمم على نقل القرآن إلى لغته لكمال لغة العرب. على أن الكثير من الناس حاولوا ذلك فعسر عليهم نقله، وتعدّرت عليهم ترجمته؛ بل لم يصلوا إلى ترجمة البسملة إلا بنقل بعيد.

## الفصل الثاني

( من الباب الأول من المقالة الأولى )

( فيما يحتاجُ الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء، وفيه طرفان )

## الطرف الأول

( فيما يحتاجُ إليه من الأدوات ؛ ويشتمل الغرض منه على خمسة عشر نوعاً )

## النوع الأول

( المعرفة باللغة العربية ؛ وفيه أربعة مقاصد )

## المقصد الأول

( في فضلها وما اختصت به على سائر اللغات )

أما فضلها فقد أخرج ابنُ أبي شَيْبَةَ بسنده إلى أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال : ”تَعَلَّمُوا اللِّغْنَ وَالْفَرَائِصَ فَإِنَّهُ مِنْ دِينِكُمْ“ . قال يزيد بن هارون : ”اللِّغْنُ هُوَ اللُّغَةُ“ . وَلَا خَفَاءَ أَنَّهَا أَمْتُنُ اللُّغَاتِ وَأَوْصَحُّهَا بَيَانًا ، وَأَذْلَقُهَا لِسَانًا ، وَأَمْدُهَا رُؤَافًا ، وَأَعَدَّهَا مَذَاقًا ؛ وَمَنْ تَمَّ اخْتَارَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَشْرَفِ رُسُلِهِ ، وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَخَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَصَفْوَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ ؛ وَجَعَلَهَا لُغَةً أَهْلِ سَمَائِهِ وَسُكَّانِ جَنَّتِهِ ، وَأَنْزَلَ بِهَا كِتَابَهُ الْمُبِينَ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ .

قال في صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ : ”وَقَدْ أَنْقَادَتِ اللُّغَاتُ كُلُّهَا لِلُّغَةِ الْعَرَبِ ، فَأَقْبَلَتِ الْأُمَمُ إِلَيْهَا يَتَعَلَّمُونَهَا“ .

وصفه كأوصاف الأبطال والشجعان، والجواري والغلمان، والخيل والإبل، وجيل  
الوَحْش وسائر أصنافه، وجوارح الوَحْش والطير، وطير الواجب، والجمام الهدى،  
وسائر أنواع الطير، والسلاح بأنواعه، وآلات الحصار، والآلات الملوكة، وآلات  
السفر، وآلات الصَّيد، وآلات المعاملة، وآلات اللّهُو والطَّرَب، وآلات اللعب،  
وآلات الشربة، والمدن، والحصون، والمساجد، وبيوت العبادات، والرياض،  
والأشجار، والأزهار، والثمار، والبراري، والقفار والمفاوز، والجبال، والرمال،  
والأودية، والبحار، والأنهار، وسائر المياه، والسفن، والكواكب، والعناصر،  
والأزمنة، والأنواء، والرياح، والمطر، والحر، والبرد، والتلج، وما يتعلق بكل واحد  
من هذه الأشياء أو يخطر في سلكه، ونحو ذلك مما تدعو الحاجة إلى وصفه في حالة  
من حالات الكتابة على ما سيأتي بيانه في آخر الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء  
الله تعالى



بل قد قيل إن كل ذى علم يسوغ أن يُنسب إليه ، فيقال فلان النحوى ، وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم ، ولا يجوز أن ينسب المتعلق بالكتابة إليها ، فلا يقال فلان الكاتب لما يفتقر إليه من الخوض فى كل فن .

وأعلم أن كاتب الإنشاء وإن كان يحتاج إلى التعلق بجميع العلوم والخوض فى سائر الفنون فليس احتياجه إلى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج إليه بطريق الذات وهى مواد الإنشاء التى يستمد منها ويقتبس من مقاصدها : كاللغة التى منها آستمداد الألفاظ ، والنحو الذى به آستقامة الكلام ، وعلوم البلاغة : من المعانى والبيان والبديع التى هى مناط التحقيق والتحسين والتقييح ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى . وعلى هذا آقتصر الوزير ضياء الدين بن الأثير فى ” المثل السائر ” وتبعه على ذلك الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى كتابه ” حسن التوسل ” . ومنها ما يحتاج إليه بطريق العرض كالطّب والهندسة والهيئة ونحوها من العلوم ؛ فإنه يحتاج إلى معرفة الألفاظ الدائرة بين أهل كل علم ، وإلى معرفة المشهورين من أهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه لينظم ذلك فى خلال كلامه فيما يكتب به من متعلقات كل فن من هذه الفنون كالألفاظ الدائرة بين أهل الطب ومشاهير أهله وكتبه فيما يكتب به لرئيس الطب . ونحو ذلك من الهيئة فيما يكتب به لمنجم ، ونحوه من الهندسة فيما يكتب به لمهندس . وربما آحتاج إلى معرفة مأهو دون ذلك فى الرتبة كمعرفة مصطلح رُماة البندق فيما يكتب به فى قدمات البندق ، ومعرفة مصطلح الفتيان فيما يكتب به فى دسكرة فتوة ونحو ذلك ، بل ربما آحتاج إلى معرفة مصطلح سفل الناس لكتابة أمور هزلية : كمعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتب به لطفيلى آقتراحا أو آمتحانا للخاطر أو ترويحاً للنفس ، مع معرفة مايجب عليه من وصف مايتأحتاج إلى

أما الذى تزوجت أمه فتكتب إليه : أما بعد فإن الأمور تجري على غير محابٍ  
المخلوقين والله يختار لعباده ، بخار الله لك فى قبضها إليه فإن القبور أكرم الأكفاء  
والسلام .

وأما القراح من الأرض ، فإنك تسمع أعوجاجه حتى تعلم كم قبضة تكون فيه  
إذا استوى فى يدك عند تعرفه ضربت طرفه فى وسطه . وأما الحزة والسريرة  
فيوزن بينهما فأيهما كان لبنا أخف فالبنت لها . وأما المشقوق الشفة العليا فأعلم  
والمشقوق الشفة السفلى فأفاح . وأما المأمومة ففيها ثلث الدية وهى ثلاث وثلاثون  
من الإبل وثلث . وأما الموضحة ففيها خمس من الإبل . فقلت : ألسنت تزعم أنك  
حائك ، فقال : أنا حائك كلام لاحتك نساجة . قال عمرو بن مسعدة : فأحسن  
جائزته وأستصحبته معى حتى عدت إلى المعتصم ، فسألنى عما لقيت فى طريق ،  
فقصصت عليه القصة فأعجب به وقال : لم يصلح ؟ فقلت : للعماير . فقرره فيها  
وعلت رتبته ، فكنت ألقاه فى المركب النبيل فيترجل لى فأنهائه ، فيقول : هذه  
نعمتك وأنت أفدتها .

فقد تبين بهذه الحكاية أن لكل نوع من الكتابة مادة يحتاج إليها بمفردها ، وآلة  
تخصها لا يستغنى عنها

على أن كاتب الإنشاء فى الحقيقة لا يستغنى عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن ،  
فقد قال الوزير ضياء الدين بن الأثير فى "المثل السائر" إن صاحب هذه الصناعة يحتاج  
إلى التشبث بكل فن من الفنون حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما يقوله الناذب بين النساء ،  
والماشطة عند جلوة العروس ، وإلى ما يقوله المنادى فى السوق على السلعة فما ظنك  
بما فوق هذا وذلك لأنه مؤهل أن يهيم فى كل واد ، فيحتاج إلى أن يتعلق بكل فن .

أنا كَاتِبُ رسائل - قال : فإن أَخًا مَن إخوانك واجبَ الحقِّ عليك معنيا بأمرورك لا يَغفُلُ منها عن صغير ولا كبير يكتبك في كل محبوب ومكروه وأنت له على مثل ذلك تزوجتُ أمه كيف تكتب إليه ؟ أتهنيه أم تُعزّيه ؟ - قلت أهنيه ، قال فهنّه فلم يَنْجِه لي شيء - فقلت : لا أعزّيه ولا أهنيه ، فقال : إنك لا تغفُل له عن شيء ولا تجدُ بداً من أن تكتب إليه - فقلت : أقلني فأنا كاتب خراج - قال : فإن أمير المؤمنين وجه بك إلى ناحية من عمله ، وأمرك بالعدل والإنصاف وأنت لا تدع شيئاً من حقّ السلطان يذهب ضياعاً ، وحدّرك الظلم والجور ، فخرجت حتى قدّمت الناحية فوقفوك على قرّاج أرض خطه قابل قسماً كيف تسمحّه - قلت : أخذ وسطه وأخذ طولَه فأضربه فيه - قال : تختلف عليك العُطوف - قلت : أخذ طولَه وعرضه من ثلاثة مواضع - قال : إن طرفيه محدودان وفي تحديده تقويس وذلك يختلف فأعياي ذلك - فقلت : أقلني فأنا كاتب قاض - قال : فإن رجلاً هلك وخلف زوجة حرة وسريّة حاملتين فوضعتا في ليلة واحدة وضعت الحرة جارية ، ووضعت السريّة غلاماً ، فوضعت الجارية في مهد السريّة ، فلما أصبحت السريّة قالت الغلام لي ، وقالت الحرة بل هولى كيف تحكم بينهما؟ - قلت : لأدرى فأقلني ، فأنا كاتب جندي ، قال : فإن رجلين من أصحاب السلطان أتياك أسمهما واحد ، وأحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق الشفة السفلى ، ورزق أحدهما مائة والآخر ألف كيف تُحلّيهما؟ - قلت : فلان الأعلّم وفلان الأعلّم ، قال : إذن يجيء هذا ورزقه مائة فيأخذ الألف ، ويجيء هذا ورزقه ألف فيأخذ المائة - قلت أقلني : فأنا كاتب سُرطة ، - قال : فإن رجلين تواثبا فشج أحدهما صاحبه موصحة ، وشجّه الآخر مأمومة كيف يكون الحكم فيهما؟ - قلت : لأدرى فأقلني ، . قال فقلت : إنك قد سألتني فبين لي - قال نعم .

قَرَّبَ له - فقال : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! يُؤْذِيكَ وَيُضَيِّقُ عَلَيْكَ - فقلت : قَرَّبَ له لا أَمَ لك ! فَقَرَّبَ له وحمله على مؤنَّث الزورق . وحضر الطعام ، فهممت أن لا أدعوه إلى طعامي ، ثم قلت : هَلُمَّ يَا فَيَّ ، فوثبَ وجلس ، فأكل أَكْلَ جَائِعٍ نَهْمَ إِلَّا أَنَّهُ نَظِيفُ الْأَكْلِ ؛ فلما فرغ من الطعام أَحَبَّبْتُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُ الْعَوَامُ فَيَتَنَحَّى وَيَغْسِلَ يَدَيْهِ نَاحِيَةً فَلَمْ يَفْعَلْ ، فغمرته الْغِلْمَانُ لِيَقُومَ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَتَنَاقَشْتُ عَمْدًا لِيَنْهَضَ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَاسْتَوَيْتُ جَالِسًا وَقُلْتُ يَا فَيَّ ! مَا صِنَاعَتُكَ ؟ فقال جعلت فداكَ ! أَنَا حَائِكٌ . فقلت في نفسي : أَنَا وَاللَّهِ جَلَبْتُ هَذِهِ الْبَلِيَّةَ ، وَتَغْيِرُ لَوْنِي ، فَفِطَنَ أُنَى اسْتَنْقَلَتْهُ ، فَقَالَ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! أَنْكَ قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ صِنَاعَتِي فَأَجَبْتُكَ ، فَأَنْتَ مَا صِنَاعَتُكَ ؟ فقلت : هَذِهِ وَاللَّهِ أَضَرُّ مِنَ الْأَوَّلَى أَلَا يَنْظُرُ إِلَى غِلْمَانِي وَنِعْمَتِي فَيَعْلَمُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُسْتَعْلَمُ عَنِ الْحِرْفَةِ ؟ وَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ الْجَوَابِ ، فَلَمْ أَذْهَبْ إِلَى الْمُرْتَبَةِ الْعَظْمَى مِنَ الْوِزَارَةِ لِكُنِّي قَرَّبْتُ عَلَيْهِ ، فقلت : أَنَا كَاتِبٌ - فقال : جُعِلَتْ فِدَاكَ الْكُتَّابُ نَحْمَسُهُ فَأَيُّهُمْ أَنْتَ ؟ فَأُورِدَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَسْمَعْ بِهِ قَبْلُ - فقلت : بَيْنَهُمْ لِي - قَالَ نَعَمْ ، هُمْ كَاتِبُ رِسَالٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ الْمَفْصُولَ وَالْمَوْصُولَ ، وَالْمَقْصُورَ وَالْمَمْدُودَ ، وَالْأَبْتَدَاءَ وَالْجَوَابَ ؛ حَازِقًا بِالْعُقُودِ وَالْفَتْوحِ - قلت : أَجَلٌ وَمَاذَا ؟ قَالَ : كَاتِبُ نَحْرَاجٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ السُّطُوحَ وَالْمِسَاحَةَ وَالتَّقْسِيطَ ، خَيْرًا بِالْحِسَابِ وَالْمُقَاسَمَاتِ . قلت : وَمَاذَا ؟ قَالَ : كَاتِبُ قَاضٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَالتَّأْوِيلَ وَالتَّنْزِيلَ - وَالْمُتَشَابِهَ وَالْحُدُودَ الْقَائِمَةَ وَالْفَرَائِضَ ، وَالْأَخْتِلَافَ فِي الْأُمُودِ وَالْفُرُوجِ ، حَافِظًا لِلْأَحْكَامِ ، حَازِقًا بِالشَّرُوطِ - قلت : وَمَاذَا ؟ قَالَ : وَكَاتِبُ جُنْدٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ الْحِلِّيَّ وَالشَّيْثَ - قلت : وَمَاذَا ؟ قَالَ : وَكَاتِبُ شُرْطَةٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ الْقِصَاصَ وَالْجِرَاحَاتِ ، وَمَوْضِعَ الْحُدُودِ ، وَمَوَاقِعَ الْعَفْوِ فِي الْجَنَايَاتِ - قَاتٍ حَسَنٌ . قَالَ : فَأَيُّهُمْ أَنْتَ ؟ فَكُنْتُ مَتَكِنًا فَاسْتَوَيْتُ جَالِسًا مُتَعَجِّبًا مِنْ قَوْلِهِ ، فقلت :



واحد منها منفرد على حديثه وإن كان الكاتب يحتاج إلى أشياء منها نحو ما يكتب بالآلف والياء، وإلى شيء من المقصور والمدود. ولو كلف الكاتب ما ذكره من ذكره لجعل الأصعب طريقاً للأسهل والأشقق مفتاحاً للأهون وفي طباع الناس النفاذ عما ألزمهم من جميع هذه الأشياء .

قلت : والتحقيق أن ذلك يختلف باختلاف حال الكتابة بحسب تنوعها ، فكل نوع من أنواعها يحتاج إلى معرفة فن أو فنون تختص به .

وقد حكى أن عمرو بن مسعدة وزير المعتصم قال : لما خرج المعتصم من بلاد الروم وصار بناحية الرقة ، قال لي ويلك يا عمرو ! لم تزل تخدعني حتى وليت عمر بن الفرج<sup>(١)</sup> الرعجي الأهواز ، وقد قعد في سرّة الدنيا يأكلها خضاً وقضاً ! فقلت يا أمير المؤمنين فأنا أبعث إليه حتى يؤخذ بالأموال ولو على أجنحة الطير - قال : كلاً بل تخرج إليه بنفسك كما أشرت به - فقلت لنفسى : إن هذه منزلة خسيصة ، بعد الوزارة أكون مستحسناً لعامل خراج ! ولم أجذبداً من الخروج رضاً لأمر المؤمنين - فقلت : ها أنا خارج إليه بنفسى يا أمير المؤمنين ! قال : فضع يدك على رأسك وأحلف أنك لا تقيم ببغداد ، ففعلت وأحدثت عهداً باخوانى ومتزلى وأتى إلى بزورق ففرش لي فيه ، ومضيت حتى إذا صرت بين دير هرقل ودير العاقول إذا شاب على الشط يقول : يا ملاح ! رجل غريب يريد دير العاقول فأحملني يا جرك الله ! - فقلت : يا غلام

(١) في الأصل عمرو ... .. الرعجي . والصواب ما أثبتناه فقد قال ياقوت في الكلام على رنج مثال رنج : وينسب إلى الرعجي فرج وابنه عمر بن فرج وكانا من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل وكان عبد الصمد بن المعتز يهجو عمر بن فرج . فن قوله فيه يخاطب نجاح بن سلمة

أبلغ نجاحاً قتي الكتاب مألوفة \* تمضى بها الرمح إصداراً وإيراداً

لا يخرج المال عفواً من يدى عمر \* أو تغمد السيف في فؤديه إغماراً

الرنجيون لا يوفون ما وعدوا \* والرنجيات لا يخلفن ميعاداً

المشارب وردد المهاوى، ومجارى الأيام في الزيادة والنقصان، ودوران الشمس، ومطالع النجوم، وحال القمر في استهلاله واتصاله، ووزن الموازين، وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا، ونصب القناطر، والجسور، والدوالي، والنواعير على المياه، وحال أدوات الصنائع، ودقائق الحساب، كان ناقصا في حال كتابته . ثم قال : ولا بد له مع ذلك من النظر في جمل من الفقه والحديث، ودراسة أخبار الناس، وحفظ عيون الأخبار ليُدخلها في تضاعيف سطوره متملا بها اذا كتب، أو يصل بها كلامه اذا حاور . وختم ذلك بأن قال : ومدار الأمر في ذلك كله على القطب وهو العقل وجودة القرينة ؛ فإن القليل معهما بإذن الله تعالى كاف، والكثير مع غيرهما مقصر .

وتابعه أبو هلال العسكري في بعض ذلك فقال في بعض أبواب كتابه «الصناعتين» : ”ينبغي أن تعلم أن الكتابة تحتاج إلى آلات كثيرة، وأدوات بحمة : من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ وإصابة المعنى ؛ وإلى الحساب، وعلم المساحة، والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة وغير ذلك مما ليس هذا موضع ذكره وشرحه .“

ولا يخفى أن ما ذكره بعض ما ذكره ابن قتيبة، يتواردان فيه في المعنى وإن اختلف اللفظ . وخالف أبو جعفر النحاس في كثير من ذلك فذكر في أول كتابه ”صناعة الكتاب“ في المرتبة الثانية منه بعد ما يتعلق بالخط : أن من أدوات الكتابة البلاغة، ومعرفة الأضداد مما يقع في الكتب والرسائل والعلم بترتيب أعمال الدواوين، والخبرة بمجارى الأعمال، والدربة بوجوه استخراج الأموال، مما يجب ويمتنع . ثم قال : فهذه الآلات ليس لواحد منها تميز بذاته، ولا آنفردا باسم يخصه ؛ وإنما هو جزء من الكتابة وأصل من أركانها . أما الفقه والفرائض والعلم بالنحو واللغة وصناعة الحساب والمساحة والنجوم، والمعرفة بأجراء المياه، والعلم بالأنساب فكل

## المقالة الأولى

بعد المقدمة

في بيان ما يحتاج إليه كاتبُ الإنشاء من المواد ؛ وفيه بابان

## الباب الأول

فيما يحتاج إليه الكاتبُ من الأمور العلمية ، وفيه ثلاثة فصول

## الفصل الأول

( فيما يحتاج إليه الكاتب على سبيل الإجمال )

وقد اختلفت مقاصدُ المصنِّفين في ذلك : فأبْنُ قتيبة بعد أن بنى كتابه أدب الكاتب على أمور من اللغة والتصريف وطرف من الهجاء قال : " وليس كتابنا هذا لمن لم يتعلَّق من الإنسانية إلا بالجسم ، ولا من الكتابة إلا بالرَّسم ، ولم يتقدَّم من الأداء ، إلا بالقلم والدواء : ولكنه لمن شدا شيئا من الإصراب فعرف الصُّدر والمصدر ، وأنقلبَ الياء عن الواو ، والألف عن الياء ، وأشبهه ذلك من النظر في الأشكال لمساحة الأرضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية ، والمثلث الحاد ، والمثلث المنفرج ، ومساقط الأحجار ، والمربعات المختلفة ، والقيس ، والمدورات ، والعمودين ؛ وتُمتَحَن معرفته بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر ، فإن المخبر عنه ليس كالمعائن . وذكر أن العجم كانت تقول : من لم يكن عالما باجراء المياه ، وحفر فُرُض

(١) كذا في الأصل وأدب الكاتب . وفي القاموس شدا أخذ طرفا من الادب وهو معنى مناسب هنا .

والذي في الضوم سدد .

لغيره في أنه الذي أبدعه وأبتكره . وكل من لفق منهم شيئا أو أنشأه كتبه بخطه على  
أى طبقة كان في الخط ، ما خلا عهود السلطنة ومكاتب القانات من ملوك الشرق  
فإنه ربما انتخب لها أعلى أهل الزمان خطأ ، تنوياً بذكرها ، ورفعاً لقدرها .

أما كتابة التذاكر والدفاتر فقد كان الأمر مستمراً في بعضها ككتابة ما في المكاتب  
الواردة والصادرة بدق في الديوان إلى آخر مباشرة القاضي بدر الدين بن فضل الله  
في الدولة الظاهرية برقوق ، ثم رُفض ذلك وترك واقتصر على ما يرد من المكاتب  
وما يكتب من المخلصات وكتابة الموقع الذي يكتب الجواب بسد كل فصل تحته  
ليس إلا وترك ما وراء ذلك ، واكتفى من الخازن بدوادار كاتب السر ، وصار هو  
المتولى لحفظ ذلك وإيداعه في الأضابير على نحو ما تقدم<sup>(١)</sup> ، وكذلك صار أمر حجابة  
الديوان إليه . ثم للديوان أعوان يسمون المدرا جمع مدير ، شأنهم أخذ القصص  
ونحوها وإدارتها على كاتب السر فمن دونه من كُتاب الديوان يكتب كل منهم  
ما يلزمه من متعلقها ولذلك سمو بهذا الاسم .

(١) كذا في الأصل والقواعد لاتساعد .



الطبقة الثانية - كُتِّبَ الدَّرَجُ، وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتبُ السِرِّ أو كُتِّبَ الدست أو إشارة النائب أو الوزير، أو رسالة الدوادار ونحو ذلك من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير والأيمان والأمانات ونحو ذلك مما يجري مجراه. وسُمُّوا كُتِّبَ الدَّرَجِ لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها في دُرُوجِ الورق، والمراد بالدَّرَجِ في العُرف العام الورق المستطيل المركَّب من عدة أوصال، وهو في عُرْف الزمان عبارة عن عشرين وصلاً متلاصقة لا غير. قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكُتَّاب: وهو في الأصل اسمٌ للفعل أخذاً من درَجْتَ الكتاب أدْرُجُه درَجاً إذا أسرعتَ طِيَّةً وأدرَجْتَه إدراجاً فهو مُدرَج إذا أعدته على مطاويه وأصله الإسراع في حالة، ومنه مدرجة الطريق التي يُسرِع الناس فيها وناقَةٌ درُوج إذا كانت سريعة. ويجوز أن يطلق عليهم كُتَّاب الإنشاء لأنهم يكتبون ما يُنشأ من المكاتبات وغيرها مما تقدم ذكره؛ ولا يجوز أن يطلق عليهم لِقَب الموقَّعين لما تقدم من أن المراد من التوقيع الكتابة على جوانب القصص ونحوها. وكما زاد كُتَّاب الدِّست في العدد زاد كُتَّاب الدَّرَج حتى خرجوا عن الحد، وبلغوا نحو من مائة وثلاثين كاتباً؛ وسقطت رئاسة هذه الوظيفة وأنحط مقدارها حتى إنه لم يرضها إلا من لم يكن أهلاً. على أن كُتَّاب الدست الآن هم المتصدون لكتابة المهم من كتابة الدَّرَج: كمتعلقات البريد المختصة بالسلطان من المكاتبات والعهود والتقاليد وكبار التواقيع والمراسيم والمناشير، وصار كُتَّاب الدَّرَج في الغالب مخصَّصين بالمكاتبات في خلاص الحقوق وما في معناها. وكذلك صغار التواقيع والمراسيم والمناشير مما يكتب في القطع الصغير، وربما شارك أعلامهم كُتَّاب الدست في التقاليد وكبار التواقيع وما في معناها إذا كان حسن الخط، ولا نظر إلى البلاغة جملةً بل كل أحد يلقِّق ما يتبَّأ له من كلام المتقدمين غير مبالي بتحريفه ولا تصحيحه مبهتجاً بذلك مطالعاً

ذلك لم يؤمن أن يُطلع منها على ما يكون باظهاره سبب سقوط مرتبته وإذا كثر الغاشون له والداخلون إليه ، أمكن أهل الديوان معه إظهار الأسرار أتكالا على أنها تُنسب إلى أولئك ، فإذا كان الأمر قاصرا عليهم احتاجوا إلى كتمان ما يعلمونه خشية أن يُنسب إليهم إذا ظهر .

وأما ما استقر عليه الحال في زماننا فكُتاب الديوان على طبقتين .

الطبقة الأولى - كُتاب الدست ؛ وهم الذين يجلسون مع كاتب السر يجلس السلطان بدار العدل في المواقب على ترتيب منازلهم بالقدمة <sup>(١)</sup> ويقرؤون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر . وسُموا كُتاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه : لجلوسهم للكتابة بين يديه ؛ وهؤلاء هم أحق كُتاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين : لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم .

وقد تقدم أنهم كانوا في أوائل الدولة التركية في الأيام الظاهرية ببيرس وما والاها قبل أن يلقب صاحب ديوان الإنشاء بكاتب السر ثلاثة كُتاب ، رأسهم القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، ثم زادوا بعد ذلك قليلا إلى أن صاروا في آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عشرة أو نحوها ، ثم ترايدوا بعد ذلك شيئا فشيئا خصوصا في سلطنة الظاهر برقوق ، وأبنة الناصر فرج حتى جاوزوا العشرين وهم آخذون في التزايد .

وقد كانت هذه الرتبة لاحقة بشأوكاتب السر في الرفعة والرياسة إلى أن دخل فيها الدخيل ، وقدم فيها غير المستحق ، ووليها من لا يؤهل لها هو دونها ، وأنحطت رتبتها وصار أهلها في الحضيض الأوهد من الرياسة بعد أوجها إلا الأفذاذ ممن عالت رتبته وقليل ما هم .

(١) المقدمة بالضم السابق . ولعل مراده سبق في الفضل .

إخراج شئ من المكاتب من الديوان، وإفشاء سر من الأسرار فيضراً بالدولة ضرراً كبيراً . ويجب أن يكون ملازماً للحضور بين يدي كُتَّاب الديوان فتى كتب المنشى أو المتصدى لمكتبة الملوك ، أو المتصدى لمكتبة أهل الدولة ، أو لكاتبه المناشير وغيرها شيئاً ، سلمه للمتصدى للنسخ فينسخه حرفاً بحرف ، ويكتب بأعلى نسخه كتاب كذا - ويذكر التاريخ بيومه وشهره وسنته على ما تقدم في موضعه ؛ ويسلمه للخازن . وكذلك يفعل بالكتب الواردة بعد أن يأخذ خط الكاتب الذى كتب جوابها بما مثاله . «ورد هذا الكتاب من الجهة الفلانية بتاريخ كذا، وكتب جوابه بتاريخ كذا» . وإن كان لا جواب عنه ، أخذ عليه خط صاحب الديوان أنه لا جواب عنه لتبرأ ذمته منه ولا يتأول عليه في وقت من الأوقات أنه أخفاه ولم يعلم به . ثم يجمع كل نوع إلى مثله ، ويجمع متعلقات كل عمل من أعمال المملكة من المكاتب الواردة وغيرها ، ويجعل لكل شهر إضبارة ، يجمع فيها كُتُب من يكاتب من أهل تلك الأعمال ، ويجعل عليها بطاقةً مثل أن يكتب «إضبارة لما ورد من المكاتب بالأعمال الفلانية في الشهر الفلانى» ثم يجمع تلك الأضابير ويجعلها إضبارة واحدة لذلك الشهر ويكتب عليها بطاقة بذلك ليسهل استخراج ما أراد يستخرجه من ذلك . قال : ويجب على هذا الخازن أن يحتفظ بجميع ما فى هذا الديوان من الكتب الواردة ونسخ الكتب الصادرة ، والتذاكر ، وخرائط المهجات ، وضرائب الرسوم احتفاظاً شديداً .

الثانى - حاجب الديوان . قال الصورى : "ينبغي لصاحب ديوان الإنشاء أن يُقيم لديوانه حاجباً لا يمكن أحداً من سائر الناس أن يدخل إليه ، ما خلا أهله الذين هو معدوق بهم ، فإنه يجمع أسرار السلطان الخفية فمن الواجب كتبها ومتى أهمل

(١) فى الضوء معزوق بهم بالعين المهمة والزأى [وهى أصرح فى المقام فى القاموس عزق به كفرح لصق] .

الثالث - أن يضع بالديوان دفترًا للحوادث العظيمة وما يتلوهما مما يجري في جميع المملكة؛ ويذكر كلا منها في تاريخه؛ فإن المنفعة به كثيرة حتى إنه لو جمع من هذين الدفترين تاريخ لاجتمع .

الرابع - أن يعمل فهرستًا للكتب الصادرة والواردة مفصلاً مُسَانَةً ومشاهرة ومياومة، ويكتب تحت اسم كل من ورد من جهته "كتاب ورد بتاريخ كذا"، ويشير إلى مضمونه إشارة تدل عليه أو ينسخه جميعه إن دعت الحاجة إلى ذلك، ويسلمه بعد ذلك إلى الخازن ليتولى الاحتفاظ به على ما سيأتى ذكره .

الخامس - أن يعمل فهرستًا للإنشاءات، والتقايد، والأمانات، والمناشير وغير ذلك مشاهرة في كل سنة بجميع شهورها؛ وإذا انقضت سنة استجد آخر، وعمل فيه على مثل ما تقدم .

السادس - أن يعمل فهرستًا لترجمة ما يترجم من الكتب الواردة على الديوان بغير اللسان العربي من الرومي والفرنجي وغيرهما مصرحاً بمعنى كل كتاب ومن ترجمه على ما تقدمت الإشارة إليه . قال الصوري : فإذا رُوِّعَتْ هذه القوانين أنضبطت أموره ولم يكدر بخلل منه شيء، وكان جميع ما يلتمس منه موجوداً بأيسر سعي في أسرع وقت .

## الضرب الثاني

(غير الكتاب، وهما آثنان)

أحدهما الخازن . قال الصوري "ينبغي أن يختار لهذه الخدمة رجلٌ ذكيٌّ فطن عاقلٌ مأمونٌ بالغٌ في الأمانة والثقة ونزاهة النفس وقلة الطمع إلى الحد الذي لا يزيد عليه ؛ فإن زمام جميع الديوان بيده؛ فمَنْ كان قليل الأمانة ربماً أمالته الرشوة إلّا"



أوراقا من هـ. هذه التذاكر على حدة ، تكون على رؤوس الأوراق علاماتٍ باسم تلك الصفقة أو الجهة ، ويكتب على هذه الصفقة فصلٌ من كتاب فلان الوالى ، أو المشارف ، أو العامل - ورد بتاريخ كذا - مضمونه كذا - أجيب عنه بكذا - أوم يجب عنه إلى أن تفرغ السنة يستجد للسنة الأخرى التى تتلوها تذكرة أخرى . وكذلك يجعل له تذكرة يسطر فيها مهماتٍ ما تخرج به الأوامر فى الكتب الصادرة لئلا تغفل ولا يجاب عنها ، وتكون على الهيئة المتقدمة من ذكر النواحي وأرباب الخدم . وإذا ورد جواب عن شئ مهم نزل عنده فيقول : ورد جوابه عن هذا الفصل بتاريخ كذا يتضمن كذا ، فإنه إذا اعتمد هذا وجد السلطان جميع ما يسأل عنه حاضرا فى وقته غير متعذر عليه .

الثانى - أن يضع فى الديوان دفترا بالقبال الولاية وغيرهم من ذوى الخدم ، وأسمائهم ، وترتيب مخاطباتهم ، وتحت اسم كل واحد منهم كيف يخاطب : بكاف الخطاب أو هاء الكناية ، ومقدار الدعاء الذى يدعى له به فى السجلات والمكاتبات والمناشير ، والتوقيعات : لاختلاف ذلك فى عرف الوقت . وكذلك يضع فيه ألقاب الملوك الأبعد والمكاتبين من الآفاق وكُتَّابهم وأسماءهم ، وترتيب الدعاء لهم ، ومقداره . ويكون هذا الدفتر حاضرا لدى كُتَّاب الإنشاء ينقلون منه فى المكاتبات ما يحتاجون إليه : لأنه ربما تعذر حفظ ذلك عليهم - ومتى تغير شئ منه كتبه تحته . ويكون لكل خدمة ورقة مفردة فيها اسم متوليها ولقبه ودعاؤه - ومتى صُرف كتب عليه صُرف بتاريخ كذا ، وأستخدم عوضا منه فلان بتاريخ كذا وأجرى فى الدعاء على منهاجه ، أو زيد كذا أو نقص . ولا يتغافل عن ذلك : فإنه متى أهمل شئ من ذلك زلَّ بزلله الكُتَّاب وصاحب الديوان بل والسلطان نفسه .

يتغطى عنه عيب نفسه ويظهر له عيب غيره، وكان زمن متولى الديوان أضيّق من أن يؤنى بكل ما يكتب بديوانه حق النظر. وكان القصد أن يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطأ ولفظاً ومعنى وإعراباً، حتى لا يجد طاعن فيه مطعناً، وجب أن يستخدم متولى الديوان معيناً يتصفح جميع الإنشاءات والتقليدات والمكاتبات وسائر ما يسطر في ديوانه .

قال أبو الفضل الصورى : وينبغي أن يكون هذا المتصفح على المنزلة في اللغة والنحو وحفظ كتاب الله تعالى، ذكياً، حسن الفطنة، عاقلاً، مأموناً وأن يكون مع ذلك بعيداً من الغرض والعداوة والشحناء حتى لا ينحس أحداً حقه، ولا يُجانب أحداً فيما أنشأه أو كتبه . بل يكون الكل عنده في الحق على حد واحد لا يترجح واحد منهم على الآخر . وعليه أن يلزم الكُتّاب بعرض جميع ما يكتبونه وينشئونه عليه قبل عرضه على متولى الديوان . فإذا تصفحه وحرره كتب خطه فيه بما يعترف رضاه عنه ليلتمز بدرك ما فيه ويبرأ من شأنه .

السابع - كاتب يكتب التذاكر والدفاتر المضمّنة لمتعلّقات الديوان .

قال الصورى : ويجب أن يُختار لذلك كاتبٌ مأمونٌ، طويل الروح، صبور على التعب، قال : والذي يلزمه من متعلّقات الديوان أمور .

أحدها - أن يضع في الديوان تذاكر تشتمل على مهمّات الأمور التي تُنهى في ضمن الكتب، ويظن أنه ربما سُئل عنها أو احتيج إليها، فيكون استخراجها من هذه التذاكر أيسر من التنقيب عليها والتنقيب عنها من الأضابير . قال : ويجب أن تسلم إليه جميع الكتب الواردة بعد أن يكتب بالإجابة عنها ليتأملها وينقل منها في تذاكره ما يحتاج إليه، وإن كان قد أجيب عنه بشئ نقله، ويجعل لكل صفقة

الدينوى لأنه يطلع على أكثر مايجرى فى الدولة، ويعلم بالوالى قبل توليه والمصرف قبل صرفه، ويكون مع ذلك سريع اليد فى الكتابة، حسن الخط اذ كان هذا الفن أكثر ما يستعمل ولا يكاد يقل فى وقت من الأوقات

الرابع - كاتب يكتب المناشير والكتب اللطاف والنسخ . قال : وهذه المنزلة لاحقة بالمنزلة التى قبلها وكأنها جزء منها . ويجب أن يكون هذا الكاتب مأموناً كئوماً للسر، فيه من الأدب ما يأمّن معه من الخط واللحن فى لفظه وخطه، ويكون حسن الخط أو بالغاً فيه القدر الكافى . ولكن لما كان هذا الشغل واسعاً وهو أكثر عمل الديوان والذى لا ينفك منه، لم يكدر يستقل به رجل واحد فيحتاج إلى معاضدته بآخر يكون دونه فى المنزلة، ويُعمل برسم تسطير المناشير والفصول المتقدمة الى المقيمين بالحضرة، وكتابة تذاكر المستخدمين، ونقلها مما يمليه صاحب الديوان ويصدر عنه فى نسخ تكون مخلدة فيه لا تغادر الميضة بحرف لتكون موجودة متى احتيج إليها .

الخامس - كاتب يبيض ما ينشئه المنشئ مما يحتاج إلى حسن الخط، كالعهود والبيعات ونحوها . قال الصورى : لما كانت البلاغة التامة التى يصلح صاحبها للإنشاء وحسن الخط قلما يجتمعان فى أحد، وجب أن يُختار للديوان مبيض برسم الإنشاءات والسجلات والتقليدات، ومكاتبات الملوك، وأن يكون حسن الخط إلى الغاية الموجودة بحيث لا يكاد يوجد فى وقته أحسن خطاً منه لتصدر الكتب عن الملك بالأتماظ الرائقة والخط الرائع . فإن ذلك أكمل للملكة، وأكثر تفخيماً عند من يكتبه وتعظيماً لها فى صدره . ويجب أن يكون مع ذلك فى الأمانة، وكتمان السر، وزاخرة النفس على ما تقدم .

السادس - كاتب يتصفح ما يكتب فى الديوان . قد تقدم أنه لما كان كل واحد من تقدم ذكره غير معصوم من السهو والزلل والخط واللحن وعثرات القلم . وكل واحد

تتلى فيها الكتب على صياصي المنابر ورءوس الأشهاد . فقد حكى أن يزيد بن الوليد كتب إلى إبراهيم بن الوليد ، وقدهم بالعصيان : أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فأعتمد على أيهما شئت والسلام ؛ فكان سبباً لإقلاعه عما هم به .

الثاني - كاتب يكتب مكاتبات الملوك عن ملكه ؛ وقد شرط فيه مع ما شرط في المتصدى للانشاء المتقدم ذكره أن كان هو الذى ينشئ المكاتبات بنفسه عن الملك أن يكون على دين الملك الذى يكتب عنه ومذهبه ؛ لما يحتاج إليه فى مكتبة الملك المخالف من الاحتجاج على صحة عقيدته ، ونصرة مذهبه ، وإقامة الدلائل على صحة ذلك ، وإن محتج للملة أو المذهب من اعتقد خلافه بل المخالف إنما تبدؤ له مواضع الطعن لا مواضع الحجج . وكذلك أن يكون من علو الهمة ، وقوة العزم ، وشرف النفس بالمحل الأعلى ، والمكان الأرفع ؛ فإنه يكتب عن ملكه ، وكل كاتب فإنه يجتره طبعه وجليلته وخيمه إلى ما هو عليه من الصفات . فكلما كان الكاتب أقوى جانباً وأشدّ عزماً وأعلى همة ، كان على التفضيم والتعظيم ، والتهويل والترغيب والترهيب أقدر ، وكلما نقص من ذلك نقص من كتابته بقدره ؛ وأن يكون عالماً بقدر طبقة المكتوب إليه فى معرفة اللسان العربى فيخاطب كل قوم على قدر رتبهم فى ذلك وما يعرف من فهمهم .

الثالث - كاتب يكتب مكاتبات أهل الدولة وكبرائها ، وولاتها ، ووجوهها من النواب والقضاة والكتاب والمشارفين والعمال ، وإنشاء تقليدات ذوى الخدم الصغار والأمانات ، وكتب الأيمان والقسامات . قال : وهى وإن كانت دون الرتبين المتقدمتين فهى جليلة الخطر عالية القدر ؛ ويجب أن يكون لاحقاً برتب الخدمة منها ، وأن يكون مأموناً على الأسرار ، كاف اليد ، نزه النفس عن العرض



## الفصل الرابع

في ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وما يلزم ربّ كل وظيفة منهم فيما كان الأمر عليه في الزمن القديم وأستقرّ عليه الحال في زماننا .  
أما في الزمن القديم فقد ذكر أبو الفضل الصّوريّ في مقدّمة تذكرته أن أرباب الوظائف فيه على ضربين .

## الضرب الأول — الكُتّاب

(وقد عدّاهم إلى سبع كتّاب<sup>(١)</sup>)

الأول — كاتب ينشئ ما يُكتب من المكاتبات، والولايات، لتصدّي الإنشاء ملكته وغريزة طبعه . قال: ويجب أن يكون هذا الكاتب لاحقاً بصفات متولّي الديوان بحيث يكون كاملاً في الصفات، مستوفياً لشروط الكتابة، عارفاً بالفنون التي يحتاج إليها الكاتب، مشتملاً على التقدّم في الفصاحة والبلاغة، قوى الحجّة في المعارضة، واسع الباع في الكلام بحيث يقتدر بملكته على مدح المذموم وذم المحمود وصرف عَنان القول إلى حيث شاء، والإطناب في موضع الإطناب، والإيجاز في موضع الإيجاز، فإنه أجلُّ كُتّاب الديوان، وأرفعهم درجةً لأنه يتولّى الإنشاء من نفسه، وتلقّي إليه الكلمة الواحدة والمعنى المفرد فينشئ على ذلك كلاماً طويلاً، ويأتي منه بالعبارة الواسعة، وهو لسانُ الملك المتكلّم عنه، فهما كان كلامه أبدع، وفي النفوس أوقع، عظمت رتبة الملك، وارتفعت منزلته على غيره من الملوك . وهو الذي ينشئ العهود والتقاليد في الولايات والكُتُب في الحوادث الكبار، والمهمّات العظيمة التي

(١) الصواب تأنيث أسم العدد كما هو واضح .

أخض منه، من حيث إنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه وأنه لا غنى به عن مفاوضته في آرائه والإفضاء إليه بمهمات، وتقريبه من نفسه في آناء إيله وساعات نهاره، وأوقات ظهوره للعامة وخلواته، وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته، وأنه لا يثق بأحد من خاصته ثقته به، ولا يركن إلى قريب ولا نسيب ركونه إليه، ومن كان بهذه الرتبة من السلاطان والقرب منه، وجب عليه أن لا يألوه نصحا فيما يعلم أنه أصلح للملكته وأعمر لبلائه وأرغم لأعدائه وحسادته وأثبت لدولته وأقوى لأسباب مملكته.

فقد حكى عن علي بن زيد الكاتب : أنه صحب بعض الملوك فقال للملك : "أصحبك على ثلاث خلال - قال وما هي؟ - قال لا تهتك لي سترًا، ولا تشتم لي عرضًا، ولا تقبل في قول قائل حتى تستبرئ. فقال له الملك - هذه لك عندي فمالي عندك؟ قال : لا أفشى لك سرًا، ولا أؤثر عنك نصيحة، ولا أؤثر عليك أحدا - قال نعم الصاحب المستصحب أنت ! .

فإذا انتهى إلى صاحب الديوان خبر يتعلق بجلب منفعة إلى المملكة أو دفع مضرة عنها، أطلع السلطان عليه في أسرع وقت وأعجله قبل فوات النظر فيه ونحله فيه صائب رأيه، ثم رد النظر فيه إلى رأى السلطان ليخرج عن عهده . وإن ارتاب في خبر المخبر أحضره معه إلى السلطان ليشافه فيه حتى يكون بريئا عن تبعته، ولا يهمل تبليغ خبره بمجرد الريسة لاحتمال صحته في نفس الأمر فيلحق بواسطة إهماله ضرر لا يمكن تداركه . وكذلك الحال في سائر ما يرجع إلى صلاح المملكة وحسن تديرها .

الديار المصرية أمكنة مرتبة برعوس جبال عوال، بها أقوام مقيمون فيها، لهم رزق على السلطان من إقطاعات وغيرها إذا حدث حادث عدو من بلاد التتار، وأتصل ذلك بمن بالقلاع المجاورة للفرات من الأعمال الحليية : فإن كان ذلك في الليل أُوقِدَت النار بالمكان المقارب للفرات من رعوس تلك الجبال فينظره من بعده ، فيوقد النار فينظره من بعده ، فيوقد النار وهكذا حتى ينتهي الوقود إلى المكان الذي بالقرب من بليس في يوم أو بعض يوم ، فيرسل بطاقته على أجنحة الحمام بالإعلام بذلك فيعلم أنه قد تمزك عدو في الجملة فيؤخذ في التأهب له حتى تصل البرد بالخبر مفصلاً .

وأما المحرقات فسيأتى أنه كان أيضا قوم من هذه المملكة مرتبون بالقرب من بلاد التتار يتحيلون على إحراق زروعهم بأن يمسك الثعالب ونحوها وتربط الخرق المغموسة في الزيت بأذنان تلك الثعالب وتوقد بالنار وترسل في زروعهم إذا يبيت فيأخذها الذعر من تلك النار المربوطة بأذنانها فتذهب في الزروع آخذة يمينا وشمالا فما مرّت بشئ منه الا أحرقتة وتواصلت النار من بعضها الى بعض فتحرق المزرعة عن آخرها .

قلت : وهذان الأمران قد بطل حكمهما من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار على ما سيأتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

### الأمر الثاني عشر

( نظره في الأمور العاقبة مما يعود نفعه على السلطان والمملكة )

قد تقدم في أول هذا الفصل في الكلام على بيان رتبة صاحب ديوان الإنشاء من كلام صاحب مواد البيان أنه ليس في منزلة خدّم السلطان والمتصرفين في مهماته

واحد منهما كان يسير في كل يوم نيفاً وأربعين فرسخاً ، وأسّترَ حكم السّعاة ببغداد إلى زماننا حتّى إنّ منهم ساعين لركّاب السلطان يمشيان أمامه في المواكب وغيرها على قرب .

قلت : ”وقد رأيتهما في خدمة السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد حين قدم مصر في دولة الظاهر برقوق فأرا من تمر“ . أمّا الديار المصرية فإنه لا يتعانى ذلك عندهم إلا خفاف الشباب من مكارية الدواب ونحوهم ممن يعتاد شدة العدو إلا أنه إذا طرأ مهم سلطانيّ يقتضى إيصال ملطّف مكتبة عن الأبواب السلطانية إلى بعض النواحي وتعذر إيصاله على البريد لحيلولة عدوّ في الطريق أو انقطاع خيل البريد من المراكز السلطانية لعارض ، أنتدب كاتب السرّ بأمر السلطان من يُعرف بسرعة المشي وشدة العدو للسفر ليوصل ذلك الملطّف إلى المكتوب إليه والإتيان بجوابه . وربما كُتب الكتابان فأكثر إلى الشخص الواحد في المعنى الواحد ويجهز كل منهما صحيفة قاصد مفرد خوف أن يُعترض واحد فيمضى الآخر إلى مقصده كما تقدّم في بطائق الحمام الرئاسيّ . وقد أخبرني بعض من سافر في المهمات السلطانية من هؤلاء أنهم في الغالب عند خوف العدو يمشون ليلاً ويكمنون نهاراً وإذا مشوا في الليل يأخذون جانباً عن الطريق الجادة ، يكون بين كل اثنين منهم مقدار رمية سهم حتّى لا يسمع لهم حسٌّ فإذا طلع عليهم النهار كمنوا متفرقين مع مواعدهم على مكان يتلاقون فيه في وقت المسير .

### الأمر الحادى عشر

(نظرة في أمر المناور والمحركات)

أما المناور فسيأتى أنه في الزمن المتقدم عند وقوع الحروب بين التتار وأهل هذه المملكة ، كان بين القرّات بآخر الممالك الشامية وإلى قريب من بليّس من أعمال



وقد حكى عن بعض الملوك أنه كان يعطى من يأتیه بالأخبار المكروهة من الجواسيس أكثر مما يعطى من يأتیه بالأخبار السارة .

(١١)  
واعلم أنه لا يمكن أحدا ممن يمنع بلاده أو عسكره من جواسيس عدوه . فيجب الاحتراز منهم بكتمان السرّ وسرّ العورة ما أمكنه ؛ على أنه ربما دعت الضرورة في بعض الأحيان إلى أن يعرّف الملك عدوه بعض أموره على حقيقة الأمر يحاول به مكيدته . والطريق في ذلك أن يتلف إلى أن يصير جاسوس عدوه جاسوسا له بأن يتودّد إليه بالاستمالة والبرّ وكثرة البذل حتّى يستخرج نصيحته ، فينثذ يلقى إليه ما أراد تبليغه إلى صاحبه الأول مما فيه الماكيدة فيوصله إليه فيكون أقرب لقبوله من بلوغه له من غيره ممن يثمه .

### الأمر العاشر

( نظره في أمور القصاص الذين يسافرون بالمطّقات من الكتب )

عند تعذر وصول البرد إلى ناحية من النواحي )

وهو من أعظم مهمات السلطنة وأكدها . وقد ذكر ابن الأثير في تاريخه : أن أول من اتخذ السعاة من الملوك معز الدولة بن بويه أول ملوك الديلم بعد الثلاثين والثلاثمائة : وكان سبب ذلك أنه كان ببغداد ، وأخوه ركن الدولة آبن بويه بأصبهان وماعها فأراد معز الدولة سرعة إعلام أخيه ركن الدولة بتجددات الأخبار فأحدث السعاة وانشئ في أيامه ساعيان اسم أحدهما فضل والآخر مرعوش ، وكان أحدهما ساعى السنة والآخر ساعى الشيعة ، وتعصّب لكل منهما فرقة ، وبلغ من شأنهما أن كل

(١) كذا في الأصل . ولعل صوابه "لا يمكن أحدا أن يمنع الخ" فنبه .

إذا ورد بنفسه عليه ليكون ذلك داعيا لغيره على النصيحة . وإن قُدِّرَ أن عاد منهم أحد غير ظافر بقصد أو حاصل على طلبة وهو ثقة ، فلا يستوحش منه بل يؤليه الجميل ، ويعامله بالإحسان ؛ فإنه إن لم ينجح المرة نَجَحَ الأخرى . وعليه أن يحترز عن أن تعرف جواسيسه بعضهم بعضا لا سيما عند التوجه للمهمات . وإن استطاع أن لا يجعل بينه وبينهم واسطة فعل ، وإن لم يمكنه ذلك جعل لكل واحد منهم رجلا من بعض خاصته يتولى إيصاله إليه فإنه إذا علم بعضهم ببعض ربما أظهره ، بخلاف ما إذا آختص الواحد بالسر . وأيضا فإنه لا يؤمن اتفاقهم عليه ومما لا تُهم لعدوه . وكذلك يحترز عن تعرف أحد من عسكره عيونه وجواسيسه ؛ فإن ذلك ربما يؤدى إلى انتشار السر والعود بالمفسدة . وعليه أن يصغى إلى ما يلقى إليه كل من جواسيسه وعيونه وإن اختلفت أخبارهم يأخذ بالأحوط فيما يؤذيه إليه آجتماعه من ذلك ولا يجعل اختلافهم ذنبا لأحد منهم ، فقد تختلف أخبارهم وكل منهم صادق فيما يقوله ؛ اذ كل واحد قد يرى ما لا يرى الآخر ، ويسمع ما لا يسمعه . وإذا عثر على أحد من جواسيسه بزلّة فليستُرّها عنه وعليه ، ولا يعاقبه على ذلك ولا يوبّخه عليه فإن وبّخه ففى خلوة بلطف مذكرا له أمر الآخرة وما فى ممالأة العدو والخيانة من الوبال فى الآخرة . ولا بأس بأن يُجرى له ذكر ما عليه من مصافاته ومودته وأنه مع العدو على غرر لا يدرى ما هو صائر إليه ؛ فإن ذلك أدعى لاستصلاحه . ولا شك ان استصلاحه إقاما فى الوقت أو فيما بعد خير من ثبات فسادة ، فربما أذاه ذلك إلى ممالأة العدو ومباطنته ، لا سيما إذا كان العدو معروفا بالحلم والصفح ، وكثرة البذل والعطاء . وإذا حضر إليه جاسوس بخبر عن عدوه استعمل فيه التثبت ودوام البشر ولا يُظهر تهاونا عليه تظهر معه الحقة ، ولا إعراضا عنه يفوت معه قدر المناصحة ، ولا يُظهر له كراهة ما يأتيه به من الأخبار المكروهة فإن ذلك مما يستدعى فيه كتمان السر عنه فيما يكره فيؤدى إلى الإضرار به .

ومنها أن يكون له دُرْبَةٌ بالأسفار ومعرفةً بالبلاد التي يتوجه إليها : ليكون أغنى له عن السؤال عنها وعن أهلها ، وربما كان في السؤال تنبُّه له وتيقُّظ لأمره فيكون ذلك سببا لهلاكه ؛ بل ربما وقع في العقوبة وسئل عن حال ملكه فدلَّ عليه وكان عينا عليه لاله .

ومنها أن يكون عارفاً بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها لِيَلْتَقِطَ مَا يَقَعُ مِنَ الْكَلَامِ فيما ذهب بسببه مَنْ يَخَالِطُهُ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ وَسُكَّانِ الْبِلَادِ الْعَالَمِينَ بِأَخْبَارِهَا ، وَلَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ مَنْ يَتَّبِعُهُ بِمَمَالِئَةِ أَهْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَهْلِ كُلِّ لِسَانٍ اتِّحَادُ الْجَنَسِ ، وَالْجَنَسِيَّةُ عِلَّةُ الضَّمِّ .

ومنها أن يكون صَبُورًا عَلَى مَا لَعَلَّهُ يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ عُقُوبَةٍ إِنْ ظَنِرَ بِهِ الْعَدُوُّ بِحَيْثُ لَا يَخْبِرُ بِأَحْوَالِ مَلِكِهِ وَلَا يُطْلِعُ عَلَى وَهْنٍ فِي مَمْلَكَتِهِ ؛ فَإِنْ ذَلِكَ لَا يَخْلُصُهُ مِنْ يَدِ عَدُوِّهِ ، وَلَا يَدْفَعُ سَطَوَتَهُ عَنْهُ . بَلْ وَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ جَاسُوسٌ أَصْلًا ؛ فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَمُّ هَلَاكُهُ وَيُقْضَى إِلَى خَتْفِهِ : إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَسَعُ اسْتِعَابُهَا . فَإِذَا وَجَدَ مِنَ الْعْيُونِ وَالْجَوَاسِيسِ مَنْ هُوَ مُسْتَكْمِلٌ لِهَذِهِ الشَّرَاطِطِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُظْهِرَ لَهُمُ الْوُدَّ وَالْمَصَافَاةَ وَلَا يُطْلِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ فِي زَمَنِ تَصَرُّفِهِ لَهُ أَنَّهُ يَتَّبِعُهُ وَلَا أَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ لَدَيْهِ ؛ فَرَبَّمَا أَذَاهُ ذَلِكَ فِي أَضْيَقِ الْأَوْقَاتِ أَنْ يَكُونَ عَيْنًا عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ الْضَّرُورَةُ قَدْ تَلَجَّئَتْ لِمِثْلِ ذَلِكَ ، خُصُوصًا إِنْ جَذَبَهُ إِلَى ذَلِكَ جَازِبٌ يَسْتَمِيلُهُ عَنْهُ مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الضَّرُورَةِ ، وَالضَّرُورَةُ قَدْ تَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى مَفَاسِدِ الْأُمُورِ ، وَيُجْزِلُ لَهُمُ الْإِحْسَانَ وَالْبِرَّ ، وَلَا يُغْفَلُ تَعَاهُدُهُمُ بِالصَّلَاتِ قَبْلَ أَحْتِيَاجِهِ إِلَيْهِمْ . وَيَزِيدُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ تَوَجُّهِهِمْ إِلَى الْمَهْمَاتِ ، وَيَتَعَهَّدُ أَهْلِيهِمْ فِي حُضُورِهِمْ وَغَيْبَتِهِمْ لِيَمْلِكَ بِذَلِكَ قُلُوبَهُمْ وَيَسْتَصْفِي بِهِ خَوَاطِرَهُمْ . وَإِنْ قُضِيَ عَلَى مَنْ بَعَثَهُ مِنْهُمْ بِقَضَاءٍ ، أَحْسَنَ إِلَى مَنْ خَلَّفَهُ مِنْ أَهْلِهِ ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا كَانَ يَجْعَلُهُ لَهُ

## الامر التاسع

( نظره في أمر العيون والجواسيس )

وهو جزء عظيم من أسس الملك وعماد المملكة . وعلى صاحب ديوان الإنشاء مَدَارُهُ وإليه رجوع تديره واختيارُ رجاله وتصريفهم . فيجب عليه الاحتياط في أمر الجواسيس أكثر مما يحتاط في أمر البريد والرسل : لأن الرسول قد يتوجه إلى الصديق وقد يتوجه إلى العدو والجاسوس لا يتوجه إلا إلى العدو ، وإذا وثق بجاسوسه فإنه إلى ما يأتي به صائر ، وعليه معتمد ، وبه فاعل .

وقد شرطوا في الجاسوس شروطا :

منها أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه ، فإن الظنين لا يُنتفع بنجبه وإن كان صادقاً لأنه ربما أخبر بالصدق فاتهم فيه فتفوت فيه المصلحة . بل ربما أثر الضرر لمن هو عين له إذ المتهم في الحقيقة عينٌ عليك لا عون لك . وكيف يكون المتهم أميناً ! لا سيما فيما يصرف فيه جليل الأموال من القضايا العظيمة إن سلمت نفيسات النفوس .

ومنها أن يكون ذا حدس صائب وفراسة تامة : ليدرك بوفور عقله وصائب حدسه من أحوال العدو بالمشاهدة ما كتموه عن النطق به ، ويستدل فيما هو فيه ببعض الأمور على بعض فإذا تفرس في قضية ولاح له أمر آخر يعضدها قوى بحته فيها بانضمام بعض القرائن إلى بعض .

ومنها أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة : ليتوصل بهائه إلى كل موصل ، ويدخل بحيلته في كل مدخل ، ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه . فإنه متى كان قاصراً في هذا الباب أو شك أن يقع ظفر العدو به أو يعود صفر اليدين من طلبته .



للفرنج على أن يسلموا له صُورَ عوضاً منها، فشعر به بوري صاحب دمشق فقتله وقتل وزيره المردغاني ومن كان بدمشق من هذه الطائفة، ولم يزل أمرهم ينتقل بالشام لواحد بعد واحد من مقدميهم إلى أن كان المقدم عليهم في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبو الحسن راشد الدين سنان البصري وكان بينهم وبين السلطان صلاح الدين مباينةً وشبوا عليه مراتٍ ليقْتلوه فلم يظفروا بذلك إلى أن حاصر قلاعهم في سنة اثنتين وسبعين وخمسة مائة وضيق عليهم، فسألوه الصّفع عنهم فأجابهم إلى ذلك وبقي راشد الدين سنان مقمداً عليهم حتى مات في سنة ثمان وثمانين وخمسة مائة .

قال في مسالك الأبصار: "وهم يعتقدون أن كل من ملك مصر كان مظهرًا لهم، ولذلك يتولّونه ويرون إتلاف نفوسهم في طاعته لما ينتقل إليه من النعيم الأكبر بزعمهم"، قال: "ولصاحب مصر بمشايعتهم مزية يخافها أعداؤه<sup>(١)</sup> لأنه يرسل منهم من يقتله ولا يبالي أن يقتل بعده، ومن بعثه إلى عدوّه بخبئ عن قتله قتله أهله إذا عاد إليهم، وإن هرب تبعوه وقتلوه".

قلت: وكانوا في الزمن المتقدم يُسمون كبيرهم المتحدث عليهم تارة مقدم الفداوية، وتارة شيخ الفداوية. أما الآن فقد سموا أنفسهم بالمجاهدين وكبيرهم بأتابك المجاهدين؛ وقد كانت السلاطين في الزمن المتقدم تمنع هؤلاء من مخالطة الناس فلا يخرجون من بلادهم إلى غيرها إلا من رُسم له بالخروج لما يتعلق بالسلطان ولا يمكن أحد من التجار من الدخول إلى بلادهم لشراء قماش وغيره. وكان يكتب بذلك مراسيم من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ويوجه بها لنائب الشام المحروس. وسيأتي إيراد شيء من نسخ هذه المراسيم عند ذكر مرسوم أتابكهم في الولايات إن شاء الله تعالى !

وأربعائة، ثم استولى على قلعة أصبهان واستضاف إليها عدة قلاع بتلك النواحي في سنة تسع وتسعين وأربعائة، وقويت شوكة هذه الطائفة بتلك البلاد، وعظم أمرها، وخافها الملوك وسائر الناس، وبقي ابن الصياح على ذلك حتى مات في سنة ثمان عشرة وخمسمائة. وتقلت تلك القلاع بعده حتى صار أمرها إلى شخص من عقبه يسمى جلال الدين بن حسن أليكا الصيحي فأظهر التوبة في سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وبقي على ذلك إلى سنة ثمان وستمائة، فأظهر شعائر الإسلام، وكتب إلى جميع قلاع الإسماعيلية ببلاد العجم والشام، فأقيمت فيها، وبقي حتى توفي سنة ثمان عشرة وستمائة، وقام بعده ابنه علاء الدين محمد، وتداول مقدموهم تلك القلاع إلى أن خرج هولاكو على بلاد العجم في سنة ست وخمسين وستمائة باستصراخ أهل تلك البلاد من عيّنهم وفسادهم، فخرّب قلاعهم عن آخرها.

وأما بلاد الشام فكان أول قوتهم بها أنه دخل منهم إلى الشام رجل يسمى بهرام بعد قتل خاله إبراهيم الأسدابادي ببغداد في أيام تاج الملوك بوري صاحب الشام، وصار إلى دمشق ودعا إلى مذهبه بها، وعاضده سعيد المردغاني وزير بوري حتى علت كلمته في دمشق وسلم له قلعة بانياس، فعظم أمر بهرام وملك عدة حصون بالجلال أظنها القلاع المعروفة بهم إلى الآن، وهي سبع قلاع بين حماه وحمص متصلة بالبحر الرومي على القرب من طرابلس : وهي مضيايف، والرصافة، والحوابي، والقُدُموس، والكهف، والعليقة، والمينقة، ومن هنا سُميت بقلاع الدعوة. وكان آخر الأمر من بهرام أنه قُتل في حرب جرت بينه وبين أهل وادي التيم، وقام مقامه بقلعة بانياس رجل منهم اسمه إسماعيل، وأقام الوزير المردغاني عوض بهرام بدمشق رجلا منهم اسمه أبو الوفاء فعظم أمره بدمشق حتى صار الحكم له بها، وهم بتسليمها

(١) لعلها بانياس. قال ياقوت كورة ومدينة صغيرة وحضن بسواحل حمص.

انتقلت بالنص إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ثم إلى آبنه الحسن ، ثم إلى أخيه الحسين ، ثم تنقلت فى بنى الحسين إلى جعفر الصادق ، ثم هم يدعون انتقال الإمامة من جعفر الصادق إلى آبنه إسماعيل ، ثم تنقلت فى بنيه .

وسموا الفداوية لأنهم يُفادون بالمال على من يقتلونه . ويسمّون فى بلاد العجم بالباطنية لأنهم يُطِنون مذهبهم ويخفونه ، وتارة بالملاحدة لأن مذهبهم كلّه إلحاد . وهم يُسمّون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية . وسيأتى الكلام عند ذكر تخليفهم فى الكلام على الإيمان إن شاء الله تعالى . وكانوا فى الزمن المتقدم قد علّت كلمتهم ، وأشدّت شيكمتهم ، وقريت شوكتهم ، وأستولوا على عدة قلاع ببلاد العجم وبلاد الشام . فأما بلاد العجم فكان بداية قوتهم وانتشار دعوتهم فى دولة السلطان ملكشاه السلجوقى فى المائة الخامسة . وذلك أنه كان من مقدّمهم رجل اسمه عطاش فنشأ له ولد يسمى أحمد فتقدم فى مذهبهم وأرتفع شأنه فيهم ، وألّم به من فى بلاد العجم منهم ، فغلب على قلعة بأصبهان ، كان قد بناها السلطان ملكشاه المتقدم ذكره ، وقلعة بالطالقان تعرف بقلعة الموت ؛ وكان من تلامذته رجل يقال له الحسن بن الصياح ذو شهامة وتقدم فى علم الهندسة والحساب والنجوم والسّحر ، فأتهمه بالدعوة للخلفاء الفاطميين ، وهم من جملة طوائف الإسماعيلية ففرّ الحسن بن الصياح منه هاربا إلى مصر ، وبها يومئذ المستنصر بالله خامس خلفاء الفاطميين فأكرمه وأحسن تربيته ، وأمره بأن يخرج إلى البلاد للدعوة إلى إمامته فأجابه إلى ذلك ، وسأله من الإمام بعده ، فقال له : أبى نزار وهو الذى تنسب إليه التّزارية منهم . فخرج ابن الصّياح من مصر وسار إلى الشام ، والجزيرة ، وديار بكر ، وبلاد الرّوم يدعو إلى إمامة المستنصر . ثم آبنه نزار من بعده ، وسار إلى حرّاسان وجاوزها إلى ما وراء النهر ، ودخل كاشغَر يدعو إلى ذلك ، ثم عاد إلى الطالقان وأستولى على قلعة الموت فى سنة ثلاث وثمانين

أن تكتب بطاقتان وتؤرخان بساعة كتابتهما من النهار ، ويعلق كل منهما في جناح طائر من الحمام الرئاسي ويرسلان ، ولا يكتفى بواحد لاحتمال أن يعرض له عارض يمنع من الوصول إلى مقصده . فاذا وصل الطائر إلى البرج الذي وجه به إليه ، أمسكه البرّاج وأخذ البطاقة من جناحه وعلقها بجناح طائر من حمام البرج الذي يليه أي من المنقول إلى ذلك البرج ، وعلى ذلك حتى ينتهي إلى برج القلعة فيأخذ البرّاج الطائر والبطاقة في جناحه ويحضّره بين يدي الدوّادار الكبير فيعرض عليه ، فيضع البطاقة عن جناحه بيده . فإن كان الأمر الذي حضرت البطاقة بسببه خفيفا لا يحتاج إلى مطالعة السلطان به ، استقلّ الدوّادار به ، وإن كان مهماً يحتاج إلى إعلام السلطان به ، استدعى كاتب السروط وطلع لقراءة البطاقة على السلطان كما يفعل في المكاتبات الواردة . وكذلك الحكم فيما يطراً من المهمّات بالأبواب السلطانية فإنّه يوجه بالحمام من برج القلعة إلى الجهة المتعلّقة بذلك المهم . وفي معنى ذلك كل نيابة من النيابات العظام بالمالك الشامية كدمشق ، وحلب ، وطرابلس ونحوها مع ما تحتها من النيابات الصغار والولايات ، على ما سيأتى ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى .

### الأمر الثامن

( نظره في أمور الفداوية )

وهم طائفة من الإسماعيلية المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السبط ابن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ! ، من فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وهم فرقة من الشيعة معتقدهم معتقد غيرهم من سائر الشيعة أن الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم !



يؤدى". فلما عاد الرسول إلى الإسكندر دعا برسوله الأول وقال: "ما حملك على كلمة قصدت بها إفساد ما بين ملكين؟" فأقر أن ذلك كان منه لتقصير رآه من الملك، فقال له الإسكندر: "فأراك قد سعت لنفسك لئلا! فاتك ما أملت مما لا تستحقه على من أرسلت إليه بفعلت ذلك ثارا تُوقعه في الأُنفس الخطيرة الرفيعة! ثم أمر بلسانه فترع من قفاه." وكأنه رأى إتلاف نفس واحدة أولى من إتلاف نفوس كثيرة بما كان يُوقعه بين الملكين من العداوة ويشير من الإحن وضغائن الصدور وقد كان أردشير بن بابك يقول: "كم من دم سَفَكَه الرسول بغير حِلّه! وكم من جُيُوش هُزِمَتْ وقُتِلَ أكثرها! وكم حُرْمَةٌ أَنتَهَكَت! وكم مالٍ نُهِبَ وعقد نُقِصَ بخيانة الرُّسل وأكاذيب ما يأتون به!"

### الأمر السابع

( نظره في أمر أبراج الحمام ومتعلقاته )

سيأتى فيما بعد إن شاء الله تعالى أن بالديار المصرية أبراجا للحمام الرسائليّ يحمل البطائق في أجنحته من مكان إلى مكان؛ منها بُرج بقلعة الجبل، وأبراج بطريق الشام بمدينة بلييس، وأبراج بطريق الإسكندرية<sup>(١)</sup>. وكان قبل ذلك يدرج إلى قوص، ومنها إلى أسوان وعيذاب ما يقطع ذلك الآن. وحمام كل برج يُنقل منه في كل يوم إلى البرج الذى يليه ليطلب برجه الذى هو مستوطنه إذا أُرسِل. فإذا عرض أمر مهم أو ورد بريد أو غيره ممن يحتاج إلى مطالعة الأبواب السلطانية به إلى مكان من الأمكنة التى فيها برج من أبراج الحمام، كتب إليها المتحدث فيها بذلك للأبواب السلطانية، وبعث بها على أجنحة الحمام. وقد جرت العادة

(١) كذا في الأصل ولعله فاقطع ذلك الآن.

(٢) صوابه مما كما هو واضح.

والتقدمة عند الملك ، ووجهه حينئذ في مهمات أموره .

وكان أردشير بن بابك آخر ملوك الفرس يقول : ”حق على الملك الحازم إذا وجه رسولا إلى ملك أن يرده بآخر، وإن وجه برسولين وجه بعدهما باثنين، وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسله في طريق فعل“

ومن الحزم أن الرسول إذا أتاه برسالة أو كتاب في خير أو شر أن لا يتحدث في ذلك شيئا حتى يرسل مع رسول آخر يحكي له كتابه أو رسالته حرفاً حرفاً ومعنى معنى فإن الرسول ربما فاتته بعض ما يؤمله فأفعل الكتاب ، وغير ما شؤفه به فأفسد ما بين المرسل والمرسل إليه : من ملك أو نائب ونحوهما ، وربما أدى ذلك إلى وقوع فتنة بين المالكين ، أو خروج النائب عن الطاعة وتفاقم الأمر بسبب ذلك وسرى إلى ما لا يمكن تداركه .

وقد حكى أن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق بخاء برسالة شك الإسكندر في حرف منها فقال له : ”وَيْلَكَ ! إن الملوك لا تخلون من مقوم ومسدّد اذا مالت وقد جئتنى برسالة صحيحة الألفاظ بينة المعاني ، وقد وجدت فيها حرفاً ينقضها ، أفعل يقين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ فقال بل على يقين منه أنه قاله . فأمر الإسكندر أن تكتب الألفاظ حرفاً حرفاً ويعاد إلى الملك الذي جاء ذلك الرسول من عنده مع رسول آخر فيقرأ عليه ويترجم له . فلما وصل الرسول الثاني إلى ذلك الملك وقرأ عليه ما كتب إليه به الإسكندر في أمر ذلك الرسول ، أنكر ذلك الحرف الذي أنكره الإسكندر وقال للترجم : ”ضع يدك على هذا الحرف“ فوضعها فأمر أن يعلم بعلامة وقال : ”إني أجل ما وصل عن الملك أن أقطعه بالسكين ، ولكن ليصنع هو فيه وفي قائله ما شاء“ . وكتب إلى الإسكندر : ”إن من أس المملكة صحة لهجة الرسول ، إذ كان عن لسانه ينطق ، وإلى أذنه

شُرَّابَةٌ حَرِيرٌ صَفْرَاءُ يَجْعَلُهَا فِي عُنُقِهِ مِنْ غَيْرِ لَوْحٍ . اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَتَوَجَّهَ الْبَرِيدُ إِلَى مَمْلَكَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ النَّائِيَةِ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى اللَّوْحِ لِتَعَارَفِ أَمْرِ الْمَمْلَكَةِ الْقَدِيمَةِ . وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ فَيَمُنُّ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ مِنْ نِيَابَةِ مَنْ نِيَابَاتِ الْمَمْلَكَةِ فِي وَرَقَةِ الطَّرِيقِ وَخَيْلِ الْبَرِيدِ . وَلِصَاحِبِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ التَّنْبُّهُ عَلَى مَصَالِحِ مَرَاكِزِ خَيْلِ الْبَرِيدِ فِي الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَغَيْرِهَا .

وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى مَرَاكِزِ الْبَرِيدِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ، مَفْصَلَةً فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .  
وَأَعْلَمُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى النَّازِرِ فِي أَمْرِ الْبَرِيدِ : مِنَ الْمَلِكِ فَمَنْ دُونَهُ أَنْ يَحْتَاطَ فَيَمُنُّ بِرِسَالِهِ فِي الْأُمُورِ السُّلْطَانِيَةِ ، فَيُوجَّهُ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ مِنْ يَقُومُ بِكِفَايَتِهَا وَيَنْهَضُ بِأَعْيَانِهَا ، وَيَخْتَصُّ الْمُلُوكَ وَأَكْبَرَ النَّوَابِ بِأَكْبَرِ الْبَرِيدِيَّةِ وَعُقُلَائِهِمْ وَأَصْحَابِ التَّجَارِبِ مِنْهُمْ ، خُصُوصًا فِي الْمَهْمَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَحْتَاجُ الرُّسُولُ فِيهَا إِلَى تَمْيِيقِ الْكَلَامِ ، وَتَحْسِينِ الْعِبَارَةِ ، وَسَمَاعِ شِبْهِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ ، وَرَدِّ جَوَابِهِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِكَلَامِهِ وَبِرِسُولِهِ . وَقَدْ قِيلَ : مِنَ الْحَقِّ عَلَى رَسُولِ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحَ الْفِكْرَةِ وَالْمِزَاجِ ، ذَا بَيَانٍ وَعَارِضَةٍ وَلِينٍ وَاسْتِحْكَامِ مَنَعَةٍ ، وَأَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِخَارِجِ الْكَلَامِ وَأَجْوِبَتِهِ ، مُؤَدِّيًا لِلْأَلْفَاظِ عَنْ الْمَلِكِ بِمَعَانِيهَا ، صَدُوقًا بِرِيئًا مِنَ الطَّمَعِ . وَعَلَى مَرْسَلِهِ أَمْتَحَانُهُ قَبْلَ تَوْجِيهِهِ فِي مَقَاصِدِهِ ، وَلَا يُرْسَلُ إِلَى الْمُلُوكِ الْأَجَانِبِ ، إِلَّا مَنْ اخْتَبَرَهُ بِتَكْرِيرِ الرِّسَائِلِ إِلَى نَوَابِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . فَقَدْ كَانَ الْمُلُوكُ فِيمَا سَلَفَ مِنَ الزَّمَنِ إِذَا آثَرُوا إِرْسَالَ شَخْصٍ لَهُمْ ، قَدَّمُوا أَمْتَحَانَهُ بِإِرْسَالِهِ إِلَى بَعْضِ خَوَاصِ الْمَلِكِ مَنْ فِي قَرَارِ دَارِهِ ، فِي شَيْءٍ مِنْ مَهْمَاتِهِ ، ثُمَّ يَجْعَلُ عَلَيْهِ عَيْنًا فِيمَا يُرْسَلُ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ، فَإِذَا أَدَّى الرُّسُولُ رِسَالَتَهُ رَجَعَ بِجَوَابِهَا وَسَأَلَ الْمَلِكُ عَيْنَهُ ، فَإِنْ طَابَقَ مَقَالَهُ الرُّسُولُ مَا أَتَى بِهِ مِنْ هُوَ عَيْنَ عَلَيْهِ وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُ ، صَارَتْ لَهُ الْمِيزَةُ

ويكتبُ اسمه في آخر الكتاب الذي يُنفذ معه بين السطور ، ويُختم الكتاب ، ويُسلم إليه ، ويكتب له ورقة طريق بالتوجه إلى جهة قصده ، وحمله على ما رُسِم له به من خيل البريد على ماسياتي ذكره في الكلام على كتابة أوراق الطريق ، ويترك اسمه ، وتاريخ سفره ، والجهة التي توجه إليها ، والشغل الذي توجه بسببه بدفتر الديوان . فلما عظم أمر الدوادارية واستقر عند الدوادار كاتب من كتّاب الدست يعلّق عنه الرسالة على ماتقدم في الكلام على تعليق الرسالة ، رجع أكثر الأمر في ذلك إلى الدوادار ، وصار كاتب الدست الذي يخدمه يعلّق الرسالة عنه بذلك كما يعلّقها عنه في غيره على ماتقدم . فإن كان البريد إلى جهة الشام كتب في ورقة لطيفة يرسم برسالة المقر المخدم الفلاني أمير دوادار الناصري أو الظاهري مثلا أعز الله تعالى أنصاره أن يكتب ورقة طريق شريفة باسم فلان الفلاني المرسوم له بالتوجه إلى الجهة الفلانية ، ويُحمل على فرس أو فرسين أو أكثر من خيل البريد . ثم يؤرخ . وإن كان البريد إلى الوجه القبلي أو البحري أو غير ذلك كتب : أن يكتب ورقة فرس بريد باسم فلان الفلاني من غير تعرض لذكر ورقة طريق ، وبقى الكلام على نحو ماتقدم ، ويؤرخ ويجهز تلك الورقة صحبة البريدي إلى صاحب ديوان الإنشاء فيخلد الورقة بديوانه عند دواداره في جملة أضياف الديوان ، ويكتب له في ورقة صغيرة أيضا ما مثاله : أمير اخور البريد المنصور ، يُحمل فلان الفلاني على فرس واحد أو أكثر من خيل البريد المنصور عند توجهه إلى الجهة الفلانية ويؤرخ ، ويدفع إلى البريدي ليدفعها إلى أمير اخور البريد تخلّد عنده ، ويكتب اسم البريدي في آخر الكتاب على ماسياتي في أول المكتاتبات إن شاء الله تعالى ، ويُختم الكتاب ويدفع إليه .

قلت : وقد بطل الآن ما كان من أمر الألواح وترك ، وصار كل بريدي عنده



## الأمـر السادس

نظـره في أمر البريد ومتعلقاته ، وهو من أعظم مهمات السلطان ،

وأكـد روابط الملك

قال زياد لحاجبه : ” وَلَيْتَكَ حِجَابِي وَعِزَّتِكَ عَنْ أَرْبَع : هَذَا الْمُنَادِي إِلَى اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ وَالْفَلَاحِ فَلَا تَعُوجَّهْ عَنِّي ، وَلَا سُلْطَانُ لَكَ عَلَيْهِ ؛ وَصَاحِبُ الطَّعَامِ ، فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ تَسَخِينُهُ فَسَدَ ؛ وَطَارِقُ اللَّيْلِ فَلَا تَحْجُبْهُ فَشَرُّ مَا جَاءَ بِهِ ، وَلَوْ كَانَ خَيْرًا مَا جَاءَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ؛ وَرَسُولُ الثَّغَرِ ، فَإِنَّهُ إِنْ أَبْطَأَ سَاعَةً أَفْسَدَ عَمَلَ سَنَةٍ فَأَدْخِلْهُ عَلَى وَلَوْ كُنْتَ فِي حِلَافِي “ . وقد تقدّم أن صاحب ديوان الإنشاء هو الذي يتلقّى المكاتبات الواردة ويقرؤها على السلطان ويجاوب عنها ، فيجب على صاحب هذه الوظيفة أن يكون متيقّظًا لما يردُّ على السلطان من نواحي ممالكه وقاصيات أعماله ، فإنه المعتمد عليه في ذلك والمعول عليه في أمره .

وقد كان أمر البريد في الزمن المتقدم والدواريّة يومئذٍ أمراء صغار وأجناد معتدون لصاحب ديوان الإنشاء ، تخرج رسالة السلطان على لسان بعض الدواريّة بما يرسم به لمن يركب البريد في المهمات السلطانية وغيرها ويأتى بها إلى صاحب ديوان الإنشاء فيعلق رسالته على ما تقدّم في تعاليق الرسالة ويعمل بمقتضاها . وكان للبريد ألواح من نحاس كلّ لوح منها بقدر راحة الكفّ أو نحوها منقوش على أحد وجهيه ألقاب السلطان ، وعلى الوجه الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وفي رقبة شُرابة من حرير أصفر يجعلها راكب البريد في عنقه ويرسل اللوح على صدره علامة له . فإذا حضرت الرسالة إلى كاتب السر دفع إلى البريديّ لوحًا من تلك الألواح وكتب له ورقة بخطه إلى أميرأخوـر البريد بالإصطبل السلطانيّ بما تبرز به الرسالة من الخيل ،

## الأمر الخامس

نظره فيما يُكتب من ديوانه وتصفُّحه قبل إخراجِه من الديوان  
قال أبو الفضل الصوري: "على متولّي الديوان أن يتصفح ما يُكتب من ديوانه  
من الولايات والمناشير والمكاتبات؛ إذ الكاتب غير معصوم من الخطأ واللحن وسبق  
القلم؛ وعيب الإنسان يظهر منه لغيره ما لا يظهر له، فما أبصره من لحن أو خطأ أصلحه  
ونبه كاتبه عليه فيحذر من مثله فيما يستأنفه، فإن تكرر منه زجره عن ذلك، وردّعه  
عن العود إلى مثله؛ إذ الغرض الأعظم أن يكون كل ما يُكتب عن الملك كامل  
الفضيلة خطأً ولفظاً ومعنى وإعراباً حتى لا يجد طاعن فيه مطعنًا؛ فربما زلّ الكاتب  
في شيء فيزل بسببه متولّي الديوان . بل السلطان . بل الدولة بأسرها . قال : فإذا  
فرغ من عرض الكتاب والوقوف عليه، كتب عليه بخطه ما يدل على وقوفه عليه  
ليكون ملتمزاً بذكره"

وكانه يشير إلى ما تقدّم من كلامه : من أنه إن كان رسالة كتب عنوانها بخطه؛  
وإن كان منشوراً ونحوه، كتب تاريخه بخطه .

ثم قال : "فإن كان متولّي الديوان مشغولاً بمُحْضُورٍ مجلس الساطان ومخاطباته  
والتلقّي عنه، ولا يمكنه مع ضيق الزمان توفية كل ما يُكتب بالديوان حقّ النظر فيه  
وتصفُّح ألفاظه ومعانيه، نصب له في ذلك نائباً كامل الصنعة حسن الفطنة موثقاً  
به فيما يأتي ويذكر، يقوم مقامه في ذلك" . قال : "وليس ذلك لأنه يغني عن نظر  
متولى الديوان، ولكن ليتحمل عنه أكثر الكل ويصير إليه وقد قارب الصحة  
أو بلغها فيحصل على الراحة من تعبها، ويصرف نظره إلى ما لعله خفي على المتصفح  
من دقائق المعاني وعويص المدارك<sup>(١)</sup>، فيقلّ زمن النظر عليه، ويظفر بالعرض  
المطلوب في أقرب وقت" .

(١) العويص بالعين المهملة وهو ما يعرّفهمه . وإجماعه في الأصول تصحيف

على تطلُّعه للأُمور، وأن تصابه للتدبير، وقلة إهماله لأُمور دولته، وكثرة احتفاله باستقامة شُؤونها، ويؤثر في نفس المكاتبين تأثيرا كبيرا، ويستشعرون منه حذرا وخيفة“ . قال : ”وينبغي أن يأخذ جميع أرباب الخدم في البلاد بتاريخ كتبهم ويحدِّثهم من ترك ذلك ؛ فإن في إهماله ضررا كبيرا من حيث إنه إذا ورد غير مؤرخ لم يعلم بعدُ العهد بما ذكر فيه من قُرْبهِ ، ولا هل فات وقت النظر فيما تضمَّنه أم لا ؛ وإذا كان مؤرخا عرف ذلك وزالت الشبهة فيه ، وإذا وصل اليه كتاب اقتضى تاريخه زيادة زمنٍ على مسافة الطريق ، أنكر ذلك على حامله فإن خرج عن العهدة بإقامة الحجَّة على أنه لم يتأخر به قدرا زائدا على مسافة طريقه ، وأن العذر من تقدُّم التاريخ قبل إرساله ، أنكر ذلك على مرسله إنكارا يردُّعه عن ذلك ويزجره عنه .

### الأمر الرابع

نظره فيما تتفاوت به المراتب في المكاتب والولايات : من الافتتاح

والدعاء، والألقاب، وقطع الورق ونحو ذلك

وقد كان هذا الباب في الزمن المتقدم في غاية الضبط والتحرير، خصوصا في زمن الخلفاء من بني العباس والفاطميين ؛ لا يُراد أحد في الألقاب على ما لقبه به الخليفة كبيرا كان أو صغيرا، ولا يُسمح له بزيادة الدعوة الواحدة فضلا عما فوقها . أما الآن فقد صار ذلك موكولا إلى نظر صاحب ديوان الإنشاء ينزل كل أحد من المكاتبين وأرباب الولايات منزله على ما يقتضيه مصطلح الزمان من علو وهبوط ؛ وحينئذ فعليه أن يحتاط في ذلك ويؤاخذ بكتاب الإنشاء بالمشاحة فيه ، والوقوف عند ما حدَّ لهم من غير إفراط ولا تفريط . فقد قال صاحب مواد البيان : ”إن الملوك تسمح ببدرات المال، ولا تسمح بالدعوة الواحدة“ وناهيك بذلك تشديدا واحتياطاً .

إلى غير ذلك من الأمور المهمات والمتعلقات السنيّة . وأعلم أن التوقيع كان يتولاه في ابتداء الأمر الخلفاء، فكان الخليفة هو الذي يُوقع في الأمور السلطانية، وفصل المظالم، وغيرهما .

## الأمر الثاني

نظره في الكتب الواردة عليه

قال أبو الفضل الصوريّ: "كان الواجب أن لا يقرأ الكتب الواردة على الملك إلا هو بنفسه؛ ولما كان ذلك متعذراً عليه لوفورها، واتّسع الدولة، وكثرة المكاتبين من أصناف أرباب الخدم، ووصول الكتب إليه من الأقطار النائية، والممالك المتباعدة، وضيق الزمان عن تفرّغه لذلك، وجب تفويضه إلى متولّى ديوان رسائله". قال: "ولما كان حال متولّى صاحب الديوان كذلك لأشغاله بالحضور عند الملك في بعض الأوقات لقراءة الكتب الواردة، وتقرير ما يجاب به عن كل منها، مع شغله بتصفّح ما يكتب في الديوان والمقابلة به، احتاج أن يرّد أمرها إلى كاتب يقوم مقامه" على ما سيذكر في صفات كتاب الديوان فيما بعد إن شاء الله تعالى .

## الأمر الثالث

نظره فيما يتعلق برده الأجوبة عن الكتب الواردة على لسانه

قال أبو الفضل الصوريّ: "ومن أهم ما يلزم صاحب هذا الديوان إشعار الملك ما يراه من الآراء الصائبة ويعلمه أن من أعظمها خطراً أن يُصدر جواب كل كتاب يصل إليه في يومه ولا يؤخره إلى غده ويؤرخ في آخره بتاريخ ذلك اليوم" فيقال: "وكتب في يوم وصول كتابك، وهو يوم كذا" فإن ذلك يقيم للملك هبة كبيرة، ويدل



قلت نعم . قال فاقرأ ، فقرأت حم الأحقاف حتى أتيت ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجَنِّ ﴾ فقال مكانك ، أتدرى كم كانوا ، قلت لا . قال كُتُبًا أربعة : وكنْتُ أنا المخاطَبَ عن النبي صلى الله عليه وسلم لهم ، فقلت : ﴿ ياقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ ثم قال أقول الشعر ؟ قلت لا . قال فترويه ؟ قلت نعم . قال هاته ، فأنشدته قصيدة زهير بن أبي سلمى "أَمِنْ أَوْفَى" فقال لمن هذه ؟ قلت لزهير بن أبي سلمى قال الجنى ؟ قلت : لابل الإنسى . ثم رفع رأسه الى قوم عنده ، فقال اتُّونى بزهير فَأَتَى بِسَيْخٍ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ لَحْمٍ فَأَلْقَى بَيْنَ يَدَيْهِ - قال يا زهير - قال لبيك ! قال "أَمِنْ أَوْفَى" لمن هى ؟ قال لى - قال هذا حمزة الزيات يذكر أنها لزهير بن أبي سلمى ؛ قال : صدق وصدقْتُ ، قال : وكيف هذا ؟ قال هو إلفى من الإنس وأنا تابعه من الجن ، أقول الشئ فألقيه اليه فى فهمه ويقول الشئ فأخذُ عنه ، فأنا قائلها فى الجن وهو قائلها فى الإنس . قال أبو نعيم : فصدق عندى حديثُ أبى الجوزاء أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل .

### الفصل الثالث

فما يتصرف فيه صاحبُ هذا الديوان بتدييره ، ويصرفه بقلمه ،  
ومتعلق ذلك اثنا عشر أمرًا

### الأمر الأول

#### التوقيع والتعيين

أما التوقيع فهو الكتابة على الرَّقاع والقِصَص بما يعتمده الكتّاب من أمر الولايات والمكاتبات فى الأمور المتعلقة بالملكة ، والتحدث فى المظالم ؛ وهو أمر جليل ، ومنصب حفىل ، إذ هو سبيل الإطلاق والمنع ، والوصل والقطع ، والولاية والعزل

ما السبب يا أمير المؤمنين؟ - قال : خرجتُ من عند جارية لي فأسررت إليه سرّاً  
فما عداني السرُّ أن عاد إليّ . - قلت لعلك أسررت الى غيره ، - قال : ما كان  
هذا ! - قلت فاعل مستمعا أستمع إليكما ، - قال لا ولا هذا أيضاً . قال فأطرقت  
مليّاً ثم رفعت رأسي ، فقلت : يا أمير المؤمنين قد وجدت له مما هو فيه مخرجاً . -  
قال وما هو؟ - قلت : خبر أبي الجوزاء ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال حدثنا  
المعتمر بن سليمان عن أبي الجوزاء قال : طلقت امرأتى في نفسي وأنا بالمسجد ثم  
أنصرفت إلى منزلي ، فقالت لي امرأتى : طلقني يا أبا الجوزاء ! قلت من أين لك  
هذا؟ قالت حدثتني به جارتى الأنصارية قلتُ : ومن أين لها هذا؟ قالت ذكرتُ  
أنّ زوجها خبّرها بذلك قال : فغدوت على ابن عباس رضى الله عنهما فقصصت  
عليه القصة فقال : أما علمت أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل ؟ فمن  
هنا يفشو السر ، فضحك المتوكل ، وقال إلى يافتح ! فصَبَّ عليه خلعة ، وحمله  
على فرس ، وأمر له بمال ، وأمر لي بدونه فأنصرفت إلى منزلي ، وقد شاطرني  
الفتح فيما أخذ فصار إلى الأكثر .

قال أبو نعيم وكان في نفسي من حديث أبي الجوزاء شيء حتى حدثني حمزة  
ابن حبيب الزيات . قال : خرجت سنة أريد مكة فبينما أنا في الطريق إذ ضلّت  
راحلتى فخرجت أطلبها فإذا أنا بأثنين قد قبضا على أحسّ حسّهما ولا أرى شخصهما  
بل أسمع كلامهما ، فأخذاني إلى شيخ قاعد وهو حسن الشّيبة فسلمت عليه فردّ عليّ  
السلام فأفرخ روعي <sup>(١)</sup> . ثم قال من أين وإلى أين ؟ قلت من الكوفة إلى مكة .  
قال : ولم تخلّفت عن أصحابك ؟ قلت ضلّت راحلتى فجئت أطلبها ، فرفع رأسه  
إلى قوم عنده ، وقال : أيخووا راحلته ، فأينحت بين يديّ . ثم قال : تقرأ القرآن ؟

(١) في الأصول بالجيم وهو تصحيف . وصوابه بالخاء المعجمة يقال أفرخ روعه أى زال فزع . انظر القاموس

وعلى صاحب هذه الرتبة الاحتياط حالة تلقى السر عن الملك بأن لا يتلقاه عنه بحضرة أحد . فقد حكى أن بعض ملوك العجم استشار وزيريه ، فقال أحدهما : ” لا ينبغي للملك أن يستشير منّا أحدا إلا خالياً فإنه أصون للسر وأحزم للرأى وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين وإفشاؤه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جماعة ، لأن الواحد رهن بما أفشى إليه . والثاني مُطلق عليه ذلك الرهن . والثالث علاوة ، وإذا كان السر عند واحد كان أخرى أن لا يظهره رغبة أو رهبة ، وإن كان عند اثنين كان على شبهة وآتست عن الرجلين المعارض ، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد ، وإن آتهمهما آتهم بريئا بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له ، وعن الآخر ولا حجة معه “ .

قلت : وكما يجب عليه الاحتياط حالة تلقى السر عن الملك فكذلك يجب عليه الاحتياط حالة إلقائه إلى كاتب يكتبه ، فلا يلقيه إلى كاتبين جميعا ، ولا يخاطب فيه أحدهما بحضرة الآخر لتكون العهدة في دركه على واحد بعينه . على أنه ربما أفشى السر مع احتراز صاحبه عن إفشائه ، فقد قيل : إن الحق تنقل الأخبار ، وتفشى ما تطلع عليه من الأسرار . وقد حكى عن علي بن الجهم أنه قال : دخلت على أمير المؤمنين المتوكل فرأيت الفتح بن خاقان وزيره واقفا على غير مرتبته التي يقوم عليها ، متكئا على سيفه ، مطرقا إلى الأرض فأنكرت حاله ، وكنت إذا نظرت إليه نظر الخليفة إلى ، وإذا صرفت وجهي إلى نحو الخليفة أطرق ، فقال لي الخليفة يا علي أنكرت شيئا ؟ - قلت نعم يا أمير المؤمنين ! - قال : ماهو ؟ - قلت : وقوف الفتح بن خاقان في غير منزلته ، - قال : سوء اختياره أقامه ذلك المقام ، - قلت :

(١) في الاصل أموت . وهو تصحيف ظاهر

(٢) لعل الاظهر على .

ولا ولدا؛ ولا أخا شقيقا، ولا صديقا صدوقا، على مَادَقٍّ أو جَلٍّ ؛ ولا يُعْلِمُهُ بِمَا كَثُرَ مِنْهُ وَلَا قَلَّ ، ويتوهم بل يتحقق أن في إذاعته ما يُعْلَمُ بِهِ وَضَعَ منزلته وَحَطَّ رتبته ، ويحتهد في أن يصير له ذلك طَبْعًا مَرَجًّا وأمرًا ضروريًّا .

قلت : وهذه الصفة هي الشرط اللازم ، والواجب المحتم : بها شهر ، وبالإضافة إليها عُرف . وقد قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكانًا ، وأوسعهم علما : ” المملوك تحتمل كل شئ إلا ثلاثة أشياء : القُدْحُ في الملك ، وإفشاء السِّرِّ ، والتعَرُّضُ للحُرْمِ “ .

ومن كلام بعض الحكماء : ” سِرُّكَ من دِمِكَ “ قال صاحب العقد : يعنون أنه ربما كان في إفشاء سرك سَفْكُ دِمِكَ . وإلى ذلك يشير أبو مُجَنِّ الثقفى بقوله :

قَدْ أَطْعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ عَنْ عُرِيضٍ \* وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبُهُ الْعُنُقِ

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : ” إن أمير المؤمنين أسرَّ إلى حديثًا أفلا أُخْبِرُكَ به ؟ قال يابُنِي : إِنَّ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ لَهُ وَمَنْ أَفْشَاهُ كَانَ الْخِيَارُ عَلَيْهِ ؛ فَلَا تَكُنْ مَبْلُوكًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مَالِكًا “ . وقد كانت ملوك الفرس تقول ” أعْظُمُ النَّاسَ حَقًّا عَلَى جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ مَنْ وَلِيَ أَسْرَارَ الْمُلُوكِ “ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ إِفْشَاءُ السَّرِّ رَبْمًا أَفْضَى إِلَى الْهَلَكَةِ خصوصًا أسرار المملوك ، فعلى صاحب هذه الوظيفة القيام من ذلك بواجبه وكتْمَانُ السَّرِّ حَتَّى عَنْ نَفْسِهِ ؛ فَقَدْ حَكِيَ صَاحِبُ ” الرَّيْحَانِ وَالرَّيْعَانِ “ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ تَذَاكَرَ النَّاسَ فِي مَجْلِسِهِ حَفَظَ السَّرَّ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

وَمُسْتَوْدِعِي سِرًّا تَضَمَّنْتُ سِرَّهُ \* فَأَوْدَعْتُهُ فِي مُسْتَقَرِّ الْحَشَا قَبْرًا

فقال ابنه عبيد الله ، وهو صبي :

وَمَا السَّرُّ مِنْ قَلْبِي كَثَاوٍ بِحُفْرَةٍ \* لِأَنِّي أَرَى الْمَدْفُونِ يَنْتَظِرُ الْحَشْرَا

وَلِكِنِّي أَخْفِيهِ حَتَّى كَأَنِّي \* مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا مَا أَحْطَتْ بِهِ خُبْرَا



ونشر الهيبة، وإقامة الحدود في مواضعها، وتعظيم الشريعة، والعمل بأحكامها .  
 فيكون لجميع ذلك مؤكّداً، ولأفعاله فيه موطّداً ممّهداً . وإن أحسن منه بحلّة تُنْفَى  
 هذه الخلال، أو فعلة تخالف هذه الأفعال، نقله عنها بالطف سعى وأحسن تدريجاً،  
 ولا يدع ممكناً في تبين قبّحها، وإصلاح رداءة عاقبتها، وفضيلة مخالفتها إلا بينه  
 وأوضحه إلى أن يعيده إلى الفضائل التي هي بالملوك النبلاء أليق؛ وأن يكون مع  
 ذلك بأعلى مكانة من اليقظة والاستدلال بقليل القول على كثيره، وببعض الشيء  
 على جميعه، ويستغنى عن التصريح بالإشارة والإيماء، بل الرمز والايحاء: لينبه الملك  
 على الأمور من أوائلها، ويعرفه خواتم الأشياء من مُفْتَحَاتِها، ويحدّره حين تبدو  
 له لوائح الأمر من قبل أن يتساوى فيه العالم والجاهل - كما حكى عن خالد بن برمك:  
 "أنه كان مع حَقْطَبَة في معسكر، جالسين في خيمة إذ نظر خالد إلى سُرْب من الظباء  
 قد أتى حتى كاد يخاطب العسكر، فأشار على حَقْطَبَة بالركوب فسأله عن السبب،  
 فقال الأمر أعجل أن أئين سببه . فركب وأركب العسكر، فلم يستثموا الركوب إلا  
 والعدو قد دهمهم، وقد استعدوا له فكانت النصرة لهم على العدو . فلما أُنْقَضِيَ  
 الحربُ سأل حَقْطَبَة خالداً من أين أدرك ذلك؟ فقال: رأيت الظباء وقد أقبلت حتى  
 خالطت العسكر، فعرفت أنها لم تفعل ذلك مع نُفُورِها من الإنس إلا لأمر عظيم  
 قد دهمها من ورائها" . وأن لا يكتب عن الملك إلا ما يقيم منار دولته ويعظمها،  
 ولا يخرج عن حكم الشريعة وحدودها، ولا يكتب ما يكون فيه عيب على المملكة  
 ولا ذم لها على غابر الأيام، ومستأنف الأحقاب؛ وإن أمر بشئ يخرج عن ذلك،  
 تلطف في المراجعة بسببه، وبين وجه الصواب فيه إلى أن يرجع به إلى الواجب .  
 وأن يكون من كتمان السرّ بالمنزلة التي لا يُدانيه فيها أحد، ولا يقاربه فيها بشر، حتى  
 يقرّر في نفسه إماتة كل حديث يعلمه، ويتناهى كل خبر يسمعه . وأن لا يُطاع والدا

مؤثراً للجد على الهزل، كثير الأناة والرفق، قليل العجلة والخرق، نزر الضحك، مهيب المجلس، ساكن الظل، وقور النادى، شديد الذكاء، متوقد الفهم، حسن الكلام إذا حدث، حسن الإصغاء إذا حدثت، سريع الرضا، بطيء الغضب، رؤوفاً بأهل الدين، ساعياً في مصالحهم، محباً لأهل العلم والأدب، راغباً في نفعهم؛ وأن يكون محباً للشغل أكثر من محبته للفراغ، مقسماً للزمان على أشغاله: يجعل لكل منها جزءاً منه حتى يستوعبه في جميع أقسامها، ملازماً لمجلس الملك إذا كان جالساً، وملازماً للديوان إذا لم يكن الملك جالساً؛ ليتأشى به سائر كتاب الديوان، ولا يجدوا رخصة في الغيبة عن ديوانهم؛ وأن يغلب هوى الملك على هواه ورضاه على رضاه - ما لم ير في ذلك خلا على المملكة، فإنه يجب أن يهتدى النصيحة فيها للملك من غير أن يوجد فيها تقصم من رأيه فساداً أو نقصاً، لكن يتحيل لنقص ذلك وتهجينه في نفسه وإيضاح الواجب فيه بأحسن تأتٍ وأفضل تطف؛ وأن يتحل الملك صائب الآراء ولا ينتحلها عليه، ومهما حدث من الملك: من رأي صائب أو فعل جميل أو تدبير حميد، أشاعه وأذاعه، وعظمه ونخمه، وكرر ذكره، وأوجب على الناس حمده عليه وشكره. وإذا قال الملك قولاً في مجلسه أو بحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقاً للصواب، فلا يجبهه بالرد عليه وأستهجان ما أتى به - فإن ذلك خطأ كبير؛ بل يصبر إلى حين الخلو، ويدخل في أثناء كلامه ما يوضح به نهج الصواب من غير تلق برد، ولا يتبجح بما عنده، ويكون متابعاً للملك على أخلاقه الفاضلة، وطباعه الشريفة: من بسط المعدلة، ومد رواق الأمانة، ونشر جناح الإنصاف، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وجبر الكسير، والإنعام على المعتز المستحق، والتوفير على الصدقات، وعمار بيوت الله تعالى، وصرف الهمم إلى مصالحها، والنظر في أحوال الفقهاء وحالة كتاب الله العزيز بما يصلح، والاتفات إلى عمارة البلاد، وجهاد الأعداء،

قلت : وَاَنْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى أَوَائِلِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ وَالحَالِ فِي ذَلِكَ مُخْتَلَفٌ ، فَتَارَةً إِلَى الدِّيَوَانِ كَاتِبٌ وَاحِدٌ يَعْبُرُ عَنْهُ بَكَاتِبُ الدَّسْتِ ، وَرَبَّمَا عُبِّرَ عَنْهُ بِكَاتِبِ الدَّرَجِ ، وَتَارَةً يَلِيهِ جَمَاعَةٌ يَعْبُرُ عَنْهُمْ بِكُتَّابِ الدَّسْتِ . وَيُقَالُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ بِيَرَسَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ ، أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ . وَبَقِيَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ وَلِيَ الدِّيَوَانَ الْقَاضِي فَتْحُ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ ، فَلَقَّبَ بِكَاتِبِ السَّرِّ ، وَنُقِلَ لَقَبُ كَاتِبِ الدَّسْتِ إِلَى طَبَقَةِ دُونِهِ مِنْ كُتَّابِ الدِّيَوَانِ . وَأَسْتَمَرَ ذَلِكَ لَقَبًا عَلَى كُلِّ مَنْ وَلِيَ الدِّيَوَانَ إِلَى زَمَانِنَا عَلَى مَاسِيَانِي ذِكْرِهِ . وَيَضَاهِيهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعُرْفِ الْعَامِّ مَتَوَلَّى دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ بِدَمَشْقَ ، وَبَحْلَبَ ، وَبَطْرَابْلُسَ ، وَبِحِمَاةَ ، وَبَصَفَدَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُقَالُ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي مِصْطَلَحِ الدِّيَوَانِ صَاحِبُ دَوَاوِينَ الْإِنْشَاءِ كَمَا يُقَالُ فِي مَتَوَلَّى دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ ؛ بَلْ يُقَالُ فِي مَتَوَلَّى دِيَوَانِ دَمَشْقَ صَاحِبُ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ بِالشَّامِ ، وَفِي مَتَوَلَّى دِيَوَانِ حَلَبَ صَاحِبُ دِيَوَانِ الْمَكَاتِبَاتِ بِحَلَبَ ، وَكَذَا فِي الْبَاقِيَاتِ . أَمَّا غَزَّةُ ، وَالْكُرْكُ ، وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةُ وَغَيْرُهَا مِنْ النِّيَابَاتِ الصَّغِيرَةِ فَإِنَّمَا يُقَالُ فِي مَتَوَلَّى شَيْءٍ مِنْ دَوَاوِينِهَا كَاتِبُ دَرَجٍ وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ كَاتِبُ سَرٍّ بَوَاجِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَامَّةَ يَبْدُلُونَ الْبَاءَ مِنْ كَاتِبِ السَّرِّ بِمِيمٍ فَيَقُولُونَ كَاتِمُ السَّرِّ ، وَهُوَ صَحِيحٌ الْمَعْنَى ؛ إِمَّا لِأَنَّهُ يَكُونُ سِرَّ الْمَلِكِ ، أَوْ مِنْ بَابِ إِبْدَالِ الْبَاءِ بِالْمِيمِ عَلَى لُغَةِ رُبَيْعَةٍ وَإِنْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ الثَّانِي .

## الفصل الثاني

(فِي صِفَةِ صَاحِبِ هَذَا الدِّيَوَانِ وَأَدَابِهِ)

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ الصُّورِيُّ فِي مَقْدَمَةِ تَذَكُّرَتِهِ : ” يَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَبِيحَ الْوَجْهِ ، فَصِيحَ الْأَلْفَاظِ ، طَلْقَ اللِّسَانِ ، أَصِيلًا فِي قَوْمِهِ ، رَفِيعًا فِي حَيِّهِ ، وَقُورًا ، حَلِيمًا

لأحد من المتولين لهذه المناصب التعرّض لأخذ علامة سلطانية البتّة ، وناهيك بذلك رفعةً وشرفاً باذخاً .

وأما لقبه الجارى عليه فى كل زمن فقد تقدم أنهم كانوا فى زمن بنى أميّة وما قبله يعبرون عنه بالكاتب ، لا يعرفون غير ذلك كما أشار اليه القضاعى فى ”عيون المعارف“ . فلما جاءت الدولة العباسيّة ، واستقرّ السّفاح أوّل خلفائهم فى الخلافة ، لُقّب كاتبه أبا سلمة الخلال بالوزارة وترك اسم الكاتب ؛ واستقرّ لقب الوزارة على من يليها من أرباب السيوف والأقلام إلى أنقراض الخلافة من بغداد . وتقدم أيضا أن هذا الديوان كان تارة يضاف إلى الوزارة فيكون الوزير هو الذى يباشره بنفسه أو يفوضه إلى من يتحدّث فيه عنه ، وتارة ينفرد عنها ، فحيث أنفرد عن الوزارة لُقّب متوليه بما يتضمن إضافته إلى صحابة الديوان وولايته بحسب ما يشتهر به الديوان فى ذلك الزمن .

فحيث كان الديوان مشهورا بديوان الرسائل ، كما كان فى الزمن الأوّل ، لُقّب متوليه بصاحب ديوان الرسائل أو متولّى ديوان الرسائل ، وربما قيل صاحب ديوان المكاتبات ، أو متولّى ديوان المكاتبات ؛ وحيث كان الديوان مشهورا بديوان الإنشاء كما فى زماننا بالديار المصرية لُقّب متوليه بصاحب ديوان الإنشاء . وربما جمعوا لفظ الديوان تعظيما لمتوليه ، فقالوا صاحب دواوين الإنشاء بالممالك الإسلامية . وعلى هذا مصطلح كتّاب الديوان فى زماننا فى تعريفه فيما يكتب له من تقليد أو غيره ؛ على أنه لو قيل ناظر دواوين الإنشاء لكان أعلى فى الرتبة لما اشتهر فى العرف من أن لفظ ناظر الديوان أعلى من صاحب الديوان .

قال ابن الطوير : ” وكانوا يلقبونه فى الدولة الفاطمية بالديار المصرية كاتب الدّست “ .



ونواهيه أمور سلطانه، ويُزَلُّها منازلها في متمد مجالسمها، ويتمكن من سياسة أجناده، وعِمارة بلاده، ومصلحة رعيته، وأجتلاب مودتهم، وأستخلاص نياتهم، وعينه التي تلاحظ أحوال سلطانه، ويُرعِيها مهمات شأنه، وأذنه التي يثق بما وَعَّته، ولا يرتاب بما سمعته؛ ويده التي يَسُطُّها بالإنعام، ويبطِشُ بها في النقض والإبرام.

قال: ومن كانت هذه رتبته فالسبب الذي رتبّه فيها أفضل الأسباب، وأجدرها بالتقديم على الاستحقاق والاستيجاب.

✓ قال ابن الطوير في ترتيب الدولة الفاطمية "وكان هذا المنصب لا يتولاه في الدولة الفاطمية إلا أجلُّ كتاب البلاغة، ويُخاطَب بالأجل، وإليه تسلم المكتبة واردة مختومة فيعرضها على الخليفة من يده؛ وهو الذي يأمر بتنزيلها والإجابة عنها وربما بات عند الخليفة ليلًا؛ وهذا أمر لا يصل إليه غيره". قال "وهو أول أرباب الإقطاعات في الكسوة والرسوم والملاطفات، ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه أحد ولا يجتمع بأحد من كتابه إلا الخواص؛ وله حاجب من الأمراء الشيوخ، وله في مجلسه المرتبة العظيمة والحدّ والمُسند، والدواة العظيمة الشأن؛ ويحمل دواته أستاذ من خواص الخليفة عند حضوره إلى مجلس الخلافة".

قلت: ومرتبته في زماننا أرفع مرتبة، ومحلّه أعظم محل؛ إليه تاتى أسرار المملكة وخفاياها، وبرأيه يُستضاء في مشكلاتها، وعلى تدبيره يعول في مهماتها، وإليه تردّ المكتبات، وعنه تصدر؛ ومن ديوانه تُكتب الولايات السلطانية كافة، ويقوم توقيعُه على القصص في نفوذ الأوامر مقام توقيع السلطان؛ وجميع ما يعمل عليه السلطان من جليل وحقير في مزرته حتى ما يُكتب من ديوان الجيش من المناشير، وما يُكتب من ديوان الوزارة وديوان الخاص وغيرهما من المربعات ونحوها. وليس

## الباب الخامس

### من المقدمة

في قوانين ديوان الإنشاء، وترتيب أحواله، وآداب أهله، وفيه أربعة فصول

### الفصل الأول

(في بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله  
ولقبه الجارى عليه في القديم والحديث)

أما رفعة محله وشرف قدره، فأرفعُ محل وأشرفُ قدر، يكاد أن لا يكون عند الملك  
أخصُّ منه ولا ألزَمُ لمجالسته، ولم يزل صاحب هذا الديوان معظماً عند الملوك في كل  
زمن، مقدماً لديهم على من عداه: يلقون إليه أسرارهم، ويخصونه بخفايا أمورهم،  
ويطلعونه على ما لم يطلع عليه أخص الأخصاء: من الوزراء والأهل والولد، وناهيك  
برتبة هذا محلها!

قال صاحب مواد البيان "ليس في منزلة خدام السلطان والمتصرفين في مهماته  
أخص من كاتب الرسائل. فإنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه، ولا غنى له  
عن مفاوضته في آرائه، والإفضاء إليه بمهمات، وتقريبه من نفسه في آناء ليله  
وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته، وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات  
مملكته، فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته وثقته به، ولا يركن إلى قريب ولا نسيب  
رُكُونَه إليه، ومحلّه منه في عائدة خدمته وأثرة دولته محلّ قلبه الذي يؤامره في مشكل  
رأيه حتى يتنقح، ويراجعه في مهمّ تديره حتى يتضح، ولسانه الذي يقرر برغبه  
أولياءه على الطاعة والموافقه، ويستقر بترهيبه عن المعصية والمشاققه، ويقر بأوامره  
(١)

(١) كذا في الاصل ولعله مصحف عن ينفّر. أو يستقر كما يقتضيه المقام.

المذكور وبقي حتى خلع الظاهر برقوق وعاد المنصور حاجي بن الأشرف شعبان إلى السلطنة وهو مستعتر المباشرة .

فلما عاد الظاهر برقوق من الكرك حضر معه القاضي علاء الدين علي الكركي ، فولاه كتابة السر وبقي حتى توجه صحيفة السلطان إلى الشام في طلب منطاش ، فمات القاضي علاء الدين ، وكان القاضي بدر الدين صحبته فأعيد إلى الوظيفة في سنة ثلاث وتسعين وسبعائة ، وعاد مولى صحيفة الركاب الشريف السلطاني . ثم توجه صحبته إلى الشام عند وصول تمر لبغداد ، فمرض ومات هناك ، فولى الظاهر مكانه القاضي بدر الدين محمود السراي الكلستاني في شوال سنة ست وتسعين وسبعائة ، وحضر صحيفة الركاب الشريف إلى الديار المصرية ، فبقي حتى توفي في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانائة ، فولى الظاهر مكانه المقر العالی الفتحي فتح الله ، ففتح الله به من أبواب ديوان الإنشاء ما كان مغلقا ، وأصفى به من ورده ما كان مكذرا .

وأنقلت السلطنة بعد وفاة الظاهر برقوق إلى ولده الناصر فرج ، فأجراه من المباشرة والإجلال والتعظيم على عادة أبيه . ثم صرفه عن الوظيفة في شهور سنة ثمان وثمانائة ، وأقام مكانه في الوظيفة المقر السعدى إبراهيم بن غراب ، وهو يومئذ مشير الدولة بعد تنقله في وظائف الديار المصرية والمشار إليه ، وأقام بها مدة لطيفة ، وعادت إلى المقر الفتحي فتح الله المشار إليه ، وقيل : ( هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ) بخرى فيها على الأسلوب الأول والمهجع السابق : من العدل والإنصاف ، والإحسان إلى الخلق ، وإيصال البر إلى مستحقه ، والمساعدة في الله لمن عرف ومن لم يعرف ، والله هو المكافئ لعباده على جميل الصنع !

مَنْ يَقْعَلِ الْخَيْرَ لَمْ يَعْصَمْ جَوَازِيَهُ \* أَنْ يَذْهَبَ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

الثَّلاثِينَ : بأن يستمرّ على صحابة دواوين الإنشاء بالملك الإسلامية ، وأن يكون جميع المباشرين لهذه الوظيفة بالباب الشريف مَنْ دونه نُوَّابَه ، وأنه حيث حلّ يقرأ القِصَص والمظالم ، ويقرّر الولايات والعزَل والرواتب وغير ذلك ، ويوقع فيها بما يراه ، ويُجهّز إلى مصر ليعلّم عليها العلامة الشريفة ، وفوض أمر ديوان الإنشاء بالديار المصرية لولده القاضي علاء الدين استقلالا ، وتجهّز القاضي محي الدين للسفر ، فمضى ومات بعد أيام قلائل في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعائة بالقاهرة . ثم نُقل إلى دمشق سنة تسع ، وبقي ولده القاضي علاء الدين فبقى في الوظيفة بقية أيام الملك الناصر ، ثم أيام ولده المنصور أبي بكر ، ثم أخيه الأشرف كحك ، ثم أخيه الملك الناصر أحمد .

فلما خَلَعَ الناصر أحمد نفسه في سنة ثلاث وأربعين وتوجه إلى الكرك ، توجه القاضي علاء الدين معه ، فأقام عنده ، وأستقرّ الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون في السلطنة بعد أخيه أحمد ، فقرّر في ديوان الإنشاء القاضي بدر الدين محمد بن محي الدين بن فضل الله ، فبقى في الوظيفة إلى أن عاد أخوه القاضي علاء الدين من الكرك ، فأعيد إلى منصبه ، وبقي بقية أيام الملك الصالح إسماعيل ، ثم أيام أخيه الكامل شعبان ، ثم أيام أخيه المظفر حاجي ، ثم أيام أخيه الناصر حسن في سلطنته الأولى ، ثم أيام أخيه الصالح صالح ، ثم أيام الناصر حسن ثانيا ، ثم أيام المنصور محمد بن حاجي بن محمد بن قلاوون ، ثم أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد ابن قلاوون فتوفّي ، وولى الوظيفة بعده ولده القاضي بدر الدين محمد ، فبقى بقية أيام الأشرف شعبان ، ثم أيام ولده المنصور علي ، ثم أيام أخيه الصالح حاجي بن شعبان إلى أن خُلِعَ ، وجاءت الدولة الظاهرية برقوق فقرّر في ديوان الإنشاء القاضي أُوحد الدين عبد الواحد بن التركماني ، فبقى حتّى توفّي فأعيد القاضي بدر الدين



القاضي تاج الدين في أثناء الطريق بمضى شهر من ولايته ، فوثى مكانه القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله ، فأقام بقية أيام الأشرف بن قلاوون ، وأيام أخيه الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الأولى ، وأيام العادل كتبغا ، وأيام المنصور لاجين ، وأيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الثانية ، وأيام المظفر بيبرس الجاشنكير ، وبرهة من أيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الثالثة .

ثم نقله إلى كُتّابة السرّ بدمشق المحروسة عوضاً عن أخيه القاضي محي الدين بن فضل الله ، ووثى مكانه بمصر علاء الدين بن الأثير لسابق وعده منه حين كان معه في الكرك ، وبقي حتى مرض بالفالج وبطلت حركته ، فأستدعى الملك الناصر القاضي محي الدين بن فضل الله من الشام ، فولّاه ديوان الإنشاء بالديار المصرية في المحرم سنة تسع وعشرين وسبعائة .

وكان ولده القاضي شهاب الدين هو الذي يقرأ البريد على السلطان وينفذ المهمات إلى سنة اثنتين وثلاثين وسبعائة فأعادهما الملك الناصر إلى دمشق ، ووثى مكانهما القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود في شعبان من السنة المذكورة ، فبقى حتى حجّ السلطان وعاد إلى مصر ، فأعاد القاضي محي الدين ولده القاضي شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، فبقيا إلى سنة ثمان وثلاثين وسبعائة .

وفي أواخر ذلك تغير السلطان على القاضي شهاب الدين المذكور وصرفه عن المباشرة ، وأقام أخاه القاضي علاء الدين مكانه يباشر مع والده ، وبقي الأمر على ذلك مدة لطيفة .

ثم سأل القاضي محي الدين السلطان في العود إلى دمشق ، وقد كثرت سنّه وضعفت حركته ، فأعادوه وصحبته ولده القاضي شهاب الدين وكتب له تقليد في قطع

قد تقدم أن القاضي الفاضل رحمه الله كان قد كتب بين يدي الموفق ابن الخلال في وزارة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله عن العاضد آخر خلفاء الفاطميين، فلما استقل السلطان صلاح الدين المذكور بالملك وخطب لبني العباس على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر، فوض إلى الفاضل الوزارة وديوان الإنشاء فكان يتكلم فيهما جميعاً، وأقام على ذلك إلى أن مات السلطان صلاح الدين، فكتب بعده لابنه العزيز وأخيه العادل أبي بكر. ثم مات، وكتب للكمال بن العادل القاضي أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدرج إلى أن توفي، فكتب بعده للكمال الشيخ أمين الدين عبد المحسن الحلبي مدة قليلة، وتوالت كتاب الإنشاء في الولاية إلى أن ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب فولّى ديوان الإنشاء صاحب بهاء الدين زهيراً. ثم صرفه وولّى بعده صاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان الإسعديّ، فبقى إلى انقراض الدولة الأيوبية.

الحالة الخامسة - ما كان الأمر عليه في الدولة التركية مما هو مستقر إلى الآن. قد تقدم أن صاحب نحر الدين بن لقمان بقي في ديوان الإنشاء إلى آخر الدولة الأيوبية.

ولما صارت المملكة إلى الدولة التركية، بقي في صحابة ديوان الإنشاء أيام أيلك التركياني، ثم أيام المظفر قطز، ثم أيام الظاهر بيبرس، ثم أيام المنصور قلاوون. فباشر ديوان الإنشاء في أيامه مدة، ثم نقله إلى الوزارة، وولّى مكانه بديوان الإنشاء القاضي فتح الدين بن القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في حياة والده، فبقى حتى توفي المنصور قلاوون، واستقر بعده ابنه الأشرف خليل، واستقر عنده في كتابة السرّ برهة من الزمان وسافر معه إلى الشام، فمات بالشام، فولّى الأشرف مكانه القاضي تاج الدين أحمد بن الأثير، وقفل السلطان راجعاً إلى مصر، فمات

الحالة الثالثة - ما كان الأمر عليه من ابتداء الدولة الفاطمية وإلى انقراضها .

ولما ولى الفاطميون الديار المصرية، صرّفوا مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء وكتّابه، فارتفع بهم قدره، وشاع في الآفاق ذكره، وولى ديوان الإنشاء عنهم جماعة من أفاضل الكتّاب وبلغائهم : ما بين مسلم وذمى؛ فكتب للعزیز بالله ابن المعز أبو المنصور بن سوردين النصراني، ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات في أيامه، فكتب للحاكم القاضي أبو الطاهر البرزكي، ثم كتب بعده لابنه الطاهر . وكتب للمستنصر القاضي ولى الدين بن خيران، ثم ولى الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله إلى الوزارة، وأبو سعيد العميدى . وكتب للآمر والحافظ الشيخ الأجل أبو الحسن على بن أبي أسامة الحلبي إلى أن توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة . فكتب بعده ولده الأجل أبو المكارم إلى أن توفى في أيام الحافظ، وكان يكتب بين يديهما الشيخ الأمين تاج الرأسة أبو القاسم على بن سليمان بن منجد المبصرى المعروف بابن الصيرفى، والقاضى كافى الكفاة محمود ابن القاضى الموفق أسعد بن قادوس، وابن أبى الدم اليهودى . ثم كتب بعد الشيخ أبى المكارم بن أبى أسامة المتقدم ذكره القاضى الموفق ابن الخلال أيام الحافظ، وإلى آخر أيام العاضد؛ وبه تخرج القاضى الفاضل البيسانى . ثم شرك العاضد مع الموفق ابن الخلال فى ديوان الإنشاء القاضى جلال الملك محمود بن الأنصارى وكان فى أيامه القاضى المؤمن كاسيويوه . ثم كتب القاضى الفاضل بين يدي الموفق ابن الخلال قرب وفاته فى سنة ست وستين وخمسمائة فى وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكتب من إنشائه عدة سجلات ومكتّبات عن العاضد آخر خلفائهم .

الحالة الرابعة - ما كان الأمر عليه من ابتداء دولة بنى أيوب إلى آخر

انقراضها .

والغرب الأوسط بيد بنى عبد الواد، وإفريقية بيد بقايا الموحدین من أتباع المهديّ  
أبن تومرت، وداخلتهم الحضارة، فأخذوا فى ترتيب دواوين الإنشاء بهذه الممالك،  
ومعانة البلاغة فى المكاتبات ونحوها، واستمر الحال على ذلك إلى زماننا .

ومن أشهر بالبلاغة من كتّاب المغاربة والوزراء به أبو الوليد بن زيدون،  
والوزير أبو حفص بن برد الأصفر الأندلسي، وذو الوزارتين أبو المغيرة بن حزم،  
والوزير أبو القاسم محمد بن الحدا فى جماعة أخرى من متقدمى كتّابهم . ومن متأخريهم  
عبد المهيمن كاتب السلطان أبى الحسن المتزنى، وأربى على كثير من المتقدمين أبى  
الخطيب وزير أبى الأحمر صاحب غرناطة من الأندلس ممن أدركه من عاصرناه .  
أما الديار المصرية فلديوان الإنشاء بها خمس حالات :

الحالة الأولى - ما كان الأمر عليه من حين الفتح وإلى بداية الدولة  
الطولونية، ونواب الخلفاء تتوالى عليها واحدا بعد واحد فلم يكن لهم عنايةً بديوان  
الإنشاء، ولا صرفُ همة إليه : للاقتصار على المكاتبات لأبواب الخلافة، والنزر  
اليسير من الولايات ونحو ذلك . ولذلك لم يصدرُ عنهم ما يدون فى الكتب ولا  
يتناقل بالألسنة .

الحالة الثانية - ما كان الأمر عليه فى الدولة الطولونية من ابتداء ولاية  
أحمد بن طولون، واستفحال ملك الديار المصرية فى الإسلام، وترتيب أمرها، وإلى  
حين انقراض الدولة الاخشيدية، وفى خلال ذلك ترتب ديوان الإنشاء بها، وانتظم  
أمر المكاتبات والولايات، وكان ممن أشهر من كتّابهم بالبلاغة وحسن الكتابة،  
أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود بن عبد : كان كاتب أحمد بن طولون، وكان  
مبدأ الكتّاب المشهورين بها . وكتب بعده لخارويه بن أحمد بن طولون إسحق بن  
نصر العبادي النصراني، وتوالت الكتّاب بالديوان بعد ذلك .



ثم لما انقرضت الخلافة من بغداد في وقعة هولاكو ملك التتار في سنة (ست وخمسين وستمائة) واستولت المغل والأعاجم على بغداد، بطل رسم الكتابة المعتبرة، وصار أكثر ما يُكتب عن ملوك التتار بالمغلية أو الفارسية؛ والأمر على ذلك إلى زماننا على ماسياتي بيانه في الكلام على دواوين الأمصار في المكاتبات والولايات وغيرها إن شاء الله تعالى.

وكانت بلاد الغرب والأندلس بأيدي نواب الخلفاء من حين الفتح الإسلامي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولا عناية لهم بديوان الإنشاء للتقرب من البداوة، وغايته المكاتبه إلى ديوان الخلافة ونحو ذلك؛ فلما غلب بنو العباس على الخلافة هرب طائفة من بني أمية إلى بلاد المغرب، وجازت البحر إلى الأندلس فأتزعوه من التواب الذين كانوا به وملكوه، وصاروا ينصبون فيه خليفة بعد خليفة، جارين على سنن ما كانوا عليه بالشام من ألقاب الخلافة، مضاهين لخلافة بني العباس ببغداد: من إقامة شعار الخلافة، واتخاذ ديوان الإنشاء، واستخدام بلغاء الكُتاب وتعدت دولتهم إلى بر العدوة من بلاد المغرب فحكوه. ثم تقاصر أمرهم بعد ذلك شيئاً فشيئاً باستيلاء المستوليين المستبدين عليهم بالأمر إلى أن انقرضت دولتهم من الأندلس وبلاد المغرب، واستولت عليهما طوائف من الملوك وتنقلت بهم الأحوال في استيلاء الملوك على كل ناحية منهما، وتتابعت الدول في كل حين كلما خبت دولة نجمت أخرى على ماسياتي ذكره في مكاتبات ملوكهما إن شاء الله تعالى.

وكان حال ديوان الإنشاء فيهم بحسب ما يكونون عليه من الجسارة والبدأوة، فأوائل الدول القريبون عهداً بالبادية لاعناية لهم بكتابة الإنشاء؛ وإذا استحضرت الدولة صرفت أهتمامها إلى ديوان الإنشاء وترتيبه إلى أن استقر ما بقي من الأندلس بعد ما أرتجعت الفرنج منه بأيدي بني الأحمر، والغرب الأقصى بيد بني مرين،

وكتب للحسن بن علي رضي الله عنهما عبد الله بن أبي رافع كاتب أبيه .  
ثم كانت دولة بني أمية فتوالت خلفاؤهم من معاوية بن أبي سفيان فمن بعده ،  
وأمر ديوان الإنشاء في زمن كل أحد مفوض إلى كاتب يقيمه إلى حين أنقراض  
دولتهم . وكان الخليفة هو الذي يوقع على القصص ويحدثها بنفسه ، والكاتب يكتب  
ما يبرز إليه من توقيعه ويصرفه بقلمه على حكمه . وكان ممن أشتهر من كتابهم بالبلاغة  
وقوة الملكة في الكتابة حتى سار ذكره في الآفاق ، وصار يضرب به المثل على ممر  
الأزمان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد آخر خلفائهم .

فلما بزغت شمس الخلافة العباسية بالعراق وولى الخلافة أبو العباس السفاح  
أول خلفاء بني العباس ، استوزر أبا سلمة الخلال . وهو أول من لقب بالوزارة  
في الإسلام على ما سيأتي ، وتوالت الوزراء بعده لخلفاء بني العباس من يومئذ .  
وكان ديوان الإنشاء تارة يُضاف إلى الوزارة ، فيكون الوزير هو الذي ينفذ أموره  
بقلمه ، ويتولى أحواله بنفسه ، وتارة يُفرد عنه بكتاب ينظر في أموره ، ويكون الوزير  
هو الذي ينفذ أموره بكلامه ، ويصرفها بتوقيعه على القصص ونحوها ، وصاحب  
ديوان الإنشاء يعتمد ما يرد عليه من ديوان الوزارة ، ويمشي على ما يلقي إليه من  
توقيعه ، وربما وقع الخليفة بنفسه حتى بعد غلبة ملوك الأعاجم من الديلم وبني  
سلاجوق وغيرهم على الأمر والأمر على ذلك تارة وتارة إلى أنقراض الخلافة من بغداد .  
وكان ممن أشتهر من وزراءهم بالبلاغة حتى صار يضرب به المثل يحيى بن خالد  
وزير الرشيد ، والحسن بن سهل ، وعمرو بن مسعدة كاتب المأمون ، وأبن المقفع  
مترجم كتاب "كليه ودمنه" ، وسهل بن هرون الذي ترجمها ، والأستاذ أبو الفضل  
أبن العميد ، والصاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عباد ، وأبو إسحاق الصابي في جماعة  
آخرين منهم .

وقد رأيت في سيرة لبعض المتأخرين أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم نيف وثلاثون كاتباً : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعامر بن فهيرة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأبان أخوه ، وسعيد أخوهما ، وعبد الله بن الأرقم الزهري ، وحنظلة بن الربيع الأسدي ، وأبي بن كعب ، وثابت بن قيس بن شماس ، وزيد بن ثابت ، وشرجيل بن حسنة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن زيد ، وجهم بن الصلت ، والزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، والعلاء بن الحضرمي ، وعمر بن العاص ، وعبد الله بن رباح ، ومحمد بن مسلمة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي ، ومعيقب بن أبي فاطمة ، وطليحة بن زيد بن أبي سفيان ، والأرقم بن الأرقم الزهري ، والعلاء بن عتبة ، وأبو أيوب الأنصاري ، وبريدة بن الحصيب ، والحصين بن نمير ، وأبو سلمة الخزومي ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب ، وحاطب بن عمرو ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وكان ألزمهم له في الكتابة معاوية بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت .

وكتب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وعثمان هو الذي كتب عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخلافة عن أبي بكر رضوان الله عليه كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

وكتب لعمر رضي الله عنه زيد بن ثابت ، وعبد الله بن خلف .

وكتب لعثمان رضي الله عنه مروان بن الحكم .

وكتب لعلي رضي الله عنه أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسعيد ابن جبران الهمداني .

## الفصل الثانى

( فى أصل وضعه فى الإسلام وتفترقه عنه بعد ذلك فى الممالك )

اعلم أن هذا الديوان أول ديوان وضع فى الإسلام ؛ وذلك أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمراءه ، وأصحاب سرائيه من الصحابة ؛ رضوان الله عليهم ! ويكتبونه . وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ؛ وبعث إليهم رُسُلَه بكتبه : فبعث عمرو بن أمية الضممرى إلى النجاشى ملك الحبشة ، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى أبرويز ملك الفرس ، ودحية الكلبي إلى هرقل ملك الروم ، وحاطب بن أبى بلتعبة إلى المقوقس صاحب مصر ، وسليط بن عمرو إلى هوزة بن على ملك اليمامة ، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين إلى غير ذلك من الممكتبات . وكتب لعمر بن حزم عهداً حين وجهه إلى اليمن . وكتب لقيم الدارى وإخوته بإقطاع بالشام . وكتب كتاب القضية بعقد الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية . وكتب الأمانات أحياناً إلى غير ذلك مما يأتى ذكره فى الاستشهاد به فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

وهذه المكتوبات كلها متعلّقة بديوان الإنشاء بخلاف ديوان الجيش ، فإن أول من وضعه ورثه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته . على أن القضاء قد ذكر فى تاريخه "عيون المعارف" وفنون أخبار الخلائف " أن الزبير بن العوام ، وجهم بن الصلت كانا يكتبان للنبىّ صلى الله عليه وسلم أموال الصدقات ، وأن حذيفة بن اليمان كان يكتب له خرص النخل ، وأن المغيرة بن شعبة والحصين بن مُيمر كانا يكتبان المداينات والمعاملات . فإن صح ذلك فتكون هذه الدواوين أيضاً قد وُضعت فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، إلا أنها ليست فى الشهرة وتأثير الكتابة فى زمانه صلى الله عليه وسلم : كما تقدّم من متعلّقات كتابة الإنشاء .



بما فيه“ومنه قول ابن عباس : «إذا سألتُموني عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه في الشَّعر فإن الشَّعر ديوانُ العَرَب» . ويقال دُونته أى أثبتته وإليه يميل كلام سيبويه .  
 وذهب آخرون إلى أنه عجمي وهو قول الأُصمعيّ وعليه أقصر الجوهريّ في صحاحه ،  
 فقال الديوان «فارسيّ معرّب» . وقد حكى الماورديّ ”في الأحكام السلطانية“  
 في سبب تسميته بذلك وجهين :

أحدهما - أن كسرى ذات يوم أطلع على كُتّاب ديوانه في مكانٍ لهم وهم يحسبون مع أنفسهم فقال ”ديوانه“ أى مجانين فسَمي موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً ، فقليل ديوان وعليه أقصر أبو جعفر النحاس في صناعة الكُتّاب .

والثاني - أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، وسَمي الكُتّاب بذلك لحَدِثهم بالأُمور ووقوفهم على الجليّ منها والخفيّ .  
 وأما الإنشاء فقد تقدّم أنه مصدر أنشأ الشئ ينشئه إذا ابتدأه وأخترعه ، وحينئذ فإضافة الديوان للإنشاء تحتل أمرين :

أحدهما - أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تُنشأ عنه وتُبتدأ منه .  
 والثاني - أن الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا . وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسميةً له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعظمها ، وربما قيل ديوان المكاتبات . ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه إلى الآن .

على أخيه أو نظيره، وصاحبه وعشيرته، وحمد الله واجب على الجميع : وذلك بالتواضع لعظمته، والتذلل لعزته، والتحدث بنعمته“.

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل (من يلزم الصحة يلزمه العمل) وهو جوهر هذا الكتاب وغرّة كلامه، بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل؛ فلذلك جعلته آخرًا وتممته به. تولانا الله وإياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده! فإن ذلك اليه وبيده. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الباب الرابع

### من المقدمة

في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء، وأصل وضعه في الإسلام، وتفريقه بعد ذلك في الممالك، وفيه فصلان.

## الفصل الأول

في التعريف بحقيقته

لا خفاء في أنه اسم مركب من مضاف وهو ديوان ومضاف إليه وهو الإنشاء، أما الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكتاب وهو بكسر الدال. قال النحاس في صناعة الكتاب ”وفتحها خطأ“ قال : ”وأصله ديوان فأبدلت إحدى الواوين ياء فقيل ديوان“ ويجمع على دواوين. وأختلف في أصله، فذهب قوم إلى أنه عربي\*. قال النحاس: ”والمعروف في لغة العرب أن الديوان الأصل الذي يرجع إليه ويعمل

(١) في نسخة النصيحة \*

ولا يجاوزنَّ الرجلُ منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبته ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمته وغير ذلك من فنون أمره، قدرَ حقّه . فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعكم خدمة لا يُحْمَلون في خدمتكم على التقصير، وحَقَقَة لا تُحْتَمَل منكم أفعال التضييع والتبذير . وآستعينوا على عَفَافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم، وقصصته عليكم . وأحذروا مَتَالف السرف، وسوء عاقبة الترف؛ فإنهما يُعَقِّبان الفقر ويُدَلِّلان الرِّقَابَ، ويفصِّحان أهلها ولا سِيَّما الكُتَّابَ، وأرباب الآداب؛ وللأُمُور أشباه وبعضها دليل على بعض، فاستدلوا على مؤتَنَف أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم؛ ثم أسلكوا من مسالك التدبير أَوْصَحَهَا مُحَجَّةً، وأصدقها حُجَّةً، وأحمدُها عاقبة .

وأعلموا أن للتدبير آفةً مُتَافَةً - وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ عمله ورؤيته؛ فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه، وأيوِّحْ في ابتدائه وجوابه؛ وليأخذ بِجَمَاعٍ مع مُحَجِّجِه؛ فإن ذلك مصلحة لفعله، ومَدْفَعَةٌ للتشاغل عن إكثاره . وليضَرَّع إلى الله في صِلَاة توفيقه، وإمداده بتسديده، وخَافَةً وقوعه في الغلط المضرَّ ببدنه وعقله وأدبه؛ فإنه إن ظن منكم ظانًّا، أو قال قائلًا، إن الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته، إنما هو بفضل حيلته، وحسن تدبيره، فقد تعرَّض بظنه أو مقالته إلى أن يَكِلَهُ الله عز وجل إلى نفسه، فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمله غير خاف .

ولا يُقَلُّ أحد منكم إنه أبصرُ بالأُمُور وأحملُ لعب التدبير من مُرَافِقِه في صناعته، ومُصَاحِبِه في خدمته؛ فإن أعقل الرجلين عند ذوى الأبواب مَنْ رُمِيَ بالعُجب وراء ظهره، ورأى أن صاحبه أعقل منه وأحمدُ في طريقته . وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جلَّ ثَنَاؤُه من غير اغترار برأيه، ولا تزكية لنفسه، ولا تكاثر

فاستشعروا ذلكم وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء، والشدة، والحرب،  
والمواساة، والإحسان، والسراء، والضراء، فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من  
أهل هذه الصناعة الشريفة! . فاذا ولى الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله  
وعياله أمر، فليراقب الله عز وجل، وليؤثر طاعته، وليكن على الضعيف رفيقا،  
وللظلم منصفاً، فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله . ثم ليكن بالعدل  
حاكماً، وللأشراف مكرماً، وللغنى موقراً، وللبلاد عامراً، وللرعية متألفاً، وعن  
إيذائهم متخلفاً، وليكن في مجلسه متواضعا حليماً، وفي سيئات نراجاً، وأستقضاء  
حقوقه رفيقا . وإذا صحب أحداً رجلاً فليختبر خلانقه، فاذا عرف حسنها وقبيحها  
أعانه على ما يوافقه من الحسن وأحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة،  
وأجل وسيلة . وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة  
أخلاقيها، فإن كانت رموحاً لم يهيجها إذا ركبها، وإن كانت شجوباً ألقاها من قبل  
يديها، وإن خاف منها شروداً توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حروناً قمع برفق  
هواها في طريقها، فإن استمرت عطفها يسيراً فيسأس له قيادها . وفي هذا الوصف  
من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وخدمهم وداخلهم .

والكاتب بفضل أدبه، وشريف صنعته، ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يحاوره  
من الناس وينظره، ويفهم عنه أو يخاف سطوته، أولى بالرفق بصاحبه، ومداراته،  
وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً، ولا تعرف صواباً، ولا تفهم  
خطاباً، إلا بقدر ما يضيئها إليه صاحبها الرأى كب عليها . ألا فأمعنوا رحمكم الله  
في النظر، وأعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر، تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه  
النبوة، والاستئصال والجفوة،<sup>(١)</sup> ويصير منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى المؤاخاة  
والشفقة إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في الأصل . ولعل ثبوت الباء قبل الراء من زيادة الناصح



وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ؛ فيعد لكل أمر عذته وعتاده ، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته . فتتأفّسوا يا معشر الكُتّاب ، في صنوف الآداب ، وتفقهوا في الدين ؛ وأبدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض . ثم العربية فإنها إيقاف أليستكم .

ثم أجيّدوا الخطّ فإنه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار ، وأعرفوا غريبها ومعانيها ؛ وأيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها ؛ فان ذلك معين لكم على ما تسمّو إليه همكم . ولا تضيّعوا النظر في الحساب فإنه قوام كُتّاب الخراج ؛ وآرغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودينها ، وسفساف الأمور ومحآقرها ، فإنها مدلّة للرقاب ، مفسدة للكُتّاب ؛ ونزهوا صناعتكم عن الدنّات ، وآربوا بأنفسكم عن السّعاية والنيمة وما فيه أهل الجهالات ؛ وإياكم والكبر والصلف والعظّمة ، فإنها عداوة مجتلبّة من غير إحنة ، وتحابّوا في الله عز وجل في صناعتكم ، وتواصوا عليها بالذي هو أليق بأهل الفضل والعدل والنبيل من سلفكم .

وإن نبا الزمان برجل منكم فأعطّفوا عليه ووأسوه حتّى يرجع إليه حاله ، ويشوب إليه أمره ؛ وإن أقعد أحدكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه ، فزوروه وعظموه وشاوروه ، وآستظّهروا بفضل تجربته ، وقدم معرفته . وليكن الرجل منكم على من أصطنعه وآستظّهر به ليوم حاجته إليه أحفظّ منه على ولده وأخيه . فان عرّضت في الشغل تحمّدة فلا يضيفها إلا إلى صاحبه ، وإن عرّضت مدّة فليحملها هو من دونه . وليحذر السّقطة والزلة والمّل عند تغيّر الحال ، فان العيب إليكم معشر الكُتّاب أسرع منه إلى الفراء ؛ وهو لكم أفسد منه لها .

فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صحبه الرجل ، يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه ؛ فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه ، وشكره ، وأحتماله ، وصبره ، ونصيحته ، وكتّان سرّه ، وتدير أمره ، ما هو جزاء لحقه . ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه ، والاضطرار إلى مآلديه .

ثم اصل هذه الآداب الذى ترجع اليه ، وينبوعها الذى تفجرت منه ، رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، التى كتبها إلى الكُتّاب يوصيهم فيها . وهى :

أما بعدُ ، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفّقكم وأرشدكم ! فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً ، وإن كانوا فى الحقيقة سواءً ، وصرفهم فى صنوف الصناعات ، وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم ، وأبواب أرزاقهم ، بجعلكم معشر الكُتّاب فى أشرف الجهات أهل الأدب ، والمروءة ، والعلم ، والرواية . بكم تنتظم الخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر بلادهم . لا يستغنى الملك عنكم ، ولا يوجد كافٍ إلا منكم ، فموقعكم من الملوك موقعُ أسماءهم التى بها يسمعون ، وأبصارهم التى بها يبصرون ، وألسنتهم التى بها ينطقون ، وأيديهم التى بها يبطشون . فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ! ولا تنزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم ! .

وليس أحدٌ أحوَجَ إلى اجتماعٍ خلال الخير المحموده ، وخصال الفضل المذكورة المعدودة ، منكم أيّها الكُتّاب ، إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكُتّاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمّات أموره أن يكون حليماً فى موضع الحلم ، فهياً فى موضع الحُكم ، ومقدّماً فى موضع الإقدام ، ومُحجّجاً فى موضع الإحجام<sup>(١)</sup> ، مؤثراً للعفاف ، والعدل والإنصاف ، كَتوما للأسرار ، وفياً عند الشدائد ، عالماً بما يأتى من التوازل ، ويضع الأمور مواضعها ، والطوارق اما كنها . قد نظر فى كل فن من فنون العلوم فأحكمه ، فان لم يُحْكَمْه أخذ منه بمقدار يكتفى به . يعرف بغريزة عقله ، وحُسن أدبه ، وفضل تجربته ، ما يرد عليه قبل وروده ،

(١) فى غير هذا الكُتّاب ومُحجّجاً .

من الحسد والإيذاء إلى التآلف والمودة. وقد آدب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ .

### الضرب الخامس

(آداب عشرة من يمت إليه بحُرمة ، كالجار ، والقاصد ، والآمل ، والمُدِلِّ بحَقِّ  
المفاوضة ، والمطاعمة ، والمحاضرة ، والسلام والمعرفة في الصِّبا ، والصدقة  
بين الآباء وغير ذلك من الحُرَم التي لا يَطْرَحُهَا أَهْلُ المِرْوَآتِ)

قال ابن خلف : ”وينبغي أن يوفيهم حقوقهم ، وينهض بما يسنح من أوطارهم  
ومهماتهم ، ويعينهم على ما يحدث من نوائب زمانهم ، ويسعد في بلوغ مطالبهم من  
سلطانهم ، ولا يرضن عليهم بجاه ولا مال ، ولا يُخَيِّبَ أمل آملهم ولا قصده ، ويفرض  
لهم من إذعانه وأعتائه ما يعز جانبهم ، ويسهل ما ربههم ، ويكف الضيم والظلم عنهم ،  
ويسط العدل والإنصاف عليهم . فإنه إذا التزم ذلك لهم التزموا له الإعظام والإجلال .  
وأطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه ، والاعتداد بأياديهِ ، وأشاعوا ذلك بين أمثالهم فاجتلبوا  
له مودتهم وتعصبهم له “ .

قلت : ومن تمام آداب الكاتب وكملها أن يعرف حقوق مشايخ الصناعة وأئمتها  
الذين فتحوا أبوابها ، ودلّوا سبلها ، وسملوا طرقها ، ويعاملهم بالإنصاف فيما أعملوا  
فيه خواطرهم ، وأتعبوا فيه روياتهم فينزّلهم منازلهم ولا يتخسّمهم حقوقهم . فمن آفات  
هذه الصنعة على ذوى الفضل من أهلها أن القاصر منهم لا يمتنع من ادعاء منزلة  
المبرز بل لا يعفيه من ادعاء التقدّم في الفضل عليه ، والمبرز في الفضل لا يقدر على  
إثبات نقص المتخلف ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾

الأحوال والشؤون، والذي ينتهى إليه أمل المرءوس من الرئيس: ليجعل خدمتهم له بذلك خدمة مئة ومودة، لا خدمة خوف ورهبة؛ وأن يحب خدمته إليهم بترك مناقشتهم، والتضييق عليهم؛ وإنالهم من الترفيه في بعض الأوقات ما يجدون به السبيل إلى الأخذ بنصيب من لذاتهم وأوطارهم التي تميل النفوس إليها، وتهافت عليها؛ فإنهم متى لحقهم التعب والنصب، أعترضهم الضجر والملال، فقصرُوا في الأعمال، وتهاونوا بالأشغال؛ فلا بد لهم من راحة تصفوها أذهانهم ويزول عنها الكلال، ولا يفسح لهم في مواصلة الراحة والإخلال بما يلزمهم؛ فإن ذلك يحمل على سوء العادة وقبح المذهب. وعليه أن يحفظ لهم حقوق الضحبة والخدمة ويوجد لهم من الإعانة ما فيه صلاح حالهم؛ فإنه يستعدهم بذلك ويستخلص مودتهم إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها.

### الضرب الرابع

#### آداب عشرة الرعية

قال ابن خلف: "وهو أمر عظيم النفع، جسيم العائدة، قاض بالسلامة. إذ لا يطيب لأحد عيش مع بغض الرعية له، ونفورهم عنه، وإن علت عند السلطان رتبته، وأرتفعت طبقته، وظن بنفسه الاستغناء عنهم". قال: "فينبغي أن يُوقر<sup>(١)</sup> العناية على استصلاحهم له، وأسئلة أهوائهم إليه، ولين الجانب، ووطاء الكنف، وخفض الجناح، والبسط والإيناس وتأليفهم: كما يوفرها على استصلاح السلطان وسياسته، لتصح له رتبة التوسط بين الطبقتين، ويسلم من طعن الطاعن، ولوم اللائم، ويبرأ من البغض والشحناء، وينقلهم عما تسرع إليه الطباع الرديئة:

(١) أى ديانة الأخلاق كما يؤخذ من القاموس.



قال: «وإذا كنا نحفظ مَنْ مَتَّ إلينا بالأنساب الجُسميَّة التي لاتعارف بينها فأولئك أن نحفظ مَنْ مَتَّ إلينا بالأنساب النفسانية التي يصح منها التعارف . ولذلك قال الحسن بن وهب: «الكتابة نفسٌ واحدة تجزأت في أبدان متفرقة» . وقال: لاعتبرة بما يقع بين بعضهم من التنافر والتباين ، لأن المناسبة إنما تقع عند المساواة . أما من وقع دون رتبة الآخر من الفضيلة فليس بمناسب له فيصيرُ القاصر حاسدا لمن فوقه ، للتقصير الذي فيه » .

وبكل حال فإنه يجب عليه أن يعرف لأكفائه حقهم ، ويحفظ مناسبتهم ، ويتوخى مساهمتهم ، ويتلقاهم بالإكرام والتميز ، ويجعلهم في أعلى المراتب عنده ، ويزيدهم على الإنصاف ولا يقصِّر بهم عما يستوجبونه ويستحقونه ، ويتخول بمثل ذلك نظراء في الرياسة من غير الكُتاب . وإن تعذر عليه الوصول إلى ملتسمهم أطاب قلوبهم بالوعد الجميل في المستقبل ، واجتهد في الوفاء به .

### الضرب الثالث

#### آداب عشرة الأتباع

قال علي بن خلف: وهي لاحقة بعشرة الأكفاء: لأن الذين يستعين بهم الكاتب يُدْعَوْنَ كُتَّاباً ولا يُدْعَوْنَ أَعْوَاناً ، وإنما الأعوان خُدام الشرطة ومن يجرى مجراهم . قال: «وهم وإن كانوا أصحاب الكاتب ومرءوسيه وأتباعه ، فاسم الكتابة يجمع بينه وبينهم ، ومعاشرتهم داخلية في باب التكرم ، والتفضيل ، والاستئثار بحاسن الأفعال ومكارم الشيم» .

ثم قال بعد ذلك: «وينبغي أن يخصَّهم بالنصيب الأوفر ، من إكرامه ، والقسم الأغزر ، من ملاحظته وأهتمامه ، ويفرض لهم من التقديم والاختصاص وتفقد

ومنها : أنه إذا تميز عند رئيسه وارتفعت رتبته لديه أن يجمل القول في خاصته وعامته ،  
ويحسن الوساطة لحاشيته ورعيته ، ويتجنب القدح عنده في أكفائه ونظرائه من  
بطانته ، والمقرّبين من حضرته ، ليكون ذلك داعياً إلى محبته والثناء عليه مكافأة له  
وإمساك الألسن عن الطعن فيه .

ومنها : أن يبادر إلى المشورة عليه بالصواب فيما يستشير فيه ، ويورده إيراد  
مستفيد لأمفيد ، ومتعلم لاملعم ، ويتلطف في أن يوقعه من نفسه موقعا يدعو إلى  
العمل به . فإن من عادة الملوك والرؤساء الأنفة من الانقياد إلى ما ينتحله غيرهم من  
الآراء ولو كانت صائبة ، وإن تمكن من صياغة حديث يودعه فيه فعل مخادعة بذلك  
نفسه الأيية وعزّته المتقاعسة .

## الضرب الثاني

### آداب عشرة الأكفاء والنظرَاء

قال علي بن خلف : ولا شك أن طريقة الاعتدال في ذلك الموافقة في الإخاء ،  
والمساواة في الصفاء ، ومقابلة كل حالة بما يضاهاها . أما المسامحة بالحقوق والإغضاء  
عن قصّر ، والمحافظة على ودّ من فزط ، فلا خلاف في فضله والتمدح بمثله ، لاسيما  
لمثل أهل هذه الصناعة التي يرتفع حق الاعتراء إليها عن حقوق القربات الدانية ،  
والأنساب الراسخة . ولذلك وقع في كلام بعضهم « الكتابة نَسَب » . قال علي  
ابن خلف : والمعنى فيه أن التناسب الحاصل بين أهلها تناسب نفساني لا جسماني ،  
يحصل عن تناسب الصور القائمة في نفوسهم بالقوة ، وعن تناسبها بعد خروجها  
وظهورها من القوة إلى الفعل ، بدليل ما نراه من اتفاق خواطهم على كثير من  
المعاني التي يستنبطونها ، وتواردتهم فيها . ولولا تناسب الغرائز وتشابهها ، لم يكن  
أن يتواطأوا في أكثر الأحوال على معاني متكافئة متوافية .

أَمْضَاهُ ؛ وَإِنْ تَعَذَّرَ السَّبِيلُ إِلَى فِعْلِهِ لَمْ يَظْهَرِ التَّقَاعُصُ عَنْهُ لِتَخَطُّئِهِ ، بَلْ يَقَابِلُهُ  
بِالْإِسْتِصْوَابِ . ثُمَّ يَتَلَطَّفُ فِي تَعْرِيفِهِ مَكَانَ الْخَطَا فِيمَا رَأَاهُ .

ومنها : أَنْ يَجْرَى فِي الْحَالِ فِي مَجَالِسِهِ عَلَى مَا يَعُودُ بِوَفَائِهِ وَإِرَادَتِهِ : فَإِنْ مَالَ إِلَى  
الْإِنْسَابِ أَطْلَقَ عِنَانَهُ فِيهِ إِطْلَاقَ الْمُتَجَنَّبِ لِلْهُجَرِ وَالْفُحْشِ ، وَرَفَثَ الْقَوْلِ تَابِعًا  
لِإِثَارِهِ ، قَاضِيًا لَأَوْطَارِهِ . وَإِنْ أَظْهَرَ الْإِتْقَابُضَ ذَهَبَ مَذْهَبَهُ فِي ذَلِكَ ، وَلَا يَنْبَغِي  
أَنْ يُخَالِفَهُ فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ فَإِنَّ مِنْ شُرُوطِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ أَنْ يَتَصَرَّفَ صَاحِبُهَا  
فِي كُلِّ مَا يُصَرَّفُ فِيهِ . وَيُسْرِعُ الْإِتْقِيَادَ إِلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلَيْهِ ؛ وَلَا يَكْثُرُ مِنَ الدَّعَاءِ  
لرئيسه والثناء عليه والشكر على ما يُولِيهِ مِنَ الْعَوَارِفِ فَإِنْ مِثْلُ ذَلِكَ يَسْتَقِلُّ .

ومنها : أَنْ لَا يَحْضُرَ سُلْطَانَهُ فِي مَلَابِسِهِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَنْفَرِدَ بِهَا كَالْوَشِيِّ  
وَنَحْوِهِ ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُشْرِفُ بِهَا ، وَأَنْ يَقْتَصِدَ فِي لِبَاسِهِ : فَيَنْحَطَّ عَمَّا يَلْبَسُهُ  
سُلْطَانُهُ وَيَرْتَفِعَ عَمَّا يَلْبَسُهُ السُّوقَةُ ، وَيَصْرِفُ عِنَايَتَهُ إِلَى التَّنْظُفِ وَالتَّعَطُّرِ ، وَقَطْعِ الرَّائِحَةِ  
الْكِرِيهَةِ مِنَ الْعَرَقِ وَغَيْرِهِ ، حَتَّى لَا تَقَعَ عَيْنُ رَئِيسِهِ عَلَى دَنَسٍ فِي أَثَوَابِهِ ، وَلَا يَجِدَ مِنْهُ  
كَرِيهَ رَائِحَةٍ فِي حَالِ دَنَوِهِ مِنْهُ ؛ وَيُوَاصِلُ اسْتِعْمَالَ الطِّيبِ وَالْبَخُورِ الْفَائِقِ وَالتَّضَمُّغِ  
بِالْمَسْكِ ؛ فَإِنْ الْمُلُوكُ تَرَى أَنْ مَنْ أَغْفَلَ تَعَهُدَ نَفْسَهُ كَانَ لَغِيرِهَا أَشَدَّ إِغْفَالًا .

ومنها : أَنْ يَتَجَنَّبَ التَّفَاضُّحَ وَالتَّعَمُّقَ فِي مَخَاطَبَةِ رَئِيسِهِ ، وَالْإِفْتِخَارَ عَلَيْهِ بِالْبَلَاغَةِ  
وَالْبَيَانِ : لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّرَفُّعِ عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ . بَلْ يَجْعَلُ مَا يُقَالُ بِهِ إِلَيْهِ مِنْ أَلْفَاظٍ  
تَدُلُّ عَلَى مَعَانِيهَا بِسَهْوَةٍ مَعَ غَضٍّ مِنْ صَوْتِهِ ، وَخَفِيزٍ مِنْ طَرَفِهِ ، وَسُكُونٍ مِنْ  
أَعْضَائِهِ : لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُتَسَامَحُ بِالِإِتْيَانِ بِالصَّاحَةِ وَالذَّهَابِ بِمَذْهَبِ الْجَزَالَةِ لِلخُطْبَاءِ الَّذِينَ  
يُنْتَوْنَ عَلَى الْمُلُوكِ فِي الْمَوَاقِفِ الْعَامَّةِ ضَرُورَةً أَحْتِيَاجَهُمْ إِلَى اسْتِعْمَالِ أَلْفَاظٍ تَقَعُ  
فِي الْأَسْمَاعِ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ .

بل يقف عند الحد الذي يُبقي فيه فضلة لعوارض السلطان ومهماته الحادثة في آناء الليل، وساعات النهار . فإن تعبته في صلاح زمانه وراحة سلطانه مستبقي لنعمة، مستدعج لزيادته . ولا يشتغل بكبير الأمور عن صغيرها ، ولا يتهج بما أصلحه منها حتى ينظر في عواقبه ، ويسوس مارد إليه بالسياسة الفاضلة : فيلن في غير ضعف ، ويشتد في غير عنف ، ويعفو عن غير خور ، ويسطو من غير جور ، ويقرب بغير تدله ، ويبعد بغير نكر ، ويخص في غير مجازاة ، ويعم في غير تضییع ، فلا يشقى به المحق وإن كان عدواً ، ولا يسعد به وإن كان ولياً .

ومنها : إذا حضر بين يدي سلطانه أو رئيسه في المجلس الخاص أو العام أن يعتمد بمقابلته بالإجلال والإعظام ، والتوقير والإكرام ، ولا يجعله تأكد الخدمة وتطاؤل الصحبة على إهمال ذلك بل يحفظ رسمه ، ولا يغير عاداته .

ومنها : أن يتخير لخطابه في الأغراض والأوطار أوقاتاً يعلم خلو سره فيها ، وفراغ باله ، وأنشراح صدره ، وارتفاع الأفكار عن خاطره : إلا إن كان ما يخاطبه فيه أمراً عائداً بانتظام سلطانه ، واستقامة زمانه ، داخلاً في مهمات أعماله التي متى أخرها نُسب إلى التقصير ، فيقدم الكلام فيها خف أو ثقل . وإذا خاطبه رئيسه من سلطان أو غيره في أمر من الأمور ، فعليه أن يرعيه عينه ، وينصت إليه سمعه ، ويشغل به فكره ، ولا يستعمله فيما يعوقه عنه حتى يستوعب ما يلقيه إليه ، ويحييه غنه أحسن الجواب . ولا يلتفت في حال إقباله عليه إلى غيره ، ولا يصغى إلى كلام متكلم ، ولا حديث متحدث ، حتى لو امتحنه باستعادة ما فوضه فيه وجده قد أحرز جميعه . فإن التقصير في ذلك مما ينكره الملوك والرؤساء ، ويستدلون به على ضعف المخاطب . وإن كان فيما خاطبه فيه أمر يحتمل التأخير بادر بالاعتذار عنه : لئلا ينسب إلى التقصير بتأخيره عند الكشف عنه . وإن كان فيه ما يخالف الصواب



(١) من حُسْن الصَّفَح والإقالة وجميل التَّعَمُّد والعفو ما يجعل للإحسان وجهًا ، ولتعقُّبه للسَّخَط سببًا . فإنه إذا صدع بالحجة في براءة السَّاحَةِ ، فلا وجه لمعذرتِهِ وفيه تكذيب لرئيسه ، وربما أَدَّى إلى فساد ومُفَاكَّة .

ومنها : التمسك بأداب الخدمة بالمواظبة عليها ، وصرف الاهتمام إليها ، إذ هي أعظم الذرائع إلى نيل الرتب وبلوغ المآرب ، والسبب الذي يقرب البُعْداء ، ويرفعهم على أهل الوسائل والحُرْم . وذوى المَوَاتِّ والخدم<sup>(٢)</sup> ، ويُعْمَى عن كل شَيْن ، وَيُصَمُّ عن كل طعن . وما نال أحد عند السلطان مرتبةً إلا والمواظبة على خدمته سببها والمواصلة موجبها . وأولى الناس بلزوم السلطان كُتَّابُهُ الذين لا غنى به عن حُضورهم ، في ليله ونهاره ، وأحيان شغله وفراغه : لأنه ربما بَدَّه ما يحتاج إلى استكفائه إياه وإسناده إليه ، وإن تأخر عنه في تلك الحال استدعى من مَوْجِدته وأَسْتَجَرَ من لائمه مالا يُزيله العذر إلا في المدة الطويلة . وربما اضْطُرَّ لَغَيْبته إلى إحضار من يستكفيه ماعَرَضَ له وأدَّى ذلك إلى أَصْطِناعه وتصويره في مقامه وإن كان لا يساويه في فضل ولا علم ولا غناء ، بخلاف ما إذا وجده مُسَارِعًا إلى أمثلته ، فإن ذلك يزيد في حُطُوتِهِ ، ويدعو إلى استخلاص مودته .

فيجب عليه أن يخصَّ سلطانه من زمانه بالقسم الأَوْفَر ، والنصيب الأغْزَر ، ولا يُؤَثِّر نيل لذةٍ عليه ، ولا بلوغ وَطَرٍ إذا أدَّى إلى تنكُّره ، فإن استطاع أن يوافقه على وقت يفرضه له يتمكن فيه من بلوغ أوطاره ، والوصول إلى مقاصده ، كان أحمدًا لعاقبته ، وأبلغ لقصده ، وأحسَم لأسباب اللائمة في غَيْبته . ولا يَنْهَك في الملاذَّ أَنهَمَاكَ الآمن

(١) التَّعَمُّد السَّتر من قولهم تَعَمَّدَهُ اللهُ رحمة أي ستره .

(٢) جمع مائة - وهي الحرمة والوسيلة .

مما يدل على حُبِّ السَّجِّة ومقابلتها على الإحسان بالإساءة، واستعمال العقوق، وأطراح الحقوق .

ومنها : مجانبة الإدلال إذ الدالة على السلطان والرئيس من أعظم مصارع التآلف ، وأقرب الأشياء إلى زوال النعم ، ولأجلها ذلك من ذلك من بطانة السلطان وخاصة ووزرائه ؛ وفي قصصهم عبرة لمن أنعم النظر في تأملها . وعليه أن يعول في الاعتماد بخدمه ونصائحه له على أشتارها وظهورها ، ولا يفيض في تعديدها وذكراها ، ولا يواصل التثقل بأغراضه والإحلاف بأسئلته ، ولا يظهر التشبُّع عند التقصُّر به ، ولا الغضب اتكالا على سالف خدمة ، وقليل حرمة ؛ وأن يتناسى ما أسلفه من الخدمة والصحبة ، ويكون في كل حال عارفا بعوارفه ، معتادا بفواضله ، موجبا الفروض له لاعليه ، فإن السلطان مجبول على أنفة النفس وعزَّتها ، ولا يحتمل التنازل لأحد : لتنزيله الكل منازل الخدم والأرقاء ، واعتقاده أنه سبب النعمة السابغة على الكافة ، وثقته بوجود العوض عمن يفقده من الأعوان والأصحاب ، ومثابرة الناس على خدمته والانتساب إلى متابعتة لما يصلون إليه من الحظوة ، وينالونه من الجاه والثروة . وإن كان في باطن حاله على خلاف ما يؤثر ، أظهر الشكر والاعتداد وتلطَّف في بلوغ الغرض بأحسن تعريض ، ولم يطلق قلمه كتابا ، ولا لسانه مخاطبا ، فإن ذلك إضرار على همة المصحوب ، ودلالة على إخلاله بتفقد صاحب ، لكن يذكر النعمة وسبوغها ، والمنَّة وشيوعها ، ويسأل الزيادة فيها ومضاعفتها . فإن ذلك يفضي ببلوغ آماله ، وسداد أموره ، وسهولة مطالبه . وإذا زاده السلطان رفعة وتشريفا آزداد له تعظيما وتوقيرا . وإذا بسط يديه أن ينقبض عن كل ما يشينه ، وإذا خصَّه بأثرة وتقريب أن يزيد الخاصة والعامة بشرا وإيناسا ، وإن آتهم بهفوة لم ينته في إقامة العُذر والاحتجاج على براءة الساحة إلى الغاية القصوى . بل يتوسط في ذلك ويسأل

بشكر نعمته ، والمحافظة على حقوق خدمته . ثم الشكر بالقول يرتفع بين الرئيس والمرئوس ، والخدام والمخدوم ، إلا اليسير الذي يقضى به حق الخدمة : لأن الإكثار منه داخل في حكم الملق والتثقيب ، وإنما يظهر شكر الخادم من أفعاله .

ومنها الوفاء . وهو من أهم الخصال اللازمة وأكدها ، إذ هو الطريق إلى صلاح العباد وعمارة البلاد ؛ بل هو رأس مال الكاتب وربح ودوام عمله ، والسبب الذي لأجله ترغب السلاطين في صحبته : لأنهم ما برحوا يقرّبون صاحب هذه الخصلة ويرونه أهلاً للاختصاص ، موضعاً للثقة ، ولا أسوأ حالا ممن نزل هذه المنزلة وهو بخلافها .

ثم الوفاء يكون بإظهار النصيحة ، وبذل الاجتهاد ، وقصد المخالصة ، ومقابلة كل نعمة <sup>(١)</sup> تُفاض عليه بالنهضة فيما استند إليه : ليدعو ذلك <sup>(٢)</sup> سلطانه إلى رب النعمة لديه ، وإقرارها عليه .

ومن شروط الوفاء أن يلتزمه صاحبه لسلطانه ، في حال سعادته ، وإقبال دولته ، وفي حال تولّيها عنه وعُطلته . أمّا في حال إقبال الدولة عليه فإن يصحبه بقلبه دون بدنه ولا يتطلّب صاحباً غيره ينتقل إلى صحبته ، ويستبدل بخدمته من خدمته ؛ ولا يحدث نفسه بأنه متى وجد أنفع منه عدل إليه ؛ ولا أن يرتّب له جهة أخرى يجعلها مقدّمة لأمر يترقّبه : لما في ذلك كله من الخروج عن حد الإخلاص المقدم وجوبه . وأمّا في حال أنصراف الدولة عن صاحبه ، فإنه لا يباينه مباينة المساعد للزمان عليه ، الموافق للقادير فيه ، ولا يخونّه عند حاجته إليه ، ولا يضع حقوقه عنده وصنائه لديه ؛ ولا يخاز بكليته إلى من أقبلت أمور السلطان عليه ؛ فإن ذلك

(١) في الضوء . أسند . وهي أوضح .

(٢) أى زيادة النعمة .

ومنها النصيحة، وهى ترتب الإخلاص . والطريق الموصل إلى التوفية بها أن يُطالع السلطان بكل ما يفتقر إلى العلم به من خاصّ أموره وعامّاتها، وعلى من استخلصه السلطان لنفسه، وأتمته على رعيته، وأنطقه بلسانه، وأخذ وأعطى بيده، وأورد وأصدر برأيه، وتخيّر لهذه المنزلة من بين رؤساء دولته وأعيان مملكته : أن لا يستتر عنه دقيقاً ولا جليلاً من أحوال مافوضه إليه، ولا يقف عن إنهاء تفاصيله وجمّله توقياً من لوم لائمه، ولا يحمله فرط النصيح له على الإضرار برعيته، ولا الرغبة في إثبات حقه على تضییع حقوقها، ولا القيام بما يجب له دون ما يجب لها - فإنها به وهو بها .  
ومنها الاجتهاد فيما يباشره من أحوال سلطانه بما يعود عليه نفعه بحيث لا يُريق في ذلك ممكناً، ولا يدع فيه شأواً للاحق .

ومنها كتمان السر . وهو من أفضل الآداب في حُجبة السلطان وغيره، وأعوذها بالفلاح على صاحبها : لأن كثرة الانتشار الداخل على الدول إنما توجه بتفريط بطائنها وصاحبها في أسرارها، وإظهارهم بما تقرّر في أذهان الملوك وعزائمهم قبل أن يظهروه؛ فيجد العدو بذلك الطريق إلى معالجة آرائهم بما ينقضها، ومقابلتها بما يُفسدّها . على أن إفشاء السر من الأخلاق التى طُبِعَ أكثر الناس عليها، وحيل بينهم وبين الإقلاع عنها؛ فمن علم من نفسه ذلك فليحدّر معاملة السلطان في أسرارهِ وبواطنِ أموره، ولا سيما ما وجد منها في باب حروبه ومكايده، فإنه إن ظهر منه على خيانة في السر، عرض نفسه للهلكة .

ومنها الشُّكر فإنه وإن كان واجباً على الإنسان مع أكرهائه ونظرائه فإنه مع السلطان الذى يَسْتَظِلُّ بظله، ويستدّر أخلاف فضله أوجب . إذ المرء قد يقدر على مكافأة عارفة صديقه بما يُضاهيها ويزيد عليها، ولا يقدر على مكافأة ساطانه إلا



وَضُرُّهُ ، لَا يَرُدُّهُ عَنْ مَقَابَلَتِهِ عَلَى سِيرِ الْخِيَانَةِ بِكَبِيرِ النَّكَايَةِ إِلَّا مَا يُؤْتَلُّ مِنْ صَفْحِهِ وَمَسَاحَتِهِ ، وَيرجو من عَطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ . وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُتَصَلِّ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ أُمُورِهِ ، وَحِفْظُ نَفْسِهِ مِنْ جَرِيرَةٍ يُجْزَاهَا عَلَيْهِمَا بِفَرْصَةٍ مِنْ فُرُوضِ طَاعَتِهِ ، وَتَضْيِيعُهُ الْمَحَافِظَةَ عَلَى حَقُوقِ خِدْمَتِهِ ، وَالْعِلْمُ أَنَّ لِكُلِّ مُصْحُوبٍ خُلُقًا يَغْلِبُ عَلَيْهِ ، وَيرجع بِغَرِيزَةِ الطَّبْعِ إِلَيْهِ ، لَا يُمْكِنُ الزَّوْجُ عَنْهُ وَلَا الْمَفَارَقَةُ لَهُ ، إِذَا الْإِنْتِقَالَ عَنْ الطَّبَاعِ ، شَدِيدَ الْإِمْتِنَاعِ ، فِي الْخِدْمِ وَالْإِثْبَاعِ ، فَكَيْفَ الْمُلُوكُ وَالرُّؤَسَاءُ الَّذِينَ لَا يَقَابِلُونَ بِلُومٍ عَلَى خُلُقٍ مَذْمُومٍ ، بَلِ الْعَادَةُ جَارِيَةٌ فِي أَدَبِ خِدْمَتِهِمْ أَنَّ يَصْطَوِبُوا مَا يَرْكَبُونَهُ مِنْ خَطَاٍ وَيُحَسِّنُوا مَا يَوَاقِعُونَهُ مِنْ قَبِيحٍ . فَعَلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ عَنْ أَخْلَاقِهِ لِأَخْلَاقِ سُلْطَانِهِ ، وَمَا خَالَفَ سَبْعِيَّتَهُ فِي إِصْلَاحِ زَمَانِهِ ، وَأَنْ يَنْزِلَ عَنْ هَوَاهُ لِهَوَاهُ ، وَيَتَّبِعَ فِيمَا يَسْخَطُهُ وَيَأْبَاهُ ، مَا يُؤَثِّرُهُ سُلْطَانُهُ وَيَرْضَاهُ . وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَعْرِضَ نَفْسَهُ لِمَا يُسْقِطُ مَنَزَلَتَهُ وَيُفْسِدُ عَاقِبَتَهُ وَلَا يُوجِدَ لِلزَّمَنِ طَرِيقًا إِلَى التَّنْكِرِ لَهُ ، وَيُعِينَهُ بِتَفْوِيقِ سِهَامِهِ وَالتَّصَدَّى لِمَوَاقِعِهَا . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الزَّمَانَ وَإِنْ عَمَّ بَنَوَائِبُهُ فَإِنَّهُ يَخْصُصُ صَاحِبَ السُّلْطَانِ مِنْهَا بِمَا يَزِيدُ عَلَى نَصِيبِ غَيْرِهِ . وَمَنْ أَشَقَّ الْأَحْوَالُ أَنْ يُدْفَعَ الْإِنْسَانُ إِلَى تَغْيِيرِ السُّلْطَانِ مَعَ كَوْنِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ شَيْئًا جَزَاهُ إِلَى نَفْسِهِ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ ، لِمَا يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ مَرَارَةِ النَّكْبَةِ ، وَحَرَارَةِ الْمَغْغَبَةِ ، وَتَقْرِيعِ مَنْ يُزْرَى عَلَى عَقْلِهِ ، وَيُؤْتَبَهُ بِجَهْلِهِ .

ثُمَّ أَنَّهُ يَلْزِمُهُ بَعْدَ الْإِحْتِيَاظِ فِيمَا تَقْدَمُ عِدَّةُ خِصَالٍ أَيْضًا .

مِنْهَا الْإِخْلَاصُ وَهُوَ قِيَامُ الْأَمْرِ فِي الْمَصَاحِبَةِ بِإِنِّ مَنْ صَحِبَ سُلْطَانًا بِعَقِيدَةِ مَدْخُولَةٍ فِي وِلَايَتِهِ ، مَسْئُوبَةٌ فِي مَحَبَّتِهِ ، لَمْ يَنْتَظِمْ لَهُ وَلَا لِسُلْطَانِهِ أَمْرٌ : لِأَنَّ الضَّمَائِرَ الْمَذْذُوقَةَ وَالنِّيَّاتِ السَّقِيمَةَ لَا بَدَّ أَنْ يَصْرَحَ بِمَا فِيهَا وَيُظَاهَرَ مَا فِي دَخِيلَتِهَا ، وَإِذَا اتَّضَحَ ذَلِكَ لِلْسُّلْطَانِ لَمْ يَقْنَعْ إِلَّا بِإِتْلَافِ نَفْسِهِ ، وَإِذْهَابِ مُهْجَتِهِ .

(١) لَعَلَّ الْمَذْذُوقَةَ . أَيْ غَيْرَ الْخَالِصَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ مَذَّقَ فَلَانَ الْوَدَّ إِذَا لَمْ يَخْلُصْهُ . تَأَمَّلْ

وأمر الآخرة ؛ ولكن لا يكلف ترك اللذات جملة - اذ لا بد لكل أحد من ذوى  
الرتبة العلية من الأخذ بنصيب منها ، لما جُلبت عليه الطبائع من الميل إليها والرغبة  
فى الاستمتاع بالنعم والملاذ ولكل منها حظ يضاهى رتبته .

وأهل هذه الصناعة لاختلاطهم بالملوك ومشاركتهم لهم فى آدابهم لا غنى بهم  
عما يقيم مروءاتهم من اللذات المشابهة لأقدارهم ومواقعهم من السلطان .

### النوع الثانى

حُسْن العِشرة - التى هى من أفضل الخلائق الموجودة فى الغرائز طبعا والحاصلة  
بالتخلق تكسبا وتطبعا ، وأعوذ بها لمصالح الحياة والمعاش ومحبة الخاصة والعامة وحصول  
الثناء والشكر والمودة من الأفاضل الأخيار ، وكفاية الأراذل الأشرار ، وان لم يلتزمها  
الكاتب طوعا حمل عليها كرها .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَدَبَ الْمَعَاشِرَةِ عَلَى خَمْسَةِ أَضْرِبٍ .

### الضرب الأول

#### عِشرة الملوك والعظماء

قال على بن خلف : ولا يقوم بأدائها وأكمل رسومها إلا مَنْ علَتْ فى الأدب درجته ،  
وسمَتْ فى رِجَاحَةِ العقل منزلته ، وتميَّزَ بغيرِة فاضلة وأدب مكْتَسَب ، وصَبَرَ على  
المشاقِّ فى التحلَّى بالهمم الشريفة ، والسموِّ إلى المنازل اللطيفة ، من عز السلطان ومساعدة  
الزمان ، وتمكَّن من تصريف النَّفْسَيْنِ الحيوانية والشهوانية على أغراض الناطقية  
ومطاوعتها ، وأخذَهما بقبول ما تُرشد اليه وتبعث عليه لأنَّ صحبة السلطان أمر عظيم  
وصاحبه راكب خطرَ جسيم ، بتمليكك نفسه لمتحكم فى شَعْرِهِ وبَشَرِهِ ، قادر على نفعه

ومنها طلب الثناء والحمد وهو من أفضل المقاصد السنية وأعلها رتبة - لأنه يتلو الأجر في البقاء والدوام ، وكلما كانت المهمة أعظم وأشرف ، كانت إليه أرغَبَ وبه أَكْثَفَ . ولفضل هذا رغب فيه الأشراف وعِلية الناس حتى قال الخليل عليه السلام ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدِّيقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ . وأولى الناس باقتناء ذخائر الحمد واقتراض فرض الشكر من عرض الله تعالى جابه ، وطول يده ، وأمضى عند السلطان لسانه ، فينبغي أن يختار هذه المَكْرَمة ، ويقوم بالنصيب الأوفر منها ، ولا يُيْتَلِ بجاهه ولا ماله على قاصد ولا مؤمل ولا ذى رَحِمٍ وذِمَامٍ ، ولا يُضَجِّع في أمر بطانته وحاشيته وأصحابه ، ولا يَضَيِّقَ عليهم مع سَعَتِهِ ، ولا يقصِّر بهم في كِفَايَتِهِ ، ويجعل آكتسابها بجاهه وماله دون أموال سلطانه - فإن كثيرا من المتصرفين بذلوا ماؤُمُنُوا عليه في هذا الغرض ورَضُوا به أهل الشفاعات والرسائل ، فأعقبهم ذلك زوال النعم ، وسقوط الرتبة وَهَابَ المال ، والوسم بِمِيسَمِ الخيانة والبوار إلى الأبد . ولا يبالغ في آبتناء المعالي واقتناء المحامد وبذل الرغائب وارتفاع الهمم ، فإن ذلك مما يختص بالملوك ولا ينبغي لأحد من أتباعهم من كاتب ولا غيره الإقدام عليه مُفَانِحًا ولا مُكَاثِرًا ولا مَقَايِيسًا ، فيكون قد عدا طَوْرَهُ ، وأضل رُشْدَهُ ، وتعرض للعطب مع سلطانه ، وأوجد الطريق إلى سُوء الظن به ، وفوق سهام الحَسَدَةِ إليه ، وأطلق ألسنتهم بالطعن عليه ، وربما أذى به ذلك إلى سقوط المنزلة أن سلمت نفسه .

ومنها الاقتصاد في طلب اللذة ، والاقتصاد من ذلك على ما يُقِيمُ المُرُوءة من أفضل الأخلاق وأشرفها : بأن يكون تناولُهُم ما يتناولونه من ذلك بسلوك طريقة محمودة يظهر فيها أثر التدبير السديد والرأى الأصيل . من غير خروج إلى الإقبال على اللذات . والانهماك في الشهوات . فإن ذلك غير مستحسن لملك ولا سُوقَة لأنه جالب للأسقام ، قاطع عن الأمور المهمة التي يجب صرف العناية إليها في صلاح المعاش

ومنها : لزوم العَفَاف والصِّيَانَة فيما يتولاه للسلطان من أعماله ، ويتصرف فيه من أشغاله ، والتعفف عن المطامع الذميمة ، والمطاعم الوخيمة ، والترفع عن المكاسب اللثيمة ، فان ذلك يجمع القُرْبَة إلى الله تعالى والحُطْوة عند السلطان ، وجميل السيرة عند الرعية - حتى إن هذه الطريقة قد تقدم بها عند السلطان المتخلفون في الفهم والمعرفة ، وسادوا على مَنْ لا يقاربونه في غِنَاء ولا كفاية ، وحصلوا على الأحوال السنية ، والمنازل العلية ، وقرب بها مَنْ كان بعيدا على من كان قريبا ، ومن لا مكانة له ولا حرمة على من له مكانة وحرمة ، وأستدنى لأجلها مَنْ لا يترشح لخدمة السلطان . ثم الذى يلزمه أن يعتمد التمسك بالصيانة والعَفَاف الذى عليه نظام معيشته ، والارتفاق فيما يحل ويطيب له من جاد خدمته - فانه قد قيل " الزم الصحة يلزمك العمل " .<sup>(١)</sup>

لأنه يمتنع من المنافع التى تصل إليه من أطيب المكاسب ، وتسلم من تبعات العاجل والآجل ، وتحلص من قبيح الأحداث وإطلاق ألسن الحسدة بالطعن والتأنيب ، وينال بجاه السلطان ونفوذ الأمر من غير خيانة للوثمين ولا اشتكاء للرعية - فانه لولا هذه المنافع لغنى الانسان بالقناعة ، ورضى بالكفاف ، وسلم من المخاطرة بدينه ودنياه فى سلامة السلطان . اذ لا يجوز أن يستفرغ وسعه ويعرض نفسه للخطر فيما لا تحسن له عائده ، ولا تنال منه فائده ، فى جاد ولا مال . وقد علم ما كان عليه أهل هذه الطبقة فى سائر الدول وما حصلوه من الذخائر وأفتتوه من القُنْيَات النفيسة ، التى أفدرتهم على إظهار مراءاتهم ، واتخاذ الصنائع عند الأحرار ، وحراسة النعم على الدوائر والأعقاب .<sup>(٢)</sup>

وإنما حصلوا على ذلك من حيث معرفتهم بوجوه المكاسب ، وأبواب المرافق ، لا من الخيانة وذميمة الطعم - لأنهم كانوا فى أزمنة لا يغضى فيها عن متكسب من رشوة ولا مصانعة ولا اغتصاب ولا سبب من أسباب الظلم وإن جات منزلته وعظمت مرتبته .<sup>(٣)</sup>

(١) هكذا بالأصل . (٢) لعله على الذرارى تأمل . (٣) لعله الطمع .



(١) ومنها طلب الأجر بما يُنبئه من عز سلطانه ويُجديه من فواضل نعمائه ؛ وهذا هو أصح الأغراض التي يجب على كل عاقل أن يقدمه على كل غرض ، ويحصل منه على السهم الوافر ؛ فلا خير في دنيا تنقطع السعادة عنها ، وإنما السعادة بعد الموت ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ ؛ ومن آختر الفاني المنصرم على الباقي الدائم ، فقد خَسِرَت صَفْقَتَهُ ، وبارت تجارتَهُ .

والطريق الموصّل إلى هذا المقصد صلاح النية فيما يتولاه من أمور السلطان ، وقصدُ النفع العام له ولرعيته ، والاجتهاد في إغاثة الملهوف ، والأخذ بيد الضعيف ، والنفع بجأه عند سلطانه ، وحمله على العدل في الرعية ، فإذا توثق ذلك فاز بثواب الله تعالى ، وقضى حق السلطان فيما عرضه له من الشكر والأجر ، وقابل نعمة الله التي أقدره بها على هذه الأفعال الجميلة بما يرتبطها عنده ويستقرّ بها لديه .

ومنها : بجانب الرّيب والتّرهّ عنها ، والطهارة منها . فانها تُسخط الله تعالى ، وتذهب بمهابة المرء ، وتُسقطه من العيون والقلوب . وأحقّ من راعى ذلك من نفسه من بين أتباع السلطان أهل هذه الصناعة لأخصاصهم به . وأطّف منزلتهم عنده . إذ المشهور عند قلة الآثار أن الذين تقدّموا من صدورهم ومشايخهم كانوا من جلة العلماء ، وسادة الفقهاء ، وأفاضل أهل الورع . المبرّئين من الدّنس والطمع ، المميزين على القضاة والحكّام ، في الاستقلال بعلوم الإسلام ، المتميزين عنهم بفضل الآداب ، ورواية الأشعار ، والعلم بالأيام والسير ، والارتياض بآداب الملوك وعشرتهم ورسوم صحبتهم . وغير ذلك مما ينتظم في صناعتهم . فقد ساوَوْهم في علم الدّين ، وفاقَوْهم فيما تقدّم ذكره مما لا يشاركونهم فيه . والسلطان والدّين قرينان لا يفترقان ، وعنوان على صلاح البلاد والعباد ، فلا يحمل السلطان ما ينكره الدّين لأنه تابعه ورديفه .

(١) أى الثواب ولعله مصحّف عن الآخرة كما يدل عليه السياق .

حُسْنُ كلامه في صدورهم كُبر في عيونهم : لأن الشئ من غير معدنه أغرب ؛ وكلما كان أبعد في الوهم كان أظرف ؛ وكلما كان أظرف كان أعجب ؛ وكلما كان أعجب كان أبداع ؛ وإنما ذلك كنوادر الصَّبيان ومُلاح المجانين ؛ فإن استغراب السامعين لذلك أعجب ، وتعجبهم منه أكثر . قال : "والناس مُوَكَّلُونَ بتعظيم الغريب واستظراف البديع ، وليس لهم في الموجود الراهن ولا فيما تحت قدرتهم من الرأى والهوى مثل الذى معهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ ؛ وعلى هذا السبيل يستظرفون القادم إليهم ، ويرحلون إلى النازح عنهم ، ويتركون مَنْ هو أعمُّ نفعاً ، وأكثر في وجوه العلم تصرفاً ، وأخف مؤنةً وأكثر فائدة" .

## الفصل الثانى

( فى آداب الكُتَّاب ، وهى على نوعين )

### النوع الأول

حُسْنُ السيرة وشرف المذهب ؛ ولذلك شروط ولوازم

منها اعتماد تقوى الله تعالى في الإسرار والإعلان ، والإظهار والإبطان ، والمحافظة عليها ، والاستناد إليها في مبادئ الأمور وعواقبها . فإنها العروة التى لا تنفصم ، والحبل الذى لا ينصرم ، والركن الذى لا ينهدم ، والطريق التى من سلكها أهدى ، ومن حاد عنها ضلّ وتردى ؛ والمحافظة على شرائع الدين التى فرضها الله تعالى على خلقه ، والحدّ من الاستخفاف فيها بحقه ، وتوقى غضبه بتأديتها ، والاستجنان من شقاء الدنيا والآخرة بتوقيها <sup>(١)</sup> .

(١) كذا فى الأصول من الوقاية ولعله بتوقيها من الوفاء تأمل .

ولا يكون مع ذلك فَضْفَاضَ الجثة ، متفاوتِ الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أن هذه الصفات لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة ؛ والله القائل !

وَشُمُولٍ كَأَنَّمَا آعَتَصَرُوهَا \* مِنْ مَعَانِي شَمَائِلِ الْكُتَّابِ“

وقال أبو الفضل الصُّورِيُّ : ”ينبغي أن يكون الكاتب فصيحاً بليغاً أدبياً ، سنيّ الرتبة ، قوى الحجّة ، شديد المعارضة ، حَسَنَ الألفاظ ؛ له مَلَكَةٌ يقتدر بها على مدح المذموم وذم المحمود“ .

قال المذهب بن ممتى : ”أما حُسن الهيئة فإنه يرجع في ذلك إلى ما يعلمه من حال مخدومه من إيثاره إظهار نعمته على مَنْ هو في خدمته أو إخفاءها“ . قلت : وهذا قد يخالف ما تقدّم : من أنه ينبغي أن يكون الكاتب بهيِّ الملبس . وبالجملة ففصاحة اللسان . وقوة البيان ، والتقدُّم في صناعة الكتابة هو الذي يرفع الرجل ويعظمه دون أئوابه البهية ، وهيئته الزاهية . بل ربما كان التعظيم في الفضل لَرَثِّ الحالة المنحطّ الجانب أكثر ، وترجيحه على غيره أقرب .

وقد قال سهل بن هرون كاتب المأمون ، وهو من أئمة هذه الصناعة : ”لو أن رجلين خطباً أو تحدّثاً أو آحتجّاً أو ووصفاً وكان أحدهما جميلاً بهياً ، ولَبَّاساً نبيلاً ، وذو حسب شريف ؛ وكان الآخر قليلاً قبيحاً ، وباذّاً الهيئة دميماً ، وخامل الذِّكْرُ (٢) مجهولاً ، ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة ، وفي دَرَب واحد من الصواب ، لتصدع عنهما الجمع وعامَّتُهُم يقضى للقليل الدميم على النبل الجسيم ، وللباذّ الهيئة على ذى الهيئة ؛ ويشغلهم التعجُّب منه عن مناوأة صاحبه ، ولصار التعجب على مساواته له سبباً للتعجب به ، والإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه . لأن النفوس كانت له أحقر ، ومن بيانه أياس ، ومن حسده أبعد ؛ فلما ظهر منه خلافُ ماقدروه وتضاعف

(١) في الأصل المعارضة وهو تصحيف من الناسخ .

(٢) هو فيل من دم الرجل باهمال الدال بمعنى قبح منظره وإعجابه في الأصول تصحيف فتنه .

الصفة التاسعة، قوة العزم وعلو الهمة وشرف النفس - فإنه يكتب الملوك عن ملكه، وكل كاتب يجذبه طبعه وجبلة وخيمته في الكتابة إلى ما يميل إليه، ومكتابة الملوك أحوج شئ إلى التفخيم والتعظيم، وذكر التهاويل الرائعة والأشياء المرعبة، فكلما كان الكاتب أقوى نفسا وأشد عزيمة وأعلى همة، كان في ذلك أمضى وعليه أقدر، ومهما نقص في ذلك نقص من كتابته.

الصفة العاشرة، الكيفية لما يتولاه - لأن العاجز يدخل الضرر على المذاكرة ويوجب الوهن في أمر المسلمين؛ وربما عاد عليهم عجزه بالوبال، أو أدى بهم ضعفه إلى الاضطراب والاختلال.

## الضرب الثاني

### (الصفات العرفية)

قال المهذب بن ممتق في كتابه "قوانين الدواوين": "ينبغي أن يكون الكاتب أدبيا، حادّ الذهن، قوى النفس، حاضر الحس، جيد الحدس، حلوّ اللسان، له جرأة، يثبت بها الأمور على حكم البديهة، وفيه تودة يقف بها فيما لا يظهر له على حد الروية، شريف الأنفة، عظيم التزادة، كريم الأخلاق، مأمون الغائلة، مؤدّب الخدام".

قال محمد بن إبراهيم الشيباني: من صفة الكاتب اعتدال القامة، وصغر الهامة، وخفة اللهازم، وكثافة اللحية، وصدق الحس، ولطف المذهب، وحلاوة الشمائل، وخطف الإشارة، وملاحة الزنى. قال: ومن حاله أيضا أن يكون يهيئ الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة، عطر الرائحة، دقيق الذهن، حسن البيان، رقيق حواشى اللسان، حلو الإشارة، مليح الاستعارة، لطيف المسلك، مستقر المركب،



وأيضاً فالكتابة ولاية شرعية والفاسق لا تصح توليته شيئاً من أمور المسلمين ؛ وقد أطلق القاضي أبو الطيب والماوردي من أصحابنا الشافعية القول باشتراط العدالة في كاتب القاضي فيجب مثله في كاتب السلطان بل أولى على ما تقدم .

الصفة السادسة ، البلاغة - بحيث يكون منها بأعلى رتبة وأسنى منزلة ؛ فإنه لسان السلطان الذي يتطرق به ، ويده التي بها يكتب . ورب كاتب يبلغ أصاب الغرض في كتابته فأغنى عن الكتاب ، وأعمل القلم فكفاه إعمال البيض القواضب ؛ وإذا كان جيد الفطنة صائب الرأي حسن الألفاظ ، نتأث له المعاني الجزلة فيجلوها في الألفاظ السهلة ، ويختصر حيث يكون الاختصار ، ويطيل حيث لا يبعد عن الإطالة بذاً ، ويتهدف مملأ القلوب روعة ، ويشكر فيلقي على النفوس مسرة ؛ وإن كتب إلى ملك كبير وذى رتبة خطير عظم مملكة ساطانه ونظمها في معارض كلامه من غير أن يوجد أن ذلك قصده .

الصفة السابعة ، وفور العقل ، وجرالة الرأي - فإن العقل أس الفضائل وأصل المناقب ؛ ومن لا عقل له لا انتفاع به ، وكلام المرء ورأيه على قدر عقله ؛ فإذا كان تام العقل كامل الرأي ، وضع الأشياء في مكاتباته ومحاطباته في مواضعها ، وأتى بالكلام من وجهه ، وخاطب كل أحد عن ساطانه بما يقتضيه الحال التي يكون عليها ؛ فيشتد ما كانت الشدة نافعة ، ويأين حين يكون إلى اللين محتاجاً ؛ ويوبخ من لا يقتضى فعله أكثر من التوبيخ ، ويدم من تعدى إلى ما يستوجب الذم ؛ ويأتى بالمكاتبات التي يقتضيها اختلاف الأحوال واقعةً مواقعها صائبةً مراعيها .

الصفة الثامنة ، العلم بواد الأحكام الشرعية ، والفنون الأدبية ، وغيرها مما يأتى بيانه - إذ الجاهل لا تميز له بين الحق والباطل ، ولا معرفة تُرشده إلى الطرق المعتمدة في الكتابة ؛ ومن سلك طريقاً بغير دليل ضل . أو تمسك بغير أصل زل .

فالجواب أن حديث عائشة لم يصرح فيه بأنها كتبت بنفسها ولعلها أمرت من يكتب فكتب كذلك بإملائها أو دونه ، وإن ثبت ذلك عنها فغيرها لأيقاس عليها ، ومن عداها من النساء لاعتبر به .

الصفة الثالثة ، الحُرِّيَّة - فقد شرطوا في كاتب القاضى أن يكون حرا : لما فى العبد من النقص ، فلا يعتمد فى كل القضايا ، ولا يؤتقر به فى كل الأحوال ؛ فكاتب السلطان كذلك بل أولى كما تقدم .

الصفة الرابعة ، التكليف - كما فى كاتب القاضى فلا يعول على الصبي فى الكتابة إذ لا وثوق به ولا اعتماد عليه .

الصفة الخامسة ، العدالة - فلا يجوز أن يكون الكاتب فاسقا فإنه بمنزلة كبيرة ، ورتبة خطيرة ، يحكم بها فى أرواح الناس وأموالهم : لأنه لو زاد أدنى كلمة أو حذف أيسر حرف أو كتَم شيئا قد علمه أو تأول لفظا بغير معناه أو حذفه عن جهته ، أدى ذلك إلى ضرر من لا يستوجب الضرر ، ونفع من يجب الإضرار به ، وكان قد موه على الملك حتى مدح المذموم وذم المدوح . فتى لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب المأثم ويضعه عن احتقاب المحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع ، وأثر فعله من الأضرار ما لم تؤثر السيوف ، والله القائل !

وَأَضْرَبَهُ مِنْ كَاتِبِ بَنَانِهِ \* أَمْضَى وَأَقْطَعُ مِنْ رَقِيقِ حُسَامِ

قَوْمٌ إِذَا عَزَمُوا عَدَاوَةَ حَاسِدٍ \* سَفَكُوا الدِّمَاءَ بِأَسِنَّةِ الْأَقْلَامِ

وأىضا فإنه لا يقبل قول الفاسق فتضيع به المصالح ، وربما حمله الفسق وعدم الأكرات بأموال الدين على وهن يدخله على الدين بقلبه ، أو ضرر يجلبه بلسانه .

الصفة الثانية، الذكورة - فقد صرح أصحابنا الشافعية، بأنه يُشترط في كاتب القاضى أن يكون ذكرا، وإذا اشترط ذلك في كاتب القاضى ففى كاتب السلطان أولى لما تقدم من عموم النفع والضربه . وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فى حق النساء ”جَنَّبُوهُ الْكِتَابَةَ، وَلَا تُسْكِنُوهُنَّ الْغُرَفَ، وَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِنَ بِلا : نَأْنِ نَعَمْ تُضَرِّبْنَ، فى المسألة“. ومرة على كرم الله وجهه على رجل يعلم امرأة الخط . فقال ”لَا تَزِدِ الشَّرَّ شَرًّا“ .

ورأى بعض الحكماء امرأة تتعلم الكتابة فقال : ”أَفْعَى تُسْقَى سُمًّا“، والله البسامى حيث يقول ! :

مَا لِلنِّسَاءِ وَالْإِنِّجَا \* بِيَةِ وَالْعَمَالَةِ وَالْخَطَابَةِ !  
هَذَا لَنَا وَلَهُنَّ مِنْ \* أَنْ يَبْتَنَ عَلَى جَنَابَةِ

فإن قيل : قد كن جماعة من النساء يكتبن ولم يرد أن أحدا من السلف أنكر عليهن ذلك . فقد روى أبو جعفر النحاس بسنده إلى الحسن أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ! كنت تكتب فى مكاتباتها بعد البسملة : من المبرأة عائشة بنت أبى بكر حبيبة حبيب الله . وحكى جعفر بن سعيد أنه ذكر لعمر بن مسعدة كاتب المأمون توقعات جعفر بن يحيى فقال : ”قرأت لأم جعفر توقعات فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للعانى“ . وذكر محمد بن على المدائنى فى كتاب القلم والدواة أن عاملا لزييدة كتب إليها كتابا فوقعت فى ظهره ”أن أصلح كتابك وإلا صرناك عن عملك“ فتأمله فلم يظهر له فيه شئ، فعرضه على بعض إخوانه فرأى فيه فى الدعاء لها وأدام كرامتك، فقال : ”إنها تخيلت أنك دعوت عليها فإن كرامة النساء دفنن“، فغير ذلك وأعاد الكتاب إليها فقبلته، ومن كان هذا شأنه فكيف يقال انه لم يؤهل للكتابة ؟ .

حاجة إلى غير مسلم . وجزم الماوردي والقاضي أبو الطيب والبندنجي وأبن الصباغ وغيرهم من أصحابنا الشافعية رحمهم الله أنه يشترط في كاتب القاضي أن يكون مسلماً وهو الأصح الذي عليه الفُتيا في المذهب .

وإذا اشترط الإسلام في كاتب القاضي والوالى فى كاتب السلطان أولى لعموم النفع والمصلحة .

قال أبو الفضل الصوري : ” ولا شك أن كاتب الإنشاء من أحوج الناس إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى في أثناء محاوراته وفصول مكاتباته ، والتمثيل بنواحيه وأوامره ، والتدبير لقوارعه وزواجه ، وهو حلية الرسائل وزينة الإنشاءات ، وهو الذى يشد قوى الكلام ، ويثبت صحته في الأفهام ، فحقى خلت منه كانت عاطلة من المحاسن ، عارية من الفضائل : لأنه الحجة التى لا تُدحض ، والحقيقة التى لا تُرفض ، فإذا كان الكاتب غير مسلم لم يكن لديه من ذلك شئ ، وكانت كتابته مغسولة من أفضل الكلام . وخالية مما يتبرك به أهل الإيمان والإسلام . ومقصرة عن رتبة الكمال . ومنسوبة إلى العجز والإخلال . فإن تعاطى الكاتب الذمى حفظ شئ منه وكتبه فقد أبيت حرمة كتاب الله تعالى وأتتهكت ، وأمكن منه من يتخذ هزوا ولعبا والله سبحانه يقول في كتابه المكنون ﴿ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ . فقد صح أنه لا يجوز أن يرقى إلى هذه الرتبة إلا مسلم ” قال : ” ولا يحتج بالصائبى وأنه كتب للطبع والطائع من خلفاء بنى العباس ، ومعز الدولة ، وعز الدولة من ملوك الديلم ، وهما يومئذ عمدة الإسلام وعصدة الخلافة ، وهو على دين الصابئة . فإن الصائبى كان من أهل ملة قليل أهلها ، ليس لهم ذكر ولا مملكة ، وليس منهم محارب لأهل الإسلام ، ولا لهم دولة قائمة فتخشى غائلته وتخاف عاقبته .



آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۖ وَالْمُرَادُ بِالْبَطَانَةِ فِي الْآيَةِ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَى حَالِ الْمُسْلِمِينَ كَالْإِطْلَاعِ عَلَى مَقْدَارِ خَزَائِنِهِمْ مِنَ الْمَالِ، وَأَعْدَادِ جَيْشِهِمْ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ .

قال أبو الفضل الصُّورِيُّ فِي تَذَكُّرِهِ ”وَإِنْ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِي جُبِلَ كُلُّ أَحَدٍ عَلَيْهَا حَنِينَ كُلِّ شَخْصٍ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَنْ يَرَى رَأْيَهُ وَيَدِينُ دِينَهُ“ قَالَ : ”وَهَذَا أَمْرٌ يَجِدُهُ كُلُّ أَحَدٍ فِي نَفْسِهِ ، وَلِذَلِكَ شَرَطَ بَعْضُهُمْ فِي الْكَاتِبِ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَذْهَبِ الْمَلِكِ الَّذِي يَتَذَهَّبُ بِهِ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُسْلِمِينَ لِيَكُونَ مُوَافِقًا لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ“ .

وَلَمَّا فَتَحَتِ الصَّحَابَةُ (رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) مِصْرَ، بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ يَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَسْتَعْمَلَ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ كَافِرًا فَاجَابَهُ عُمَرُ : بَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْآنَ لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ الْبِلَادِ ، وَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى مَقَادِيرِ خَرَاجِهَا ، وَقَدْ أَجْتَهَدْتُ فِي نَصْرَانِي عَارِفٍ مَنْسُوبٍ إِلَى أَمَانَةٍ إِلَى حِينٍ مَعْرِفَتِنَا بِهَا فَفَعَلْهُ ، فَغَضِبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ : كَيْفَ تُؤْمِنُهُمْ وَقَدْ خَوَّنَهُمُ اللَّهُ ؟ وَكَيْفَ تُعِزُّهُمْ وَقَدْ أَذْلَهُمُ اللَّهُ ؟ وَكَيْفَ تُقَرِّبُهُمْ وَقَدْ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ ؟ ثُمَّ تَلَا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ الْآيَةَ وَقَالَ فِي أَنْحَرِ كِتَابِهِ ”مَاتَ النَّصْرَانِي وَالسَّلَامُ“ .

وَقَدْ رَوَى أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدَّمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَعَهُ كَاتِبُ نَصْرَانِيٍّ فَأَعْجَبَ عُمَرُ بِخَطِّهِ وَحِسَابِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ ”أَحْضِرْ كَاتِبَكَ لِيَقْرَأَ“ فَقَالَ أَبُو مُوسَى ”إِنَّهُ نَصْرَانِيٌّ لَا يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ“ فَزَبَرَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ ”لَا تُؤْمِنُوهُمْ ، وَقَدْ خَوَّنَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تُدْنُوهُمْ ، وَقَدْ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تُعِزُّوهُمْ وَقَدْ أَذْلَهُمُ اللَّهُ“ .

وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْأَثَمِ : ”مَا يَنْبَغِي لِقَاضٍ وَلَا وَالٍ أَنْ يَتَّخِذَ كَاتِبًا ذِمِّيًّا ، وَلَا يَضَعَ الذِّمِّيَّ مَوْضِعًا يَفْضُلُ بِهِ مُسْلِمًا . وَيَعِزُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ

وما يروى أن النابغة الجعدي كان سيدا في قومه لا يقطعون أمرا دونه وأت قول الشعر نقصه وخطأ رتبته. قال: "ولا عبرة بما ذهب إليه بعضهم من تفضيل الشعر على النثر أتباعا لهواه بدون دليل واضح"

قال في الصناعتين: "ومع ذلك فإن أكل صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبا كاتباً". قال: "والذي قصر بالشعر كثرتُه وتعاطى كل أحد له حتى العامة والسفلة فلحقه بالنقص مالحق<sup>(١)</sup> الشطر نج حين تعاطاه كل أحد". وسيأتي الكلام على احتياج الكاتب للشعر في بيان ما يحتاج إليه الكاتب فيما بعد إن شاء الله تعالى!

## الباب الثالث

في صفاتهم وآدابهم وفيه فصلان

### الفصل الأول

(في صفاتهم، وهي على ضربين)

#### الضرب الأول

(الصفات الواجبة التي لا يسع إهمالها، وهي عشر صفات)

الصفة الأولى، الإسلام - ليؤمن فيما يكتبه ويؤمله. ويوثق به فيما يذره ويأتيه إذ هو لسان المملكة، المرهب للعسوق بوقع كلامه، والجادب للقلوب بلطف خطابه فلا يجوز أن يوثر أحد من أهل الكفر؛ إذ يكون عينا للكفار على المسلمين، ومُطلعا لهم على خفاياهم فيصلون به إلى ما لا يمكن استدراكه، وقد ذال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) لعله من النقص وحرر.

المجاورة للحد، والنعوت الخارجة عن العادة، وقذف المحصنات، وشهادة الزور، وقول  
 البهتان، وسب الأعراس، وغير ذلك مما يجب التنزه عنه لآحاد الناس فكيف بانبي  
 صلى الله عليه وسلم! ولا سيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأخله . بخلاف  
 النثر فإن المقصود الأعظم منه الخطب والترسل، وكلاهما شريف الموضوع حسن  
 التعلق بإذ الخطب كلام مبنى على حمد الله تعالى وتمجيده وتقديسه وتوحيده والثناء  
 عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، والتذكير والترغيب في الآخرة والترهيد  
 في الدنيا والحض على طلب الثواب، والأمر بالصالح والإصلاح، والحث على  
 التعاضد والتعاطف، ورَفْض التباغض والتقاطع، وطاعة الأئمة، وصلة الرحم، ورعاية  
 الذمم. وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى مما هو مستحسن شرعاً وعقلاً . وحسبك  
 رتبة قام بها النبي صلى الله عليه وسلم! والخلفاء الراشدون بعده . والترسل مبنى  
 على مصالح الأمة وقوام الرعية لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وسراة الناس  
 في مهمات الدين وصالح الحال وبيعات الخلفاء وعهودهم، وما يصدر عنهم  
 من عهود الملوك، وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والأقلام الذين هم  
 أركان الدولة وقواعدها . إلى غير ذلك من المصالح التي لا تكاد تدخل تحت الإحصاء  
 ولا يأخذها الحصر .

قال في مواد البيان "وقد أحسَّت العرب بانحطاط رتبة الشعر عن الكلام  
 المنشور كما حكى أن أمراً القيس بن حجرهم أبوه بقتله حين سمعه يترنم في مجلس  
 شرا به بقوله :

اسْقِيَا حُجْرًا عَلَى عِلَّاتِهِ \* مِنْ كُمَيْتٍ لَوْهَا لَوْنُ الْعَلَقِ

من معاني النثر إلى النظم وجدته قد انحطت رتبته . ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين  
على كرم الله وجهه ! "قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مِثْلُ مَا يُحْسِنُ" : أنه لما نقله الشاعر إلى قوله :  
فِيَالْأَمْرِ دَعْنِي أَغَالِي بِقِيَمَتِي \* فَقِيَمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ

قد زادت ألفاظه وزهبت طلاوته ، وإن كان قد أفرد المعنى في نصف بيت فإنه  
قد احتاج إلى زيادة مثل ألفاظه مرة أخرى توطئة له في صدر البيت ومראה  
لإقامة الوزن ، وزاد في قوله فقيمة فاء مستكرهة ثقيلة لاحتاجة إليها وأبدل لفظ أمرى  
بلفظ الناس ولا شك أن لفظ أمرى هنا أعذب وألطف ، وغير قوله يُحْسِنُ إلى قوله  
يُحْسِنُونَهُ ، والجمع بين نونين ليس بينهما إلا حرف ساكن غير معتمد به مستوخم ، وإذا  
اعتبرت ما نقل من معاني النظم إلى النثر وجدته قد نقصت ألفاظه وزاد حسنا ورونا  
ألا ترى إلى قول المتنبي يصف بلدا قد علقت القتلى على أسوارها :  
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ \* وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلِ عَلَيْهَا مَنَامٌ

كيف نثره الوزير ضياء الدين بن الأثير في قوله يصف بلدا بالوصف المتقدم :  
"وَكَأَنَّهَا كَانَ بِهَا جُنُونٌ فَبَعَثَ لَهَا مِنْ عَزَائِمِهِ عَزَائِمًا ، وَعَلَّقَ عَلَيْهَا مِنْ رُءُوسِ الْقَتْلِ تَمَامًا"  
فإنه قد جاء في غاية الطلاوة خصوصا مع التورية الواقعة في ذكر العزائم مع ذكر  
الجنون ، وهذا في النظم والنثر الفائقين ولا عبرة بما عداهما .

وناهيك بالنثر فضيلة أن الله تعالى أنزل به كتابه العزيز ونوره المبين الذي ( لَا يَأْتِيهِ  
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ) ولم ينزله على صفة نظم الشعر بل نزهه عنه بقوله  
( وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ) وحرّم نظمهم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم  
تشريفا لمحلّه وتزريها لمقامه منها على ذلك بقوله ( وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ )  
وذلك أن مقاصد الشعر لا تخلو عن الكذب والتحويل على الأمور المستحيلة ، والصفات



## الفصل الثالث

( في ترجيح النثر على الشعر )

اعلم أن الشعر وإن كان له فضيلة تخصه ومزية لا يشاركه فيها غيره من حيث تفردّه باعتدال أقسامه وتوازن أجزائه وتساوي قوافي قصائده، مما لا يوجد في غيره من سائر أنواع الكلام، مع طول بقائه على ممرّ الدهور وتعاقب الأزمان، وتداوله على ألسنة الرواة وأفواه النقلة لتمكّن القوة الحافظة منه بارتباط أجزائه وتعلّق بعضها ببعض، مع شيوعه واستفاضته وسرعة انتشاره وبعده مسيره وما يؤثّر من الرفعة والضعة باعتبار المدح والمهجا، وإنشاده مجالس الملوك الحافلة والمواكب الجامعة بالتقريظ وذكر المفاخر وتعبيد المحاسن، وما يحصل عليه الشاعر الحميد من الحياء الجسيم والمنح الفائق، الذي يستحقّه بحسن موقع كلامه من النفوس وما يحدثه فيها من الأريجّة، وقبوله لما يرد عليه من الألحان المطربة المؤثّرة في النفوس اللطيفة والطباع الرقيقة، وما أشتمل عليه من شواهد اللغة والنحو وغيرهما من العلوم الأدبية وما يجري مجراها، وما يستدلّ به منها في تفسير القرآن الكريم وكلام من أوتي جوامع الكلم، ومجامع الحكم، صلى الله عليه وسلم! وكونه ديوان العرب ومجتمع تمكّنها والمحيط بتواريخ أيامها وذكر وقائعها وسائر أحوالها - إن غير ذلك من الفضائل الجمّة، والمفاخر الضخمة، فإن النثر أرفع منه درجة، وأعلى رتبة، وأشرف مقامًا، وأحسن نظامًا، إذ الشعر محصور في وزن وقافية يحتاج الشاعر معها إلى زيادة الألفاظ والتقديم فيها والتأخير، وقصر الممدود ومدّ المقصور، وصرف مالا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف، واستعمال الكلمة المرفوضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها، وغير ذلك مما تلجئ إليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه، والكلام المنشور لا يحتاج فيه إلى شيء من ذلك فتكون ألفاظه تابعة لمعانيه، ويؤيد ذلك أنك إذا اعتبرت ما نقل

”إلا أن صناعة الحِساب موضوعةٌ على التحقيق، وصناعة الإنشاء مبنيةٌ على التلفيق، وقلم الحاسب ضابط، وقلم المنشى خابط، وبين إتّاة توظيف المعاملات، وتلاوة طوامير السجلات، بون لا يُذكره قياس، ولا يعتوره التباس، إذ الإتّاة تملأ الأيكاس، والتلاوة تفرغ الراس، ونحراج الأوارج يُغنى الناظر، وأستخراج المدارج يُغنى الخاطر.

ثم إن الحسبة حفظة الأموال، وحملة الأثقال، والثقله الأثبات، والسفرة الثقات، وأعلام الإنصاف والانتصاف، والشهود المقانع في الاختلاف، ومنهم المستوفى الذى هو يدُ السلطان، وقطبُ الديوان، وقسطاس الأعمال، والمهيمن على العمال، وإليه المال فى السلم والهرج، وعليه المدار فى الدّخل والخرج، وبه مناط الضر والنفع، وفى يده رباط الإعطاء والمنع، ولولا قلم الحِساب، لأودت ثمرَةُ الاكتساب، ولا تصلّ التغابن إلى يوم الحِساب، ولكان نظام المعاملات محلولاً، وجرح الظّلامات مطلولاً، وجيدُ التناصف مغلولاً، وسيفُ التظالم مسلولاً. على أن يراع الإنشاء متقول، ويراع الحِساب متأول، والحاسب مناقش، والمنشى أبو براقيش، ولكليهما حمة حين يرقى، إلى أن يلقى ويرقى، وإعنات فيما ينشأ، حتى يغشى ويرشى، (إلا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وقليلٌ منهم).

قلت : وقد أوردت فى المقامة التى أنشأتها فى كتابة الإنشاء المشار إليها بالذكر فى خطبة هذا الكتاب من فضل الكتابة ما يشدو بذكره المترنم، وأودعتها من شرف الكتاب ما يُدعّن له الخصم ويسلم.

قال في مواد البيان "ولا شك في صحة هذا التمثيل : لأن كاتب الإنشاء هو الذي يمثل لكل عامل في تقليده ما يعتمد عليه ويتصفح ما يرد منه ويصرفه بالأمر والنهي على ما يؤدى إلى استقامة مآدق به ، وهو حلية المملكة وزيتها لما يصدر عنه من البيان الذى يرفع قدرها ، ويعلّي ذكرها ، ويعظم خطرها ، ويدلّ على فضل ملكها ، وهو المتصرف عن السلطان في الوعد والوعيد ، والترغيب ، والإحجام ، والإقدام ، واقتضاب المعانى التى تُقرّر الوالى على ولايته وطاعته ، وتعطف العدو العاصى عن عداوته ومعصيته . على أن بعض المتعصين قد ربح كتابة الأموال على كتابة الإنشاء بمغالطات أوردتها ، وتزويرات زحرفها وتمقّها ، لاتفخى على متأمل ، ولا تنغطى على ذى ذهن سليم .

وقد أورد الحريرى فى "المقامة الثانية والعشرين" المعروفة بالفرائية ألفاظا قلائل فى المفارقة بين كتابتى الإنشاء والأموال فقال على لسان أبى زيد السروجى :

"اعلموا أنّ صناعة الإنشاء أرفع ، وصناعة الحساب أنفع ، وقلم المكتبة خاطب ، وقلم المحاسبة - اطب ، وأساطير البلاغة تُنسخ تُدرّس ، ودساتير الحسابات تنسخ وتدرّس ، والمنشئ جُهينة الأخبار ، وحقيبة الأسرار ، ونجى العظام ، وكبير الندماء ، وقلمه لسان الدولة ، وفارس الجولة ، ولقمان الحكمة ، وترجمان الهمة ، وهو البشير والنذير ، والشفيع والسفير ، به تُستخلص الصياصى ، وتُملك النواصى ، ويُقتاد العاصى ، ويُستدنى القاصى ، وصاحبه برىء من التبعات ، آمن كيد الساعات ، مقرّظ بين الجماعات ، غير معترض لنظم الجماعات .

ثم عقب كلامه بأن قال :

(١) فى الضوء عرق بالعين المهمة والزأى وهو المناسب ولعل ما فى الاصل تصحيف .

ومنها أشتال كتابة الإنشاء على البيان الدال على لطائف المعاني التي هي زبد الأفكار وجواهر الألفاظ، التي هي حلية الألسنة، وفيها يتنافس أصحاب المناصب الخطيرة، والمنازل الجليلة، أكثر من تنافسهم في الدر والجوهر.

ومنها ما تستلزمه كتابة الإنشاء من زيادة العلم، وغزارة الفضيحة، وذكاء القريحة، وجودة الروية : لما يحتاج إليه من التصرف في المعاني المتداولة والعبارة عنها بألفاظ غير الألفاظ التي عبر بها من سبق إلى استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها إلى حقائقها، وفي ذلك من المشقة ما لا يخفاء فيه على من مارس الصنعة، خصوصاً إذا طلب الزيادة والعلم على من تقدمه في استعمالها، أو هذا حدّ رسوم المبرزين الذين يتحلون الكلام ويوقعونه موافقة مع مراعاة رشاقة اللفظ، وحلاوة المعنى، وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاجه من اختراع المعاني الأبيكار للأمور الحادثة التي لم يقع مثلها، ولا سبق سابق إلى كتابتها - لأن الحوادث والوقائع لا تنهاى ولا تقف عند حد . ومن هنا تنقص الوزير ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر المقامات الحورية وأزدارها جانحاً إلى أنها صور موضوعة في قوالب حكايات مبدية على مبدأ ومقطع بخلاف الكتابة فإن أهوالها غير متناهية بل ولوروى حال ما يكتبه الكاتب في أدنى مدة لكان مثل المقامات مرات .

ومنها اختصاص كاتب الإنشاء بالسلطان وقربه منه وإعظام خواصه واعتمادهم في المهمات عليه، مع كونه أحرز بالسلامة من أرباب الأقلام المتصرفين في الأموال . وقد قال بعض الحكماء : الكتاب كالجوارح كل جراحة منها ترفد الأخرى في عملها بما به يكون فعلها، وكاتب الإنشاء بمنزلة الروح المازجة للبدن المدبرة لجميع جوارحه وحواشيه .

(١) لعله مصحف عن أجدر أو أخرى - كما سيأتي له بعد .



## الفصل الثانى

( فى تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة )

قد تقدم فى الفصل الذى قبله أن الكتابة وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تخرج عن أصلين : كتابة الإنشاء ، وكتابة الأموال .

فأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل مارجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعانى : من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمان وما فى معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها .

وأما كتابة الأموال فالمراد بها كل مارجع من صناعة الكتابة إلى تحصيل المال وصرفه وما يجرى تجرى ذلك ككتابة بيت المال والخزائن السلطانية ، وما يُجئ إليها من أموال الخراج وما فى معناه ، وصرف ما يصرف منها من الجارى والنفقات وغير ذلك ، وما فى معنى ذلك ككتابة الجيوش ونحوها مما ينجر القول فيه إلى صنعة الحسب ، ولا شك أن لكل من النوعين قدرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا ، إلا أن أهل التحقيق من علماء الأدب ما برحوا يرجحون كتابة الإنشاء ويفضلونها ويميزونها على سائر الكتابات ويقدمونها ، ويحتجون لذلك بأمور .

منها أن كتابة الإنشاء مستلزمة للعلم بكل نوع من الكتابة ، ضرورة أن كاتب الإنشاء يحتاج فيما يكتبه من ولاياته ومكاتباته ما يتعلق بكتابة الأموال إلى أن يمثل لهم فى وصاياه من صناعتهم ما يعتمدونه ، ويبين لهم ما ياتونه ويذرونه ، فلا بد أن يكون عالمًا بصناعة من يكتب له . بخلاف كاتب الأموال فإنه إنما يعتمد على رسوم مقررة وأموذجات محتررة لا يكاد يخرج منها . ولا يحتاج فيها إلى تغيير ولا زيادة ولا نقص .

وَحِكِي أَنَّ أَعْرَابِيَّةً قَالَتْ لِجَارَتِهَا "حَدِيثُكَ تَرْوِيْعٌ وَزِيَارَتُكَ تَوْقِيْعٌ" تَرِيدُ أَنْ زِيَارَتَهَا خَفِيْقَةٌ . قُلْتُ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُوْنَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَعَ الْأَمْرُ إِذَا حَقَّ وَلَزِمَ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ أَيْ حَقَّ ، أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَعَ الصِّقْلُ السِّيفَ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمِيقَاتِهِ يَجْلُوهُ لِأَنَّهُ بِتَوْقِيْعِهِ فِي الرُّقْعَةِ يَجْلُو اللَّبْسَ بِالْإِرْشَادِ إِلَى مَا يُعْتَمَدُ فِي الْوَاقِعَةِ ، أَوْ مِنْ مَوْقَعَةِ الطَّائِرِ - وَهِيَ الْمَكَانُ الَّذِي يَأْلُفُهُ مِنْ حَيْثُ إِنْ الْمَوْقِعُ عَلَى الرُّقْعَةِ يَأْلَفُ مَكَانًا مِنْهَا يُوَقَّعُ فِيهِ كَحَاشِيَةِ الْقِصَّةِ وَنَحْوَهَا ، أَوْ مِنَ الْمَوْقَعَةِ بِالتَّسْكِينِ - وَهُوَ الْمَكَانُ الْمَرْتَفِعُ فِي الْجَبَلِ لِأَرْتِفَاعِ مَكَانِ الْمَوْقِعِ فِي النَّاسِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ .

وَوَجْهُ إِطْلَاقِهِ عَلَى كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنْ التَّوْقِيْعُ فِي الْأَصْلِ أَسْمٌ لِمَا يُكْتَبُ عَلَى الْقِصَصِ وَنَحْوِهَا وَسَيَأْتِي أَنْ مَا يَكْتُبُ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ مِنَ الْمُكَاتِبَاتِ وَالْوَلَايَاتِ وَنَحْوِهَا إِنَّمَا يَبْنَى عَلَى مَا يُخْرَجُ مِنَ الدِّيْوَانِ مِنَ التَّوْقِيْعِ بِخَطِّ صَاحِبِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ أَوْ كُتَّابِ الدِّسْتِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَحِينَئِذٍ فَيَكُونُ التَّوْقِيْعُ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يَبْنَى عَلَيْهِ الْمُنْشَى ، وَقَدْ يَكُونُ سَمًى بِأَصْلِهِ الَّذِي نَشَأَ عَنْهُ مَجَازًا ، وَقَدْ يَعْبُرُ عَنْهَا بِصِنَاعَةِ التَّرْسُلِ تَسْمِيَةً لِلشَّيْءِ بِأَعْمِ أَجْزَائِهِ إِذِ التَّرْسُلُ وَالْمُكَاتِبَاتُ أَعْظَمُ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ وَأَعْمَقُهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا مَلِكٌ وَلَا سُوقَةٌ ، بِخِلَافِ الْوَلَايَاتِ فَإِنَّهَا مَخْتَصَّةٌ بِأَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَعَلَى ذَلِكَ بَنَى الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْحَلَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَسْمِيَةَ كِتَابِهِ "حُسْنُ التَّوَسُّلِ" إِلَى صِنَاعَةِ التَّرْسُلِ .

(١) عبارة اللسان والقاموس والوقع بالتسكين المكان المرتفع من الجبل . فلعل ما في الأصول من تصحيف النسخ فتأمل .

المعنى اللغوى . على أن الكتابة ، وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها ، لا تخرج عن أصلين : هما كتابة الإنشاء ، وكتابة الأموال وما فى معناهما على ما سياتى بيانه إن شاء الله تعالى .

إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء حتى كانت الكتابة إذا أُطلقت لا يُراد بها غير كتابة الإنشاء والكتاب إذا أُطلق لا يراد به غير كتابها حتى سُمى العسكرى كتابه "الصناعتين الشعر والكتابة" يريد كتابة الإنشاء ، وسُمى ابن الأثير كتابه "المثل السائر" فى أدب الكاتب والشاعر " يريد كاتب الإنشاء إذ هما موضوعان لما يتعلق بصناعة الإنشاء من علم البلاغة وغيرها .

ثم غلب فى زماننا بالديار المصرية اسم الكاتب على كاتب المال حتى صار الكاتب إذا أُطلق لا يُراد به غيره وصار لصناعة الإنشاء اسمان : خاص يستعمله أهل الديوان ويتلفظون به وهو كتابة الإنشاء ، وعام يتلفظ به عامة الناس وهو التوقيع . فأما تسميتها بكتابة الإنشاء فتخصيص لها بالإضافة إلى الإنشاء الذى هو أصل موضوعها وهو مصدر أنشأ الشئ إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتذيه ، بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويتكرر من المعانى فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وغيرها ، أو أن المكاتبات والولايات ونحوها تنشأ عنه .

وأما تسميتها بالتوقيع فأصله من التوقيع على حواشى القصص وظهورها كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب ديوان الإنشاء أو كُتَّاب الدست ومن جرى مجراهم بما يعتمد فى القضية التى رُفعت القصة بسببها ، ثم أُطلق على كتابة الإنشاء جملة .

قال ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكُتَّاب : ومعناه فى كلام العرب التأثير القليل الخفيف ، يقال : جنب هذه الناقة مَوْقَع إذا أثرت فيه حبال الأحمال تأثيرا خفيفا .

## الفصل الأول

في ذكر مدلولها وبيان معنى الإنشاء وإضافتها إليه ومرادفة التوقيع لكتابة

الإنشاء في عُرف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسل

الكتابة في اللغة مصدر كتب يقال كتب يكتب كتباً وكتابةً ومكتبةً وكتبة فهو كاتب ومعناها الجمع، يقال تكتبت القوم إذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخيل كتبية، وكتبت البغلة إذا جمعت بين شفرها بحقة أو سير ونحوه، ومن ثم سمي الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض كما سمي خرز القربة كتابةً لضم بعض الخرز إلى بعض. قال ابن الأعرابي: وقد تطلق الكتابة على العلم ومنه قوله تعالى ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي يعلمون. وعلى حد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في كتابه لأهل اليمن حين بعث إليهم معاذاً وغيره "إني بعثت إليكم كتاباً". قال ابن الأثير في غريب الحديث "أراد عالماً سمي بذلك لأن الغالب على من كان يعلم الكتابة أن عنده عالماً ومعرفةً وكان الكاتب عندهم قليلاً وفيهم عزيزاً".

أما في الاصطلاح فقد عرفت صاحب مواد البيان: بأنها صناعة روحانية تظهر بالآلة، جثمانية، دالة على المراد بتوسط نظمها. ولم يبين مقاصد الحد ولا ما دخل فيه ولا ما خرج عنه، غير أنه فسر في موضع آخر معنى الروحانية فيها بالألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه ويصور من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه. والجثمانية بالخط الذي يخطه القلم وتقيد به تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة. وفسر الآلة بالقلم وبذلك يظهر معنى الحد وما يدخل فيه ويخرج عنه؛ ولا شك أن هذا التحديد يشمل جميع ما يسطره القلم مما يتصوره ذهنه ويتخيله الوهم فيدخل تحته مطلق الكتابة كما هو المستفاد من



قال ابن حاجب النعمان: ولما كان أرباب الأمور وولاؤها من الخلفاء فمن دونهم يتقدمون ما يكتب به الكتاب عنهم وما يرد عليهم من الكتب، ويناقشون على ما يقع فيها من خطأ أو يدخلها من خلل، ويقدمون الفاضل ويرفعون درجته، ويؤخرون الجاهل ويحطون رتبته، كان الكتاب حينئذ يتبارون على اقتناء الفضيله . و يترفعون عن أن يعلق بهم من الجهل أدنى رذيله . ويجهدون في معرفة ما يحسن ألفاظهم، ويزين مكاتباتهم، لينالوا بذلك أرفع رتبة، ويفوزوا بأعظم منزلة .

ولما انعكست القضية في تقديم من غلط بهم الزمان . وغفل عنهم الحدّثان . واستولت عليهم شرّة الجهل . ونفرت منهم أوانس الرياسة والفضل . وصار العالم لديهم حشفاً، والأديب محارفاً، والمعرفة منكراً، والفضيلة منقصة، والصمت لئنه، والفصاحة هُجْه، اجتنبت الآداب اجتناب المحارم، وهجرت العلوم هجر كبار المآثم . ولو أنصف أحد هؤلاء الجهّال، لكان بالحشف أولى . وبالحرّفة والمنقصة أجدر وأحرى، لكنه جهل الواجبات وأضاعها . وسفه حقّ المروءة وأفسد أوضاعها . ويوصف بالحي الناطق، والصامت أرجى منه عند أهل النظر وذوى الحقائق .

## الباب الثاني

### من المقدمة

في ذكر مدلول الكتابة لغة وأصطلاحاً وبيان معنى الإنشاء وإضافة الكتابة إليه ؛ ومرادفة لفظ التوقيع لكتابة الإنشاء في عرف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسيل ؛ وتفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة وترجيح الثر على الشعر، وفيه ثلاثة فصول .

(١) في الأصل وأوضاعها بواو زائدة وهي من زيادة الناصح كما هو ظاهر .

قلت : وإنما تقاصرت الهمم عن التوغل في صناعة الكتابة والأخذ منها بالخط  
الأوفى لاستيلاء الأعاجم على الأمر ، وتوسيد الأمر لمن لا يفرق بين البليغ والآنوك  
لعدم إلمامه بالعربية والمعرفة بمقاصدها ، حتى صار الفصيح لديهم أعجم ، والبليغ  
في مخاطبتهم أبكم ؛ ولم يسع الآخذ من هذه الصناعة بحظ إلا أن ينشد :

وَصِنَاعَتِي عَرِيَّةٌ وَكَأَنِّي \* أَلْقَى بِأَكْثَرِ مَا أَقُولُ الرُّومَا  
فَلِمَنِ أَقُولُ؟ وَمَا أَقُولُ؟ وَأَيْنَ لِي؟ \* فَاسِيرَ، لَا بِلَ أَيْنَ لِي فَأَقِيمَا؟

وقد حكى أبو جعفر النحاس عن بعضهم أنه قال : حضرت مجلس رجل فأجمعت  
عن مسألة حاجتي لكثرة جمعه ، فرأيت أنه قد أملى على كاتبه " ولم أكتب بخطي إليك  
خوفا من أن تقف على رداوته " فكتب كاتبه "رداءته" على ما يجب فقال : أما تحسن  
الهجاء ؟ أين الواو ؟ فأثبتها الكاتب فحس حينئذ في عيني ، فأجترأت عليه فدنوت  
منه وسألته حاجتي .

وحكى صاحب ذخيرة الكتاب عن بعض الوزراء : أنه تقدم إلى كاتبه بأن يكتب  
ألقاب أميرليشيتها على بُرج أنشأه فكتب "أمر بعمارة هذا البرج أبو فلان فلان"  
وآستوفى ألقابه إلى آخرها ، ودفع المثال إلى الوزير ليتف عليه فلما قرأه غضب حتى  
ظهر الغضب في وجهه ، وأنكر على الكاتب كونه كتب أبو فلان بالواو ولم يكتب أبي  
فلان بالياء محتجاً عليه بأن أبو من ألفاظ العامة فلا تعظيم بها . فقال الكاتب : إن  
الحال اقتضت رفعه من حيث إنه في هذا الموضع فاعل ؛ فزاد إنكاره عليه وقال : متى  
رأيت الأمير فاعلا في هذا الموضع يحمل الطين وينقل الحجارة على رأسه حتى تنسبه  
إلى هذا ؟ والله لولا سالف خدمتك لفعلت بك ! .

بضعف آدابه أنه صحح حجه وقيل الحساب منه كما يقال في تثبت الشيء هو هو وأخرج التوقيع إلى الكتاب وناظرهم على أن ذلك يوجب إزالة المال الذي لزمه عنه فلم يفهم أحد منهم ما أراد عبید الله بن سليمان فرد التوقيع إلى عبید الله فلم يزد في الجواب على أن شدد الكلمة الأخيرة ووقع تحتها "الله المستعان" إعلاماً له أن لفظ هذا بالتشديد بمعنى الهديان .

وحكى العباس بن أسد : أن أبا الحسن على بن عيسى كتب إلى أبي الطيب أحمد بن عيسى كتاباً من مكة فقرأه ثم رمى به إلى فقال : اقرأ . فقرأت : كتابي إليك يوم القَر ، بالرفع . فقال : مامعنى يوم القَر ؟ فقلت : القَر البرد فقال : إنما هو يوم القَر بالفتح ، حين يَقَر الناس بمنى ، وهو اليوم الثانى من النحر . ومثل ذلك كثير .

قال صاحب نهاية الأرب : "وقد اتسع الخرق في ذلك ودخل في الكتابة من لا يعرفها البتة ، وزادوا عن الإحصاء ، حتى إن فيهم من لا يفرق بين الضاد والطاء . قال : ولقد بلغنى عن بعض من أدخل نفسه في الكتابة وتوسل إلى أن كتب في ديوان الرسائل : أنه رُسم له بكتاب يكتبه في حق رجل اسمه طرنطاي فقال لكايب إلى جانبه طرنطاي يكتب بالساقط أو بالقائم . قال : وصار الآن حد الكاتب عند هؤلاء الجهال أنه يكتب على المجود مدة ويؤمن بزعمه أسطرا فإذا رأى من نفسه أن خطه قد جاد أدنى جودة أصلح رتبه ، وركب رذونه أو بغلته ، وسعى في الدخول إلى ديوان الإنشاء والآنضمام إلى أهله ، ولعل الكتابة إنما يحصل ذمها بسبب هؤلاء وأمثالهم . والله در القائل !

تَعِسَ الزمانُ ! فقد أتى بعُجَابٍ \* ومحا فُنُونُ الفَضْلِ والآداب  
وأتى بكَائِبٍ لو أنْبَسَطَتْ يَدِي \* فيهم رَدَدَتْهُمْ إلى الكُتَّابِ "

(١) في ضوء الصبح (من منى) .

(٢) في الأصل بعجائب وقد اخترنا رواية الضوء .

وكذلك أولعوا بدم حق الكتاب ولهجوا بهجهم في كل زمن .

فمن ذلك قول بعض المتقدمين يهجو كاتباً :

حمار في الكتابة يدعيها \* كدعوى آل حرب في زياد  
فدع عنك الكتابة لست منها ! \* ولو غرقت ثيابك في المداد

وقول الآخر :

وكاتب كُتبه تدكرني السقراء حتى أظلل في حجب  
فاللفظ "قالوا قلوبنا غلفت" \* والخط "ثبتت يداي لهب"

وقول الآخر :

يحي غير ما قلنا ويكتب غير ما \* يعيه ويقرا غير ما هو كاتب

وقول الآخر :

وكاتب أقلامه \* معودات بالغائط  
يكشط ما يكتبه \* ثم يعيد ما كشط

وقول ابن أبي العيناء يهجو أسد بن جهور الكاتب

أوما ترى أسد بن جهور قد غدا \* متشبهاً بأجله الكتاب ؟  
لكن يحرق ألف طومار إذا \* ما احتيج منه إلى جواب كتاب

وقد أكثر الناس من الحكايات المضحكة عن هذا النوع من الكتاب مما صاروا به هزواً على ممر الزمان وتعاقب الأيام . كما حكى عن محمد بن يحيى الكاتب أنه قرأ على بعض الخلفاء كتاباً يذكر فيه حاضرتي فصحه جاضرتي فسخر منه أهل المجلس ويروى أن كتاب الدواوين ألزموا بعض العمال مالا مخرجاً عليه فبعث بحسابه إلى عبيد الله بن سليمان فوقع عليه "هذا هذا" ورد الحساب إلى العامل فقدّر العامل



## الفصل الثاني

(في مدح فضلاء الكتاب وذم حقايم)

أما فضلاء الكتاب فلم يزل الشعراء يلهمجون بمدح أشراف الكتاب وتقريظهم  
ويتغالبون في وصف بلاغاتهم وحسن خطوطهم . فمن أحسن ما مدح به كاتب  
قول ابن المعتز :

إذا أخذ القِرطاس خِلت يمينه \* نَفَتَحَ نوراً أو تُنظَّم جَوْهراً

وقول الآخر :

يُؤَلِّفُ اللُّؤلؤَ المَنثورَ مَنطِقَه \* وَيَنظِمُ الذَّرَّ بالأقلام في الكُتب

وقول الآخر :

وَكاتِبٌ يَرُقُّ في طَرِسِه \* رَوْضاً به تَرْتَعُ الحَناظُه  
فَالدَّرُ ما تَنظِّمُ أَقلامُه \* والسَّحَرُ ما تَنشُرُ أَلْفاظُه

وقول الآخر :

إِنْ هَزَّ أَقلامُه يَوماً لِعَمَلِها \* أَشْراكُ كُلِّ كَيِّ هَزَّ عَمِلَه  
وَإِنْ أَقَرَّ عَلَى رَقٍّ أَمامِلُه \* أَقَرَّ بالِرقِّ كُتَّابُ الأَنامِ لَهُ

وقول الآخر :

لا يُحِطِرُ الفِكرُ في كَتائِبِه \* كَأَنَّ أَقلامَه لَها خَاطِرُ  
القَوْلِ وَالفِعْلُ يَجْريانِ مَعاً \* لا أَوَّلُ فيهِما ولا آخِرُ

وقول الآخر :

وَشادِنٍ من بَنى الكُتَّابِ مُقْتَدِرٍ \* على البَلاغَةِ أحلَى النَاسِ إِنْشاءُ  
فَلا يُجارِيه في مِدادِهِ أَحَدٌ \* يُرِيكَ سَخبانَ في الإِنْشاءِ إِنْ شاءَ

ما يستحقه من المنزلة ، ثم لا يمكن أحد من عرض اسمه على الملك من الخدمة عند أحد إلا بأذن الملك .

وفي عهد سابور - "وليكن كاتبك مقبول القول عندك ، رفيع المنزلة لديك ، يمنع مكانه منك وما يظن به من لطافة موضعه عندك من الضراعة لأحد والمداينة له ، ليحمله ما أوليته من الإحسان على محض النصيحة لك ، ومناذرة من أراد عيبك وأنت قاص حقك" . ولم يكن يركب الهاليج في أيامهم إلا الملك والكاتب والقاضي .

قلت : ولشرف الكتابة وفضل الكتاب صرف كثير من أهل البلاغة عنايتهم إلى وضع رسائل في المفاخرة بين السيف والقلم ، إشارة إلى أن بهما قوام الملك وترتيب السلطنة ، بل ربما فضل القلم على السيف ورُجِّح عليه بضروب من وجوه الترجيح كما قال بعضهم مفضلا للقلم بقسم الله تعالى به :

إِنْ أَفْتَحَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بَسِيفَهُمْ \* وَعُدَّوهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَّمَ  
كَفَى قَلَمَ الْكُتَّابِ عِزًّا وَرِفْعَةً \* مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ

وكما قال ابن الرومي :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الَّذِي خَضَعَتْ \* لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ  
فَالْمَوْتُ ، وَالْمَوْتُ لَأَشْيَ يُغَالِبُهُ ، \* مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ  
كَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَدُّ بَرِيَّتٍ \* أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مَدُّ أَرْهَفَتْ خَدَمُ

والمعنى في ذلك أنها تؤثر في إرهاب العدو على بُعد السيوف لا تؤثر إلا عن قرب مع ما فضل به القلم من زيادة الجدوى والكرم ، وإلى ذلك يشير بعضهم بقوله مشيرا للقلم

فَلَكُمْ يَقُلُّ الْجَيْشُ ، وَهُوَ عَرَمَرَمٌ ، \* وَالْبَيْضُ مَا سُلَّتْ مِنَ الْأَعْمَادِ  
وَهَبَتْ لَهُ الْأَجَامُ حِينَ نَسَا بِهَا \* كَرَمَ السُّيُوفِ وَصَوْلَةَ الْأَسَادِ

وكانت ملوك الفرس تقول: "الْكُتَّابُ نظام الأُمُور، وجمالُ الملُك، وبهاءُ السلطان  
وُخْزانُ أمواله، والأَمْناءُ على رعيته وبلاده، وهم أُولى الناس بالحِباء والكِرامة، وأحقُّهم  
بمحبة السلام".

ومن كلام أبي جعفر الفضل بن أحمد "للكُتَّابِ أَقَرَّتْ الملوك بالفاقة والحاجة،  
وإليهم أُلْقِيَتِ الأَعِنَّة والأَزِمَّة، وبهم أَعْتَصَمُوا في النازلة والنكبة، وعليهم أَتَكَلَّوْا  
في الأهل والولد والذخائر والعقد وولاة العهد وتدير الملُك وقِراع الأعداء، وتوفير  
النفي، وحياطة الحريم، وحفظ الأسرار، وترتيب المراتب، ونظم الحروب".

قال في مواد البيان: "وما من أحد يتوسَّل إلى السلاطين بالأدب، ويمتُّ إليهم من  
العلم بسبب، إلا وهو باقله لا ينوِّل ما ينوِّله الأعلى وجه الإرفاق، خلا الكاتب فإنه ينوِّل  
الغرائب العظيمة من طريق الاستحقاق، لموضع الافتقار إليه والحاجة به، ومن المعلوم  
أنه لا بدَّ من واسطة تقوم بين الملوك والرعية لبعث ما بين الطبقتين: العليا والدنيا، وليس  
من طبقات الناس من يساهم الملوك في جلالته القدر وعظيم الخطر، ويشارك العامة  
في التواضع والاقتصاد سوى الكُتَّاب فأحتيج إليهم للسَّفارة في مصالح الرعية عند  
السلاطين، وأستيفاء حقوق السلاطين من الرعية، والتلطف في الصلة بينهما". قال:  
"ولعلم الملوك بخطَر هذه الصناعة وأهلها وعائدها في أمور السلطان صرفوا العناية  
إلى الكُتَّابة وخَصَّوهم بالخطوة وعرفوا لهم فضل ما جمعوه من الرأي والصناعة.  
وكانت ملوك الفرس لرفعة رتبة الكتابة عندهم تجمع أحداث الكُتَّاب ونواشئهم  
المعترضين لأعمال الملك ويأمرون رؤساء الكتابة بامتحانهم فمن رُضِيَ أَقَرَّ بالباب  
ليستعان به، ثم يأمر الملك بضمهم إلى العَمَّال، واستعمالهم في الأعمال، وينقلهم  
في الحِصْن على قدر طبقاتهم من حال إلى حال حتى ينتهي بكل واحد منهم إلى

قال العتيبي: "الأُمِّيَّة في رسول الله، صلى الله عليه وسلم! فضيلةٌ وفي غيره نقيصة لأن الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتحكّن الإنسان بها من الحيلة في تأليف الكلام، وأستنباط المعاني فيتوسل الكُفَّار إلى أن يقولوا أقتدر بها على ما جاء به".

قال صاحب مواد البيان: "وذلك أن الإنسان يتوصل بها إلى تأليف الكلام المنشور وإخراجه في الصُّور التي تأخذ بجماع القلوب؛ فكان عدم علمه بها من أقوى الحجج على تكذيب معانديه، وحسم أسباب الشك فيه".

وقد حكى أبو جعفر النحاس: أن المأمون قال لأبي العلاء المتقري "بلغني أنك أمي، وأنت لا تقيم الشعر، وأنت تلحن في كلامك" فقال: "يا أمير المؤمنين! أما اللحن فربما سبقني لساني بالشئ منه؛ وأما الأُمِّيَّة وكسر الشعر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً وكان لا يُنشد الشعر". فقال له المأمون: "سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعاً وهو الجهل؛ يا جاهل! ذلك في النبي، صلى الله عليه وسلم! فضيلة وفيك وفي أمثالك نقيصة".

قال الجاحظ: "وكلام أبي العلاء المتقري هذا من أوامد ما تكلم به الجهال". على أن أصحابنا الشافعية رحمهم الله قد حكوا وجهين في أنه صلى الله عليه وسلم هل كان يعلم الكتابة أم لا وصححوا أنه لم يكن يعلمها معجزةً في حقه كما تقدم.

قال أبو الوليد الباجي من المالكية: "ولو كتب، صلى الله عليه وسلم! لكان معجزةً لخرق العادة". قال: وليست بأقل معجزاته صلى الله عليه وسلم!.

وإذا كانت الكتابة من بين سائر الصناعات بهذه الرتبة الشريفة والذروة المنيفة، كان الكتاب كذلك من بين سائر الناس. قال الزبير بن بكار: "الكتاب ملوك وسائر الناس سُوقَةٌ". وقال ابن المقفع: "الملوك أحوج إلى الكتاب من الكتاب إلى الملوك". ومن كلام المؤيد "كتاب الملوك عيونهم المبصرة، وآذانهم الواعية، وألسنتهم الناطقة".



والمطيع وعز الدولة بن بويه : وجهد فيه عز الدولة أن يسلم فلم يقع له ؛ ولما مات رثاه الشريف الرضي بقصيدة فلامه الناس لكونه شريفا يرثى صابئاً ، فقال : انما رثيت فضله .

قال في مواد البيان : ”ولا عبرة بمن قعد به الجدد ، وتخلّف عنه الحظ من أهل هذه الصناعة ؛ إذ العبرة بالأكثر لا بالقليل النادر . على أن المبرز في هذه الصناعة إن قعدت به الأيام في حال فلا بد أن يُرفع قدره في أخرى : لأنّ دولة الفاضل من الواجبات ، ودولة الجاهل من المحكّات ؛ خصوصاً إذا صادف الكاتبُ الفاضلُ ملكاً فاضلاً أو رئيساً كاملاً ، فإنه يوفيه حقه ويرقيه إلى حيث استحقاقه . فمن كلام بعض الحكماء : تسقط الحظوظ في دولة الملك الفاضل فلا يتسمّ الرتبة العلية إلا مستوجبها بالفضيلة .

و بالجملة ففضل الكتابة أكثر من أن يحصى وأجل من أن يُستقصى ؛ وانما حرمت الكتابة على النبي ، صلى الله عليه وسلم ! ردّا على الملحدين حيث نسبوه إلى الاقتباس من كتب المتقدمين كما أخبر تعالى بقوله ﴿وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾ وأكد ذلك بقوله ﴿وما كنتم تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لا تراتب المبطون﴾ .

وقد كان ، صلى الله عليه وسلم ! يأتي من القصص والأخبار الماضية من غير مدارس ولا نظر في كتاب بما لا يعلمه إلا نبي ، كما روى أن قريشاً بمكة وجهت إلى اليهود : أن عرفونا شيئاً نسأله عنه ، فبعثوا إليهم أن سألوه عن أنبياء أخذوا أحدهم فرمّوه في بئر وباعوه . فسألوه فنزلت سورة يوسف جملة واحدة بما عندهم في التوراة وزيادة .

(١١) ونجاح بن سلمة، وأحمد بن عبدالعزيز، وزاد صاحب الریحان والریعان : مروان ابن الحكم، وعبد الملك بن مروان. قالت : وهؤلاء بعض من شرفته الكتابة ورفعت قدره. ولو اعتبر من شرف بالكتابة وارتفع قدره بها لفاتوا الحصر وخرجوا عن الحد. وهذا الوزير المهلب كان في أول أمره في شدة عظيمة من الفقر والضائقة، وكان قد سافر مرة ولقي في سفره ضيقة حتى اشتهى اللحم ولم يقدر عليه فقال أرتجالا :

أَلَا مَوْتُ يَبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ ! \* فهذا العيش ما لا خَيْرَ فيه !

أَلَا مَوْتُ لَدَيْدُ الطَّعْمِ يَأْتِي \* يُخَلِّصُنِي مِنَ الْمَوْتِ الْكَرِيهِ !

أَلَا رَحِمَ الْمُهِمِّنِ نَفْسَ حُرٍّ \* تَصَدَّقُ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ !

وكان معه رفيق له فاشتري لحما وأطعمه . ثم ترقى بالكتابة حتى وُزِّرَ لمعز الدولة ابن بويه الديلمي في جلالة قدره . وهذا القاضي الفاضل أصله من بيسان من غير بيت الوزارة رفعته الكتابة حتى وُزِّرَ للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وعلت رتبته عنده حتى بلغ من رتبته لديه أن كان يكتب في كتب السلطان صلاح الدين عن نفسه بما أحب؛ فكتب مرة السلام على الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين في كتاب عن أبيه؛ ثم كتب شعرا منه .

وغيرية قد جئت فيها أولا \* ومن اقتفاها كان بعدي الثاني

فرسولى السلطان في إرسالها \* والناس رسلهم إلى السلطان

وأبلغ من ذلك كله أبو إسحاق الصابى صاحب الرسائل المشهورة ، كان على دين الصابئة مشددا في دينه، وبلغت به الكتابة إلى أن تولى ديوان الرسائل عن الطائع

(١) أى فيمن نهوا بالكتابة . وأما عددهما السابق ففى المكتوب لهم .

وقد آتنتقل جماعة منها إلى الخلافة . فأبو بكر كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه بعد ذلك . وعمر بن الخطاب كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه . وعثمان بن عفان كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب لأبي بكر بعده ثم صارت الخلافة إليه . ومعاوية كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه بعد الحسن . ومروان بن الحكم كان يكتب لعثمان بن عفان ثم صار الأمر إليه فيما بعد وعبد الملك بن مروان كان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان ثم آتنتقل الأمر إليه . إلى غير هؤلاء من أهل هذه الصنعة ممن فرّع الدرّوة العلية من السيادة، والسنام الباذخ من الرياسة، على تغير الدول وتقلها بين العرب والعجم، وفي ذلك ما يدل على علو خطرهما، وارتفاع قدرهما .

قال صاحب العقد وقد تبنّه قوم بالكتابة بعد الخمول، وصاروا إلى الرتب العلية . والمنازل السنية . منهم سرجون بن منصور الرومي كان رومياً خاملاً فرقّته الكتابة وكتب لمعاوية ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان . ومنهم حسان التّبطي كاتب المجاج، وسالم مولى هشام بن عبد الملك، وعبد الحميد الأكبر، وعبد الصمد، وجبلة بن عبد الرحمن، وحذّهم جدّ المجاج بن هشام القحذمي<sup>(١)</sup>، وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية، والربيع، والفضل بن الربيع، ويعقوب بن داود، ويحيى بن خالد، وجعفر بن يحيى، وابن المقفع، والفضل بن سهل، وجعفر بن الأشعث، وأحمد بن يوسف، وأبن عبد السلام الجنديسابوري، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، والحسن بن وهب، وإبراهيم بن العباس .

(١) في العقد الفريد جد الوليد بن هشام .

البلاد، والخاصية التي تقع في حيز الملوك والسلاطين، ويتوزعها أعوانهم وأتباعهم؛ وهذه الصنائع إنما يقع التمييز بين أقدارها بالنظر إلى مقدار عائدتها في أمور الملك والسلطان والرعية مما كان معلقاً بالأمر الأهم، وكانت الحاجة إليه ألزم. وقدر المنفعة به أجسم. والفساد العائد بوقوع خلل فيه على أسباب المملكة أعظم، ومرتبته في الصنائع الخاصة أشرف والطف.

وليس من الصنائع صناعة تجمع هذه الفضائل إلا صناعة الكتابة، وذلك لأن الملك يحتاج في انتظام أمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكه مع وقوع خلل فيها. أحدها رسم ما يجب أن يرسم لكل من العمال والمكاتبين عن السلطان ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمر ونهي، وترغيب، ووعد ووعد، وإحاد وإدغام. والثاني استخراج الأموال من وجوهها. واستيفاء الحقوق السلطانية فيها.

والثالث تفريقها في مستحقها من أعوان الدولة وأولياؤها الذين يحمون حوزتها، ويسدّون ثغورها ويحفظون أطرافها، ويذبّون عنها وعن رعاياها، وغير ذلك من وجوه النفقات الخاصة والعامة؛ ومعلوم أن هذه الأعمال لا يقوم بها إلا كتّاب السلطان ولا سبيل للكتّاب إلى الكتابة فيها إلا بالتدبر في صناعة الكتابة، فهي إذن من أشرف الصنائع لعظيم عائدتها على السلطان ودولته. قال الجاحظ: "من أين فضلها أن جعلت في عليّة الناس" قال صاحب موادّ البيان: "وقد عُرف أن الذين وضعوها وآبدوها ورسموها هم الأنبياء عليهم السلام".

وقد ذكر علماء التاريخ: أن يوسف عليه السلام كان يكتب للعزير، وهارون ويوشع بن نون كانا يكتبان لموسى عليه السلام، وسليمان بن داود كان يكتب لأبيه، وأصف بن برخيا ويوسف بن عنقا كانا يكتبان لسليمان عليه السلام، ويحيى بن زكريا كان يكتب للمسيح عليه السلام.



والضعة؛ إذ كان منها ما لا يفي بالبلغة من قوام العيش : نحو الصنائع الميمنة  
السوقية الداخلية في المرافق العامة، ومنها ما يوصل إلى الثروة ويجاوز حد الكفاية  
ويُحظى بالمال والنعم الخطيرة وهي الصنائع الخاصة، وإذا تُوِّمل ما هذه صفته منها  
عُلم أنه ليس منها ما يلحق بصناعة الكتابة ولا يساويها في هذا النوع، ولا ما يُكسب  
ما تُكسبه من الفوائد والمعاون مع حصول الرفاهية والتزهد عن دناءة المكاسب  
ولا ما يوصل إليه من الخطوية ورفاهية العيش ومشاركة الملوك في اقتناء المساكن  
الفسيحة، والملابس الرفيعة، والمراكب النبيلة، والدواب النفيسة، والخدم المستحسنة  
وغير ذلك من آلات المروءة والأدوات الملوكية في أقرب المدد وأقل الأزمنة با  
وناهيك بذلك من فضل هذه الصناعة وشرفها وارتفاع خطرها وسمو قدرها إذ كان  
لها سعة لمثل هذه الجدوى التي لا يوجد مثلها في غيرها من الصنائع .

وكفى بالكتابة شرفاً أن صاحب السيف يزاحم الكاتب في قلمه ولا يزاحمه  
الكاتب في سيفه .

قال في مواد البيان : ”ومن ثم صار السلطان الذي هو رئيس الناس ومستخدم  
أرباب كل صناعة ومُصرفهم على أغراضه يفتخر بأن تكون فضيلتها حاصلة له مع  
ترفعه عن التلبس بصناعة من الصنائع الحسنة، وأنفته أن يقع اسم من أسماؤها عليه“  
قال : وذلك أنا نرى كل ملك وسلطان يؤثر أن يكون له حظ من بلاغة العبارة وجودة  
الخط . وفي ذلك ما يدل على أنها أشرف الصنائع رتبةً وأعلاها درجة، وأن المشاركين  
للسلطان فيها ممن تكتنفه سياسته أفضل من سائر المتحليين بغيرها من الصنائع الأخر  
فقد عُلم أن الصنائع كلها معاون ومرافق . لا تنتظم عمارة العالم إلا بتضافرها ومُرافقة  
بعضها لبعض . وإنما على ضربين : خاصة وعامة . فالعامة صنائع المهنة وأهل الأسواق  
والحرف وإن شاركهم الخاصة في الحاجة إليها لأن بها تنتظم أمور المعاملات وتعمّر

وقد أطب السلف في مدح الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأواً لمادح حتى قال سعيد بن العاص: "مَنْ لم يكتب فيمينه يُسرى". وقال معن بن زائدة: "إذا لم تكتب اليد فهمي رجل". وبالغ مكحول فقال: "لادية ليد لا تكتب". قال الجاحظ: ولو لم يكن من فضل الكتابة إلا أنه لا يسجل نبي سبلاً ولا خليفة مرضى ولا يقرأ كتاب على منبر من منابر الدنيا إلا إذا استفتح بذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الخليفة ثم يذكر الكتاب كما هو مشهور في السجلات التي سجلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران وغيرهم وأكثرها بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في شرفه ونبله وسابقتها ونجدته .

ومن ثم قال المؤيد: "الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة ؛ إليها ينتهي الفضل ، وعندها تقف الرغبة".

ومن كلام أبي جعفر "الفضل بن أحمد" في جملة رسالة "الكتابة أش الملك ، وعماد المملكة ، وأغصان متفرقة من شجرة واحدة . والكتابة قُطب الأدب ، وملاك الحكمة ، ولسان ناطق بالفصل ، وميزان يدل على رجاحة العقل . والكتابة نور العلم ، وفدامة<sup>(١)</sup> العقول وميدان الفضل والعدل . والكتابة حاية وزينة ولبؤس وجمال وهيبة وروح جارية في أقسام متفرقة ، والكتابة أفضل درجة وأرفع منزلة ، ومن جهل حق الكتابة فقد وسم بوسم الغواة الجهلة ؛ وبالكتاب قامت السياسة والرياسة ، ولو أن فضلاً ونبلاً تصورا جميعا تصورت الكتابة ، ولو أن في الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة رباً لكل صنعة .

قال صاحب مواد البيان : ومن المعلوم أن جميع الصنائع وسائل إلى درك المطالب ونيل الرغائب . وأن عوائدها متفاضلة في الكثرة والقلة بحسب تفاضلها في الرفعة .

(١) من معاني القدامة المصفاة وهي مناسبة هنا .

سبحانه إلا بشريف ما أبدع، وكريم ما اخترع: كالشمس والقمر والنجوم ونحوها إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها.

ثم كان نتيجة تفضيلها، وأثرة تعظيمها وتجميلها، أن الشارع ندب إلى مقصدها الأسنى، وحث على مطلبها الأغنى، فقال صلى الله عليه وسلم: "قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ" مشيراً إلى الغرض المطلوب منها، وغايتها المجتناة من ثمرتها، وذلك أن كل ذى صنعة لا بد له في معاناتها من مادة جسمية تظهر فيها الصورة، وآلة تؤدي إلى تصويرها، وغرض ينقطع الفعل عنده، وغاية تُستثمر من صنعته.

والكتابة إحدى الصنائع فلا بد فيها من الأمور الأربعة.

فأدتها، الألفاظ التي تحيّلها الكاتب في أوهامه، وتصوّر من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة تأتمة في نفسه بالقوة، والخط الذي يخطه القلم، ويقيد به تلك الصور. وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة. وآلتها القلم. وغرضها الذي ينقطع الفعل عنده تقييد الألفاظ بالرسوم الخطية، فتكبل قوة النطق وتحصل فائدته للأبعد كما تحصل للأقرب، وتحفظ صورته، ويؤمن عليه من التغير والتبدل والضّياع. وغايتها الشيء المستثمر منها، وهي انتظام جمهور المعاون والمرافق العظيمة، العائدة في أحوال الخاصة والعامة بالفائدة الجسيمة في أمور الدين والدنيا. ولما كان التقييد بالكتابة هو المطلوب، وقع الحظ من الشارع عليه. والحث على الاعتناء به تنبيهاً على أن الكتابة من تمام الكمال، من حيث إن العمر قصير والوقائع متسعة، وما ذا عسى أن يحفظه الإنسان بقلبه أو يحصّله في ذهنه.

قال ذو الرقة لعيسى بن عمر: "أَكْتُبْ شِعْرِي فَالْكَتَابُ أَعْجَبُ إِلَى مِنَ الْحِفْظِ إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ لَيَنْسِي الْكَلِمَةَ قَدْ سَهَرْتُ فِي طَلَبِهَا لَيْلَةً فَيَضَعُ مَوْضِعَهَا كَلِمَةً فِي وَزْنِهَا لَا تَسَاوِيهَا، وَالْكَتَابُ لَا يَنْسِي وَلَا يَبْدُلُ كَلَامًا بِكَلامٍ".

## المقدمة

في المبادئ التي يجب تقديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء .  
وفيها خمسة أبواب :

## الباب الأول

في فضل الكتابة ، ومدح فضلاء أهلها ، وذم خمقاهم .  
وفيها فصلان :

## الفصل الأول

( في فضل الكتابة )

أعظم شاهد لجليل قدرها ، وأقوى دليل على رفعة شأنها ، أن الله تعالى ! نسب تعليمها إلى نفسه ، وأعتده من وافر كرمه وإفضاله فقال عز اسمه : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ مع ما يروى أن هذه الآية والتي قبلها مفتتح الوحى ، وأول التنزيل على أشرف نبي ، وأكرم مرسل صلى الله عليه وسلم ! وفي ذلك من الأهتمام بشأنها ورفعة محلها مالا خفاء فيه .

ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلّت قدرته : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ ولا أعلى رتبة وأبذخ شرفاً مما وصف الله تعالى به ملائكته ونعت به حفظته ، ثم زاد ذلك تأكيداً ووفر محله إجلالا وتعظيما بأن أقسم بالقلم الذى هو آلة الكتابة وما يسطر به فقال تقدست عظمتة : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ والإقسام لا يقع منه





### الباب الثالث

في ذكر مراكب الثلج الواصل من البلاد الشامية إلى الملوك  
بالديار المصرية ، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في مراكبه .

الفصل الثاني - في هُجْنِه .

---

### الباب الرابع

في المناور والمحرقات ، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في المناور التي كان يُستعمل بها حركة التتار إلى البلاد الإسلامية

الفصل الثاني - في المحرقات التي كان يتوسل بها إلى إحراق زروع التتار

ومراعيهم بأطراف بلادهم .

---

## الباب الثانى

فى الهزليات، وفيه فصولان .

الفصل الاول - فيما آعتنت الملوك ببعضه .

الفصل الثانى - فى سائر أنواع الهزل .

## الختام

فى ذكر أمور تتعلق بديوان الإنشاء غير أمور الكتابة، وفيها أربعة أبواب .

## الباب الأول

فى الكلام على البريد، وفيه فصولان .

الفصل الأول - فى مقدمات يحتاج الكاتب إلى معرفتها: من معرفة معنى البريد وأول من وضعه فى الجاهلية والإسلام، وبيان معالمة .

الفصل الثانى - فى ذكر مراكز البريد بالديار المصرية والبلاد الشامية على اختلاف طرقها .

## الباب الثانى

فى مطارات الحمام الرسائل، وذكر أبراجها المقررة بالديار المصرية

والبلاد الشامية، وفيه فصولان .

الفصل الاول - فى ذكر مطاراته، وأعتناء الملوك بشأنه فى القديم والحديث ومسافات طيرانه .

الفصل الثانى - فى الأبراج المقررة له بالديار المصرية والبلاد الشامية .

## المقالة العاشرة

في فنون من الكتابة يتداولها الكتّاب ويتنافسون في عملها ليس لها تعلق  
بكتابة الدواوين السلطانية ولا غيرها، وفيها بابان .

### الباب الأول

في الخديّات، وفيه ستة فصول .

الفصل الأول - في المقامات وذكر نسخ منها .

الفصل الثاني - في الرسائل : من الرسائل المملوكية المشتملة على الغزو والصيد  
ونحو ذلك ، والرسائل الواردة مورد المدح ، والرسائل الواردة مورد الذم ، ورسائل  
المفاخرات بين الأشياء النفيسة : كالمفاخرة بين العلوم والسيف والقلم ونحو ذلك .  
والرسائل المشتملة على الأسئلة والأجوبة ، والرسائل المكتتة بالحوادث والمجريات  
وذكر نسخ من ذلك جميعه .

الفصل الثالث - في قدمات البندق ، وذكر نسخ منه .

الفصل الرابع - في الصدقات المملوكية ، وصدقات الأعيان .

الفصل الخامس - فيما يكتب عن العلماء وأهل الأدب : من الإجازة بالفتاوى  
وعراضات الكتب والمرويات ، وما يكتب على الكتب المصنفة والقصائد من  
التقريظات ، وما يكتب عن القضاة من التقاليد الحكيمة وإسجلات العدالة والمطلقات  
وغير ذلك .

الفصل السادس - في العُمرات التي تكتب للحاج .



## الباب الثالث

فيما يكتب في عقد الذمة وما يتفرع على ذلك، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في الأصول التي يرجع إليها هذا العقد .

الفصل الثاني - في صورة ما يكتب في متعلقات أهل الذمة، وإلزامهم بالجري على ما يقتضيه عقد الذمة لهم .

## الباب الرابع

في الهدن الواقعة بين ملوك الإسلام، وملوك الكفر، وفيه فصلان:

الفصل الأول - في أصول يتعين على الكاتب معرفتها من بيان معنى الهدنة وما يرادفها من الألفاظ، وبيان أصل وضعها في الشرع، وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها .

الفصل الثاني - في صورة ما يكتب في المهادنات وأختلاف مذاهب كتّاب الشرق والغرب والديار المصرية في ذلك، وذ كر نسخ منها، وبيان ما يكتب من ذلك من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية وما يرد من ذلك مما يكتب عن ملوك الكفر .

## الباب الخامس

في عقود الصلح الواقعة بين ملكين مسلمين، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في أصول تعتمد في ذلك .

الفصل الثاني - فيما يكتب في عقد الصلح، وذ كر نسخ من ذلك مما كتب به عن الخلفاء والملوك في القديم والحديث إلى زماننا .

الفصل الثاني - في بيان اليمين الغموس ولغو اليمين، والتحذير من الخنث والوقوع في اليمين الغموس.

### الباب الثاني

في نسخ الأيمان الملوكة بوفيه فصلان.

الفصل الأول - في نسخ الأيمان المتعلقة بالخلفاء.

الفصل الثاني - في الأيمان المتعلقة بالملوك مما يحلف به المسلمون من أهل السنة وأرباب البدع وأهل الملل من اليهود والنصارى، والمجوس وما يحلف به الحكماء.

### المقالة التاسعة

في عقود الصلح والقسوخ الواردة على ذلك بوفيه خمسة أبواب.

### الباب الأول

في الأمانات بوفيه فصلان.

الفصل الأول - في عقد الأمان لأهل الكفر.

الفصل الثاني - في كتابة الأمانات لأهل الإسلام، وذكر أصل ذلك من السنة، وإيراد نسخ من ذلك.

### الباب الثاني

في الدفن بوفيه فصلان.

الفصل الأول - في أصله وكونه مأخوذاً عن العرب.

الفصل الثاني - فيما يكتب في الدفن عن الملوك.

## الباب الثاني

فيما يكتب في الإقطاعات في القديم والحديث، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في أصل ذلك في الشرع، وبيان ما أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم من البلاد والأرضين.

الفصل الثاني - في صورة ما كان يكتب في الإقطاعات في الزمن القديم عن خلفاء بني العباس بالعراق، وخلفاء الفاطميين بمصر، وعن الملوك القائمين على الخلفاء بالعراق، وملوك بني أيوب بالديار المصرية. وما يكتب في الإقطاعات في زماننا مما استقر عليه الحال. وما يكتب في ذلك من ديوان الجيش من المربعات وما هي مرتبة عليه، وما يكتب في ذلك من ديوان الإنشاء من المناشير، وبيان مراتبها، وذكرك قطع الورق الذي يكتب فيه. وما يكتب في طرر المناشير وما يلتحق بذلك من الطغراوات المشتملة على الألقاب السلطانية التي كانت تُلصق بأعلى المناشير بين الطرة والبسملة. وما يختص من ذلك بالزيادات والتجديدات.

## المقالة الثامنة

في الإيمان، وفيها بابان.

## الباب الأول.

في أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض في الإيمان، وفيه فصلان.

الفصل الأول - فيما يقع به القسَم من الأقسام التي أقسم الله تعالى بها، والأقسام التي يُقسَم بها الخلق من أقسام العرب في الجاهلية. والأقسام الشرعية التي يُحلف بها في الشريعة.

## الباب الثالث

في طرخانيات ، وفيه فصلان .

الفصل الاول - في طرخانيات أرباب السيوف ،

الفصل الثاني - في طرخانيات أرباب الأقلام .

## الباب الرابع

في تحويل السنين ، وما يكتب في التوفيق بين السنين القمرية والشمسية ،

وما يكتب في التذاكر ، وفيه فصلان .

الفصل الاول = في تحويل السنين والتوفيق بين السنين الشمسية والقمرية .

الفصل الثاني - في التذاكر .

## المقالة السابعة

في الإقطاعات والمقاطعات ، وذكر نسخ من ذلك ، وفيها بابان .

## الباب الأول

في ذكر مقدمات الإقطاعات ، وفيه فصلان .

الفصل الاول - في ذكر أمور تتعلق بالإقطاعات : من بيان معناها ، واصل

وضعها في الشرع ، وأول من وضع ديوان الجيوش في الإسلام ، ومن يستحق إثباته

في الديوان ، وكيفية ترتيبهم فيه .

الفصل الثاني - في بيان حكم الإقطاع وانقسامه إلى إقطاع تملك واستغلال



والأقلام وغيرهم عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية من التقاليد والتفاويض والمراسيم والتواقيع على اختلاف مراتبها.

الفصل الثالث - فيما يكتب عن ثواب السلطنة بالممالك الشامية لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم، وذكر نسخ من ذلك.

### المقالة السادسة

في الوصايا الدينية، والمساحات، والإطلاقات، والطرخانيات، وتحويل السنين، والتذاكر، وذكر نسخ من ذلك، وفيها أربعة أبواب،

### الباب الأول

في الوصايا الدينية، وفيه فصلان.

الفصل الأول - فيما تقدماء الكتاب من ذلك.

الفصل الثاني - فيما يكتب من ذلك في زماننا.

### الباب الثاني

في المساحات، والإطلاقات، وفيه فصلان.

الفصل الأول - فيما يكتب في المساحات.

الفصل الثاني - فيما يكتب في الإطلاقات.

## الباب الثالث

في العهود، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في معنى العهد .

الفصل الثاني - في بيان أنواع العهود مما يكتب به للخلفاء عن الخلفاء، وما يكتب به للملوك عن الخلفاء، وما يكتب به عن الملوك لولاة العهد بالسلطنة والملوك المنفردين بصغار البلدان، ومذاهب الكتاب في ذلك، وذكر نسخ من ذلك جميعه مما كتب به ببلاد المشرق والمغرب والديار المصرية .

## الباب الرابع

في الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب، من أصحاب السيوف والأقلام وغيرهم . وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول - فيما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم، وخلفاء بني أمية بالشام، وخلفاء بني العباس بالعراق، وخلفاء بني أمية بالاندلس، وخلفاء الفاطميين بمصر، ومدعين الخلافة من بقايا الموحدين ببلاد المغرب، ومذاهب كتاب الدول في ذلك .

الفصل الثاني - فيما يكتب من الولايات عن الملوك لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم من مصطلح كتاب المشرق بعد انقراض الخلافة العباسية من العراق، ومصطلح كتاب المغرب والاندلس في القديم والحديث، ومصطلح كتاب الديار المصرية في الدولة الطولونية وما يليها من الدولة الإخشيدية، والدولة الأيوبية وما يليها من الدولة التركية، وما استقر عليه الحال فيها إلى زماننا، مما يكتب لأرباب السيوف

## المقالة الخامسة

في الولايات، وفيها أربعة أبواب.

## الباب الأول

في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول - في بيان طبقات الولايات وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها مما يكتب في ولاية الخلافة والسلطنة والولايات الصادرة عن الخلفاء والملوك، وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية والشام والحجاز لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وأرباب الوظائف الديوانية والوظائف الدينية، وغير ذلك.

الفصل الثاني - في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات على سبيل الإجمال.

الفصل الثالث - في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات.

## الباب الثاني

في البيعات، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في معنى البيعات.

الفصل الثاني - في ذكر تنوع البيعات مما يكتب للخلفاء، وأصل مشروعيتها، وبيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية، وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة، وبيان صورة ما يكتب فيها، واختلاف مذاهب الكُتَّاب في ذلك، وبذكر نسخ من بيعات الخلفاء مما كان يُكتب به في الخلافة العباسية بالعراق، وخلفاء الفاطميين بالديار المصرية، وخلفاء بني أمية بالأندلس وما يلحق بذلك مما يكتب به لخلفاء بني العباس الآن بالديار المصرية، وما يكتب من البيعات للملوك على ما اصطُح عليه كُتَّاب بلاد الغرب والأندلس.

الفصل السادس - في المكتات الإخوانيات مما كان عليه مُصطلح السلف  
فمن بعدهم في كل زمن وما استقر عليه الحال في زماننا .

الفصل السابع - في مقاصد المكتات من الأمور الخاصة بالملوك والخلفاء .  
كالكتب بالبشارة بولاية الخلافة ، والجلوس على تحت السلطنة ، والدعاية إلى الدين ،  
والحث على الجهاد ، والإخبار عن الفتوحات ، والأمر بلزوم الطاعة ، والتنبيه على مَواسم  
العبادة ، والمواظع عند حدوث الآيات السماوية ، والأوامر والنواهي ، والنهي عن  
التنازع في الدين ، والكتب إلى من نكث العهد أو خلع الطاعة ، والتضييق على أهل  
الجرائم ، والبشارة بالمواسم ، والأعياد ، ووفاء النيل ، وركوب الميادين ، والعود من الغزو ،  
والكتب بالتليق على ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم ، وبالإحاد والإذام ،  
والكتب قرين الإنعام السلطاني من الخيل والجوارح ، وسائر أصناف الإنعام ،  
والاعتذار عن السلطان في الهزيمة ونحوها ، والأجوبة عن ذلك ، وما يشترك فيه الملوك  
ومن عداهم من التهاني كالتهنئة بالوظائف ، وتكرمة السلطان ، وتجدد الأولاد ،  
والمساكن ، والعود من الحج ، والقُدوم من السفر ، والإبلال من المرض ، ورضا السلطان ،  
وعُزة السنة ، وشهر رمضان ، وعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، والنيروز ، والمهرجان ، والدخول  
في دين الإسلام ، والصرف عن الخدمة في سلامة ، ومن التعازي كالتعزية بالأب  
والأم والولد والقريب والصديق ، والتشوقات ، والشفاعات ، والتهادي ، والاستشارة ،  
وأستماعة الجوائج ، وأخطاب المودة ، وخطبة الترويح ، والشكر ، والشكوى ، والاعتذار ،  
والعتاب ، والمداعة ، وغير ذلك .

الفصل الثامن - في معرفة إخفاء ما في الكتب من السر إما بطريق المترجم ،  
وإما بالكتابة بما يظهر بالمعالجة من عرضه على النار ، أو جعل دواء عليه وما أشبه ذلك .



بني أمية بالأندلس، وبقياء الموحدين بأفريقية، وما كتب به عن الملوك ومن في معانهم إلى الملوك ومن في معانهم من المكاتب الدائرة بين ملوك الديار المصرية وملوك الشرق والغرب، ووزراء الخلفاء ومُنْقِذِي أُمَرِ الخِلافة اللاحقين بِشَأْنِ الملوك، وما يَلْتَحِقُ بذلك من المكاتب الصادرة إلى ملوك الكفر واختلاف الافتتاح في ذلك.

الفصل الرابع - في الكُتُب الصادرة عن ملوك الديار المصرية على ما استقر عليه الحال من ابتداء الدولة التركية وإلى زماننا على رأس الثمانمائة مما أَكْثَرُهُ مأخوذ من ترتيب الدولة الأيوبية، التي هي أصل الدولة التركية، مما هو صادر عنهم إلى خلفاء بني العباس، وإلى أهل المملكة بمصر والشام والحجاز، وإلى عظماء القانات بممالك الشرق كقنان مملكة إيران الجامع لحدودها على ما كانت الأمر عليه إلى آخر أيام أبي سعيد ثم من بعده ممن لم يبلغ شَأْنُهُ من القانات الصغار كالشيخ واويس ومن تلاه إلى زماننا، ومن بهذه المملكة من صغار الملوك والحُكَّام، وقانات مملكة توران من صاحب ما وراء النهر من بخاري وسمَرْقَنْد وما معها، وصاحب خوارزم والدشت والقان الكبير صاحب التخت، وصاحب الهند، وصاحب اليمن وإمام الزيدية بها، وملوك بلاد المغرب كصاحب تُونِس، وصاحب تِلِمَسَان، وصاحب فاس، وصاحب غرناطة من الأندلس، وملوك بلاد السودان كملك البرنو وملك الكانم، وصاحب مالي، وملوك الأتراك بالبلاد المعروفة ببلاد الروم من الجهة الشمالية، وملوك الكفر كملك الحبشة من البلاد الجنوبية وملك القُسْطَنْطِينِيَّة وسائر ملوك الفرنج وحُكَّامهم بجزائر الروم وغيرها من تقدم ذكره في الكلام على المسالك والممالك.

الفصل الخامس - في الكتب الواردة على الأبواب السلطانية بالديار المصرية من ملوك الممالك المتقدمة الذكر وحُكَّامها من أهل الإسلام والكُفَر من تَرِدُ مكاتبته على هذه المملكة.

من اللغة العربية، ومراعاة الفصاحة والبلاغة في الكتابة إلى مَنْ يتعاناها، ومراعاة رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه، ومواقع الشعر من المكتبات وحسن الاختتام وما يجرى مجرى ذلك، وبيان مقادير المكتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز وما يلائمها من المعاني، ومعرفة ما يختص من ذلك بالأجوبة وبيان ترتيبها .

الفصل الثاني - في بيان أصول المكتبات وترتيبها وبيان لواحقها ولوازمها ومذاهب الكُتّاب فيما تُفتَح به المكتبات في القديم والحديث، وما يخاطب به أهل الإسلام وأهل الكفر في المكتبات، وبيان كيفية طيّ الكتاب وختمه وحمله وتأديته وفضه وقراءته وحفظه في الإضبارة.

## الباب الثاني

في مُصْطَلَح المكتبات الدائرة بين كُتّاب الإسلام في كل زمن من الصدر الأول وإلى زماننا، وفيه ثمانية فصول .

الفصل الأول - في الكُتُب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام وملوك الكفر، واختلاف افتتاحها بحسب المقاصد .

الفصل الثاني - في الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم . وخلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، وخلفاء الفاطميين، وخلفاء بني أمية بالأندلس وبقايا الموحدين بأفريقية : آبتداء وجوابا .

الفصل الثالث - في الكتب الصادرة عن الملوك ومن في معانهم مما كُتِب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم، وخلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، وخلفاء الفاطميين بالديار المصرية، وخلفاء

## الباب الرابع

في الفواتح والخواتم واللواحق، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في الفواتح من البسملة والحمدلة والتصلية والسلام في أول الكتب والبعديّة التي يقع بها فصل الكلام، وبيان أصول ذلك وأصل مشروعيته

الفصل الثاني - في الخواتم واللواحق من كتابة إن شاء الله في آخر المكتوب

وكتابة التاريخ ومعرفة معناه ومعرفة التواريخ القديمة وأصل وضع التاريخ في الإسلام والتاريخ بالهجرة والوقت الذي يؤرخ فيه، وبيان بناء التاريخ العربي على الليالي دون الأيام، واختلاف مذاهب النحاة والكتاب في التعبير عن ذلك، وبناء تاريخ العجم على الأيام دون الليالي، ومعرفة استخراج كل تاريخ من تواريخ الأمم من الآخر، وكتابة المستند والحمدلة في آخر الكتب والتصلية على النبي صلى الله عليه وسلم بعدها، والاختتام بالحسبة، وبيان مواضع ذلك جميعه من الورق، وكيفية وضعه.

## المقالة الرابعة

في المكتبات، وفيها بابان

## الباب الأول

في أمور كلية : تتعلق بالمكتبات، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في مقدمات المكتبات من أصول يعتمدها الكاتب فيها من حسن الافتتاح وبراعة الاستمالة وتقديم مقدمة تناسب المكتوب فيه في أول المكتبة، ومعرفة الفرق بين الألفاظ الجارية في الخطاب ونحوه في المكتبات وما يناسب المكتوب إليه منها، ومواقع الدعاء فيها، والإتيان لكل مقصد من مقاصد المكتبات بما يناسبه، ومخاطبة كل أحد من المكتوب اليهم على قدر طبقته

الفصل الثاني - في بيان ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة  
الذكر من الأقلام، ومقادير البياض الذي يراعيه الكاتب في أعلى الدرج وحاشيته  
وبعد ما بين السطور في الكتابة .

### الباب الثالث

في بيان المستندات وكتابة الملخصات . وكيفية التعيين، ومقادير قطع الورق  
وما يناسبها من الأقلام، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في بيان المستندات التي يصدر عنها كتابة ما يكتب من تلقى  
كاتب السر الأمر في ذلك عن السلطان أو تلقيه وتلقى كتاب الدست بدار العدل .  
أو شمول القصة بالخط الشريف، أو كونه برسالة الدوادار أو بإشارة النائب الكافل  
أو إشارة أستاذ الدار أو إشارة الوزير أو بقائمة من ديوان الخاص وغيره، وكتابة  
الملخصات التي تكتب من الكتب المطولات الواردة على الديوان، وترجمة الكتب  
الواردة بغير العربية إلى العربية .

الفصل الثاني - في بيان كيفية تعيين صاحب ديوان الإنشاء القصص  
والمربعات وما في معناها، وبيان مقادير قطع الورق المستعمل في دواوين الإنشاء من  
الكامل والثلاثين والنصف والثلاث والعادة وما يناسب كل مقدار منها من مختصر  
الطومار وثقل الثلاث وخفيفه والتوقيعات والرقاع . ومقادير البياض المرعية في الكتابة  
في أعلى الدرج وحاشيته وبعد ما بين السطور



## المقالة الثالثة

في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكاتبات والولايات وغيرهما من ذكر الأسماء والكنى والألقاب، وكيفية تعيين صاحب ديوان الإنشاء القصص والمربعات ونحوها على كتاب الإنشاء، ومقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقسام، ومقادير البياض في أول الدرّج وحاشيته وبعده ما بين السطور في الكتابات، وبيان المستندات التي يصدر عنها ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتبات والولايات وغيرها، وكتابة الماخضات، وبيان الفوائح والخواتم : وفيها أربعة أبواب.

## الباب الأول

في الأسماء والكنى والألقاب، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في الأسماء والكنى ومواضع ذكرهما في المكاتبات والولايات وما يجري مجراها

الفصل الثاني - في ذكر الألقاب وأصل وضعها وما استعمله الكتاب منها وما كان يلقب به أهل كل دولة وما حدث من الزيادة بعد ذلك حتى صار الأمر إلى ما عليه الحال في زماننا، والألقاب التي أصطلح عليها لأرباب السيوف والأقسام وغيرهم وما وُضع منها لأهل الكفر. وبيان معنى كل لقب في اللغة ومن يقع عليه في الاصطلاح، وكيفية ترتيب بعضها على بعض

## الباب الثاني

في بيان مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقسام. ومقادير البياض الذي يراعيه الكاتب في كتابته، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في مقادير قطع الورق المستعملة بدواوين الإنشاء في القديم والحديث

وغيرها، ومملكة تُوران المعروفة بمملكة الترك قديماً، وما أشتملت عليه من قسم ماوراء  
النهر من بخارى وسمرقند ومضافتهما وبلاد تركستان وما مع ذلك، وقسم خوارزم  
ودشت القبجاق المشتمل على خوارزم والدشت وأعمال السراى وبلاد القرم وبلاد  
الأزق وما ينضم إلى ذلك من بلاد السرب والبلغار وبلاد الأولاق وبلاد الآص  
وبلاد الروس وغيرها، وقسم ما بيد صاحب التخت المعبر عنه (بالقان الكبير) المشتمل  
على بلاد الخطا وبلاد الصين، وما اتصل بهاتين المملكتين مما يلي الجنوب من بلاد  
البحرين، ومملكة اليمن وما منها بيد أولاد رسول وما منها بيد إمام الزيدية، وممالك  
الهند المتصلة ببلاد الصين والواقعة في جزائر البحر الهندي .

الفصل الثاني - في الممالك والبلدان الغربية عن مملكة الديار المصرية، من  
مملكة تونس المشتملة على بلاد أفريقية، ومملكة بلنسان المشتملة على بلاد الغرب  
الأوسط، ومملكة فاس المشتملة على بلاد الغرب الأقصى إلى البحر المحيط وما إلى  
ذلك من ممالك جزيرة الأندلس وما بقى منها بيد المسلمين وما استعادها منها ملوك الكفر .

الفصل الثالث - في الممالك والبلدان الجنوبية عن مملكة الديار المصرية  
وما أشتملت عليه من بلاد السودان من مملكة البرنو ومملكة الكانم ومملكة مالى  
ومملكة الحبشة، وبيان ما من ذلك بيد ملوك المسلمين وما منه بيد ملوك الكفر .

الفصل الرابع - في الممالك والبلدان الشمالية عن مملكة الديار المصرية مما  
بيد المسلمين من البلاد المعروفة الآن ببلاد الروم وما بيد ملوك النصارى من جزائر  
بحر الروم بجزيرة قبرس وجزيرة رودس وجزيرة أقريطش وجزيرة المصطكى وجزيرة  
صقلية وغيرها وما إلى ذلك مما شمالى بحر الروم من مملكة القسطنطينية ومملكة البندقية  
ومملكة جنوه ومملكة رومية ومملكة فرنسة وغير ذلك .

ومعجائبه وحدوده وأبتداء عمارته وتسميته شاما، وذكر أنهاره وبحيراته وجباله المشهورة، وذكر زروعه وفواكهه ومواشيه ووحوشه وطيوره، وذكر أعماله وجهاته وأجناده وكوره القديمة والمستقرة وقواعده العظام وما كانت عليه في الزمن السابق ومن ملكها جاهلية وإسلاما وما آستقرت عليه الآن من النيابات، وترتيب أحوالها، وذكر معاملاتها ونقودها، وترتيب نياباتها وما بها من وظائف وأرباب السيوف والأقلام وما آشتملت عليه من العربان<sup>(١)</sup>.

الفصل الثالث - في البلاد الحجازية وما ينخرط في سلكها، وذكر فضل الحجاز وخواصه ومعجائبه وأبتداء عمارته وتسميته حجازا، وذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وقواعده وأعماله ونواحيه ومعاملاته ونقوده وملوكه جاهلية وإسلاما.

### الباب الرابع

في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية من الجهات الأربع والطرق الموصلة إليها، وفيه أربعة فصول

الفصل الأول - في الممالك والبلدان الشرقية عن الديار المصرية، وما سامت ذلك ووالاه من الجهة الجنوبية والجهة الشمالية، وما آشتملت عليه هذه الجهة من مملكة إيران التي هي مملكة الفرس قديما، وما أنطوت عليه من بلاد الجزيرة الفراتية وبلاد العراق وبلاد خوزستان وبلاد الأهواز وبلاد فارس وبلاد كرمان وبلاد سيحستان وبلاد أرمينية وأذربيجان وبلاد الجبال المعبر عنها بعراق العجم وبلاد الديلم وبلاد الحليل المعبر عنها بكيلان وبلاد مازندران وبلاد قومس وبلاد زابلستان وبلاد الغور

(١) اشتهر هذا الجمع على الألسنة ولم نعر عليه في معاجم اللغة التي بأيدينا وإن كان القياس لا ياباه .

المصرية، وخلفاء الفاطميين بمصر، وخلفاء بنى أمية بالأندلس، والمدعين الخلافة من بقايا الموحيدين بأفريقية .

الفصل الثانى - فيما أنطوت عليه الخلافة العباسية فى الزمن القديم وما كانت عليه من الترتيب وما هى عليه الآن .

### الباب الثالث

فى ذكر الديار المصرية ومضافاتها من البلاد الشامية وما يتصل بها  
وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول - فى الديار المصرية، وذكر فضائلها ومحاسنها، وخواصها وعجائبها وما بها من الآثار القديمة، وذكر نبيلها ومبدئها ونهايتها، وزيادته ونقصه، ومقاييسه، وما ينتمى إليه فى الزيادة وما يصل إليه فى النقص، والخلجان المتفرقة عنه، وجسورها الحابسة لمياه النيل على أرضها، وبحيرات الديار المصرية، وجبالها وزروعها ورياحينها وفواكهها، ومواشيتها ووحوشها وطيورها، وذكر حدودها وأبتداء عمارتها وتسميتها مصر، وتفرع الأقاليم التى حولها عنها، وذكر أعمالها وقواعدها القديمة، والمباني العظيمة الباقية على ممر الأزمان، وقواعدها المستقرة وما أشتملت عليه من محاسن الأبنية، وذكر من ملكتها جاهلية وإسلاما قبل الطوفان وبعده، وترتيب أحوالها، وذكر معاملاتها وتقودها، وترتيب مملكتها فى القديم والحديث، وبيان وظائف دولها القديمة والمستقرة لأرباب السيوف والأقلام .

الفصل الثانى - فى البلاد الشامية وما يتصل بها من بلاد الجزيرة الفراتية وبلاد الثغور والعواصم المعبر عنها الآن - ببلاد الأرمن - وبلاد الدربندات المعروفة الآن - ببلاد الروم - مما هو مضاف إلى مملكة الديار المصرية، وفضل الشام وخواصه



أشكالها واختلاف أوضاعها، وما يستعمل منها في ديوان الإنشاء، وما يلتحق بذلك من النقط والشكل والهجاء.

## المقالة الثانية

في المسالك والممالك، وفيها أربعة أبواب.

## الباب الأول

في ذكر الأرض على سبيل الإجمال، وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول - في معرفة شكل الأرض وإحاطة البحر بها، وبيان جهاتها الأربع، وما أشتملت عليه من الأقاليم السبعة الطبيعية، وبيان موقع الأقاليم العرفية بمصر والشام من الأقاليم الطبيعية، وذكر حدودها الجامعة لها.

الفصل الثاني - في ذكر البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان في التعريف بها والسفر إليها من البحر المحيط والبحار المنبثقة في أقطار الأرض ونواحي الممالك مما هو متصل به ومتقطع عنه وما بها من الجزائر المشهورة.

الفصل الثالث - في استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة بينها.

## الباب الثاني

في ذكر الخلافة ومنّ وليها من الخلفاء ومقرّاتهم في القديم وما أنطوت عليه ممالكهم من الأقطار، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في ذكر الخلافة ومنّ وليها من الخلفاء الراشدين من الصحابة (رضوان الله عليهم)، وخلفاء بني أمية بالشام، وخلفاء بني العباس بالعراق، ثم بالديار

الفصل الثاني - فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء ، من معرفة اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبدیع ، وحفظ کتاب الله تعالى ، والكثير من الأحاديث النبوية ، وخطب البلغاء ورسائلهم ومكتباتهم ومحاوراتهم ومراوضاتهم ، (وأشعار العرب) والمولدين والمحدثين ، (وأمثال العرب) ومن جرى مجراهم ، والمعرفة بالتاريخ (وأنساب العرب) ، ومفائيرهم ، ومنافراتهم ، وحروبهم ، وأوابدهم في الجاهلية ، وأحوال الأمم والأحكام السلطانية ، وأصناف العلوم ، ومن برع في كل علم منها ، والكتب الفاتحة في كل فن من فنونها وما يجري مجرى ذلك ، والمعرفة بصناعة الكلام وكيفية إنشائه ونظمه ، وتأليفه ، وترصيفه . وما يجمد من ذلك وما يذم .

الفصل الثالث - في معرفة الأزمنة والأوقات : من الأيام والشهور والسنين على اختلاف الأمم فيها وتفصيل أجزائها ، وما ينخرط في سلك ذلك من الفصول الأربعة وأعياد الأمم .

## الباب الثاني

فما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العملية ، من الخط وتوابعه ولواحقه ، وفيه فصلان

الفصل الأول - في ذكر آلات الخط من الدوى وما تُتخذ منه ومقاديرها وكيفياتها ، ومعرفة أصناف الأقلام وصناعة رآيتها : فتحا ونحتا وشقاً وقطاً ، ومقادير أطوالها وعدد ما يكون في الدواة منها ، وكيفية عمل الحبر ، وحل الذهب ، وإذابة الازورد والمغرة العراقية ، وغير ذلك مما يُحتاج إليه في كتابة الديوان .

الفصل الثاني - في الكلام على نفس الخط وأصل وضعه واختلاف الأمم فيه ، وما يختص من ذلك بالخط العربي من تنويع أقلامه التي أحدثها أئمة الكتابة وتباين

## الباب الرابع

في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام  
وتفرقه بعد ذلك في الممالك ، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في التعريف بحقيقته .

الفصل الثاني - في أصل وضعه في الإسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك بالديار  
المصرية وغيرها .

## الباب الخامس

في قوانين ديوان الإنشاء ، وترتيب أحواله ، وآداب أهله ، وفيه أربعة فصول .

الفصل الأول - في بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله  
ولقبه الجارى عليه في القديم والحديث .

الفصل الثاني - في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه .

الفصل الثالث - فيما يتصرف فيه متولى هذا الديوان ويدبره ويصرفه بقلمه .

الفصل الرابع - في ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، وما يلزم رب  
كل وظيفة منهم ، وما كان عليه الأمر في الزمن القديم ، وما استقر عليه الحال  
بعد ذلك .

## المقالة الأولى

فيما يحتاج إليه الكاتب ، وفيها بابان

## الباب الأول

في الأمور العلمية ، وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول - فيما يحتاج إليه الكاتب في الجملة .

## المقدمة

في مبادي يجب تقديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء، وفيها خمسة أبواب.

## الباب الأول

في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم حَقَّاقهم، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في فضل الكتابة.

الفصل الثاني - في مدح فضلاء الكُتَّاب وذم حَقَّاقهم.

## الباب الثاني

في ذكر مدلول الكتابة لغةً وأصطلاحاً، وبيان معنى 'الإنشاء'، وإضافة الكتابة إليه، ومرادفة لفظ التوقيع لكتابة الإنشاء في عُرف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسُّل، وتفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة، وترجيح النثر على الشعر. وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول - في ذكر مدلولها، وبيان معنى 'الإنشاء' وإضاقتها إليه. ومرادفة التوقيع لكتابة الإنشاء في عرف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسُّل.

الفصل الثاني - في تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة.

الفصل الثالث - في ترجيح النثر على الشعر.

## الباب الثالث

في صفات الكُتَّاب وآدابهم، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في صفاتهم الواجبة والعرفية.

الفصل الثاني - في آدابهم.



فشرعت في ذلك بعد أن استخرت الله تعالى ( وما خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ ) .  
 وراجعت أهل المشورة ( وما نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ ) . مستوعبا من المصطلح ما شتمل عليه  
 "التعريف" و "التثقيف" . موضحا لما أبهماه بتبيين الأمثلة مع قُرب المأخذ وحُسن  
 التأليف . متبرعا بأمر زائدة على المصطلح الشريف لايَسع الكاتب جهلها . مُتَنَقِّلا  
 من توجيه المقاصد ، وتبيين الشواهد ، بما يُعرف به فرعُ كل قضية وأصلها . آتيا من  
 مَعالم الكتابة بكل معنى غريب . ناقلا الناظر في هذا المصنّف عن رتبة أن يسأل فلا  
 يجاب إلى رتبة أن يُسأل فيجيب . منها على ما يحتاج إليه الكاتب من الفنون ، التي  
 يخرج بمعرفتها عن عُهدة الكتابة ودَرَكَها . ذا كرا من أحوال الممالك المكتّبة عن هذه  
 الملكة ما يُعرف به قدرُ كل ملكة ومَلِكها . مبيّنا جهة قاعدتها ، التي هي محل الملك  
 شرقا أو غربا ، أو جنوبا أو شمالا . معزفا الطريق الموصل إليها ، برا وبحرا ، وأقطعا  
 واتصالا . ذا كرا مع كل قاعدة مشاهير بلدانها ، إكالا للتعريف . ضابطا لأسمائها .  
 بالحروف كي لا يدخلها التبديل والتحريف .

وسمّيته (صبح الأعشى في كتابة الإنشأ) راجيا من الله تعالى أن يكون  
 بالمقصود وافيا . وللغليل شافيا .

وليُعذر الواقف عليه ، فتأمل الأفكار على اختلاف القرائح لاتنهاي . وإنما ينفق  
 كل أحد على قدر سعة ( لا يَكْفُفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ) . ورحم الله من وقف فيه  
 على سهو أو خطأ فأصلحه عاذرا لا ناذلا . ومُنِيلا لا ناثلا . فليس المبرأ من الخطل  
 إلا من وقى الله وعصم . وقد قيل : الكتاب كالمكلف لا يسلم من المواخذة ولا يرتفع  
 عنه القلم ، والله تعالى يقرنه بالتوفيق ! . ويُرشد فيه إلى أوضح طريق ! . ( وما تَوْفِيقِي  
 إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ) .

وقد رتبته على مقدمة ، وعشر مقالات ، وخاتمة .

أنشأت مقامة بنيتها على أنه لا بد للإنسان من حرفة يتعلّق بها . ومعيشة يتسكّ بسببها .  
وأن الكتابة هي الصناعة التي لا يليق بطالب العلم من المكاسب سواها . ولا يجوز له  
العدول عنها إلى ما عداها . وجنّحت فيها إلى تفضيل كتابة الإنشاء وترجيحها .  
وتقديمها على كتابة الأموال وترشيحها . ونهت فيها على ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء  
من المواد . وما ينبغي أن يسلكه من الجوّاد . وضمنتها من أصول الصناعة ما أربّت به  
على المطولات وزادت . وأودعناها من قوانين الكتابة ما استولت به على جميع مقاصدها  
أو كادت . وأشرت فيها إلى وجه تعلّق بحبال هذه الصناعة وإن لم أكن بمطلوبها ملياً .  
وأنسابي إلى أهلها وإن كنت في النسبة إليها دعيّاً .

وَلَيْسَ دَعِيَ الْقَوْمِ فِي الْقَوْمِ كَالَّذِي \* حَوَى نَسَبًا فِي الْأَكْرَمِينَ عَرِيقًا

إلا أنها قد وقعت موقع الوحي والإشارة . ومالت إلى الإيجاز فكتفت بالتلويح  
عن واسع العبارة . فعزّ بذلك مطلبها . وفات على المحتجني بعد التناول أطيبها . فأشار من  
رأيه مقرون بالصواب . ومشورته عريّة عن الارتياب . أن أتبعها بمصنّف مبسوط  
يشتهل على أصولها وقواعدها . ويتكفل بحل رموزها وذكر شواهدِها . ليكون  
كالشرح عليها . والبيان لما أجملته والنّمة لما لم يسقّه الفكر إليها . فامتثلت أمره  
بالسمع والطاعة . ولم أتلکأ وإن لم أكن من أهل هذه الصناعة . خير أن القرينة  
بذلك لم تسمح . وصار المقتضى يضعف والمانع يترجّح . لأعذار قد تشابه محكمها .  
وضرورات ، إن لم يعلمها الخلق فالله يعلمها . إلى أن لاحت لي بوارق الفتح . وظهرت  
ولله الحمد آثار المنح . فعند ذلك بلغت النفس أملاها . وأضفت مواهب الأمتان  
حلّها . وتلا لسان العناية على الغبي الحاسد ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ  
لَهَا ﴾ .

إلا أنه قد أهمل من مقاصد المصطلح أموراً لا يسوغ تركها . ولا ينبغي بالفذية لدى القوات تُسكها . كالبطاق ، والملطفات ، والمطلقات . المكبرة في جملة كثيرة من المكاتبات . فلم يقع الغنى به عما سواه . ولا الاكتفاء بالنظر فيه عما عداه .

ثم تلاه المقر التقوى ابن ناظر الجيش (رحمه الله ! ) بوضع دُستوره المسمى "بتثقيف التعريف" . مقتفياً أثره في الوضع ، وجارياً على سَنَنه في التأليف . مع إيراد ما أهمله في تعريفه . وذكّر مافاته من مصطلح ما يُكْتَب أو حَدَثَ بعد تأليفه . فاشتهر ذكره وعز وُجوده . ووقع الضنُّ به حتى يَحِلُّ بإعارته مَنْ عُرِفَ كرمُه وجُوده . وكان مع ذلك قد ترك مما تضمنه التعريف مقاصد لا غنى بالكاتب عنها . ولا بُدَّ للتلبس بهذه الصناعة منها . كالوصايا والأوصاف ، التي هي عمدة الكاتب . ومراكز البريد وأبراج الحمام ، وغير ذلك من متمات الواجب ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . فصار كلُّ من الدُستورين منفرداً عن الآخر بقدر زائد . ولم تقع الغنية بأحدهما عن الآخر ، وإن كانا في معنى واحد .

وكيفما كان فالإقتصار على معرفة المصطلح قصور . والإضراب عن تعرف أصول الصنعة ضَعْفٌ هَمَّةٌ وفُتُورٌ . والمقلد لا يوصف بالاجتهاد . وشَتَانٌ بين مَنْ يعرف الحكم عن دليل ومن جمد على التقليد مع جَرم الاعتقاد .

وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا \* كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

وقد ثبت في العقول أن البناء لا يقوم على غير أساس . والفرع لا ينبت إلا على أصل ، والثمر لا يُجْتَنَى من غير غراس .

وكنت في حدود سنة إحدى وتسعين وسبعمائة عند استقراري في كتابة الإنشاء بالأبواب الشريفة السلطانية ، عظم الله تعالى شأنها ! . ورفع قدرها ! . وأعز سلطانها !

هذا . والمؤلفون في هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف . وتباينت  
مواردُهم في الجمع والتأليف . ففرقة أخذت في بيان أصول الصنعة وذكر شواهدِها .  
وأخرى جَنَحَتْ إلى ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها . وطائفة آهَمَّت بتدوين  
الرسائل لِيُقْتَبَسَ من معانيها وَيُتَمَسَّكَ بأذيالها . وتكونَ أُمُودًا لمن بعدهم يسلك  
سبيلها ، مَنْ أراد أن يَنْسَجَ على مِنوالها . ولم يكن فيها تصنيف ، جامعٌ لمقاصدها .  
ولاتأليف ، كافِلٌ بمصادرها الجليلة ومواردها . بل أكثرُ الكتب المصنَّفة في بابها .  
والتأليف الدائرة بين أربابها . لا يَخْرُجُ عن علم البلاغة المرجوع فيها إليه . أو الألفاظ  
الرائقة مما وقع اختيار الكُتَّاب عليه . أو طَرَف من اصطلاح قد رُفِض . وتغير  
أُمُودُجُه ونُقُص . فلا يغني النظر فيه المقلد من كُتَّاب الزمان . ولا يكتفي به القاصرُ  
في أوَانٍ بعد أوَان . على أن معرفة المصطلح هي اللازم المحتم . والمهمُّ المقدم .  
لعموم الحاجة إليه . واقتصار القاصر عليه .

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً \* حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

وكان الدُّسْتُورُ الموسومُ "بالتعريف . بالمصطلح الشريف" . صنعة الفاضل  
الألمعي . والمصنَّع اللودعي . مَلِكِ الكُتَّابة وإمامِها . وسلطانِ البلاغة ومالكِ زمامِها .  
المقرَّ الشهابي "أحمد بن فضل الله العدوي العمري" سقى الله تعالى عهده العِهاد ! .  
وألْبَسَه سوايغ الرحمة والرضوان يوم المَعَاد ! . هو أنفَسُ الكتبِ المصنَّفة في هذا الباب  
عَقْدًا . وأعد لها طريقًا وأعدبها وِرْدًا . قد أحاط من المحاسن بجوانبها . وأعْظَمَتْ  
الافكارُ عن مثله ففاز من الصنعة بأحمدِ مذاهبيها . فكان حقيقًا بقوله في خطبته :

"يَا طَالِبَ الْإِنْشَاءِ خُذْ عِلْمَهُ \* عَنِّي فِعْلِي غَيْرَ مَنْكُورٍ !"

"وَلَا تَقِفْ فِي بَابٍ غَيْرِي فَمَا \* تَدْخُلْهُ إِلَّا (بِدُسْتُورِي)"



وبعد فلما كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها . واربح البضائع وأنفعها . وأفضل المآثر وأعلاها . وآثر الفضائل وأغلاها . لاسيما كتابة الإنشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها . وإنسان عينها بل عين إنسانها . لاتلفت الملوك إلا إليها . ولا تعول في المهمات إلا عليها . يعظمون أصحابها ويقربون كتابها . خليفها أبدا خليف بالتقديم . جدير بالتبجيل والتكريم .

تَسْرُجَانِيهَا إِذَا مَا جَنَى الظَّمَا \* وَتُرْوَى بِجَارِيهَا إِذَا بَحَلَ الْقَطَرُ

وكانت الديار المصرية . والمملكة اليوسفيه . أعز الله تعالى حماها ! . وضاعف علأها ! قد تعلقت من الثريا بأقراطها . ورجحت سائر الأقاليم بقيراطها . بشر بفتحها الصادق الأمين ، فكانت أعظم بشرى . وأخبر سيد المرسلين أن لأهلها نسا وصهرا . فتوجهت إليها عزائم الصحابة زمن الفاروق نجاسوا خلال الديار وعمرها وسهلها . واقتطعتها أيدي المسلمين من الكفار وكانوا أحق بها وأهلها .

ثم لم يزل يعلو قدرها . ويسمو ذكرها . إلى أن صارت دار الخلافة العباسيه . وقرار المملكة الإسلامية . وفخرت مملكتها بخدمة الحرمين . وخدمها سائر الملوك والأمم لحيازة القبايتين .

تَنَاهَتْ عِلَاءَ وَالشَّبَابُ رَدَاؤُهَا \* فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْفَضْلِ وَالرَّأْسُ أَشَيْبُ؟

وحظيت من فضلاء الكُتَّاب بما لم تحظ مملكة من الممالك ، ولا مصر من الأمصار . وحوث من أهل الفضل والأدب ما لم يحوقطر من الأقطار . فما برحت متوجهة بأهل الأدب في الحديث والقديم . مطرزة من فضلاء الكُتَّاب بكل مكين أمين ، وحفيظ عليم .

نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ \* بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جاعل المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه . والمتكلم بأجمليه ، فصاحته وبيانه .  
راقم حقائق المعاني بأقلام الإلهام على صفحات الأفكار . جامع اللسان والقلم على  
ترجمة مافي الضمائر ، ذاك للأسماع وهذا للأبصار . الذي حفظ برسوم الخطوط ماتكلُّ  
الأذنان السليمة عن حفظه . وتبلغ بوسائطها على البعد ما يعسر على المتحمل تأديته  
بصورة معناه ولفظه .

أحمدته على أن وهب من بنات الأفكار ما يربو في الفخر على ذُكُور الصوارم .  
ومنح من جواهر الخواطر ما يركو مع الإنفاق ولا ينقص بالمكارم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يوقع لصاحبها بالنجاة من النار .  
ويكتب قائلها في ديوان الأبرار . وأن محمدا عبده ورسوله الذي أهتت لهيبته  
الأسرة وشرفت بذكره المنابر . وضائق عن درك وصفه الطروس ونقدت دون  
إحصاء فضله المحابر . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قلدوا أمور الدين فقاموا  
بواجبها . وحملوا أعباء الشريعة فانتشرت بهم في مشارق الأرض ومغاربها . صلاة  
تسطر في الصحف . وتفوق بهجتها الروض الأنف .



Kitāb SUBH al-AʿSHÁ  
كِتَابُ

صُبْحُ الْأَسْهَةِ

نَالِقٌ

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندى

al-QALQASHANDĪ, AHMAD ibn 'Alī

الجزء الأول

Vol. I

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع  
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة  
١٣٣١ هـ  
١٩١٣ م





دار الكتب الخديوية

---

صباح الألفية

---

الجزء الأول

---

طبع  
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣١ هـ  
١٩١٣ م







مكتبة

النوع السادس عشر - النظر في كتب التاريخ والمعرفة بالأحوال،

وفيه مقصدان ... .. ٤١١

النوع السابع عشر - المعرفة بخزائن الكتب وأنواع العلوم الخ،

وفيه مقصدان ... .. ٤٦٦



(تم فهرست الجزء الأول من كتاب صبح الأعشى)

ويليه الجزء الثاني

وأوله النوع الثامن عشر - المعرفة بالأحكام السلطانية



صفحة

- النوع الثانى - المعرفة باللغة العجمية الخ، وفيه مقصدان ... ١٦٥
- النوع الثالث - المعرفة بالنحو، وفيه مقصدان ... ١٦٧
- النوع الرابع - المعرفة بالتصريف ... ١٧٧
- النوع الخامس - المعرفة بعلوم المعانى والبيان والبديع،  
وفيه مقصدان ... ١٨٠
- النوع السادس - حفظ كتاب الله العزيز، وفيه مقصدان ... ١٨٩
- النوع السابع - الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية،  
وفيه مقصدان ... ٢٠١
- النوع الثامن - الإكثار من حفظ خطب البلغاء، والتفنن  
فى أساليب الخطباء، وفيه مقصدان ... ٢١٠
- النوع التاسع - مما يحتاج إليه الكاتب الخ، وفيه ثلاثة مقاصد ٢٢٧
- النوع العاشر - الاستكثار من حفظ الأشعار الرائقة الخ،  
وفيه مقصدان ... ٢٧١
- النوع الحادى عشر - الإكثار من حفظ الأمثال، وفيه مقصدان ٢٩٥
- النوع الثانى عشر - معرفة أنساب الأمم من العرب والعجم ... ٣٠٦
- النوع الثالث عشر - المعرفة بمفاحرات الأمم ومنافراتهم الخ،  
وفيه مقصدان ... ٣٧٢
- النوع الثالث عشر (مكرر) المعرفة بأيام الحروب الواقعة، وفيه  
ثلاثة مقاصد ... ٣٩٠
- النوع الرابع عشر - فى أوابد العرب ... ٣٩٨
- النوع الخامس عشر - فى معرفة عادات العرب، وهى صنفان ... ٤٠٩

صحيفة

- الفصل الثانى - فى أصل وضعه فى الاسلام وتفترقه عنه بعد ذلك  
 فى الممالك ... ٩١
- الباب الخامس - فى قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله وآداب  
 أهله، وفيه أربعة فصول ... ١٠١
- الفصل الأول - فى بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعته قدره آنح  
 ١٠١
- الفصل الثانى - فى صفة صاحب هذا الديوان وآدابه ... ١٠٤
- الفصل الثالث - فيما يتصرف فيه صاحب هذا الديوان بتديره آنح،  
 وفيه اثنا عشر أمرا ... ١١٠
- الفصل الرابع - فى ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية آنح،  
 وفيه ضربان ... ١٣٠

## المقالة الأولى

- فى بيان ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد، وفيه بابان ١٤٠
- الباب الأول - فيما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العلمية، وفيه  
 ثلاثة فصول ... ١٤٠
- الفصل الأول - فيما يحتاج إليه الكاتب على سبيل الإجمال ... ١٤٠
- الفصل الثانى - فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء،  
 وفيه طرفان (صوابه ثلاثة أطراف) ... ١٤٨
- الطرف الأول - فيما يحتاج إليه من الأدوات، ويشتمل الغرض منه  
 على خمسة عشر نوعا (صوابه تسعة عشر نوعا) ١٤٨
- النوع الأول - المعرفة باللغة العربية، وفيه أربعة مقاصد ... ١٤٨

حقیقة

- خطبة الكتاب ... ٥
- المقدمة في المبادئ التي يجب تقديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء،  
وفيها خمسة أبواب ... ٣٥
- الباب الأول - في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم حمقاهم،  
وفيه فصلان ... ٣٥
- الفصل الأول - في فضل الكتابة ... ٣٥
- الفصل الثاني - في مدح فضلاء الكتاب وذم حمقاهم ... ٤٦
- الباب الثاني - في ذكر مدلول الكتابة لغة وأصطلاحاً،  
وفيه ثلاثة فصول ... ٥٠
- الفصل الأول - في ذكر مدلولها ... ٥١
- الفصل الثاني - في تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة ... ٥٤
- الفصل الثالث - في ترجيح النثر على الشعر ... ٥٨
- الباب الثالث - في صفاتهم وآدابهم، وفيه فصلان ... ٦١
- الفصل الأول - في صفاتهم، وهي على ضربين ... ٦١
- الفصل الثاني - في آداب الكتاب، وهي على نوعين ... ٦٩
- النوع الأول - حسن السيرة وشرف المذهب، ولذلك شروط ولوازم ... ٦٩
- النوع الثاني - حسن العشرة التي هي من أفضل الخلائق،  
وهي على خمسة أضرب ... ٧٣
- الباب الرابع - في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء، وفيه فصلان ... ٨٩
- الفصل الأول - في التعريف بحقيقته ... ٨٩











al-Qalqashandī, Ahmad ibn  
'Alī

Title translit.:  
Kitāb subh al-a'shā,  
v.1

PLEASE DO NOT REMOVE  
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

---

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

---

AE  
2  
Q34  
v.1

al-Qalqashandi, Ahmad ibn 'Ali  
Kitab subh al-a'sha



